موسى صبري

وثائق حرب أكتوبر

المكتب المصري الحديث

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل، وسيطرة العادة، والتبجيل المفرط
لمفكري الماضي
أن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

روجر باكون



التعليم ليس استعدادا للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

الله أكبر

الصيحة التى دوت وعبرت واقتحمت وحطمت

اســــــــطورة الجيش الذى لا يقهــــــــر .

الطبعة الأولى سبتمبر ١٩٧٤
الطبعة الثانية أكتوبر ١٩٧٤
الطبعة الثالثة أكتوبر ١٩٧٥

النـــاشر : المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر
القـــاهرة : ٢ شارع شريف ت ٥٣١٢٧
الاسكندرية : ٧ شارع نوبار ت ٢٦٦٠٢


موسى صبرى
مجلة الابتسامة
وثائق حرب أكتوبر
المكتب المصري الحديث

هذا الكتاب .. لماذا؟

أستطيع أن أزعم انني عشت حرب أكتوبر على اعصابى ! .. ما قبل الحرب ، وخلالها ، وبعدها أيضا !

كنت واثقا منذ اليوم الأول لتولى أنور السادات مسئولية رئاسة الجمهورية أنه سيحارب .. وكنت واثقا ان كل قرار سوف يصدره داخليا أو خارجيا ، هو من أجل الاعداد للحرب .

وعندما أتيح لى أن ألقى الرئيس السادات : بعد وفاة جمال عبد الناصر بيومين ، كان حديثه مركزا على شيئين فقط : الديمقراطية .. والمعركة .

وأنا أعرف أن الرجل فيه كل أعماق رجل السياسة ، والقدرة على المناورة ، والصبر الذى لاينفذ منه الصبر .. واعرف ايضا أنه مقاتل .. بطبيعة المناضل التى لم تفارقه منذ شبابه ، ولم تؤثر فيها المناصب ومظاهرها .

أعرف منذ عام ١٩٤٣ .. عندما رأيته لأول مرة داخل أسوار معتقل الزيتون . وكنت قد تخرجت فى كلية الحقوق .

شاب هادىء ، كثير التأمل ، قليل الكلام : ملىء بالأسرار .. يحب الموسيقى والطرب ! انه اليوزباشى محمد أنور السادات ، المفصول من الجيش بقرار بريطانى : لأنه كان يسعى من خلال اتصالات دولية سرية مع هتلر زعيم ألمانيا ، الى ضرب القوات البريطانية فى مصر .. نضالا ضد الاحتلال .

وكان يتحدث معنا فى تاريخ مصر ..

ولم يكن يتحدث أبدا عن الأسباب الخطيرة التى دعت الانجليز الى الأمر باعتقاله ، باعتباره عنصرا خطيرا كبيرا على الوجود البريطانى فى مصر .

وكان مرنا ، فى تعــامله : مع كل المعتقلين ، من كل الاتجاهات السيــاســية ..

وكان بسيطا فى كل سلوكه ، يعنى بملابسه ونظافتها وأناقتهــا عنــاية شــديدة ..

ودبر خطتين للهرب من المعتقل .. على الرغم من أن بناء المعتقل محاط بحراسة مسلحة، من الداخل والخارج، تتغير كل ٦ ساعات ولاينفصل الجندى المسلحعن زميله أكثر من ثلاثة أمتار ، والأوامر له باطلاق الرصاص على الفور ..

ولكن المعتقل أنور السادات ، أستطاع أن يكتشف موقع ضعف فى الحراسة : كان أساس خطة الهرب التى وضعها ، ونفذها ٥ معتقلين هو على رأســهم ، فى سرية تامة ، دون أن يشــعر باقى المعتقلين وهم أكثر من ثلاثمائة شخص يضمهم مبنى واحد .. ومن المستحيل أن يبقى فيه سر واحــد !

وجرت الأيام ..واشترك أنور السادات فى أكثر منعمل سياسي خطير تحت الارض . ولم يكن ليقع انفجار فى القاهرة ، أو حادث اغتيال ، الا وكان أنور السادات أول من يقبض عليه . ولم تصــل أجهزة الأمن ، الى دليل واحد ضده ، فى كل الأحداث التى كانفيها أنور السادات : المتهم الأول ، بأنه العقل المدبر لكل ما جرى !

وجرت الأيام .. وكان أنور السادات هو الصوت الذى يذيع اعلان ثورة ٢٣ يوليو من اذاعة القاهرة ..

وفضل أن يعمل فيما يهواه .. فضل أن يعمل كاتبا .. على أن يتولى منصبا رسميا . غير عضوية مجلس الثورة . ثم كان لابد أن يواجه مسئوليات عديدة .. الى ان اصبح نائبا لرئيس الجمهورية .. ثم شاء له القدر أن يحمل الأمانة الثقيلة ..

وطوال كل هذه السنوات .. لم يتغير أنور السادات .

ان ما يشتغل به وراء الستار أكثر كثيرا جــدا ، من عمله على المسرح .

واحتفظ بالطبيعتين .. الحياة النضالية .. والعمل الصامت .

ولذلك تحمست فى تأييد أنور الســادات منذ اللحظـة الأولى لمسئولياته رئيســا للجمهورية .

وتصور البعض أننى أبالغ .. وتصور الكثيرون أننى أنافق .. ونصحنى البعض بأن هذا التأييد المندفع لانور السادات، سيعيدنا الى حكم الفرد المطلق.. وأرشيف رسائلى يحتفظ بآلاف الخطابات التى هاجمتنى واتهمتنى .. وتلك التى أشفقت على .

ولم أتردد لحظة فى مسلكى ..

ولم أتخلف يوما عن الدعوة للحرب..طريقا وحيدا ، للخلاص .

وكنت واثقا من طريقى ..

وأكد ثقتى ، فرص قليلة ، عندما كان يتاح لى أن أتحـدث الى الرئيس بالتليفون ، أو فى لقاء خاص .. وكنت خلالها أزداد ثقة : فى أن أنور السادات رئيس الجمهورية ، وهو بعينه المعتقـل أنور السادات . المناضل الشرس ، ذو الطبيعة القتالية الشـجاعة ، القــادر دائما على الكتمــان الذى يتمتع بطــاقة صبر لا تنفــذ ، والسياسى المرن ، الذى يهوى الكتابة والمناورة !

. . . .
. . . .

وكنت أتحدى فى مجالسى الخاصة.. أن أنور الساداتسيحارب

وكنت ألقى بعض السخريات .. أبسطها اننى أريد أن أدافع عما أكتب ، ولا أريد أن أظهر بمن له رأيان .. رأى يكتبه . ورأى مناقض يظهر فى المجالس الخاصــة .. وكانت هــذه بكل أسف ظاهرة منتشرة فى السنوات العشر الأخيرة .

. . . .
. . . .

ولكننى لا أنكر أن ضراوة الحرب النفسية التى تعرضنا لها فىكل صحف العالم .. وتعقيد الموقف الدولى ، وتعاسة الموقف العربى، وآلام الموقف الداخلى .. كلها كانت تتراكم بين الحين والحين فى

وجداني .. وأهتز .. وأتساءل فى مرارة .. كيف يمكن أن يخرج أنور السادات من هذا المـازق .. وأتصور أننا نسـير فى الطريق المستحيل . وأعذر الرجل . فالتركة ثقيلة . والصراعات الدولية قاسية . وكان جمال عبد الناصر قد رتب سياسته فى رأيي ، على أنه سيصل الى حل سلمى . ولكن الحلقات بدأت تضيق فى عهـد أنور السـادات .. ولم يكن من مخرج الا القتـال . فالاعـداد العسكرى تطور اذن الى المجـرى الطبيعى . لم يكن اعادة لبنـاء القوات المسلحة للدفاع ، كمـا بدأ بعد الهزيمـة فى حياة جمـال عبد الناصر .. ولكننا وصلنا الى الحـدود التي يجب فيهـا أن نحصل على أسلحة تصلح لقتال هجومي . وهنا كانت العقبـات الصعبة .. بل البالغـة الصعوبة أمام أنور السـادات . والموقف الدولى، تدرج الى توثيق سياسة التقارب بين المعسكرين الكبيرين، والجميع مستريح الى حالة الاسترخاء العسكرى .. وتحولنا الى جثة فى نظر العالم. والداخل لا يرحم. والأمة العربية تتفرج ! .. وشريعة الانسان فى كل زمان ومكان ، لا تحترم الا الأقوياء .

. . . .
. . . .

ولكن ثقتى فى أنور السادات لم تهتز لحظة واحدة ..

وكل مشاعرى تحولت الى خوف على الرجل الذى شاء له قدره أن يرأس الأمة : فى هذه العاصفة القاتلة !

... ...
... ...

وجاءت الحرب ..

وعايشتها لحظة بلحظة ..

ثم فاجانا العبور المسرحى الاسرائيلى الى غرب القناة ..

وليس من ينكر أنها كانت أياما قاسية ، اضطربت فيها كثير من العواطف ،وحل الارتباك فى كثيرمن المواقع .. وكان يمكن أن تنجح هذه الحركة التليفزيونية الاسرائيلية وتحقق أهدافها الدعائية .. لولا أن قيادة أنور السـادات كانت فى قمـة احتفاظهـا بطبيعتها

النضالية : وبالقدرة على اتخاذ القرار المؤسس على تفكير هادىء ، وحساب متزن عميق ، وبموهبة الرؤية الصحيحة لحقائق الأمور .

وأسجل هنا .. أن المشير أحمد اسماعيل واجه الموقف بأعصاب هادئة متماسكة .. وكانت مسئولية جبهة الداخل برياسة الدكتور عبد القادر حاتم في لجنة تضم رئيس مجلس الشعب وأمين اللجنة المركزية ونواب رئيس الوزراء ومستشار الرئيس للأمن القومى : وكانت هذه اللجنة في حالة انعقاد مستمر منذ بدأت الحرب ، واسجل هنا للدكتور حاتم حنكته وسيطرته العقليه الكامله ، وأسجل لممدوح سالم تماسكه الرصين .

وتم الاستعداد الكامل ، لمحاصرة التسلل الاسرائيلى ، والقضاء عليه .

ثم كان الفصل بين القوات والانسحاب الاسرائيلى .. والعمل السياسى من أجل السلام .

. . . . . .
. . . . . .

ورأيت اليوم من واجبى كصحفى عايش هذه الأيام ساعة بساعة .. أن اسجلها في سطور .

والجزء الأول من هذا الكتاب ، يتضمن حديثا تاريخيا للرئيس أنور السادات : اختص به الرئيس هذا الكتاب . ان هذا الحديث يكشف لأول مرة عن أسرار عسكرية خطيرة كان يجب أن تحجبها الأحداث ، كما يروى القصة الكاملة لاتخاذ قرار ٦ أكتوبر . كما يكشف عن خطة دفاعية سابقة لم يعلن عنها من قبل ، اسمها الخطة ٢٠٠ !!

ويشمل هذا الجزء في فصله الثانى ، وثيقة تاريخية عسكرية خطيرة ، من أهم وثائق حرب أكتوبر . انها المحضر الكامل لاجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة في أكتوبر ١٩٧٢ : الذى أعلن فيه السادات لقواد الجيوش أن قرار الحرب مصيرى ولا رجعة فيه .. وكان بعض القادة يرى أن اسرائيل ستنتصر وستدمر مصر .

أما الفصل الثالث من الجزء الاول ، فهو وثائق تاريخية اخرى .. انها نصوص رسائل الرئيس السادات قبل الحرب الى زعماء

وقادة العالم التى يحذر فيها من اشتعال الحرب وتفجر الموقف .. ولكن أحدا لم يصـــدق !

واخترت أن يكون الجزء الثانى من هذا الكتاب ، خاصا بالجانب السياسى محليا وعربيا ودوليا .. حتى اتخذ أنور السادات قرار الحرب .. واننى أعرض فيه فكر أنور السادات منذ هزيمة ٦٧ . فقد أتيح لى أن أسجل آراءه التى لم تنشر ، فى مذكراتى الخاصة، بعد كل لقاء معه فى تلك الأيام . وبعد أن قامت مظاهرات الطلبة . ثم أعرض لكل القضايا التى واجههـا بعد رياســة الجمهورية .. معتمدا أساسا : على أحاديث الرئيس الخاصة ، وفى الجلســات المغلقــة التى كان يدعو اليهــا عددا من الكتــاب ، وفى الاجتماعات المغلقة للقيادات السياسية .

واخترت أن يكون الجزء الثالث من هذا الكتاب ، خاصا بالمعركة العســكرية على الجبهة المصرية . واعتــذر بأن ظـروف عملى لم تسمح لى أن أسافر الى الجبهة السورية ، للكتابة عن معاركهـــا الرائعة . وقد اعتمدت فى هذا الجزء ، على أحاديث خاصة بهــذا الكتاب للمشير أحمــد اسماعيل معى . وعلى لقائى بقادة المعــارك الرئيسية فى القتال ، وزيارتى للجبهة . وقد ركزت على معــارك الجيش الثانى ، ثم ملحمة السويس ، وقصة الثغرة .. وأرجو أن تتاح لى الفرصة فى مؤلف آخر أن أسجل معارك الجيش الثالث ، وحرب القوات البحرية .

. . . .
. . . .

ولا أستطيع أن أدعى أن هذا الكتاب : يغنى عن مؤلفات عديدة صدرت عن حرب أكتوبر ، ومؤلفات عديدة يجب أن تصدر .. هذا الكتاب لا يغنى ، لأن جوانب حرب أكتوبر السياسية والعسكرية ، وآثارها المحلية والعربية والدولية : سوف يزداد وضوحها يوما بعد يوم . وعاما بعد عام ، لأنها متشعبة وعميقة وشاملة ، وستظل مؤثرة على المسرح العربى والدولى لاكثر من خمس وعشرين سنة مقبــلة .

ولكننى أردت فقط .. أن يكون لى حظ كتابة بعض الســطور القليلة ، فى تاريخ أكتوبر .. الضخم ، المجيد .

موسى صبرى

الجزء الأول

السادات قال لى ..

... « هـذا حـديث خاص للرئيس أنور السادات استمر ثلاث ساعات اختص به المؤلف . شرح الرئيس لأول مرة سر التغييرات فى المناصب العسكرية التى أمر بها الرئيس فى ديسمبر ١٩٧٢ . ماذا دار فى اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة الذى تقرر بعده عزل صادق . ماهى الخطة الدفاعية ٢٠٠ التى وضعها القادة وناقشها عبد الناصر والسادات معهم ؟ ثم استكملها السادات عندما تولى المسئولية . ما هو التكليف العسكرى الذى لم ينفذه صادق فى ١٥ نوفمبر ١٩٧٢ ، رغم أنه أعطى الرئيس « تمام » بتنفيذه التكليف .. وأن كل شىء سيكون جاهزا فى أول نوفمبر .. الشهر الحرج الذى كان يمكن لليهود فيه أن يوجهوا ضربة قاصمة لقواتنا المسلحة . كيف اتخذ السادات قرار ٦ أكتوبر . سر الكشكول الذى كتبه الفريق الجمسى بخط يده من نسخة واحدة وقدمه الى الرئيس . لماذا لم نبدأ الحرب فى مايو ، رغم استعداداتنا . ماذا دار فى اجتماع مجلس الأمن القومى فى الرابع من رمضان ، ثم فى المجلس الأعلى للقوات المسلحة فى العاشر من رمضان اليوم الأول فى غرفة العمليات . قصر الطاهرة تحول الى غرفة عمليات بديلة تحت الأرض .. أول طلب من السوفيت لوقف النار . أول لقاء مع كيسنجر »

أسرار عسكرية خطيرة يكشفها أنور السادات

قلت للرئيس أنور السادات :

— أعتقد أن الاعداد الفعال للمعركة ، بدأ بعد اعفاء الفريق صادق من وزارة الحربية والقياده العامة .. وقد تسربت الى الجماهير فى ذلك الحين ، قصص كثيرة عن ظـروف هذا الاعفـاء ، وسـيادتك اكتفيت حينئذ بتصريح واحد قلت فيه انه لم ينفذ تكليفات معينة أصدرتها اليه بوصفك القائد الأعلى للقوات المسلحة ، وربما كانت ظروف الكتمان العسكرى لا تسمح فى ذلك الوقت ، بالتصريح عن حقائق الموقف .. ولكن ها قد قامت الحرب .. وحققنا الانتصار .. فهل يمكن أن نسجل هذه الحقائق للتاريخ ؟ ..

قال الرئيس :

— ان محضر جلسة المجلس الأعلى للقوات المسلحة التى قررت بعدها اعفاء الفريق صادق موجود . وكل مناقشـات الاجتمـاع واضحة وتحدد تماما كل المواقف .. ولكننى أعود بك الى ما قبـل ذلك ، عندما أصدرت قرار انهاء خدمات الخبراء السوفيت . وبعد أن أصدرت هذا القرار الذى كان فعـلا أولى الخطوات العمليـة ، لدخول الحرب .. ولم يفهم أحد ذلك ، لانه لم يكن من الطبيعى أن أدخل الحرب وعلى أرضى خبراء عسكريون سوفيت .. كما أننى أسقطت حجة اسرائيل التى كانت تضلل بها ، وهى أنها سـتواجه الحرب مع السوفيت لا مع المصريين ..

بعدما أصدرت هذا القرار .. استدعيت أربعة أشخاص . حافظ اسماعيل بوصفه المستشار لشئون الأمن القومى . والمهندس سيد

مرعى بوصفه امين اول الاتحاد الاشتراكى . والفريق صادق بوصفه وزير الحربية وممدوح سالم بوصفه الوزير المسئول عن الدفاع المدنى .. وطلبت من كل منهم تكليفات معينة للاعداد للقتال .

قلت لهم ان قرارات انهاء خدمات السوفيت ، سوف تكون لا قيمة لها فى نوفمبر المقبل .. اذا جاء نوفمبر وهو شهر الانتخابات الامريكية .. ستبدأ الادارة الامريكية الجديدة .. ويجب أن نكون مستعدين سياسيا وعسكريا .. وقد اطمأنت القوى الكبرى الى حالة وقف النار .. ولابد أن نثبت وجودنا . والاتصال السياسى لاجدوى منه الا اذا اعتمد على استعداد عسكرى جاد . فماذا يطلب منى وأنا ضعيف .. الا الاستسلام ؟ ..

بالنسبة لحافظ اسماعيل .. قلت له .. جهز نفسك . أمريكا لو تقدمت بشىء بعد الانتخابات فلن تتقدم الا بالحل الجزئى ، وسيحاول استغلال مبادرتى . ويجب أن نكون جاهزين للرد .

بالنسبة للفريق صادق .. قلت له ان القوات المسلحة يجب أن تكون جاهزة فى ١٥ نوفمبر لاننا اذا لم نكن جاهزين عسكريا لاثبات ارادتنا فسيبقى الشرق والغرب .. يتفرجوا علينا . الانتخابات الامريكية ستنتهى فى ٧ نوفمبر . ولا فائدة فى رأيى فى أى اتصال سياسى ، بدون ان يتغير موقفنا العسكرى . وهذه نقطة حوارى وخلافى مع الزعماء السوفيت فى رحلاتى الاربع الى موسكو .

وطلبت من الفريق صادق أن ينفذ قرارى مع القيادات العسكرية

وبعد يومين .. وكنت فى الاسكندرية .. أبلغنى صادق بالتمام .

وفى لقائى مع سيد مرعى أعطيته الخلفية السياسية والعسكرية ، كما أوضحتها لحافظ اسماعيل . وصادق .. وقلت له .. نبقى جاهزين فى الداخل لمواجهة هذه العملية .

وكان هذا تبليغى أيضا لممدوح سالم بوصفه مسئولا عن الدفاع المدنى كله ، ولا يزال مسئولا حتى الآن .

ونسيت أن أقول أن الفريق صادق أبلغنى أن التمام فى أول نوفمبر .. أى قبل الموعد الذى حددته بـ ١٥ يوما . ولكننى قلت له .. خذ وقتك حتى يوم ١٥ نوفمبر .

وفى ٢٤ أكتوبر عقدت المجلس الاعلى للقوات المسلحة ، لاراجع مع القيادات استعدادهم .. واستمع منهم الى ما انجزوه ..

وفوجئت فى هذا الاجتماع ، بأن الفريق صادق لم يبلغ تكليفى الى المجلس الاعلى !

وفوجئت بمن يتحـــدث عن نقص فى نوع معين من السلاح . ويعلق التجهيز العسكرى على وجود هذا السلاح .. وهل اذا لم نحصل على هذا السلاح نقف .. ونستسلم ؟؟ ..

قلت لهم وجهة نظرى ، وهى التى طبقناها فى حرب أكتوبر .. المهم أن نعد أنفسنا للقتال ، بما نملكه من سلاح فعلا .. فى حدود امكانياتنا فقط .. ونكمل النقص بالتخطيط السليم الدقيق العلمى .. وبقدرة المقاتل المصرى على القتال . الســـلاح شرط واجب طبعا . ولكن اذا لم يتيسر لنا كل انواع السلاح .. هل نقف ؟ .. لابد ان نفكر ونخطط ونعوض هذا النقص .

وفوجئت أيضا بأن على عبد الخبير قائد المنطقــة المركزية .. يتحدث بنفس الاسلوب .. وهو بعد ذلك تآمر .. وحوكم ..

وفوجئت أيضا بالفريق عبد القادر حسن نائب وزير الحربية . بنفس المنطق . وهذا معناه بكل بساطة ، أن نستسلم .

ولكن الأخطر من هذا كله . أن قرارى بالاعداد لعملية عسكرية الذى ابلغنى صادق فى اغسطس أنه تمام .. وأن الاعداد سيكون فى أول نوفمبر بدلا من ١٥ .. هذا القرار لم يعرف به القـــادة العسكريون .. ووجدت أحد القـادة وهو المسئول عن الشئون الادارية فى الجيش كله .. يرفع يده فى الاجتماع ، ويسأل : هو القرار كان ايه ؟ !

يعنى انه لم يجر اى استعداد وتجهيز . لأنه كيف يمكن أن يتحرك جيش بغير أن تكون الشئون الادارية على علم كامل ، وأن تهيىء له كل المتطلبات الاداريه للجيوش .

واذا بأحد أعضاء المجلس الاعلى ــ اللواء عبد المنعم واصل ــ يقول فى الاجتماع : كل اللى سيادتك عاوزه ننفذه اذا كان الأمـــر

ندخل الحرب .. ندخل .. وننفذ الاوامر . بس أحب أقول اننا مكشوفين أمام العدو . خطة الدفاع مكشوفة . هوه شايفنا واحنا شايفينه . واية خطة ستنفذ ستعطى اليهود فرصة لضربنا ونحن مكشوفين .

ثم قـــال الرئيس :

وقد أذهلنى هذا الكلام فعلا .. لاننا كنا دائما ، متقدمين على الاسرائيليين فى ستر الجبهة . اذا طلعوا اليهود متر .. نطلع احنا متر ونصف . وكان هذا من عمل الفريق محمد فوزى . ولهذا أنا أفرجت عنه بعد الحرب ، تقديرا للدور الذى ساهم به فى الاعداد العسكرى . وهنا أذيع لك سرا عسكريا لم يذع من قبل .

منذ وقت جمال عبد الناصر ، كان لدينا خطة عسكرية دفاعية ، اطلقنا عليها اسم ((الخطة ٢٠٠)) . وقد عقد جمال عبد الناصر اجتماعا سريا استمر ٦ ساعات مع القيادة العسكرية حينئذ ، ولم يحضره الا أنا مع عبد الناصر . حضرنا ، وسمعنا تقارير القادة ، وناقشنا جزئيات عديدة . وكانت الخطة كاملة مستكملة . والجميع كان مقتنعا بها مائة فى المـــائة .

وبعد أن توليت رياسة الجمهورية ، كررت الاجتماع السابق ، فى القيادة العـــامة للقوات المسلحة .. اجتمعت بقـــادة القوات المسلحة .. وتسلمت منهم خطـــة الدفـــاع كاملة . . وهى وهى الخطة ٢٠٠ .

واتضح لى مما جرى فى اجتماع المجلس الاعلى مع الفريق صادق وباقى القيـــادات أن ((الخطة ٢٠٠)) قد انهارت . وأن اليهود تفوقوا علينا . وأصبحنا مكشوفين !

رايت أننى أمام وضع خطير .

وزير الحربية والقائد العام لا ينفذ تكليفاتى العسكرية !

الخطة المعتمدة من جمال عبد الناصر .. ثم منى بعد أن توليت .. قد انهـــارت .

بعض القادة العسكريين يضع شروطا جديدة .. للدخول فى الحرب .. ويطلب أسلحة ليس فى طاقتنا أن نحصل عليها ..

وكان لابد ان اتحرك بسرعة . والموقف أخطر مما يتصور أحد. ان هذا يعنى أن القوات الاسرائيلية لو هاجمت فى ذلك الوقت .. صيف ٧٢ .. وقبل أن يتسلم أحمد اسماعيل القيادة .. كان من الممكن أن تنفذ ماتريد وتعود .. كما تفعل فى لبنان .

وانتشرت خزعبلات عن الاستعدادات الاسرائيلية وراء الساتر الترابى ، صدقها البعض .. وقيل وقتها أن اليهود لديهم أجهزة الكترونية .. وخلافه وراء السواتر تستطيع أن تفعل كذا وكذا .. مما كان له أثر طبعا على الروح المعنوية ..

كان الموقف يحتاج الى علاج حاسم جدا ..وسريع جدا ..

ولا يستطيع انسان أن يتصور كيف أمضيت هذه الايام ..

كان تكليفى الاول للفريق أحمـــد اسماعيل تغطية خطـــة الدفاع ٢٠٠ .

وقد أبلغنى أنه تمت تغطيتها فى ٣٠ نوفمبر .

وأقول انني لم أنم ليلة واحدة .. منذ ٢٨ اكتوبر ، عنـــدما أعفيت صادق وعينت أحمد اسماعيل .. حتى ٣٠ نوفمبر عندما أبلغنى بتغطية الخطة ، وأنها استكملت تماما ، وعدنا الى التفوق على العـــدو .

نعم .. لم أنم .

فلم أكن لأقبل أبدا ، أن يضرب اليهود ضربة مسرحية .. وهم يهوون هذا النوع من الحـرب الدعائيـه .. للتأثير على نفسـية الجماهير ..

بدأت أشعر بالراحة فى ٣٠ نوفمبر ١٩٧٢ .

قلت : وكيف جرى الاعداد العسكرى بعد ذلك .. كيف تطورت الخطة ٢٠٠ الى خطة الشرارة .. ؟

قال الرئيس : هذه حكاية طويلة .. وليس من الممكن ان يذاع كل ما فيهـــا ..

قلت : أطمع فى ان اعرف أكثر ما يمكن أن يذاع ..

قال الرئيس : بدانا على الفــور التطوير الهجومى للخطة .. بدانا تطعيم الخطة الدفاعية بخطوات الهجوم .. وكان أولها انشاء المصاطب الترابية الضخمة على امتــداد الشاطىء .. لقد سخر منها الاسرائيليون وقالو الان المصريين دائما من هواة بناء الاهرامات .. ولكن هذه المصاطب كانت خطوة اساسية ، لكشف العــدو ولاستخدامات عسكرية بالغة الاهمية ، لم يفطن اليها العدو .. كان تكليفى للفريق أحمد اسماعيل أن يكون جاهزا ابتداء من أول يناير ١٩٧٣ . وعلى مدى ثلاثة أشهر تم انشاء هذه المصاطب بعد دراسة عسكرية دقيقة .. وتكلفت وحدها عشرين مليــونا من الجنيهات . واصبحت سيطرتنا كاملة على الضفة الشرقية بهذه المصاطب . وقد امكن الانتهاء منها فى أواخر فبراير .

وهنا يبتسم الرئيس السادات فى سخرية . وهو يحاول أن يشعل (البايب) ثم يدعها على المنضدة .. ويأخذ رشفة شاى من كوب صغير .. ويرفع قليــلا كم الجلباب الريفى الابيض الذى يرتديه .. وقد نسيت أن أقول أن الجلسة كانت فى منزله بقرية ميت أبو الكوم .

يبتسم الرئيس ساخرا ،وهو يقول مسترجعا ذكريات عديدة .

ـ فى أثناء هذه الفترة ، وانا احترق لاستكمال الاعداد العسكرى، والتطوير الىخطة الهجوم،واسترجاعتفوقنا، وضمانسيطرتناعلى العدو فى الضفة الشرقية .. فى هذه الاثناء وقعت حوادث الطلبة . ورزالة بعض المثقفين . والفتنة الطائفية ! ..

ولكننى تركب كل هذا على جنب .. وأعطيت كل وقتى وجهدى لمواجهة العدو . وكان عملا شاقا قام به رجالنا على أروع صورة . واستطاعوا به أن يقدموا نظريات عســكرية قلبت الاستراتيجيات العالمية .. لقد أثبت أبناؤنا أن المشاة يستطيعون قهر المدرعات . كان هذا الكلام مضحكا اذا قيل أمام خبير عسكرى عالمى . وجاءت حرب أكتوبر لتحقق هذه النظرية الجديدة عمليا .. انقلاب فى العالم العسكرى . وجاء هذا نتيجة الدراسة . ثم التــدريب الشاق العنيف ليل ونهار . وقبل ذلك الايمان . روح المقاتل المصرى ، التى أسقطوها من حساباتهم .

قلت : ولكننى سمعت يا سيادة الرئيس انه حتى ٥ اكتوبر

كانت ترد لنا أسلحة . فكيف دخلنا الحرب .. ولا تزال الاسلحة ناقصـــة .. ؟

قال الرئيس : اذا كان على وصول الاسلحة . فقد كانت تصل فى الايام السابقة على القتال .. وخلال المعركة وبعدها .. ومن دول كثيرة . وكانت تنفيذا لتعاقدات .

ولكننا وضعنا خطتنا ونفذنا ، على أساس ما كان فى أيدينا فعلا من سلاح . ولكننى كما قلت لك لم أغفل أبدا ، عنصر المقـــاتل المصرى . قـــدرة الانسان المصرى الذى حقق أرقاما قياسية فى حرب اكتوبر .. كل صاروخ بدبابة ! . .

نعم .. لقد دخلنا الحرب أمام تفوق اسرائيلى تكنولوجى .. ولكن من استرجاعى لشريط الحرب فى ٦٧ .. كان قرارى .. قد يكون لديهم التفوق التكنولوجى .. ولكن حسن اســـتخدام السلاح ، وروح العسكرية فى الانسان المصرى .. وايمانه بتطهير ارضه .. قادرة على التغلب .

ولماذا نذهب بعيـــدا ؟

اسطورة سلاح الطيران الاسرائيلى . لقد كانت لهم السيادة لا التفوق ولكن ماذا حدث لهذه الاسطورة ؟ .. لقد فقـــد سلاح الطيران الاسرائيلى فى الايام الثلاثة الاولى — على الجبهة المصرية — زبدة طياريه .. وأكبر عدد من الطائرات .. ان الكفاءة فوق العالية .. نعم .. فوق العالية لاطقمنا فى حائط الصواريخ ، حققت هذه النتيجة التى تحدت السيادة لا التفوق .

وهنا تعود الى وجه الرئيس ابتسامة السخرية الممتزجة بشعور بالارتياح الكامل ، يظهر على قسمات وجهـــه .. وعيناه تبرقان بالثقة .. ثم يقول بعد أن استعاد فى يده ((البايب)) الخالية من الدخان .. يقول وهو ينظفها :

— والطريف ، أنه فى ذلك الوقت ، تسرب تقرير الى اسرائيل ، ان خروج الخبراء السوفيت ، جعل الصواريخ المصرية لاقيمة لها .. ولعلهم اعتمدوا على هذا التقرير .

قلت : سيادة الرئيس . . الم نضع في حساباتنا أن تضرب اسرائيل في العمق ؟ .

قال الرئيس : طبعا : كان هذا محسوبا . وكنا مستعدين للرد في عمق إسرائيل أيضا .

وأعلنت هذا بعد ذلك في خطابي أمام مجلس الشعب أثناء القتال .

قلت : ولكنني أعرف أن الخلاف على هذا النوع من أسلحة العمق ، بيننا وبين السوفيت كان يستغرق حله وقتا طويلا . .

قال الرئيس : هذا صحيح . المشكلة أن أصدقاءنا السوفيت يبدأون بالرفض عندما نطلب سلاحا جديدا . وبعد الالحاح ، والازمات ، والخلافات ، واستمراري في الضغط . . يوافقون . ثم يقدمون لنا الكميات التي يقدرونها . وفي المدى الذي يحددونه . . مع اشتراطهم فترة تدريب طويلة جدا . وكان أبناؤنا يستوعبون دائما السلاح الحديث في ربع المدة التي يحددها الخبراء الروس . واحيانا كثيرة في أقل من هذا الوقت . .

قلت : وقد أعلنت سيادتك أننا نملك الصاروخ الظاهر الطويل المـــدى . .

قال الرئيس : هذا صحيح . وكانت صواريخنا موجهة الى ثلاث مدن رئيسية في اسرائيل ، استعداد للضرب الفوري في العمق

. . اذا هم لجأوا الى حرب العمق .

قلت : قال الاسرائيليون انهم اســـقطوا صاروخا عابرا طويل المدى في أول أيام الحرب قبل أن ينفجر . .

قال الرئيس : هذا غير صحيح . .

قلت : تردد اننا أطلقنا سلاحا جديدا .

قال الرئيس : هذا صحيح . وكان يوم ٢٢ أكتوبر قبل وقف النار ، وهو سلاح له قوة تدميرية فظيعة . ولكن الصواريخ فقط لم تلعب الدور الاول . ان المدفعية المصرية الرهيبـــة لعبت أخطر الادوار . ان قائد المدفعية في الميدان اللواء الماحي الذي يعمل معي الان كبير للياوران رجل رهيب فعلا مثــل مدفعيتــه . انه هادىء

صامت يتحدث فى همس .. وقد تلقى منى التعليمات بضرب العمق فى اسرائيل اذا بدأت اسرائيل . وكانت تعليمات تفصيلية حاسمة. ولكنه رجل رهيب فعلا .. كنا فى غرفة العمليات .. وكنت أصدر اليه الامر بضرب المواقع المحددة بآلاف الاطنان من القذائف . . ويتلقى الامر فى هدوء .. ويعود لى بعــــد دقائق .. وفى هدوء هامس يتقدم بورقة صغيرة .. ويقول بصـوت غير مسموع : تم التنفيذ .. وينصرف ، كأنه لم يفعل شيئا ((.. وكأنه لم يقلب مواقع الاسرائيليين رأسا على عقب ..

وردا على سؤالك الاول عن الضرب فى العمق .. أقول اننـــــا استطعنا فعلا تحييد ضرب العمق .. بالتخطيط الذى وضعناه .. وقد أفلح .

قلت : حتى الان لا تزال قصة القرار غير واضحة .. لقد نشرت عن اتخاذ القرار أخبار متفرقة .. ولكنها ليست متصلة الحلقات .. وهذه مناسبة أن تعرف الجماهير القصة الكاملة لاتخاذك أخطر قرار فى تاريخ مصر .. وتاريخ الارض العربية .

قال الرئيس : طلبت من احمد اسماعيل أن يكون جاهزا كمـــا قلت لك فى أول يناير ٧٣ . الخطة . تجهيزات الهجوم . كل شىء .. وعالم العسكرية يتطور تطورا سريعا . التكنولوجيا فى العلم العسكرى أصبحت شيئا خرافيا .. ولذلك فاننى فى شهر فبراير طلبت بحثا عن أنسب الايام لساعة الصفر من واقع التكنولوجيا الحديثة . وقد قام بعمل هذا البحث اللواء الجمسى رئيس العمليات حينئذ . وكتبه بخط اليد ، التزاما بالسرية وقدمه لى فى كشكول صغير . البحث عن جميع الايام ابتداء من فبراير الى ٣١ ديسمبر ١٩٧٣ ، طوال الليل والنهار . كل الظواهر الطبيعية ، والمناسبات، والتقلبات الجوية ، وحركة الكواكب .. والتكنولوجيا فى هـــذا متاحة من ٥ أو ٦ علوم عسكرية . فعلا كان هذا البحث على أعلى مستوى تكتيكى فنى علمى .

وضح من البحث أن هنــــاك ٣ مجاميع أيام .. تعتبر انسب الايام للهجــــوم .

المجموعة الاولى .. فى النصف الثانى من مايو .

المجموعة الثانية .. فى شهر سبتمبر .

المجموعة الثالثة .. فى شهر اكتوبر .

وقاطعت الرئيس : اذكر يا سيدى أننى سمعت أخبار الحرب فى ابريل ٧٣ .. واتصلت بسيادتك فى ذلك الوقت .. وأنا أخشى ان القرار فيه تعجل .. وأذكر ان سيادتك قلت لى .. ما لم ندخل قبل نهاية ١٩٧٣ ، فلن ندخلها أبدا .

قال : اذكر هذا .. وفعلا .. أعددنا العدة لكى تكون ساعة الصفر فى مايو . وقد أطلعت الرئيس حافظ الاسد على هذا البحث الذى يحدد ساعة الصفر .. وكان مبهورا فعلا بدقة البحث . وكنت أنوى فعلا بدء العمليات فى مايو . وكان السوفيت قد حددوا موعد مؤتمر القمة الثانى مع نيكسون فى واشنطن فى شهر مايو . ولظروف سياسية ، لا داعى للكشف عنها الان ، قررت تأجيل الموعد الى المجموعة الثانية فى سبتمبر او المجموعة الثالثة فى أكتوبر .. وخلال ذلك كان الاسد قد سافر فى رحلة سرية الى موسكو .. وعاد من هناك .. وحصلنا على صفقة سلاح جديد ، كان السوفيت يرفضون اعطاءه لنا . وكان أحمد اسماعيل قد اتفق على صفقات مع السوفيت فى فبراير ٧٣ ، وارسلوا جزءا منها ، وتلكأوا فى الباقى .. ولكن جاءت لنا صفقة جديدة بعد ذلك .

ولعلك تذكر فى ذلك الوقت .. تصريحات الاسرائيليين باحتمال الهجوم المصرى لانهم لا شك يعلمون أن النصف الثانى من مايو مناسب للهجوم . انهم أيضا يدرسون ويتحركون ، على أساس التكنولوجيـــا ..

بعد ذلك عقد اجتماع المجلس الاعلى للقوات المصرية والسورية فى أغسطس فى الأسكندرية .. ودار النقاش فيه بين القادة حول تحديد المعركة .. وخلال ذلك قد سافرت فى رحلة الى السعودية وسوريا وقطر .. واجتمعت بالرئيس الاسد فى دمشق وطلبت أحمد اسماعيل .. وطلاس وزير الدفاع السورى ..

وانتهيت فى القرار مع الرئيس الاسد ، ان تكون ساعة الصفر فى ٦ اكتوبر وتركت دمشق مستريح النفس والضمير ..

ومضى أغسطس فى الاســتعداد اليومى ، ومواجهة أى مشكلة فى الاعداد العسكرى .. وكان أحمد اسماعيل على اتصال مســتمر بى .. حتى اقتربنا من ساعة الصفر .. فقررت أن أدعو مجلس الامن القومى للاجتماع .. لكى أستفيد بآراء أعضاء المجلس .

وتم الاجتماع فى ٤ رمضان . حضره نائبا رئيس الجمهورية .. والمستشارون .. ونواب رئيس الوزراء .. ومدير المخابرات .. وعدد من الوزراء المختصين فى الاعداد للحرب ..

وكان سؤالى لهم عنــد بدء الاجتمــاع .. ما رأيكم فى الموقف الآن .. وكيف الخلاص ؟ ..

وتحدث فى الاجتماع الدكتور محمود فوزى وحسين الشافعى وعزيز صدقى وحافظ اسماعيل وغيرهم .. وكان موضوع كلماتهم .. حرب أو لا حرب .. وكيف ! ..

.. ولم يشأ الرئيس هنا ، أن يعرض ماذا دار فى هذا الاجتماع من مناقشــات . ولكننى ســألته : وماذا كانت آراء من تكلموا فى هذا الاجتماع .

وقال الرئيس : آراء مختلفة .

فقلت : لقد سمعت أن وزير التموين أعطى صورة للوضع التموينى ، ونقص بعض المواد ، مما يتعذر معه الدخول فى معركة ..

قال الرئيس : الحرب ليست مجازفة قدرية . لابد أن يكون كل شىء محسوبا ولكن هناك ما يسمى بالمخاطرة المحسوبة . ولو حسبنا بأسلوب أننا سندخل حربا مكسوبة مائة فى المائة .. من كل شىء .. لما دخلنــا الحرب . ولما دخل أحد الحرب أبدا . هنــاك موازين ، وحسابات ، وتعويضات ، واحلالات ، وابدالات .. قرار الحرب يعتمد على صورة عامة محسوبة . لقد كنت أقول دائما ، عبــارة فى شــكل نكتة .. وهى « والسبب رقم ١٧ ـ كما يقول المثل التركى القديم ـ أنه حتى نهاية ١٩٧٣ لن تكون لدينا عملة صــعبة لشراء القمح » .. هذا السبب وحده كان كافيا لقرار عدم الحرب .. ولكن يقابل ذلك ، أن التغيير فى الاوضاع العالمية الذى ستحدثه الحرب يمكننا من مواجهة نواقص كثيرة بعد الحرب .. وهكذا فحسابات الحرب لها طبيعة خاصة .

لقد كانت أمامى عشرات الأسباب التى يمكن أن أتعلل بها لتأجيل الحرب ، حتى تنتهى مدة رياستى ٠ كان من الممكن أن أناور وأتفادى احتمال خسارة الحرب ، ٠٠ ولكننى كنت أعتبر نفسى خائنا لو فعلت ذلك ٠ لقد اخترت قدرى ٠٠

قلت : هذا صحيح ٠ وقد سمعنا منك نص هذه الكلمات فى جلسة مغلقة ٠ قبل الحرب بأشهر ٠ ولكننى أريد أن أسأل ٠٠ ماذا كانت نتيجة اجتماع مجلس الآمن القومى ٠٠

قال الرئيس : لقد ختمت الاجتماع بأن شكرتهم على الآراء التى أبديت ٠

قلت : ألم تبلغ مجلس الأمن بقرار ساعة الصفر بعد يومين ٠٠
قال الرئيس : لا ٠٠ السرية كانت تقتضى الكتمان ٠ وكنا قد بدأنا فعلا تنفيذ العمليات ٠ وكانت القوات البحرية قد تحركت فى هدوء الى المواقع التى حددتها الخطة قبل هذا الاجتماع بأربعة أيام٠٠ وكانت العجلة قد دارت بحيث لا يمكن أن تعود ٠

قلت ماذا كان شعورك فى هذه الساعات الفاصلة ٠٠؟

قال الرئيس : عادى جدا ٠٠ كنت صايم رمضان ٠٠

قلت : هل كنت تنام الليل ٠٠

قال الرئيس : كنت أنام الليل ملء جفونى٠ كنت مستريح النفس٠ انتهت فترة اللا سلم واللا حرب ٠ تحدد الموقف بالحرب فاسترحت٠٠

قلت : أذكر أنك قاسيت من الأرق والتفكير ٠٠ قبل اتخاذك قرار الخبراء الروس ٠

قال الرئيس : هذا صحيح ٠ وبمجرد أن اتخذت القرار ٠٠ استرحت واستغرقت فى النوم ٠٠ وقد حدثتك اليوم عن فترة لم أنم فيها ، عندما اكتشفت أن صادق لم ينفذ التكليف ٠٠ وأن التفوق أصبح للاسرائيليين ٠٠ ولم أسترح الا عندما قدم لى أحمد اسماعيل التمام ٠٠

قلت : ولكن اتخاذ قرار الحرب ‥ وتحديد ساعة الصفر ، لا يمنع يا سيدى من التفكير فى احتمالات الخسارة ‥ ألم يكن هناك احتمال ١٠ ٪ أن تفشل الخطة ‥

قال الرئيس : كان هناك احتمال ٣٠ ٪ ‥ أو أكثر ‥ ولكن الموقف هو أننا قد بذلنا كل جهدنا ، ولم نضيع دقيقة من الوقت فى الاعداد الجاد ‥ واذا حدث لا قدر الله ‥ أننا لم ننتصر ، فاننا نكون قد أدينا واجبنا الوطنى والقومى بذمة وأمانة وشرف ‥ ويتسلم الأمانة جيل بعدنا ، يثق أننا أدينا واجبنا ولم نفرط ‥ كنت سأقاتل وأسقط فى ميدان القتال ‥ كنا سنكبد الاسرائيليين خسائر فادحة ‥ كنا سندافع عن شرفنا وعرضنا وترابنا المقدس . وليكن بعد ذلك ما يكون . أما استمرار الخنوع والمذلة ‥ فكان هذا هو المستحيل . وقد كان أشرف لى ألف مرة أن أموت فى هذه المعركة . وأصاب بهزيمة بعد أن أقاتل وأسبب للعدو خسائر قاصمة . من أن أبقى حيا ، فى موقف شائن لا هو حرب ولا هو سلم ‥ والعالم كله مقتنع بأننا أصبحنا جثة غير قادرة على الحركة ‥

ولكنها كما قلت لك ‥ لم تكن مجرد مغامرة ‥ ليست قمارا أو مجازفة غير محسوبة ‥ كانت استراتيجيا قائمة على أربع نقاط :

١ ـ أن تحارب اسرائيل على جبهتين .

٢ ـ أن تصاب اسرائيل بخسائر لا قبل لها باحتمالها ‥

٣ ـ أن تستمر اسرائيل تحت التعبئة لأطول مدة ممكنة لا تقوى عليها .

٤ ـ أن يتحقق التضامن العربى ‥ وتستخدم الأسلحة العربية الاقتصادية والعسكرية ‥

وكان عندى يقين أن هذا كله سوف يتحقق ‥ وقد تحقق بارادة الله .

قلت : عرفت من المشير أحمد اسماعيل أن سيادتك عقدت اجتماعا للمجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم أول أكتوبر (الخامس من رمضان) ‥ وكان اجتماعا حاسما استمر ١٠ ساعات ‥ ما هى مشاعرك عن هذا الاجتماع ‥

قال الرئيس : روعة ٠٠

ثم كررها الرئيس : بصوته العميق وهو يضغط على كل حرف : نعم ٠٠ روعة ٠٠ روعة ٠٠ يجب أن نفخر بهؤلاء الرجال ٠ لقد حضر هذا الاجتماع حوالى ٢٠ ضابطا من قيادات القوات المسلحة ٠ وعرض كل واحد فيهم الخطة النهائية التى سينفذها فى موقعه ٠٠ ولم تخرج كلمة واحدة عن هذا الاجتماع الخطير ٠٠ رجال مرتفعون الى أعلى قمم المسئولية ٠ أبطال ٠ وفى هذا الاجتماع باركتهم ، وقلت لهم اننى أتحمل المسئولية أمام التاريخ ٠٠ وصدقت على الخطة ، كتابة ، بالتاريخ ١٠ رمضان ٠٠ خطة الشرارة ٠٠

ـ وشربت القهوة الرابعة وأنا أتأمل أعماق أنور السادات ، وهو يتحدث عن القرار الخطير ٠٠ كان اتخاذ القرار ٠٠ البطولة الأولى ٠٠ اتخاذه من أرض مسئولية لا من أرض مزايدة أو مغامرة ٠ ان أعماق هذا الزعيم تحتاج الى دراسة متوغلة ٠

عندما كان فى الرابعة عشرة من عمره ، كان يسبح فى ترعة القرية ٠٠ وتعرض للغرق ٠ وسأله أصدقاء القرية بعد أن أنقذوه ، كما اعتادوا دائما أن يسألوا كل من يواجه محنة الغرق .. ماذا رأيت وأنت تغرق .. فقال .. لم أر شيئا ! ..

فسألوه ألم تفكر فى شىء وأنت تغرق ٠٠ وقال الشاب الصغير : نعم ٠ فكرت فى أن مصر ستخسر أنور السادات !

ولم تكن هذه الاجابة معبرة عن غرور ٠ فهو أبعد الناس عن ذلك ٠ ولم يكن رفاق القرية يعرفون عنه الا التواضع ونكران الذات ٠٠ كانت الاجابة تعبر فعلا عن حبه لمصر ٠ كان سيفقدها لو غرق ٠٠ وكانت ستفقده ٠٠

تأملت وجه أنور السادات ، وأنا الذى أعرف عشرات القصص عن حياته وطفولته وشبابه ٠٠ وأعدت سؤالا سابقا ، بتعبير آخر ٠٠

قلت للرئيس : ولكن ٠٠ ليلة ٦ أكتوبر بالذات ٠٠ أين أمضيتها ٠٠ وكيف ؟٠٠

وابتسم وهو مدرك الهدف من سؤالى : لم أنم فى بيتى ٠٠ كنت

قد اخترت قصر الطاهرة لاقامتي وقت المعـركة ٠٠ وأعددنا به غرفه عمليات كاملة تحت الأرض بديلة لغرفة العمليات القريبـة من قصر الطاهرة ٠ ومنهـا نتابع العمليات دقيقة بدقيقة مثل الغرفة الأصلية تماما ٠ وكنت أعرف أن الموقف سوف يقتضى لقاءات سياسية دولية ٠٠ ولذلك اخترت هذا المكان القريب لمباشرة عملى السياسى ٠٠ وفى الوقت نفسه لم يكن أحد يدرى أنه يشكل مركز قيادة عسكرية ٠٠ وأذكر فى تلك الليلة أننى آويت الى فراشى فى موعدى المعتـاد ٠٠ وكنت قد أمضيت يوم الجمعة عادى جدا ٠ وصليت الجمعة فى كوبرى القبة فىالزاوية التى تعلمت فيها الصلاة منذ خمسين عاما !٠٠ وعدت الى قصر الطاهرة ٠٠ وأعطيت تعليمات يوم ٥ ٠٠ واتصل بى الفريق أحمد اسماعيل ، وسألنى متى سأحضر فى الصباح الى غرفة العمليات فطلبت منه أن يمر على فى اليوم التـالى الساعة الواحدة والربع بعد الظهر ٠٠ أى قبل ساعة الصفر بـ ٤٥ دقيقة ٠٠ ونمت ملء جفونى٠ واستيقظت فى الصباح كعادتى ٠٠

قلت : الساعة كام !٠٠

قال الرئيس : الساعة ٨ صباحا ٠٠ أنا لا أنام بعد هذه الساعة٠٠ وبدأت بقراءة الصحف كالمعتاد ٠٠ ولعبت بعض التمرينات السويدى ٠٠ وأخذت حمامى ٠٠ ثم ارتديت ملابسى ٠٠

قلت : العسكرية ٠٠

قال الرئيس : نعم ثم باشرت عملى كالمعتـاد ٠٠ ومر على الفـريق أحمد اسماعيل فى الساعة الواحدة والربع تماما ٠٠ وبعد ١٠ دقائق كنت فى غرفة العمليات ٠٠ فالمسافة قريبة ٠٠

الساعة ٣٠ر١ صدر البيان الخاص باعتداء اليهود علينا ٠٠

وهنا حدث شىء لطيف٠٠ أنا كنت عاطى أوامر لأولادى فى القوات المسلحة أنهم يفطروا ٠٠ كثير من الأولاد الشياطين دون ما سمعوش الكلام ودخلوا المعركة صايمين ٠ أنا فى القيـادة مش واخد بالى ٠٠ مش شايف واحد فيهم بيدخن ٠ متحرجين لأننى لم أدخن أو أطلب أى شىء . رحت طلبت فنجان شـاى .. وجابولى « البايب » من العربية .. وبدأوا بعد كده كلهم يدخنوا ..

قلت : وما هو أول بلاغ تلقيته عن القتال ؟٠٠

قال الرئيس : أول بلاغ ٠٠ كان الساعة ٢ بالدقيقة ٠٠ أبلغت جميع قوات الخط على مسافة ١٧٥ كيلو مترا من بورسعيد الى السويس بعبور الطيران ٠ وقد كان من أقوى حوافز العبور أن ترى القوات ٢٤٠ طائرة تمر فوقها في موجات وعلى ارتفاع منخفض ، مثل الوحوش المنقضة ٠٠ هل تعلم أن كثيرين لم ينتظروا أمر العبور ٠٠ وبدأوا بمجرد رؤية الطيران ٠٠

بعد ضربة الطيران ٠٠ جاء بلاغ الخسائر ٠٠ لم يذكروا لى أن أخى استشهد ٠٠ لقد كان واحدا من الطيارين الذين حققوا الضربة الاولى٠ والحقيقة لو قالوا لى ٠٠ ماكنش الامر يختلف ٠٠ انه ابن مصر ٠٠ مثل كل زملائه أبناء مصر ٠٠ قبل أن يكون أخى ٠٠ والحقيقة أن نتائج الضربة كانت رائعة ٠٠ وأكثر مما توقعنا بشكل خارق ٠٠ استمرت الطلعة ٢٠ دقيقة ٠٠ وبعد ١٥ دقيقة طلبت تكرار الضربة مرة أخرى ٠٠ أربعة آلاف موجة انطلقت تزمجر وتدمر ٠

وبدأ النمل يدخل ٠٠

استدركت : النمل ؟٠٠

قال الرئيس : ولادى ٠٠ كانوا زى النمل ٠٠ آلاف ٠٠ وراء آلاف ٠٠ وجاءت أول بيانات عن غرس العلم المصرى على الضفة الشرقية ٠٠ اللواء السابع كان أول من أبلغ على ما أذكر ٠٠ الكل كان منفعلا ٠٠ توالت البيانات ٠٠ والمدفعية الرهيبة اشتغلت ٠٠

والحقيقة أنه بعد ٤ ساعات ٠٠ من ضربتى الطيران ٠٠ وضرب المدفعية كان واضحا أن اسرائيل فقدت توازنها كاملا ٠٠ وبعد ٦ ساعات تأكد أنها تعانى هزيمة منكرة ٠ لم تكن المدرعات قد عبرت٠٠ المشاة والقوات الخاصة بالصاروخ المضاد للدبابات ، قدموا أشجع معركة فى تاريخ الحروب ٠٠ وهم يتصدون للواءات مدرعة كاملة من العدو ٠٠ ويبيدونها ٠٠ فرقة لواء ١٩٠ الاسرائيلى أبيدت فى ٢٠ دقيقة ٠٠ لواء يعنى ١٢٠ دبابة ٠٠

قلت : ولذلك سمعتك تقول ياسيدى : عند زيارتك للفرقة الثانية فى الجبهة ، أنه عليهم أن يحافظوا على هذه الارقام القياسية ٠ تدمير اللواء المدرع فى ٢٠ دقيقة ٠

قال الرئيس منشرحا : فعلا ٠٠ أولادى ٠٠ سجلوا أرقاما قياسية عالمية ٠٠ وفى الساعة الثامنة مساء ، أبلغت بأن السفير السوفيتى يطلب مقابلتى ٠ وكانت الخطة ماشية كما خطط لها وأروع ٠٠ المشاة جمعيهم عبروا ٠٠ بدأ عبور المدرعات ٠٠ فيما عدا كبارى الجيش الثالث ٠٠ كل شيء كان رائعا ٠٠ ذهبت الى قصر الطاهرة ٠٠ وجاء السفير السوفيتى ليقول لى أن سوريا تطلب وقف النار غدا ! الى آخر القصة المعروفة التى انتهت برفضنا لوقف النار ٠

« ثم تناول الحديث مع الرئيس السادات القصة الكاملة ، لوقف النار ٠٠ حتى اتفاق فصل القوات ٠ وصول كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى الى مصر ٠ طلبه وقف النار ٠ رفض الرئيس ذلك الى أن تتحقق أهداف الخطة عسكريا ٠٠ واليوم الثانى لكوسيجين فى القاهرة ، لم يقابله السادات ، وكان كوسيجين على اتصال مستمر بموسكو طوال اليوم٠ ثم مجيء مبعوث الرئيس تيتو لنفس الهدف٠٠ ثم رسالة رئيس وزراء بريطانيا هيث الى الرئيس » ٠

قلت للرئيس : متى قابلت السفير البريطانى ٠٠ وماذا كان يحمل لك ؟

قال الرئيس : طلب السفير البريطانى لقائى عند الفجر !٠٠ كان يحمل رسالة عاجلة جدا من رئيس وزراء بريطانيا عن وقف النار ، وانسحاب اسرائيل ، وفك حصار باب المندب ٠٠ لقد اتصل كيسنجر بمستر هيث رئيس الحكومة البريطانية ، وقال له ان السوفيت أبلغوه أن مصر قبلت وقف النار ٠٠ وطلب كيسنجر من هيث أن يتصل بى، لأن علاقاتنا مع أمريكا مقطوعة ٠٠ وقال له أن أمريكا أقنعت اسرائيل بوقف النار على الخطوط الحالية للقوات عن الجانبين٠٠ وكانت اسرائيل تطالب من قبل بعودة القوات الى أوضاعها السابقة ٠٠ والحقيقة أننى لم أبلغ السوفيت بالموافقة ٠٠ وكان جوابى على هيث أننا لن نوقف اطلاق النار الا بالانسحاب الاسرائيلى ، وعندما نستكمل خطتنا ٠٠ وأبلغته أيضا أن سوريا ردت على بأنها لم تطلب وقف النار ٠٠
وسألت الرئيس : وجاء كيسنجر الى القاهرة ، وبدأ الاتفاق على وقف النار يأخذ طريقه العلمى ٠٠ كيف كان لقاؤك الاول مع كيسنجر ؟٠٠

وأجاب الرئيس : لقد بدأ كلانا اللقاء بتحفظ فى الحوار ٠٠ ولكن بعد الساعة الاولى من حديثنا استطعت أن أقتنع بأن كيسنجر رجل يوثق به ٠٠ كان يتكلم بمنطق ، ورؤية واضحة ، وعلى أساس استراتيجية محددة المعالم ٠ كان يتكلم عن واقع جديد لسياسة أمريكا ٠٠

وكانت الساعتان التاليتان لجلستنا ، تعبران عن اتفاق كامل فى وجهات النظر ٠٠ وكان حوارنا ، مناقشة تحليلية على مستوى الرؤية الشاملة ، والاستراتيجية ، أكثر من الدخول فى التفصيلات ٠٠ وقد كنا ـ نحن الاثنين ـ سعداء حقا بهذه المناقشة ٠٠ وانتهينا الى النقاط الست ، والى البند الثانى منها الذى نص على فض الاشتباك ٠٠

قلت : سمعت أنه قال لك أمام اسماعيل فهمى وزير الخارجية ، أنك أول من غلبه فى الاستراتيجية ٠٠

وقال الرئيس : لا داعى لنشر هذا الكلام ٠٠ أنا لا أحب أن أتحدث عما يدور فى الاجتماعات الخاصة ، وليس له طابع عام ٠٠

قلت : سمعت أنه روى لك ماجرى فى الأيام الأربعة الاولى للحرب ٠٠ فى واشنطن وفى اسرائيل ٠٠ وكيف تصور أننا سنحترق فى القناة خلال ٤٨ ساعة ٠٠ ثم كيف طلبت اسرائيل النجدة فى اليوم الثالث ٠٠

قال الرئيس : لا أريد أن أخوض فيما قاله لى كيسنجر ٠ هذا حقه اذا أراد التحدث عنه ٠٠

★★★

وانتهى هذا الحديث التاريخى الشامل مع الرئيس السادات بعد ثلاث ساعات وكان يمكن ألا ينتهى فى عشرات الساعات ، فأسرار أكتوبر تحتمل حديثا لا يتوقف أبدا ٠

وقد أفاض الرئيس فى الحديث عن الموقف الرائع للرئيس هوارى بومدين٠٠ والموقف الرائع لجلالة الملك فيصل والموقف الرائع للرئيس

نيتو ٠٠ مما أفردت له فصلا خاصا فى هذا الكتاب ، عندما استعرض الموقف العربى قبل وبعد حرب أكتوبر ٠

ولعلنى لا أستطيع أن أنسى أننى خرجت من لقاء الرئيس ٠٠ وقبل أن أسطر هذا الحديث التاريخى ٠٠ وذهنى يغلى باسترجاع بعض ما كشف عنه الرئيس ٠٠

كانت أحداث الطلبة ٠٠ « ورزالة » بعض المثقفين كما وصفها الرئيس ٠٠ وأحداث الفتنة الطائفية ٠٠ وكلها ضرب لجبهة الداخل ، وكان الرجل فى هذه الايام القاسية لا ينام الليل ، لأن تهاون القيادة العسكرية فى ذلك الوقت جعل الجبهة المصرية مكشوفة أمام اسرائيل٠ وكان يمكن للعدو أن يقوم بضربة تحطم كل شيء ٠٠ وترك السادات كل طعنات الداخل ، وتفرغ بكل جهده ، لاستعادة التفوق العسكرى على الجبهة المصرية ، ولضمان السيطرة المصرية على الضفة الشرقية حيث يربض العدو ٠٠

خرجت من لقاء الرئيس ٠٠ وأنا أسترجع فى ذهنى أسرار « الخطة ٢٠٠ » الدفاعية التى لا يعرف أحد عنها أى شيء حتى الآن ٠٠ وكيف أعدت فى حياة عبد الناصر ٠٠ وكيف استكملها أنورالسادات بمجرد توليه المسئولية ٠٠ وكيف طورها الى خطة هجوم ٠٠ ثم اكتشف فجأة أن التكليفات التى أعطاها للقائد العام للتنفيذ ٠٠ لم ينفذ منها شيء !

★★★

ولكنه استطاع بعد ذلك أن ينام الليل ملء جفونه ٠٠ مطمئنا ٠٠ مستريح البال ومتى ؟٠٠ فى ليلة ٦ أكتوبر ! فىالليلة التى سيتقرر فى صباحها ، مصير مصر كلها ٠٠ ومصير الأمة العربية ٠٠ ومصير أنور السادات !٠٠

الفصل الثانى

المحضر السرى لاجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة

... « ان اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة في ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ الذى انعقد فى مكتب الرئيس بالجيزة فى الساعة التاسعة من المساء ، واستمر ثلاث ساعات وربع الساعة .. يعتبر أخطر اجتماع تاريخى ، اذا أردنا أن نقيم الوثائق العسكرية لحرب أكتوبر .

لقد حدد الرئيس السادات فى هذا الاجتماع ، الموقف بحسم ، دون أن يسمح بأى تراجع أو تشكيك . الموقف هو الحرب . تحريك القضية عسكريا . وأعلن القادة فى هذا الاجتماع ، أنه ليس بالرجل الذى يناور لكى يحتفظ بكرسى الرياسة .. وأعلن أنه لن يستسلم ، وأن الموت في سبيل الأرض ، أشرف من هذه الحياة المهينة . وقال لأعضاء المجلس الاعلى أنه يستدعيهم ، ليبلغهم هذا القرار المصيرى . لا مناقشة فى قرار الحرب . ولكن يجب الاستعداد بالتخطيط والدراسة ، والاعتماد علي ما نملك من تسليح .. وعلينا أن نعوض التفوق الاسرائيلى بروح العسكرية المصرية .. بروح المقاتل المصرى .. بشجاعة الانسان المصرى ..

وفى هذا الاجتماع اتضح أن بعض القادة لا يريدون الحرب ، وقد كونوا تفكيرهم على أن اسرائيل ستنتصر ، وستضرب فى الاعماق ، وستكون النتيجة خرابا ·· وذلك بسبب موقف الاتحاد السوفيتى من ناحية التسليح ·

وغضب أنور السادات فى هذا الاجتماع · وأصر على قرار الحرب، وأعلن أنه مؤمن بالعسكرية المصرية · واذا كانت اسرائيل متفوقة فى الجو ·· فلن تتفوق أبدا على الأرض·· وان علينا أن نواجه قدرنا ومصيرنا بشجاعة ·· ان الاتحاد السوفيتى لن يحارب من أجلنا ونحن نرفض أن يحارب أحد من أجلنا · هذه معركتنا · اما أن نكون أو لانكون هذا قدرنا التاريخى · ويجب أن نواجهه ·

كانت جلسة عاصفة ··

ولكن غالبية أعضاء المجلس الاعلى ، أعلنوا أنهم مصرون على المعركة · ومستعدون للتضحية ·

وبعد هذه الجلسة ·· صدرت قرارات الرئيس باعفاء الفريق صادق ·· واللواء عبد القادر حسن مساعد وزير الحربية ·· واللواء محمود على فهمى قائد البحرية ·· الذى كان قد تدخل فى المناقشة العنيفة لتهدئة الجو ·· ولكن كلماته صدرت وكأنها مؤيدة لقرار عدم الحرب ·

قال السادات لهؤلاء : لو أخذنت بمنطقكم ·· ان شاء الله نقعد ٥٠ سنة فى هذا الموت ·· لقد سمعت هذا الكلام كثيرا·· والرجولة·· والوطنية تفرض علينا أن نحرر الارض ·· ونواجه امتحان التاريخ ·

وليعذرنى القارىء اذا كنت قد اضطررت لحذف فقرات قليلة من هذه الجلسة التاريخية ، وحفاظا على أسرار عسكرية ، عندما ناقش الرئيس القادة فى الاستعدادات العسكرية » ··

أخطر اجتماع تاريخى

فيما يلى النص الكامل لاجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة برياسة الرئيس السادات فى مكتبه بالجيزة مساء ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ :

الرئيس : فى سلسلة الاجتماعات اللى بأعملها علشان الموقف النهارده ·· الحقيقة ·· كان لابد أن أجتمع بيكم ·· لأننى أعتقد أن المرحلة تحتم أن نقعد ونستعرض الظروف والموقف بالكامل ·· وخصوصا وأن السنة الماضية منذ اجتماعنا فى أكتوبر الماضى لغاية اليوم حصلت تطورات كثيرة جدا تؤثر على الموقف · وتكاد ترسم خط السير الذى لا مناص منه ·· فى أكتوبر الماضى (١٩٧١) لما جمعتكم فى الواقع كان بعد زيارتى للاتحاد السوفيتى وكان فيه لو تذكروا وقفة بيننا وبين الاتحاد السوفيتى طول صيف ٧١ ·· وانتهت بأن احنا اتفقنا على النقاط فى موسكو ١١ و ١٢ أكتوبر ·· وبعد اجتماعى فى موسكو جمعتكم وقعدنا اتكلمنا وشرحنا الموقف كله ·· ولم أكن سعيدا فى ذلك الوقت ·· هذه هى الحقيقة · ولكن كما قلت لكم كان فيه نقطة خلاف أساسية مع السوفيت منذ رحلتى الاولى فى مارس ١٩٧١ الى موسكو · ولو عدنا الى محاضر اجتماعات ١ و ٢ مارس مع الزعماء السوفيت ، نجد أننا لم نتحرك فى نقطة الخلاف الأساسية · كانت النقطة الأساسية فى الخلاف ·· كما قلت لهم : أنتم حاطينى وراء اسرائيل بخطوتين ·· ومع أنه المفروض أن أكون متفوقا على اسرائيل ·· فاننى لا أطلب هذا · أطلب أن أكون متساويا معها ·

وساعة ما بنيجى للنقطة دى ·· دائما بنقع فى خلاف ، وبييجى جريتشكو ويطلع النوتة ويقول : عندكم كذا دبابة وكام طيارة ·· الكلام اللى بيلجأوا اليه دائما .. وندخل برضه فى مناقشات وعلى خصائص الطيارات اللى عندنا ·· يعنى دائما كنا نيجى فى النقطة الأساسية دى ويطلعوا كشف السلاح ·· زى ما قلت لكم فى ١ ، ٢ مارس ١٩٧١ واضح تماما فى المحضر نحن مختلفون ·· قلت لهم مش معنى اننا نكتب كده فى المحضر اننى هارجع مصر وها أقول أنا مختلف مع الاتحاد السوفيتى ·· لأ قلت لهم ان احنا أصدقاء ·· وممكن

نختلف وممكن بعـد فترة نتفق سـوا • المهم ان كل واحد منا يفهم موقف الثاني • وجيت فعـلا أنا بعد الرحلة دى بتاعة ١ ، ٢ مارس جمعت اللجنة التنفيذية العليا فى ذلك الوقت وبعديها اجتمعت بيكم ••وكان معايا منهم محمد فوزى وشعراوى جمعة •• كانوا معايا فى الوفد •• حضروا المباحثات كلهـا •• وقلت لهم اللى جرى بصراحة •• وقلت لهم • ولكن ليس معنى هذا ان احنا بنقطع •• أو أن الخلاف نطلعـه على السـطح •• دلوقتى لا •• ماجاش أبدا هذا الاوان •• ومش مصلحتنا •• ومش مصلحة لا شعبنا ولا قواتنا المسلحة ان احنا نطلع الخلاف على السطح النهارده •• لأن ده خـلاف يكفى ان احنـا بنحطه قدامنا فى اتصالاتنا الجارية مرة واثنين وثلاثة •• يا اما بنعدى هذا الخلاف يا اما •• ولكن أنا باعتبر أنه بالحاجات اللى أعطوها لنا فى ذلك الوقت فى ١ ، ٢ مارس أنه من الممـكن نخش جـولة أخرى وجولة أخرى لصالح المعركة ولصـالح البلد •• فى أكتـوبر كانت أحداث السودان وقعت فى الصيف زى ما انتم فاكرين •• وكان فيه وقفة تماما بيننا وبين الاتحـاد السـوفيتى •• وبعدين اختلفنا فى أكتوبر وواضح فى المحضر •

ولكن جه بريجنيف وقال أنه حوالى ٨٠ ٪ من الصفقة يسلم قبل نهاية ٧١ •• وأنا قلت لكم فى ذلك الوقت على الحاجات اللى وافقوا عليها والحاجات اللى هاتجيلنا قبل نهاية ٧١ والحاجات اللى هاتجيلنا فى ٧٢ وقلت لكم (exactly) (بالضبط) جهزوا أنفسكم علشان زى ما أنا كنت بنادى ان ٧١ لابد نحسم فيها •• وكانت محل مناقشة معاهم برضه فى اجتماع أكتوبر وفى اجتماع مارس أيضا •• وبقول لهم منطقى • ان شعبنا لا يستطيع الانتظار •• ولا شعوبنا أكثر من كده •• والنتيجة وخيمة عليكم وعلينا •• كانوا بياخدوا الحاجات دى بشيء من الاستخفاف شـوية •• يعنى هما متصورين كانوا انه ممكن الامور تمشى بالطريقة اللى هم بيفكروا بيها ••

فات أكتوبر ونوفمبر ودخلنا فى ديسمبر •• وجات وقعت معركة الهند وكان واضح لى يوم ماحصلت معركة الهند يوم ٨ أو ٩ ديسمبر ٧١ كان واضح لى تماما أنه مش ممكن نقدر نعمل أى عملية فى سنة ٧١ خاصة وأن الصفقة اللى اتفقنا أنها جاية لنا •• هتيجى قبـل نهاية ٧١ وكنا ساعتها فى ٩ ديسمبر • وحتى التعاقد لم يتم عليها •• أنا تصورت أنه مش هايستنوا التعاقد زى ما حصـل فى سـنة ٦٧ ••

هايبعتوا على طول وبعدين نبقى نتعاقد ٠٠ فكان واضح فى ديسمبر وساعة ما ابتدت معركة الهند كان واضح أن الموقف مش ممكن هانقدر نواجهه ٠٠ وهو أنه هايحصل حاجة قبـــل نهاية ٧١ ٠٠ فيوم ١٠ ديسمبر مباشرة استدعيت السفير السوفيتى عنـدى وقلت له واضح تماما أن ٧١ انتهى خلاص ٠٠ احنا النهارده ١٠ ديســمبر ٠ ابتدت امبارح معركة الهند عمليا انتهى ٧١ ٠٠ طيب وبعـدين ؟٠٠ أرسلت للقادة السوفيت .. كل ده وأنا فى حسابى بأحسب أنه احنا اصدقاء ٠٠ وممكن أن نختلف ولكن الخلاف ممكن أن احنا نحصره بقدر الامكان ونكمل المشوار ٠٠ فقلت له ابعت للقـادة السوفيت وقلهم أنا عايز أجى لكم موسكو قبل نهاية ٧١ ٠٠ ليه ؟ علشان نحاول نعالج الموقف فى بيان نطلعه ٠ فى اجراء نتخذه علشان نعدى سنة ٧١ لأننى ارتبطت بذلك ٠٠ وأنا كنت عندكم فى موسكو مرتين ٠٠ بل فى أكتوبر السنة دى وبأعلن وأنتم ســامعين كلامى واتناقشــنا فى هذا أن ٧١ حسم ومحصلش حسم ٠٠ افترضت بقيام معركة الهند ما فيش حسم ٠٠ مش هاقدر أعمل حاجة فى ٧١ وأنتم داخلين فيها طرف ٠٠ قل لهم قبل نهاية ديسمبر سنة ٧١ أنا عايز ألتقى بهم فى موسكو وماكنش عندى حرج أبدا أنى أسافر لثالث مرة موسكو مع أنى كنت قبلها فى أكتوبر ٠٠ جانى الرد من هناك فى آخر ديسمبر ٠٠ أواخر ديسمبر أن الاجتمـــاع فى ١ ، ٢ فبراير ٧٢ ٠٠ لأن جدول مواعيد القـــادة السوفيت من هنا لغـــاية ١ ، ٢ فبراير كذا وكذا وجاب لى جدول المواعيـد و ٠٠٠ و ٠٠٠ و ٠٠٠ الخ ٠٠ الـكلام ده كان فى أواخر ديسمبر ٠٠ الحقيقة أنا كدت فى أواخر ديسمبر أن أصدر القرارات اللى طلعتها فى ٨ يوليو ٠٠ كدت فى أواخر ديسمبر أنى أقول للسفير طيب شكرا وأعلنه بالقرارات ٠٠ لكن يعنى الواقع زى ما قلت لكم ٠٠ أنا حريص على المعركة من ناحية ٠٠ وحريص على صداقة الاتحـــاد السوفيتى من ناحية تانية ٠٠ لسه فيه أمل يعنى ماقطعتش الأمل ٠٠ الحقيقة ٠٠ ليه ؟٠٠ أنا فى تفكيرى قلت الناس دول مستنين اجتماع موسكو بتاع عشرين مايو ٧٢ ٠٠ وأنا عارف أسلوبهم فى هـذا ٠٠ وأنا طول الخمس سنين اللى بعد العـــدوان ٠٠ من ٦٧ بأتعامل أنا شخصيا معاهم فى قضيتنا ٠٠ فى أثناء وجود عبدالناصر ٠٠ كنت أنا متولى المسألة بالكامل وماكنتش بتخرج عنا احنا الاثنين ٠٠ بس ٠٠ فأنا عارف أسلوبهم يعنى لعلمكم برضه عشـان تكونوا على بينة ٠٠ لما عملت المبادرة أنا فى فبراير ٧١ ٠ عملت المبادرة الحقيقة أساسا ٠٠ لعدة عوامل ٠٠ العامل الاول فيهـا كان أنى عارف أن الاتحـاد

السوفيتى مش هيسعفنى ٠٠ مش هايدينى فى الوقت الكافى ٠٠ وكان أيامها احنا بنتكلم على وقف اطلاق النار من عدمه فى فبراير٠٠ وكان مؤتمر الحزب الشيوعى بتاع موسكو سينعقد فى ٣١ مارس ٧١ فأنا عارف ببساطة وبحساب عارفه بقالى أربع خمس سنين معاهم أن قبل انعقاد هذا المؤتمر مش هيدينى حتى من اللى احنا متفقين عليه٠٠ وكان فى ذلك الوقت القسم الرئيسى من الاتفاقات هى بطاريات الصواريخ عشان الصعيد ٠٠ ومش ممكن أبتدى أكسر وقف اطلاق النار وسدود الصعيد ٠٠ ماجاتش لسه بطاريات الصواريخ عشان أدافع عنها ومعروف عمقنا فى الصعيد ٠ ؟

فوزى جانى يوم وقال لى خلاص يا فندم ٠٠ الروس بعتوا لنا ، قالوا ان المركبين اللى جايين بالبطاريات واحدة فى ١٨ فبراير وواحدة فى ٢٢ فبراير ٠٠ قلت له « لا ٠٠ آسف يا فوزى مش هاييجى قبل مؤتمر الحزب الشيوعى اللى هايعقد فى ٣١ مارس وقبل ما ينتهى المؤتمر فى ابريل ٠٠ بعد ذلك تيجى البطاريات ٠٠ قبل كده مفيش حاجة أبدا ٠٠ » قال لى يا أفندم ده أخطرونى رسميا بميعاد ١٨ الى ٢٢ فبراير ٠ قلت له « ولا حاجة جاية ٠٠ وده أسلوبهم أنا عارف ، وهذه طريقة تعاملهم » ٠٠ فالحقيقة كانت مبادرتى أساسا تهدف الى أنه ٠٠ طيب أنا ايه اللى تاعبنى ؟٠٠ أنا اللى تاعبنى ان أنا مش عايز خسائر فى العبور ٠٠ وعشان كده عملت المبادرة ٠ أنه اذا كانت اسرائيل انسحبت مرحلة أولى بتعبر قواتنا ٠٠ بنفتح قناة السويس٠ بندى ٦ شهور وقف اطلاق النار رسمى ٠٠ بعد الـ ٦ أشهر اذا اسرائيل ما انتهتش الى حل معانا ٠ قواتنا اللى عبرت تقاتل وتكمل واجبها ٠٠ اللى أنا بأقصده منهذا ، أنه كارت ناجح مع أوربا الغربية وللعالم كله بالنسبة لفتح قناة السويس ٠٠ الحاجة الثانية أنه أنا عايز أخلص من عملية السيف اللى محطوط على رقبتى ٠٠ فى العبور ٠٠ وأرى أننا سنتعرض لخسائر ضخمة اذا كان لابد أنى أعبر قبل الروس مايدونى الحاجات اللى أنا عايزها ٠٠ وقلت يعنى يمكن تانى الأمريكان يسعوا و ٠٠٠ و ٠٠٠ و ٠٠٠ لولا أنهم بعد ذلك ضحكوا عليهم اليهود وأنا بعت لنيكسون هذا الكلام٠٠ وقلتله ضحكوا عليك اليهود لأنهم قالوا للأمريكان أن المبادرة ليست الا بدء التنازلات المصرية ٠٠ استنوا عليهم هايكملوا باقى التنازلات ٠٠ قلت لنيكسون أنا بعت لك قلت لك أن المبادرة ارتباط كلام وما صدقتنيش وعليه النهارده أنا مش مستعد أبدا أتكلم فى هذا الموضوع ٠٠ الحقيقة أنا

أيامها عملت هذه المبادرة علشان فى العبور أتجنب الخسائر الضخمة اللى لازم تحدث نتيجة عدم امدادى بما أريد ·· الشيء الثانى كان ·· أو السبب الثانى للمبادرة ، الحقيقة ·· أنه ضاق الوقت·· أنا عارف أنه زى ما قلت لكم أنه فى ٣١ مارس كان مؤتمر الحزب الشيوعى·· قبل هذا التاريخ مفيش حاجة حتى من اللى اتفقنا عليها هاتيجى ·· وبطاريات الصعيد وغير بطاريات الصعيد ·· حتى أى قطع غيار أو أى حاجة مش هاتيجى قبل ما ينتهى المؤتمر بتاعهم فى ابريل ·· وده اللى حصل فعلا ·· البطاريات ما جتش الا فى ابريل أظن ··

أحد الأعضاء : ابريل ··

الرئيس : آه ماجاتش الا فى ابريل ·· مع أنه زى ماقلت لكم أخطروا فوزى بأن مركبين واحدة فى ١٨ ·· وواحدة ٢٢ فبراير فأنا قلت باكست وقت شوية ·· برضه ·· منها بتغير الصورة السياسية للقضية كلها واسرائيل بتقول أنه مفيش حد فى العرب يقبل اتفاق سلام (Peace agreement) حقيقى يعنى لو قالت (Peace treaty) لو قالت معاهدة سلام كانت تبقى خطر ·· لكن لما تقول اتفاق سلام ·· طيب ما هو اتفاق الهدنة بتاع ٤٩ لما تقروه تلاقوه اتفاق سلام · ولذلك أنا قلت اتفاق سلام مفيش مانع ·

قلت أيضا أكسب الوقت برضه مجاملة لصديقنا الاتحاد السوفيتى انه يأخذ وقته معلهش .. أنا عارف ساعة الحزب الشيوعى مايعمل مؤتمره فى ٣١ مارس ويأخذ راحته هو وأقرص عليهم شوية ..معلش فرعت المشكلة شوية ·· وأهيه ماشية وفعلا المبادرة مشيت وغيرت شكل القضية السياسية بره فى العالم و ·· و ·· و ·· الخ ·· وحركت شوية و .. و .. و .. لكن كان تأثيرها على الروس عكسى ·· أروح لهم يقولوا ما فى حل الا حل سلمى ·· ولازم تتصل بالامريكان·· طيب ما احنا عرضنا المبادرة وبناء على مبادرتى الامريكان هم اللى جم وأنا مارحتلهمش ·· بعتوا لى روجرز ·· الاولاد المتآمرين اللى كانوا هنا فى اللجنة العليا راحوا للاتحاد السوفيتى وقالوا لهم أنور السادات باع البلد للأمريكان خلاص واتفق معاهم وصفى القضية و ·· و ·· و ·· والناس دول بيفكروا بطريقة غريبة ·

أنا لم أطلب من الامريكان·· دول همه اللى جم وقالوا وزير خارجيتنا يجيلك ·· قلت لهم ييجى ما عندى مانع أبدا ·· يعنى بس ييجى

يقولى عايز ايه ٠٠ هايجينا ليه أو هايعمل ايه ٠٠ فضلنا بعد المبادرة في الموقف اللي برضه المايع الى أن حصلت أحداث السودان في صيف ٧١ ٠ وقلت لكم في زيارة أكتوبر بعد كده برجع لحديثي الاصلي ٠٠ الحقيقة كنت في أواخر ديسمبر ٧١ لما جالى السفير السوفيتي يقولى على الموعد في ١ ، ٢ فبراير كدت آخذ موقف معاهم ٠٠ لكن في الحقيقة ما كنتش أنا في هذا الوقت جاهز لأي حاجة ٠ ليه لأن مقدرتش آخذ المسائل لا بعاطفة ولا بانفعال ولا بغضب ولا حاجة أبدا لأنها مسائل مصيرية ٠٠ وأنا الى ذلك الوقت زي ما حكيت لكم عارض أني أروح موسكو لثالث مرة في ديسمبر مع أني كنت لسه في أكتوبر عندهم .. أنا اللي عارض .. وقلت للسـفير قلهم أنا عايز أدرس الامر على طول علشان نقدر حاجة نغطي بيها الموقف بتاع ٧١ ٠ ونخش على ٧٢ لأن واضح بعد معركة الهنـد مفيش حاجة ٠٠ حتى ده مش قادرين يفهموه ان احنا لازم نغطي موقفنا ٠٠ وأنا بغطي موقفهم هم ٠ لأن أنا ممكن زي ما حصل ، وقلت باطلع وباحكي القصة كلها ٠ وبأقول أن الناس دول اتفقوا معايا على أنهم يدوني صفقة قبل نهاية ٧١ على أساس أنا كنت عايز أخطط وأشتغل ما ادونيش ٠٠ مضطر أقف مش عايزه مناقشة ٠٠ ولكن محبتش ألقي اللوم عليهم ولا حاجة في ذلك الوقت وقلت لهم عليها كأصدقاء وأنا عارف ماذا سيحدث في موسكو بينهم وبين نيكسون ٠٠ هم عايزين يهدئوا كل شيء وهم ٠٠ الشيء المؤسف اللي اتصوروه ان احنا جماعة مجانين أو ناس مابنفكرش ٠٠ متصورين أنه يوم ما أن نحصل على الاسلحة التي نريدها نروح راكبين راسـنا ونقول اضرب يا جدع !٠٠ مش قادرين يفهموا ٠٠ أو يعني متخاذلين ٠٠ بيقولك لأ ٠٠ طريقة تفكيرهم عنا ٠٠ حقيقة لغاية النهاردة مانيش عارف أوصل لها كويس ٠٠ انما فيه شيء واحد لازم نعرفه انه ده قوة كبرى وله سياسته كقوة كبرى وله مصالحه وله أوضاعه ٠٠ بيفكر على هذا الاسـاس ٠٠ صبرت على مضض حتى اجتمـاع ١ ، ٢ فبراير وسافرت ٠ وقامت الدنيا كلها خلال هذا ٠٠ الطلبة قاموا ٠٠ الجماعة الحاقدين كلهم اتحركوا ٠٠ وفاهمين انه دي فرصة وزي مانتم شفتم ٠٠ أنا تركت الطلبة ٧ أيام ٠٠

واجهت البلد كلها وواجهت العرب كلهم . ودافعت عن الاتحاد السوفيتي ٠٠ على أمل ان احنا هنتقابل في فبراير ٠٠ فعلا ٠٠ في فبراير اتقابلنا ٠ وشرحت لهم صورتهم وحالتهم وقلت لهم ان الوضع خطر عليكم دلوقتي في المنطقة وعلى العرب كمان يعني احسبوا معايا

٠٠ طيب امتى الحاجات دى ستنفذ ٠٠ طبعا حاسين البلد كانت بتغلى ازاى ٠٠ وكان فيهـا ايه ٠٠ قلت لهم ده كله نتيجة لكل التصرفات اللى فاتت واللى حكيت لكم عنها واللى قلت لكم عنها من مارس ٧١ ٠٠ فى محضر مارس ٧١ تلاقوا الـكلام ده كله ٠٠ وقلت لهم لا يمـكن شعوبنا تستنى ولا يمكن المنطقة تستنى ٠٠ مش ممكن بالاسلوب ده وبالشكل ده هانمشى الامور ٠٠ ردوا على بكلام عن الرجعية واليسار ٠٠ قلت برضه ها نرجع للكلام ٠٠ الرجعية واليسار ٠٠ مفيش عندى لا يسار ولا يمين فى البلد بالنسـبة لتحرير الارض أبدا ٠٠ مفيش خلاف اطلاقا ٠٠ ويسار ايه ويمين ايه النهارده ٠٠ سـيبوا الكلام ده كله احنا فى معركة مجروحين ، كل انسان يمينى يســارى رجعى تقدمى كل واحد مجروح عشـان الارض اللى محتـلة ٠٠ ما نفرعش المسائل ونفسرها غير تفسيرها الحقيقى ٠٠

جيت من اجتماع فبراير ٠٠ فات مارس ، ابريل ، أواخر ابريل لقيتهم جايين ٠٠ جاء السفير فى أواخر ابريل وقال القادة السوفيت بيلحوا ويترجوك أنك تسافر لهم ٠٠ بس ما أنا كنت عندهم فى فبراير ٠٠ أنا الثلاث مرات السابقة ٠٠ مارس ـ أكتوبر ـ فبراير أنا اللى طلبت ٠٠ ابريل أنا مطلبتش ٠٠ ليـه يعنى ما أنا كنت عنـدهم فى فبراير وانتهينا واتفقنا حتى فى فبراير ان احنا مستنيين نتيجة اجتماع موسكو فى ٢٠ مايو ٠٠ وأنهم يخطرونى بنتيجة الاجتماع ونتصرف على أساس النتيجة بعد ذلك .. جانى فى أواخر أبريل وقالى بأى ثمن ٠٠ ياخبر ٠٠ أنا كنت عندهم ثلاث مرات فى أقل من سنة ٠٠ بيترجوك ٠ مش ممكن فى ٤٨ ساعة ٠ كانوا محددين ومجهزين لأنهم هم اللى عاوزين ٠٠ والطيارة تحت أمرك وكذا وكذا ٠٠ ورحت فى أواخر ابريل ٠٠ عيدنا الكلام من الاول ٠٠ هم كانوا تعبانين جـدا من الوضع فى المنطقـة والوضع فى بلدنا بالذات ٠٠ طيب ما أنا من مارس ٧١ من سنة وشوية وأنا بقول لكم هذا الكلام هايحصل ٠٠ طيب هاتكلم فى حل ٠٠ الحل مفيش حل ٠٠ الحل انكم تدونا اللى احنـا عايزينه ٠٠ بس ٠٠ واللى أنا طالبه منكم من مارس ٧١ وكان الكلام بيننا أنه احنا عايزين نتساوى مع اسرائيل ٠٠ ما تخلوناش ورا اسرائيل النهارده بمضى وقت من سنة ٧١ لغاية النهارده ٠٠ اسرائيل بدل ما أبقى وراها بخطوتين بقيت وراها بعشرة دلوقتى ٠٠ طيب ايه ! ٠٠ ده شعر به شعبنا وحسه الناس ٠٠ طيب ايه هو سبب اللى بيجرى ده ٠٠ قالوا التحرك اليمينى ٠٠ يا ناس مفيش لا يمين ولا يسار عندنا فى تحرير

الارض ٠٠ ومع ذلك قلت لهم والله أنا مستننى اجتماع موسكو ٠٠ فى الشهر الجاى مايو ٠٠ واتكلمت مع بريجنيف فى الجلسة دى بالذات بتاعه ابريل ٧٢ عن الخط الاستراتيجى ٠٠ قلت له حصل حاجتين : حصل معركة الهند فى ديسمبر ٧١ وحصل الهجوم الكبير بتاع فيتنام وكان ابتدأ منذ شهر تقريبا ٠٠ قلت له معلوماتى عن الهجوم بتاع فيتنام انه بيتجهز له قبلها بست أشهر ٠٠ مدليل أنه بتقولوا حصار هايفونج ونلغيم الميناء و ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ قلت له أنا قعدت أضحك لما قرأت هذا الكلام لأن بتلغموا الميناء علشـان اللى جاى ؟ طيب ما هى المعركة متجهزة من قبلها بست أشـهر وكل شيء متشـون جوه ٠٠ والهجوم الكبير لم يبدأ فى فيتنام الا بعد تشوين كامل لكل حاجة ٠٠ و ٠٠٠ فيه أطقم سوفيتية على الصـواريخ وعلى مدفعيـة ٠٠ وأطقم سوفيتية أخرى على باقى الاسلحة ٠٠ قلت له طيب ما ناخد درس فى هذه العملية ونطلع بالخلاصة الآتية :

اولا : هل تعتقدوا انتم ان القضية تتحرك سـياسيا مالم تتحرك عسكريا ٠٠ قالوا لأ ٠ قلت لهم مثلا عندنا فيتنام ٠٠ نيكسون جاى لكم الشهر الجاى ٠٠ قلت لهم نيكسون جاى لكم بعد عشرين يوم ٠٠ وانتم حاملين هجوم كبير عليه وسايجون مهددة ٦٠ ألف عسكرى ٠٠ حتى ايامها طلع خبر ان فيه ٦٠ ألف عسكرى امريكى مهددين انهم يتمسكوا فى سايجون ٠٠ ومع ذلك نيكسون جاى لكم ٠٠ برغم هذا كله نيكسون جاى لكم لغاية موسكو ٠٠ ليه ٠٠ لان القضية اتحركت عسكريافسياسيا بيحصل استجابة على طول ٠٠ مالم نحرك قضيتنا عسكريا مشهايحصل استجابة بريجنيف قال ١٠٠٪ موافقك على هذا التحليل ٠٠

قلت له طيب معاك ٠٠ طيب ناخد درس من فيتنام زى ماشوفتم قبلها بست اشهر للهجوم الكبير ٠ بعد اجتماعكم فى عشرين مايو اللى جاى ٠٠ والى ٣١ اكتوبر قبل انتخابات الرئاسة بخمس ست أيام هايكون باقى خمس اشهر ٠ قلت لهم مش صعب اننا نتكهن بنتيجة اجتماعكم فى موسكو بالنسبة لقضية الشرق الاوسط ٠٠ بالنسبة للامن الاوربى مابيهمنيش كتير وما بيعنينيش وجايز توصلوا فيه لحلول مع بعضكم ٠٠بالنسـبة لقضيتنا فى الشرق الاوسط ٠٠ قلت له ٠٠ لن يحصل تقدم كثير ومن دلوقتى وانا قاعد معاكم فى ابريل أهوه ممكن اقول ايه اللى هاتسفر عنه المباحثات لماذا ؟ ٠٠

لانه بحساب سياسى بسيط . السنة دى سنة انتخابات فى امريكا سنة ٧٢ .. امريكا ان ماكانش موقفها هايكون للاسوأ هايفضل سيى زى ما هو لان دى سنة انتخابات سنة المزايدات بين الحزبين الاثنين .. وهى (already) من الاول امريكا متورطة متعهدة لاسرائيل .. طيب يبقى لن يتغير الموقف بالنسبة لنا . يعنى احسن موقف هايكون هو السيىء اللى احنا فيه النهارده .. ده الخوف انه يروح للاسوأ . ليه ؟ لانه اسرائيل قاعدة مستنياهم بعد اجتماعكم هاتحاسبهم .. ايه اللى عمله نيكسون عشان تؤيده او متأيدوش .. وهو واخد فى حسابه هذا .. وقلت لهم مش صعب التكهن بنتيجة اجتماعكم الشهر الجاى مع نيكسون .. فقالوا نشتغل باستراتيجية بعقل شوية .. والخمس اشهر اللى باقية بعد اجتماع موسكو تنتهى فى ٣١ اكتوبر تشوفوا لى فيها الحاجات بتاعتى اللى انا عايزها للمعركة زى ما حصل فى فيتنام بالضبط .. بحيث انتم عارفين نيكسون وعاملين حسابه .. وانتم طالبين ان احنا من هنا لغاية نوفمبر ٧ نوفمبر وانتخابات نيكسون مانعملش حاجة .. انا معاكم .. قلت لهم انا موافق .. لان احنا من مصلحتنا ايضا ان نيكسون يعادانتخابه بدل مايبيجي واحد ديمقراطي جديد .. ونيكسون هايبقى له اربع سنين بس . ومافيش تجديد ثانى فيمكن يعمل حاجة ماعملش هايكون أقل سوء من اى رئيس تانى .. انا معاكم .. مقرر اننا مانتحركش مانعملش حاجة ابدا قبل الانتخابات .. وقلت لهم عمليا من مصلحتى هذا . ليه ؟ .. لان انا لسه لازم احصل على العمليات اللى انا عايزها .. الدعم كله انا طالبه لازم يوصل لى .. وتعالوا نعمل زى فيتنام .. ناخد الخمس تشهر من بعد اجتماع موسكو لغاية ٣١ أكتوبر لسه خمس اشهر كل كام يوم مركب بتجينى كل الحاجات المطلوبة للمعركة بتشون وبنستنى الانتخابات الامريكية بينتهى الكلام كله فى ٣١ اكتوبر .. الانتخابات الامريكية فى ٧ نوفمبر بنيجى بعد ٧ نوفمبر . اسرائيل وامريكا هايعرفوا ايه اللى وصلنا لانه ماعدش حاجة بتتدارى .. اللى عندنا واللى عند اسرائيل . كل واحد عارف ايه اللى عند الثانى . سيعرفوا ان احنا داخلين الجولة الثانية ، اللى انتم بتقولوا عليها بعد الانتخابات من ارض صلبة فى الحل السياسى .. فيه سؤال هل ممكن يكون فيه حل سياسى من غير اليهود والامريكان مايحسوا ان احنا واقفين على ارض صلبة ؟ قالوا لأ مش ممكن .

خلاص يبقى اتفقنا ٠٠ يبقى اذن من هنا لحد ٣١ اكتوبر نخلى الارض صلبة بأنه يجيلنا امدادكم ٠٠ خلاص ٠٠ خلاص ٠ ده الكلام اللى اتفقنا عليه فى ابريل ٠٠ واجتماع ابريل ٧٢ ٠٠ فى مايو قبل الاجتماع بأيام بسيطة جاه جريتشكو هنا وجابوا الطيارة اللى كانت عندنا M 500 والكلام ده كله وجايب معاه بيان من اللجنة المركزية من موسكو بشأن زيارته عشان اذاعته ٠٠ طبعا واضح ان البيان مكتوب مخصوص علشان عملية سياسية لانجاح زيارتهم هناك .. مع نيكسون يعنى ٠٠ ويكونوا فى موقف قوة ٠٠ قلت لامانع من نشر نص البيان ومتعدلوش ولا كلمة ٠٠ يطلع البيان ٠٠ وجريتشكو كمان بياخد نياشين هو والناس اللى معاه ٠٠ مش مشكلة ٠ سياسيا اصدقاؤنا وعايزين يقفوا وعايزين يتكلموا من مركز قوة انا من مصلحتى يتكلموا من مركز قوة فى عشرين مايو ٠٠ بس لما خلصت مع جريتشكو ٠٠ وكان عندى فى البيت هنا وقلت له يعنى يمكن انت حضرت معايا الكلام مع بريجنيف على التجهيز فى الخمس اشهر التالية ٠٠ خد بقى منى ٠٠٠ مش التجهيز مجرد كلام بقى ٠٠ لأ ٠٠ ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ ٠٠ ابتداء بالميج ٢٣ او الـ M 500 اللى كانت هنا دى اللى هى الطيارة القاذفة الجديدة ٠٠ فيه عقد بالموتورات ايضا وعرضت عليهم مبلغ بالعملة الصعبة كمان علشان يبقوا بسرعة يجيبولى العدد والآلات ونلحق نخلص الموتورات عندنا بتاعة الطيارات كلها ٠٠ بقيت الحاجات للحرب الالكترونية اللى ناقصانا ٠٠ بقيت الحاجات اللى ناقصه فى فروع كثيرة من القوات المسلحة ٠٠ حاجات من هذا القبيل ٠٠ حاجات عشان البحرية عشان معدات وغيرها .. **وانتهت بالبند نمرة ٦ ((القيادة والسيطرة)) ٠٠ وقلت فى هذا البند..أنا لا أسمح مستقبلا ولا فى المعركة أن يكون فيه وحدات سوفيتية هنا ليست تحت القيادة المصرية ..كده صريح** .. هذه رسالتى مع جريتشكو فى أوائل مايو ٧٢ .. قال لى حاضر هابلغ كل هذا لبريجنيف، وكان سعيدا جدا أن زيارته نجحت وأدت الغرض اللى مطلوب منه من موسكو والبيان **بتاعه أذيع** وخد نياشين وعملنا له ده كله وكان سعيد وراح .. جه عشرين مايو الزيارة ..زى ما حكيت لكم هنا واضح ان أنا ابتداء من انتهاء زيارتهم فى ٢٥ مايو ٠٠ كل يوم بحسبه لأنه خمس اشهر عصيبة ٠٠ يدوبك زى انا ما بعت لهم على الطيارة الجديدة يدوبك الخمس اشهر يكونوا على قد الطيارين مايتدربوا ٠٠ بقيت الحاجة الالكترونية ٠٠ مثلا ٠٠ عمرة الموتورات و ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ كل الحاجات التفصيلية اللى انا بعتها

فى البنود المحددة يدوبك الخمس اشهر لـ ٣١ اكتوبر بالعافية هاتكفى وهانزنق العملية قوى . فأنا بعد ما انتهى اجتماعهم فى ٢٥ مايو .. الحقيقة قعدت مستنى يجينى التحليل بتاعهم زى ما احنا متفقين .. واللى بناء عليه سوف اتلقى التواريخ . ابتداء من كذا هاتجيلك الحاجات اللى انت طلبتها بالشكل الفلانى لغاية ٣١ اكتوبر آخر مركب تقوم منعندى .. وحتى ضربت لهم على سبيل المثال قلت مثلا من ناحية موضوع زى الذخيرة ما نصــــفى المشكلة ونخلص وتبعتوا خمس ست مراكب عشر مراكب مرة واحدة يفضوا المشكلة .. بس مرة واحدة .. وتنتهى مشكلة الذخيرة نهائيا .. قعدت بعد ٢٥ مايو مستنى يجى لى التحليل .. زى ما حكيت لكم وانا بتكلم مع بريجنيف فى ابريل ولتكلم مع جريتشكو وبعت رسالة لبريجنيف فى مايو محددة بنقاط محددة .. وقاعد مستنى عشان يحددوا لى التواريخ .. ونحط احنا برامجنا هنا على اننا نكمل نفسنا بحيث ٣١ اكتوبر نبقى جاهزين .. فات ٢٥ مايو وفات مايو كله .. دخلنا فى يونية .. يوم ٦ يونية جالى التحليل رسالة منه .. طيب .. ٦ يونيو .. بعد التحليلات بتاعة الرجعية والاستعمار والكلام ده كله و .. و .. فى الآخر ظل موقف امريكا كما هو تماما .. طيب ما هو ده اللى انا قلته فى ابريل قبل الاجتماع مش هايحصل حاجة .. مش هايحصل تغيير فى الموقف الامريكى .. ولو انهم ضغطوا وقالوا احنا ضغطنا وقرار ٢٤٢ ومهمة يارنج .. ده كله كلام شكلى .. لان ماحنا عارفين مين اللى واقف فى القرار ٢٤٢ والا فى مهمة يارنج والا فى اجتماعات الاربعة الكبار .. مين اللى واقف ؟ ماهى أمريكا .. مش مشكلة .. المهم لما أرانى السفير الرسالة قعد ويايا فى الجلسة دى يوم ٦ يونيو أربع ساعات الا ربع وكان حافظ اسماعيل موجود .. قال لى يعنى هل فيه رد على الرسالة .. قلت له الصبر .. لان انتم تأخرتم على .. دحنا النهارده دخلنا يونية مع ان يونية ده شهر من الشهور اللى كان من اوله لازم نبدأ عملية التشوين وكان لازم يجينى الكلام ده فى اواخر مايو مباشرة بعد الاجتماع . انما دلوقتى نبحث .. قلت له طبعا فيه رد منى .. التحليل بتاعكم ده انا موافق عليه فى كذا وكذا . يفضل بقه اطلع من نتيجة تحليلكم ووجهات نظرنا احنا الاثنين وكلامنا فى ابريل اللى قلناه بالآتى وحكيت القصة اللى قلتها لكم دلوقتى عن ان القضية لن تتحرك سياسيا . مالم نكون جاهزين عسكريا . وان ده اتفاقنا احنا الاثنين انه بناخد درس من حرب فيتنام .. والقادة السوفيت وبرجنيف على رأسهم كان متحمس

أكثر مني انه لابد نعمل عملية استراتيجية . نعملها بأن نشوف كل حاجه محتاجينها .. بعد الانتخابات الامريكية بندخل من ارض صلبة . كررت اللي انا حكيت لكم هنا ده كله لانه لازم التكرار . وبعدين رسالة محددة من سبع نقط اللي اديتها لجريتشكو .. تاني قلت له بأكد رسالتي لجريتشكو .. وبابعتها لك محددة .. ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ وهذه مسائل لازم ننتهي فيها قبل ٣١ أكتوبر فردوا علي، وقولوا لي المواعيد ايه ؟ وهاتنفذ ازاي؟ راحت الرسالة في ٦ يونيو . انا متصور انهم مثلا اربع خمس ايام ونتيجة انهم اتأخروا علي في التحليل ودخلنا في يونيو هايلحقوا بسرعة يردو .. لأن الكلام ده زي ما حكيت لكم كده متفق عليه مع برجنيف من ابريل متفقين انه فعلا لازم نخش من أرض صلبة . وأرض صلبة يعني معناها كل حاجة بقدر الامكان يعني مش ١٠٠ ٪ لكن على الاقل الحاجات الاساسية لازم تكون عندنا قبل ٣١ اكتوبر بحيث تتم الانتخابات الامريكية .. جولة ثانية حل سلمي .. ونخش كلنا . لكن نخش من أرض صلبة . فات ١٠ يونيو . فات ٢٠ يونيو جاء ٢٥ يونيو مش تمام .. في الوقت ده كنت في مرسى مطروح وكان مجلس رياسة اتحاد الجمهوريات منعقد هناك .. أما جه ٢٥ يونيو الحقيقة .. معناها ان يونيو فات خلاص راح .. ولسه ماجاش رد والمفروض انه كان يجيني رد يقولوا لي .. ده انا مستني تواريخ المركب والـ (Items) (البنود) . وايه الحكاية ؟ .. مفيش رد خالص . وانا في مرسى مطروح قلت لعزيز صدقي اول ماينزل مصر .. هات السفير السوفيتي وقول له ليه الرد السوفيتي ماجاش وعملين ايه .. فنزل عزيز وجاب السفير السوفيتي فعلا .. وقال السفير ماجانيش رد من من القادة السوفيت لسه .. وانا بعت استعجل ..و.. و..و..بعدها بأربع خمس أيام..أنامستعجل بعدها لما رجعت أنا هنا القاهرة .. ندهت مراد غالب وزير الخارجية : قلت له اطلب السفير السوفيتي وعنفه .. جاب مراد غالب السفير واتكلم وياه .. حاضر .. حاضر .. انا باعت استعجال لموسكو .. و .. و .. دخلنا على يوليو .. فات الخمس ايام الاولى من يوليو وضح تماما ان العملية مش ماشية .. أنا الحقيقة حاطط في ذهني زي ما قلت لكم من نهاية ٧١ انه موقف الفصل بيني وبينهم هو اجتماع موسكو مع نيكسون .. انا عارف انهم بيجهزوا له وبيهدئوا الدنيا كلها .. ومتصورين ان احنا مجانين ماعاقلين مانا عارف . بيفكروا ازاي او هم خايفين . اي سبب .. على اي حال هم

بيهدئوا الموقف ·· قلت فليكن · آنا كصديق باديهم لغاية اجتماع
مايو ولهم على هذا الحق ·· لكن بعد ذلك لازم يكون موقف ··
أما جه ٥ يوليو ·· المسألة ماكانش جديدة بالنسبة لى ·· المسألة زى
ما قلت لكم من نهاية ٧١ وهى بتتفاعل جوه ·· العملية كانت فى
رأسى الحقيقة ·· جاهزة زى ما قلت لكم مش اواخر ٧١ لكن شكل
القرارات ماكنتش انتهيت اليه لسه ·· يمكن الجمسى ادانى مفتاح
فى مايو ·· لما كان عندى فى القناطر وماكانش فيه المجلس ·· كان
جزء منكم وذكرت فى الاجتماع ده موضوع «القيادة والسيطرة».
كان فى مايو عندى فى القناطر ·· كان شكل القرارات لسه ·· فى
العقل الباطن عندى · فى ٥ يوليو كنت جاهز بالقرارات بشكلها
الكامل ومعرفش ·· فات ٥ يوليو هايجولى امتى ·· الحقيقة انا
جهزت بقه و قلت خلاص ده موقف وبانتهى منه وخصوصا زى ماحكيت
لكم «القيادة والسيطرة» .. فى رسالتى لبريجنيف مع جريشكو
فى مايو وفى رسالتى ايضا فى ٦ يوليو وفى بند محدد ·· واشرت
لها فى رسالة ٣١ اغسطس الاخيرة اللى بعتها لبريجنيف قلت له احب
انك تراجع رسالة ٦ يونيو تلاقى فيها « القيادة والسيطرة » مش
جديدة · الكلام ده مش جديد ·· دنا قايل لهم عليه من رسالة ٦
يونيو .. ده مبدأ أساسى لانى لن أسمح بوجود قوات سوفيتية هنا
·· ولاتكون تحت القيادة المصرية ·· لايمكن فى ٥ يولية انا كنت
جاهز بالقرارات وعارف الرد اللى هيجينى بعد المطوحة دى كلها ··
الرد اللى هايجينى ايه ·· اصبح عادى عندى جدا لان زى ما حكيت
لكم انا باستنتج خطواتهم زى ما حصل واستنتجت خطواتهم
بالنسبة لبطاريات الصواريخ بتاعة الصعيد ·· وغيره فى اول ما دخلنا
فى يونية قلت خلاص يونيو معناها يولية واغسطس وسبتمبر
شهور القرم عند القادة السوفيت · ودول دائما بياخدوهم احتياطى
كل سنة ·· القادة السوفيت فى القرم ويرحلك لاكتوبر ·· تقوم
تيجى لأكتوبر تتكلم معاهم يبقى فاضل على السنة شهرين تعدى
السنه ·· خلاص ·· عايز يدخلنى فى ٧٣ ·· نفس الصورة
والوضع اللى احنا فيه ·· وبغض النظر بقه عن الكلام اللى احنا
اتكلمناه ·· فقلت يعنى هو ده الرد اللى هايجينى ·· وقدامه انا
بكون جاهز بقراراتى كذا وكذا ·· وما قلتش لحد ·· ما تكلمت
مع حد الحقيقة ·· يوم ٦ يوليو كان يوم خميس قالوا السفير السوفيتى
جاب رسالة وطالب ميعاد أقابله ·· مرضتش أقابله فى هذا اليوم
الحقيقة ·· قلت أجلوه للسبت ·· (٨) ·· الحقيقه كنت مشدود جدا

وعصبى جدا جدا . . ومنفعل جدا . أنا رسيت على القرارات ولكن اللى تاعبنى كان هذا الاهمال ·· وعدم الاهتمام يصل الى هذا الحد ·· أخذت الخميس والجمعة راحة ·· علشان أكون احسن شويه ماكنتش عصبى ·· يعنى انا كنت فى شدة الانفعال من الاهمال وعدم الاكتراث اللى واضح تماما يعنى · يوم الجمعة · الكلام ده الخميس · (٧) يوليو ندهت لصادق عندى ·· قولت له يا صادق بكره انا هاشوف السفير السوفيتى وقراراتى هى كذا ·· مش عايز حد من القوات المسلحة يحس بهذه القرارات الا اثنين قائد الطيران وقائد الدفاع الجوى · ليه لأن دول اللى عندهم مشكلة ·· قائد الطيران ·· الطيارين الـ ٦٤ طيار اللى موجودين عندنا فى بنى سويف وفى جاناكليس وفى غيرها اللى كانوا بيساعدوا فى الدفاع الجوى ·· ولكن مايحصلش فراغ ·· وبتاع الصواريخ علشان استلام المواقع ·· بحيث ايضا ما يحصلش فراغ او فجوة يدخل منها لينا ·· الاثنين دول اللى فى القوات المسلحة اللى يعرفوا ولأن بكره ٨ يوليو هاقول للسفير وأبلغه . لن اعلنها الا بعد أن ينفذ فى ١٧ يوليو .. وعليه مش عايز القوات المسلحة تعرف بيها ·· وقلت له حتى تقول لقائد الطيران والصواريخ انه مش عايز كلام اطلاقا فى هذا الموضوع الى ان اعلنه فى ١٧ بعد الانتهاء ·· يوم السبت ٨ يوليو شفت السفير السوفيتى ·· سمعت الرسالة زى ما قلت لكم ماكنتش جديدة على حتى لدرجة لما الرسالة خلصت انا كنت قاعد بأسمعها ·· أما الرسالة خلصت اندهشت حتى ماجبوش سيرة رسالة ٦ يونيو اللى انا

باعتها ورسالة جريتشكو اللى فيها ٧ نقط محددة ·· الاتفاق اللى احنا عملناه على الاستراتيجية ·· ماكنش فيه حاجة ابدا ·· كلام عام وعارف انا طريقتهم وان الهدف ان احنا نخش فى عملية الصيف لغاية ما يخلص سبتمبر ونخش على أكتوبر ونوفمبر وديسمبر خلصت الرسالة ·· وأنا ذهلت وسألت السفير · الرسالة خلصت ·· قال لى آه ·· هى كده قال لى آه ·· قلت له مرفوضة شكلا وموضوعا بالكامل .. وأسلوبكم مرفوض وانتم .. وماخليتلوش وفى النهاية قلت له قراراتى هى كذا ·· المستشارين والخبراء ·· من يوم ١٧ انتهت مهمتهم ·· وكنا فى ٨ كنت مديهم لغاية الاثنين ·· الوحدات السوفيتية اللى هنا تحت القيادة المصرية من يوم ١٧ أو تتفضل تروح .. املاك الحكومة السوفيتية اللى هنا .. ياتبيعوا لنا اللى عايزين تبيعوه .. اللى مش عايزين تبيعوه اتفضلوا اسحبوه .. انما كله ينتهى يوم ١٧ الصبح . النقطة الثالثة قلت له بناء على معاهدة التحالف .

معاهده الصداقة اللى بيننا يحصل جولة مفاوضات جاية بقه لأنه عايزين نشرف المرحلة اللى جاية فيه ايه ٠٠ فالراجل افتكر ان القـــرارات بتاعه المستشارين والخبراء تخضع للمفاوضات . قلت له لأ . دى قرارات للتنفيذ صباح ١٧ كله ينتهى يوم ١٧ الصبح٠ ووزير الحربية ها أخطره بيها للتنفيذ ٠ بكره ان شاء الله ٠٠ أما جولة المباحثات اللى جاية بناء على المعاهدة واللى أنا طلبتها ، البند نمرة ٣ بتاع قراراتى فهى للمستقبل فى المرحلة اللى جاية هانعمل ايه فى المرحلة اللى جاية ٠٠ لكن دى قرارات انتهى أمرها يوم ١٧ ووقعوا فى ذهــول وحيص بيص ٠٠ وحاجات ٠ قلت لعزيز يا عزيز مفيش مانع روح لهـــم ٠٠ وقول لهم بدل ماندى فرصة لتأويلات نطلع بيان سوا قبل ما أعلن أنا يوم ١٨ فى اللجنة المركزية ٠٠ نطلع بيان سوا ونقول كلمة فيـه ان بمناسبة انتهاء مهمة المستشارين والخبراء فحـــكومة جمهورية مصر تشكر الاتحاد السوفيتى ٠٠ شىء من هذا القبيل ٠٠ يفهم منه العالم أن العملية متفق عليها ونغطى موقفهم وأنا لغاية اللحظة دى برضـــه عايز أغطى موقفهم٠٠ اللى احنا عايزين نعمله عملناه ٠٠ انتهت خلاص ٠٠ يعنى ماحناش عاجزين ٠٠ بنعمل اللى احنا عايزين نعمـــله ٠٠ مافيش داعى للقطع٠٠راح لهم عزيز ماقدروش يفهوا: بطريقة تفكيرهم رفضوا قالوا لأ دى قرارات مانقدرش نطلعها احنا الاثنين دى تصدر من جانب واحد ٠٠ خلاص ٠٠ عزيز قال لهم والله دى نهاية الكلام اللى عندى السلام عليكم . ورجع لى ٠٠ وقال لى مارضيوش . خلاص . قلت له خلاص انتهى٠٠ صادق بلغته قلت له يوم الاحد ٠٠ هى كانت القرارات تنفذ يوم الاثنين قلت له يوم الاحد ياصادق تعلن كبير الخبراء وفى الوقت نفســـه تكون جامع القـــادة علشـــان ياخـــدوا للتنفيذ صباح الاثنين وهايكلم القادة المصريين .. الى هذا التاريخ السوفيتى أن وزير الحربيـــة هايكلم كبير الخبراء يوم الحد بالليـــل ، للتنفيذ صباح الاثنين وهايكلم القادة المصريين ٠٠ الى هذا التـــاريخ يظهر كانوا فاهمين انها تهويش ٠٠ ويظهر السفير السوفيتى هنا بعت لهم قال لهم دى عملية يظهر للضغط .. والقـرارات مش حتتنفذ ويعنى طمنهم شوية فى موســـكو ٠٠ ولما راح لهم الخبر من عزيز أن صادق هيتكلم مع الخبراء يوم الحد بالليل وبعدها هايكلم القادة ٠٠ جم هم يوم الحد الظهر وعملوا منهم وبعتوا ٠٠ بعتوا لكم أظن فى الوحدات ٠٠ المستشارين كلهم بلغوا القادة أن مهمتهم انتهت يوم الحد الظهـــر قبل صادق ما يشوف السفير ٠٠ حتى صادق حب يغطيها يعنى ٠٠ لأن يوم ما أنت سافرت المحلة يا محمد ٠٠

الفريق صادق : ــ أيوه ..

الرئيس :

حب يغطيها .. ولكنه لقى أن المستشارين راحوا بلغوا القادة .. فضـــلوا في ذهول تام بعد ذلك .. الحقيقة أنا يعني بصدور هــــذه القرارات أكملت حسبتي .. زى ما قلت في اللجنة المركزية لاول مرة الحقيقة في الخمس سنين بعد عدوان ٦٧ حسبت أني با اتنفس بسهولة .. حقيقى يعنى .. ليه .. الصورة عندى في يونيو ويوليو قبل ما يجيني ردهم كانت الآتي .. **احنا واقفـين في رمال ناعمـــة من اللى بتشفط .. وايدينا متكتفة .. والمعســـكرين الاثنين الكبار الروس والامريكان الاثنين الروس بيقولوا دول خلاص فيجيبنا الامريكان بيقولوا لأ دول في جيب الروس خـــلاص وانتهت .. والروس ولى أمرهم ..**

بالنسبة لنا احنا واقفين متكتفين والرمال الناعمة تشفط فينا واحنا مش عارفين نتحرك .. طيب صورتنا ايه بعد انتخابات أمريكا اللي جايه .. بالوضع اللي احنا فيه .. الروس هيفضلوا برضه يؤجلوني كمان على طريقتهم لغاية أكتوبر وتيجى لاكتوبر يقـــولوا طيب بس يعني الانتخابات الامريكية يتفقوا على صفقة زى بتاعة ٧١ اللى حصـــلت في أكتوبر، ويقولوا هاتوصلك بعد ١٥ يوم ولاعشرين يوم ولا شهر .. ولا نوصل ولا حاجة ويستنوا الانتخابات الامريكية وتعدى الســـنة برضه. نفس الحكاية. مؤكد هانقف الموقف ده غرقانين فيه . وفى نفس الوقت اللى **احنا موقفنا كده اسرائيل تتلقى بالكامل امــدادا من أمريكا بتعربد في المنطقة .. والتعبير أنا استعمله من قبل اسرائيل ما تعربد بسمنة** .. وقلته للروس قلت لهم اسرائيل هاتعربد وده فيه اهانة لنا ، ليه .. ليه تسمحوا بهذا .. ليه تحطوني في هذا الوضع المريع ؟ .. حتى في مارس ٧١ قلت لهم أنا أفهم أن الامريكان عايزين يعمـــلوا لنا اذلال .. طيب انتم ليه ؟ .. ليه عايزين تذلونا زى الامريكان ؟ . قالوا .. ازاى احنا أبدا ؟ .. **قلت لهم لأ الواقع يقول هذا .. العدو يقدر يدخل عمقى في أى حتة وأنا مابطولوش طيب ما أنا حتى الردع .. أنا ما بقلش أمحو اسرائيل .. أشـــيلها وأوديها البحر أنا عارف أنكم انتم معترفين بيها والامريكان معترفين بيها .. لكن انه حاطينا في موقف الدفاع . انضرب . أتلقى الضربات وما أقدرش أرد عليها .. ليه ؟ .. فقلت لهم أنا الكلام ده أنا مستنيه من زمان ..**

وقايل لكم من سنة ان اسرائيل هاتعربد وتقول مفيش فيالمنطقة غيرى ولا حد هايرفع رأسه ٠٠ وده لا نقبله ولا يقبله أحد أبدا ٠٠

وهكذا كانت الصورة فى يوليو كده زى ما حكيت صورة كئيبة ٠٠ المعسكرين ٠٠ الامريكان خلاص ٠٠ داخلين على مراحل الانتخـــابات بتاعتهم ٠٠ وراحوا اتفقوا فى موســـكو مع الروس ٠٠ الروس على طريقتهم تحدير وتهدئة و ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ لغاية ما يعدى الصيف كله ونخش على أواخر ٧٢ ونعدى على ٧٣ ٠ بنفس الاســلوب اللى اتبعوه معايا فى ٧١٠٠فىنفس الوقت أمريكا طلعت مناجتماع موسكو بتقول للعالم وبعتوا لى أنا شخصيا أنه ريح نفسك ٠ الحل عندنا احنا ٠٠ ده بعد اجتماع موسكو ٠ الدعاية الامريكى عمالة تزن٠٠وبعدين الصفقة والكلاماللى احنا اتكلمناه عنالاستراتيجية السلمية توصلنا فى٢١ أكتوبر لموقف أو أرض صـــلبة ننطلق منها ؟ ٠٠ مفيش ٠٠ مردوش علينا خالص ٠ ومش جاى بحسابى أنا بقى وزى ما ظهر لكم وزى ما شفتم مش جايه خالص ٠٠ ده أنا مؤجل الى بعد الانتخابات والى انتهاء ٧٢ ٠٠ وده الكلام عن ٧٣ كله ٠٠ ده كمان غير انه وضح أن سياسة الحرب الباردة اللى موجودة بين الكتلتين اللى هم أمريكا وروسيا دخلوا فى سياسة وفاق.. مش منافسة حتى ..ليه.ه زى ماجانى من موسكو أخيرا من قلب اللجنة المركزية بتاعة الحزب الشيوعى ثبت أن الزراعة السوفيتية بعد ٥٥ سنة فاشلة مفيش حبوب من الاتحـــاد السوفيتى..السنة دىواخدين حبوبهم كلهامن أمريكا ..ميادين كثيرة فى التكنولوجيا اتفقوا عليها حيخدوها من الامريكان ٠٠ صحيح هم سابقين الامريكان فى بعض الميادين ٠٠ وطلعوا القمر زىالامريكان وودوا لونوخود فوق القمر ٠ وغيره ٠٠ ميادين سابقين لكن فيهميادين كثيرة اتفقوا أنهم يتعاونوا هم والامريكان سوا لأنه زى ما قال مــدير معهد فى لينينجراد لواحـــد كان بيزورهم أنا أعرفه ٠٠ قالوا احنــــا سابقينفى ميادين لكن فيه ميادين ما فتحناشفيها خالص واتفقنا معاهم الدور ده أن احنا هناخد الحاجة دى منهم وسياسة الوفاق دى لمدة ٢٠ أو ٢٥ سنة مقبلة ٠٠ انتهت الحرب الباردة نهائيا بين الكتلتين ٠٠ ودخلوا فى سياسة وفاق طيب والله لو دخلوا فى سياســة وفاق الصغيرين اللى زينا احنا تحت الرجلين هانندهس ٠٠

كل دى كانت الصورة أمامى فى يونية ويوليو وده الســـبب انى اتخذت القرارات عشان ناخد حرية حركة كاملة .. بالنسبةليهم ..وقد كان مباشرة بعد قراراتى همولو انهم فىحالةذهول الا أنهم

بيحاولوا بكل الطرق كي يتصلوا بي وقلت أنا واخد أغسطس (قرم)
عملت (قرم) زيهم مرة . قلت أنا في القرم ما بردش على حد وفعلا
مردتش الا فى ٣١ .. الامريكان ماضيعوش الوقت اتصلوا بي فورا
.. الانجليز اتصلوا فورا .. الفرنسيون اتصلوا فورا .. الطليان
اتصلوا فورا .. حركنا القضية .. طلعنا من الرمال اللى بتشفطنا
ووقفنا على أرض سليمة والناس كلها بتتكلم معانا .. وبيتكلموا معانا
بالمفهوم السليم ان احنا أولياء أمر أنفسنا محدش ولى أمرنا ..
واتحركت القضية .. يعنى لغاية هذه اللحظة القضية بتتحرك ..
سواء بالنسبة لهم هم فى زيارة عزيز صدقى الاخيرة .. سواء بالنسبة
للامريكان دطالبين يتكلموا .. وآخر كلام للامريكان بيعرضوا المبادرة
بتاعتى بس بوجه آخر عايزين يعملوها حل جزئى .. لكن اذا كان ده
اللى بيبتدوا بيه كويس .. كابتداء أنا مستعد اتكلم معاهم ولكن
بالشروط اللى أنتم عارفينها وبالاوضاع بتاعتنا .. مش مستعد اتنازل
عن حاجة .. الانجليز حسنوا موقفهم وحاولوا وعاملين بيشوفوا
الاسلوب اللى بيستطيعوا بيه يعاونونا ازاى . ولسه الاسبوع الماضى
كان عندى ناس من عندهم وفى الصيف . وفى أغسطس بالذات بعت
لى هيث رساله وبعث مع الرساله وكيل وزارة الانتاج الحربى بتاعه
علشان يناقش معايا المواضيع كلها . الدنيا اتحركت . القضية مشيت
.. جه برجنيف فى ٣١ يوليو بعث لى رسالة تجاهلتها تمام التجاهل
لانه يعنى اذا كنت عايز أقطع معاهم كان ممكن احطها محل نقاش وأقطع
لانها تساوى أنى أقطعها . انها اعتبرت أنهم لسه بيفكروا بعقلية ما
قبل ٨ يوليو وعلى ذلك قلت لأ .. أنا باتجاهل دى ما بردش عليها
خالص .. وجيت فى ٣١ أغسطس بعت بعدها بشهر كامل زى ما هو
عمل شهر بالضبط جيت فى ٣١ أغسطس وبعت له رد .. بعت له
جواب شخصى منى لبرجنيف شخصيا .. ومن عشر نقط حطيت له
فيه الموقف كاملا وراعيت فيه ان ده يبقى وثيقة للمستقبل .. بنحط
كل شىء بوضوح ومن غير لا عصبية ولا حاجة أبدا .. يعنى .. يعنى
قد كده يظهر كان الخطاب عنيف عليهم .. أنه ما قدروش يردوا عليه
أبدا . واشتكوا لحافظ الاسد .. واشتكوا لكل الناس اللى راحوا لهم
ان ده ما يتردش عليه الجواب فى الحقيقة .. بعد ذلك زى ما قلت لكم
يعنى أنا لغاية ما بلغتهم بالقرارات فى ٨ يوليو .. وبعت لهم عزيز
صدقى عشان نغطى العملية وانا عايز أغطيهم برضه .. ووقفة مع
صديق .. فعلا وقفة مش أكثر . الا اذا هم حبوا يقطعوا .. أما جات
لى الرسالة اللى قلت لكم عليها فى ٣١ يوليو اهملتها على أساس انه أنا

مش عايز أقطع ٠٠ لأن دى رسالة ممكن يعنى اذا كنت عايز أقطع اتخذ منها سبيل . مجرد أن أعلنها بس وأقول جات لى الرسالة دى كافية أن تقطع وننتهى . . المهم تجاهلتها وبعت رسالتى فى ٣١ أغسطس رسالة شخصية منى لبرجنيف ٠٠ وقلت له انت راجل بمشاعرك كويسه وعلشان كده أنا ببعت لك انت شخصيا هذه الرسالة علشان تعمل على وقف هذا الكلام كله . . وآدى عشر نقط وضحت له فيها بمنتهى الهدوء والشرح والبساطة ٠٠ وضحت له الموقف كاملا ٠٠ مش ممكن نتراجع عن الرسالة ٠٠ فلجأوا لحافظ الاسد ٠٠ علشان يخش فى النص . جانى حافظ الاسد . وطلب انه ييجى . . يوم قالوا لى اشارة جاية من موسكو ان الاسد ها يوصل والاشارة جاية من موسكو ٠٠ حتى لما حافظ اسماعيل بلغنى فى بيتى ٠ أنا ما كنتش أعرف أنه فى موسكو . ولا قلتش حافظ الاسد . . أنا افتكرت ان الرسالة جايه عن طريق موسكو لانى فى مرة حاولت اتكلم بالتليفون مع سوريا ما أمكنش الا عن طريق موسكو . فكانت الخطوط مش تمام وعن طريق موسكو اتكلمت . . أنا افتكرت ان الاشارة جايه عن طريق موسكو وحافظ جاى من سوريا . . فحافظ اسماعيل قال لى لأ . . ده الرئيس حافظ بعت الاشارة وهو فى موسكو فى زيارة خاصة غير معلنة . . وجاى هنا على طول بكره الصبح . . قلت له مفيش مانع يعنى . . وجه الراجل وحكى لى القصة . وأنا رسالة ٣١ أغسطس اللى قلت لكم عليها اللى بعتها لبريجنيف تانى يوم أو ثالث يوم كنت باعت صورتها لحافظ الاسد . . فحافظ على علم بالعملية كلها وماشى يتابع الموقف . . وحافظ له ظرف بيدولوا معونات ومساعدات ورحلتـه الاخيرة خد فيها ٧٠٠ مليون دولار وكذا . . يعنى له ظروف . . وانا حتى لما كلمنى هنا لإنه جانى بعد عملية أكتوبر يوم ٩ بعد أنا ما اديت قراراتى لهم يوم ٨ فجانى وقال لى طيب موقفى هيكون ايه ؟ ٠٠ قلت له ولا حاجة انت بتاخد منهم ٧٠٠ مليون دولار وواقفين وياك وماله ٠ ما فيهاش حاجة يعنى ٠٠ استمر فى علاقتك معاهم ولكن ٠٠ قلت له خد بالك من لعبة سوريا العراق كبديل لمصر يعنى ٠٠ مش هاتنفع قلت له حتى يعنى اذا تمت مش هاتنفع بديل لمصر ٠٠ فقال لنا ٠٠ بالنسبة لى مش ممكن هايحصل محور ومش ممكن هاعمل معاهدة اطلاقا ٠٠ قال انا رفضت هذا الكلام ٠٠ احنا هاجمنا معاهدة العراق وجم يطلبوا منى معاهدة بعد ذلك أنا رفضت بالكامل وده موقفى الاساسى مبدئى لنا ٠٠ وما لم يتفاهموا هنا مع مصر أنا مش مستعد يعنى أخش معاهم فى أى حاجة ٠٠ وسافر على هذا الاساس وكان بيتابع الموقف ٠٠ يظهر أنهم لقوا أن

الحل الوحيد يتوسطوا حافظ الاسد اتفقوا معاه على الزيارة٠٠ وهو قال لى ان المبادرة جات منه هو شخصيا ٠٠ وان هوه اللى طلب يسافر موسكو ٠٠ المهم راح واتفقوا وجالى وحددوا ١٦ للعرض على أنا ٠ وجالى واتكلم معايا قلت ما عنديش مانع٠٠ لانه أصله يوم أنا ما عملت قرارات ٨ يوليو ٠٠ بناء على المعاهدة اللى موجودة بينتا بيحصل تفاهم ومفاوضات على المرحلة اللى جاية.. أنا معنديش مانع أبدا. قلت له بس أوعه يكون عندهم شبهة..سألت حافظ الاسد. قلت له أوعى يكون عندهم شبه بالنسبة للقرارات أو بالنسبة للمتشارين والخبراء قال لى لأ ٠٠ لأ٠٠ اطلاقا٠٠ ده انته حتى لو طلبت خبراء ومستشارين حايقولوا لك لأ .. كفاية اللى فات انماهو الكلام بالنسبة للمرحلة اللى جاية .. قلت له لا معنديش مانع اطلاقا يعنى . ده موجود فى البند نمرة ٣ وأنا معنديش مانع أبدا واتفقت مع عزيز على الكلام ده كله ٠٠ واتفقت مع عزيز صدقى وقلت لعزيز تروح الدور ده ما نيش عايز كلام لا فى سلاح ولا غيره احنا بتكلم فى مبادىء ..هل انتم مستعدين تقفوا معانا وتعادلوا اللى بتاخده اسرائيل..بالنسبة لنا والا لأ .. ده نمرة واحد .. نمرة اثنين هل أنتم على التحليل اللى عملناه فى أبريل اللى فات لازلتم معانا فى أنه ما لم نكون على أرض صلبة يعنى تكون جاهزين عسكريا .. مش هايحصل أى تطور سياسي والا لأ .. فراح عزيز .. واتكلم وياهم دخلوا فى مناقشات عنيفة.. فالسؤال الملح اللى كانوا بيسألوه.. ليه الشكل (form) اللى تمت بيه العملية .. العملية فى ذاتها أمر يخصنا .. سيادتكم وانتم أحرار تتخذوا القرارات اللى انتم عايزنها .. لكن الشكل (form) الاخراج اللى أخرجت بيه ليه .. فرد عليهم عزيز قال لهم .. طيب ويعنى والشكل اللى انتم عملتوه لما يبعث لكم وتؤجلوه وتسيبوه شهر وهو قاعد يحسب باليوم وبعدين حتى الرد بعد شهر ما يذكرش فيه شيء عن الرسالة اللى بعتها لكم..والنقط اللى طلبها وانتم بتكلموه فى الموقف .. هل ده (form) كمان يعنى.. فمردوش فى هذه النقط يعنى .. هو ده اللى مزعلهم كله (form) هم حريصين أشد الحرص .. زى ما قال لى حافظ الاسد .. أن يحافظوا على علاقتهم بمصر لانه .. ثبت لهم انه ضياع مصر مش مصر بس .. ضياع مصر معناه ضياع المنطقة كلها ، ولا بديل لمصر .. لا سوريا ولا العراق حتى لو تمت المعاهدة ..و..و.. ولا أى شيء تانى ممكن يكون بديل .. وخصوصا وانه حصل حاجة عمرهم ما حسبوها أبدا.. لاول مرة فى التاريخ من أيام القياصرة تحصل روسيا على اعتراف من أمريكا فى اجتماع عشرين مايو بوجودها ومصالحها فى الشرق

الاوسط .. بدل ما كانت سياسة الاحتواء والحصار لحلف جنوب شرق آسيا والاطلنطي .. الرابطة اللى عملها دالاس زمان عشان يكتف الاتحاد السوفيتي لأ .. نيكسون وهو هناك رسميا .. الكلام ده رسمي مش تكهنات اعترف للاتحاد السوفيتي بوجود مصالح له فى منطقة الشرق الاوسط . واتفقوا أكثر .. انه كل منهم يحترم وجود الآخر .. طيب .. الحلم ماتمش الا فى اليومين دول وخذوا هذا .. أقوم أنا آجى أروح قايل لهم لأ لا وجود ولا مصالح لكم فى الشرق الاوسط . فدى تعباهم جدا . بس مش قادرين يتكلموها .. قادرين يقولوها .. من هنا حرصهم الشديد على الرد أو على ابقاء العلاقات مع مصر .. وقالوا لعزيز بصراحة ساستنا لم تتغير .. سياستنا هى المساندة الكاملة لمصر .. القرارات لم تغير من موقفنا بالنسبة لمصر .. احنا حريصين على مصر .. كل هذه التأكيدات قالوها وسجلوها على نفسهم .. وبالاسلوب الجديد اللى احنا عاوزينه .. وهو انه زى ما قلت لكم أنا كان دائما فى الاربع مرات اللى قلت لكم فيهم وزى ما أعلنت فى اللجنة المركزية وأعلنت فى كل مكان انه فى الاربع مرات اللى رحت فيهم كنت زى مابقول لكم فيه مبدأين .. أرجو ان احنا مانساهمش . **أنا مش عايز عسكرى سوفيتي نمرة ١ يحارب لى فى معركتى ولن يحاربها غير العسكرى المصرى بتاعي . الحاجة الثانية احنا لا نسعى لمواجهة بين الكتلتين لان اللى يسعى الى هذا مجنون بلا شك .. مش عايزين مواجهه بينهم وبين الامريكان..فعلى أساس المبدأين دول .. علاقتناقائمة** .. همه ما كانتش الصورة واضحة فى ذهنهم شوية .. واحنا من جانبنا كان حصل انه خليناهم تجاوزوا الحد اللى لازم يقفوا عنده .. نتيجة الفترة السابقة ما بعد ٦٧ .. ونتيجة التصرفات أو الفهم اللى كان موجود فى ذلك الوقت الحقيقة من ناحية القوات المسلحة انها محتاجة لخبراء ومستشارين ومعاونة وكذا وكذا .. وحجم الهزيمة وحجم النكسة .. كل هذه كانت عوامل هى اللى ادت الى تواجد الخبراء والمستشارين لغاية المستويات الى تواجدوا فيها..وبعد ذلك حدث تجاوز أيضا فى مهمة المستشارين والخبراء وكان التجاوز بيتم حته بحته .. على فترات طويلة الى انوصلنا للوضع اللى احنا فيه النهارده خلاص .. خلصنا من الكلام ده كله . وهم داخلين المرحلة اللى جايه معانا واضح تماما لان عزيز كان حريص فى المحضر .. وأنا قرأت المحضر كله بالكامل .. كان حريص على أن يقول لهم فضونا بقه من الكلام فى اليمين واليسار .

وكل حاجة نعملها تقولوا اليمين واليسار وتقدمية ورجعية .. واستعمار .. والحاجات دى احنا عندنا معركة وتحرير أرض بس .. معندناش لا يمين ولا يسار ولا أى حد خالص اطلاقا .. ولا فى داعى .. واحنا كده بوضعنا اشتراكيين مش عشان خاطركم احنا اشتراكيتنا عملناها لان ده لصالح بلدنا ولصالح شعبنا وحل حتمى بظروفنا اللى احنا فيها .. كنا بنحارب الاستعمار من قبل مانعرفكم يوم ما قامت ثورة ٢٣ يوليو فى ٥٢ .. كنا بنحارب الاستعمار من قبل ما يكون لنا صلة بالاتحاد السوفيتى .. يوم ما ضربنا حلف بغداد ٥٤، ٥٥ كنا لسه ماعملناش صفقة أسلحة مع الاتحاد السوفيتى ولا دخلنا فى تعامل ولا نعرفه ولا يعرفنا .. وهدينا حلف بغداد.. شرح لهم كل هذا الكلام وقال لهم لا احنا مستعدين للكلام فى اشتراكيتنا ولا كلام فى وضعنا ولا نظامنا ولا حاجة .. عايزين تساعدونا على كده أصدقاء أهلا وسهلا .. مش عايزين أنتم احرار .. معاكم وأصدقاء .. و .. و .. وفى تقديرى أنا ان النقطتين الايجابيتين اللى طلعوا من زيارة عزيز همه النقطتين الاثنتين النقطة الاولى هى : الاتحاد السوفيتى دخلناه الفورمة والغالب اللى احنا عايزينه.. وهو انه تعاون أصدقاء على قدم المساواة.. اللى بيعجبنا بنقول آه ..واللى ما بيعجبناش بنقول له ..لا.. وعملية الاوضاع السابقة اللى كانت موجودة بالنسبة لقواتنا المسلحة أو بالنسبة حتى للداخل هنا كل ده انتهى بالقرارات بتاعة ٨ يوليو والى غير رجعة .. وفهم الاتحاد السوفيتى هذا..وسعيد ان احنا بنقبل انه يخش معانا على أساس من هذا الفهم للمرحلة دى..دى النقطة الايجابية الاولى .. الحقيقة .. النقطة الايجابية الثانية انه عشان يثبت انه فعلا متجاوب دخل فى تعاقدات فى المرحلة اللى جايه بناء على هذا الكلام .. بقى أنا قلت لعزيز انه لاثبات حسن النية اذا كان صحيح حريصين انهم يثبتوا حسن النية للمرحلة اللى جايه .. احنا ما بنتكلمش عن القديم لانه زى ما قلت لكم عزيز ماكانش رايح عشان يناقش القديم أبدا .. حتى ابتدى جلسة المفاوضات معاهم قال لهم مفيش داعى نتكلم على القديم .. نتكلم عن المرحلة الجديدة .. نشوف هاتمر على ايه .. فقلت انه لاثبات حسن النية والله الكلام اللى طلبناه قبل كده وبالحاح ولا جاشى رد عليه عايزين رد عليه .. اذا كان صحيح بيثبت انكم ناس عايزين تتعاونوا معانا بالنسبة للمرحلة اللى جايه .. فبالتحديد الميج (...) اللى هى القاذفة يعنى .. و .. وسرعة التوريد والتدريب هنا فى مصر لان خلاص مش مستعد تانى أخش فى عمليات مجهولة بالنسبة للتدريب

هناك اتأخر .. فحلفوا أغلظ الايمان انه الطياره لسه فيها أخطاء وكذا .. ولسه ماهيش جاهزة .. و .. و.. سيبدأ الانتاج فى مايو اللى جاى .. وانهم فى الربع الثالث من ٧٣ الربع الاخير مش الثالث .. مش كده .

عضــــو ـ الثالث ..

الرئيس :

الثالث .. يعنى سبتمبر .. الربع الثالث من ٧٣ بيدوا سرب وأنا كنت قايل لمبارك .. فمبارك معطاشى كلمة فى حاجة .. لانه قال لهم ابعتوا لى المواصفات بتاعتها قبل ما نتكلم فى أى حاجة فيها .. لازم تيجى المواصفات كاملة ونشوف الطيارة وكان هذا موقف حافظ الاسـد لانهم عرضوها عليه وحافظ برضـه تراجع الحقيقـــة ما استعجلش فى هذا الكلام معاهم على أساس انه قال لهم لازم أشوفها الاول .. لانه هو طيار حافظ .. قال لهم نشوفها الاول لاننا مش مستعدين نخش فى حاجة لسه ماشفنهاش .. فى الربع الثالث سرب قام عزيز قال لهم طيب سربين .. قالوا طيب يعنى ده أول كلام بس لانهم كانوا بيتكلموا من الورقه زى العـــادة المكتوبة فى المكتب السياسى .. يعنى سرب من سربين الحكاية مش مشكلة .. انما التحديد .. الربع الثالث .. من ٧٣ على أن الطيارين يسافروا فى مايو ٧٢ عشان يخلصوا تدريب ويجيبوا الطيارات وييجوا .. ليه لان التدريب فى مصر زى ما طلب عزيز قالوا له مستحيل لان مفيش ميادين تدريب ولا فيش تجهيزات تدريب ولا حاجة لازم فى الاتحاد السوفيتى .. ومايو بالذات ليه لانه طيارة التدريب مش هاتكون جاهزة عندهم قبل مايو .. ففى مايو يقوم الطيارين بتوعنا يتدربوا هناك ويجيبوا الطيارات ويجوا .. حاجة تانية قالوها .. احنا كنا وعدنا بصاروخ (أرض ـ أرض) وكنا قلنا ان الصاروخ الارض ـ أرض بتعمل عليه تجارب .. والتجــارب دى خــدت وقت .. التجــارب خلصت ونجحت واحنــا جاهزين وفى أوائل ســنة ٧٣ هانخطركم بمواعيد استلام صاروخ (أرض ـ أرض) .. طيب .. نلاحظ هنا بقى ايه .. زى ما قلت لكم النقطتين الايجابيتين فى الزيارة كانت نمرة ١ دخل الاتحاد السوفيتى الفورمة اللى احنا عايزينهـا بالكامل بالشروط اللى احنا عايزينها .. النقطة الثانية دخل فى تعاقد جديد .. مابيهمنيش التواريخ دى كلها لان ما عولتش كثير عليها

.. أنا بيهمني بس الشكل انه قبل أن يدخل فى تعهد جديد اثباتا لسن نيته انه عايز يتعاون معانا .. ليه لان أنا كنت محدد فى ٣١ أكتوبر فى رسالتى لبريجينيف اللى راحت فى ٣١ أغسطس قلت له .. بالتحديد وبالنص .. قلت له فى ٣١ أكتوبر موقف فاصـــل بيننا .. فهل بيتفادى هذا الموقف الفاصـــل عشان .. لان كان فاهمين هم كويس ان المعاهدة والتسهيلات وكل ما هو باقى لهم .. يعنى لما نخش فى سياسة القطع .. هايبقى المعاهدة والتسهيلات تخلص وبنتهى وخلاص .. فهم مش عايزين هذا .. اللى بيهمنى بقول الشكل انه دخل فى تعهد جديد لكن المضمون وهى التوارنخ .. طبيعى الامر ببساطة كده لما نحلله .. نلاقى انهم برضه بياخد الاسراع فى أيدية مرة اخرى .. انه لسه فى أوائل ٧٣ يقولك امتى هايديك الصـــاروخ ويمكن يقولك على الربع الثالث أو الربع الرابع ولو انه بيقول أن الصاروخ خلص مابيقولوش ان الطيارة خلصت . . بيقول ان الصاروخ انتهى خلاص وكامل وجاهز .. اما مواعيـد التوريد اديها لكم فى أول .. برضه بيحتفظ فى ايده بالاسراع سواء بالنسبة للصاروخ أو بالنسبة للطيارة .. وأنا ماكنتش باعت عزيز علشان يتفق لى على سرب أو سربين مش دى النقطة الجوهرية .. النقطة الجوهرية اللى هى محل نقاش بينى وبينهم هتكون فى المرحلة اللى جاية .. قبل اجتماعى ببرجنيف هتكون انه أنا ما بعتش عزيز علشان سرب أو سربين .. كويس انك تعهـــدت بسرب أو سربين كويس .. أنا ما أرفضش هذا .. وهى مش مشكلة يعنى .. لكن لا التاريخ يناسبنى ولا هو ده اللى بطلبه .. دنا عايز أعرف هل انت مستعد لتقف معايا وتخلينى .. كل سلاح بيجى عند اللى قدامى بيجيلى زيه .. مثلا الصاروخ بتـــاع الطيارات اللى هو (شرايك) .. جـه الشرايك .. بكره الصبح فوجئت بسلاح جديد .. هل انت جاهز انك تقف معايا وكل حاجة قدامى جديدة بتقف معايا فيها وتعوضنى أو توجد لها حل ولا لا .. بس هو ده الاساس اللى انا عايز اتكلم معاهم فيه .. انما أنا بأعتبر ان زيارة عزيز نجحت للنقطتين الايجابيتين دول .. ولشىء أساسى متفرع عن النقطتين الايجابيتين .. انه الـ (flow) الامداد .. معدش مقطوع لان انا كنت بأجهز نفسى على ٣١ اكتوبر أن اواجه بظرف أن الامداد الـ (flow) العادى بتاع القوات المسلحة العادى يقف .. ليه نتيجة المقاطعة .. نتيجة للنقطتين الايجابيتين .. أنا بأعتبر الشىء الاساسى اللى انا حصلت عليه

هو ال (flow) العادى بتاعكم ماشى وماشى بقه بطريقة غير بتاعة زمان اظن انتم لمستوها هناك يا مبارك ..

قائد القــوات الجوية : أيـــوه ..

الرئيس : ماشى غير طريقة زمان .. لانه دلوقتى خايف جدا انه يتعهد بشىء ومايبعتوش فى وقته أقوم أعلنها أنا زى ماحصل وكشفت الموقف .. ومقدروش لغاية النهاردة ينفوها امــام العالم ولا أمام أى حد .. لان الوعود والتعهدات كلها التى أعطوها لى.. هم أن كان بريجنيف وبودجورنى وكوسيجين معاهم .. لم تنفذ . آدى نتيجة زيارة عزيز .. نيجى بقه للموقف النهاردة اللى أنا جامعكم علشـانه ..وانا اتكلمت ويا صادق .. وكلامى مع الفريق صادق كان انه ما أقدرشى أخش أبدا الجولة التاليــة اللى هى المضادة بعد الانتخابات الامريكية .. ما أقدرشى أخش أبدا الجولة اللى جايه واحنا فى الموقف اللى احنا فيه .. بدون تحريك الموقف عســـكريا .

طيب ليه ؟ .. ببساطة وأنا داخل الجولة التالية لازم أكسبها .. ليه السر فى أمريكا فعلا روجرز راح للزيات وزير خارجيتنا وهو هنــاك .. وقعــد معاه .. وكاد يرتمى فى أحضـــانه .. انه موافق على كلام السادات احنا مابنقولشى حاجة .. كلامه مهتمين بيه جدا .. وكل ما قاله بنفذه بالحرف .. يبقى ايه اعتراضكم بقى .. لكن ده مجرد كلام زى ماحكيت لكم المبـــادرة .. ام نكـــا بتلويها علشان بتعمل منها حل جزئى .. مش زى ما أنا ما قلتها .. أنا بأقول المبادرة لما عرضتها .. وبأقولها وقلتها ومتمسك بيها .. انه انسحاب مرحلة أولى ـ ٦ أشهر ايقاف اطلاق نار رسمى يعلن من جانبنا . عبور قواتنا بلا قيد ولا شرط .. فى نهاية ٦ أشهر .. اذا لم يتم الحل النهائى يبقى على قواتنا ان تكمل واجبها لتحرير الارض واحنا لا يبقى لينا أى وقف اطلاق نار .. وكمــان القناة تنفتح .. والكلام ده كله .. يبقى الكلام بتاعنا .

كلام أمريكا ايه النهارده اللى ابتدأت بيه ؟ . كلام أمريكا .. المبادرة احنا جهزناها .. فتح قناة السويس .. عبور قواتكم .. واسرائيل جاهزة لعبور قواتكم .. بس ييجى بقه يقول ايه ؟ . وقف اطـلاق النـــــار وتحـــديده .. طيب مـــادام حنخش فى جو

السلام .. والإسرائيليين داخلين مسافة كبيرة جوه سيناء ـ وده الاغراء ـ وحتفتحوا قناة السويس .. طيب مايعنى نخلى العملية بتاعة الحل النهائى لمفاوضات فى المرحلة الثانية .. اللى هى ممكن تقعده سنتين و ١٠ سنين و ١٥ سنة و ٢٠ سنة .. ونبقى فقدنا فلسطين وفتحنا قناة السويس وراحت القضية على طول .. يقبلوا المبادرة علشان يعملوها حل جزئى .. والكلام ده حيلاقى اذن صاغية فى أوروبا الغربية .. ليه ؟ .. لما يقولوا لاوربا الغربية .. فتح قناة السويس .. وعبور القوات المصرية .. أوربا الغربية حتقول انت مش موافق ليه .. ولو عبرنا فعلا وفتحنا قناة السويس فعلا .. ووقفنا فى نص سيناء فعلا .. يبقى انتهى نص سيناء التانى .. والقضية ماتت .. وفى الرأى العالمى خلاص فقدت أهميتها نهائى .. وتيجى تتكلم .. يقولوا لك انت بتتكلم فى ايه ؟ ما أنتم خلاص ابتديتم فى العملية مع بعض . خلاص .. يعنى مشوا خلاص وتفقد أهميتها .. ده التحايل الجديد **اللى داخله بيه أمريكا وده اللى انا تنبأت به فى أغسطس الماضى حتى حافظ وهو عندى : قلت له يا حافظ الامريكان حيثيروا المبادرة بتاعتى بعد التطورات الاخيرة . نكون صاحين وجاهزين لهذا الكلام .. لانهم عايزين يقلبوها .. انا الحقيقة فى أغسطس اتكلمت مع الفريق صادق وقلت له ما أقدرش أخش فى نوفمبر اللى جاى الجولة التالية اللى بيتقال عنها ديه . يعنى نكون واضحين مع نفسنا .. ونكون صرحاء مع نفسنا .. مافيش حاجة اسمها حل .. ده احنا بس علشان عايزين نكسب وقت نستنى لما تيجى الفرصة .. وكمان عايزين ضغط عالمى .**

ولكن من بكره من بعده من النهارده فى كل وقت .. مافيش حاجة اسمها حل سلمى والحل السلمى معناه .. الاستسلام على طول .. ليه .. لان الشىء المؤسف اللى لازم تعرفوه انه بعد سياسة الوفاق اللى تمت وانتهت ومعروفة فى العالم .. إنتهاء الحرب الباردة وسياسة الوفاق بين الكتلتين مين اللى فى ايده مفتاح القضية ؟ الكتلتين .. أمريكا هى اللى بتدى اسرائيل كل حاجة .. وهى اللى متعهدة بكل شىء .. وهى اللى واقفة .. وهى اللى حتحل .. وهى اللى بتحل .. الاتحاد السوفيتى لا دور له فى هذه العملية .. عملية اجتماع موسكو اللى حصل فى ٢٠ مايو .. المصيبة كبيرة .. ان الحلول اللى هاتيجى من امريكا

بعد الوفاق حتكون بمباركة الاتحاد السوفيتى . ويستنى لما نقبل احنا . . **وعلى ذلك انا قلت للفريق صادق فى أغسطس الماضى .. القرارات ماتكملش الا بأننا فى الجولة اللى جاية بعد الانتخابات الامريكية . .ماندخلش أبدا من موقف السكون اللى احنا فيه ده لانه موقف الضعف .. لابد أن تتحرك القضية عسكريا ..**
الصورة ايه ؟ بما نستطيع .. بما نملك بالمناوردة اللىنستطيع نعملها بما لدينا . أنا قلت هذا الكلام وانا فى يقينى التام فى ذلك الوقت ان الاتحاد السوفيتى أنا هأقطع معاه فى ٣١ اكتوبر .. وما كنتش متصور انه حيلقط ويفهم ان مصر معناها المنطقة مش مصر لوحدها .. لكن لقط وفهم .. ووفر على أو على الاقل حط نفسه فى الوضع اللى أستطيع أنا النهاردة أن أبلغه فيه أكثر ما بلغته فى المرة اللى فاتت . انه مايقدرش يقطع الامداد عنى .. دلوقت فيه تعهد جديد .. وداخل فى تعهد جديد غير (flow) العادى بتاعنا.
برغم أنى أنا ماكنتش متوقع هذا من الاتحاد السوفيتى وأنا بأتكلم مع الفريق صادق فى نقطة البدء الا أن كمالة القرارات .. طيب عملت أنا القرارات وخلصنا من المستشارين والخبراء .. وأخذنا حريتنا فى كل شىء وانتهى و .. و .. لكن ماذا بعد .. وضعنا اللى احنا فيه . طب ما هو امريكا حتعرض عليك المبادرة .. زى ما حكيت لكم كده بالشروط اللى هيه بتقولها دى . . وتلاقى اذن صاغية فى العالم . نقطة ضعف . ازاى ما أنتوش قابلين والعالم يقول واضح ان القوات عبرت .. واضح مابتقبلش ليه .. والعملية مفاوضات .. ومناقشات بينكم بقه .. و .. والكلام ده كله .. وبعدين طيب ما أقدرش .. طيب نحيى مهمة يارنج ..
طب ٧٣ فاتت .. ٧٤ تفوت .. المهم ان كلهــذا سيتم لانى أنا محركتش شىء .. قاعد .. طيب وهو يتحرك ليه .. الامريكان والاسرائيلين ياخدوا فى بالهم . طب خلاص ما قبلتش عنك ما قبلت **.. خلاص .. أهى تفضل رايحة جاية فى كلام .. والاتحــــاد السوفيتى اللى هو واقف معانا .. موقف الصديق زى ما قلتلكم يهمه جدا ان هذه القضية تنتهى بحل سلمى .. لان دىاستراتيجية لكن بس ماعندوش الشجاعة علشان يقولها . حتى ولو بتنازلات من جانبنا .. ليه .. لانه والله بدل وجع الراس .. لانه مايعرفش حنورطه فى ايه على حسب تفكيرهم . وهو عمل سياسة وفاق .. وخلاص ده فى فيتنام اتفــق .. فى الامن الاوربى اتفق .. فى الاسلحة الاستراتيجية اتفق .. فى كل شىء اتفق .. وعمـــل**

سياسة وفاق .. وحبوب أخذ .. واستثمارات لسيبريا أخذ كله خلاص .. ورتب نفسه لعشرين سنة جاية مع أمريكا .. طيب وجع الرأس ييجى له منا ليه . أدى خطورة المرحلة دى اللى احنا داخلين فيها ..

من هنا زى ما قلت لكم .. فى تصورى الكامل .. والاحداث تثبت هذا الكلام .. كمالة هذا ان احنا مانخشش الجولة الثانية اللى جاية من موقف السكون اللى احنا فيه . ماخدش هذا الامر أنا بعرضه أو بأقوله علشان أخذ رأيكم فيه . ماخدش هذا الامر لمصير هذا البلد خلاص .. ماعدش أمامنا فكاك .. وادى انتم شايفين النهارده .. العربدة اللى بتعملها اسرائيل فى المنطقة .. بهدف حملة نفسية شرسة علشان تقول ايأسوا يا عرب لا فائدة منكم فى شىء نحن متفوقون الى الابد .. ونستطيع ان نضرب أينما نشاء .. وقتما نشاء .. ولا تستطيعوا أن تعملوا شىء لنا أبدا .. واحنا قاعدين كأن اسرائيل دى طلسم امامنا .. ومافيش حركة أبدا .. واذا قبلنا هذا الوضع يبقى مافيش ما يدعو للتكاليف اللى احنا بنتكبدها ونختصر الطريق .. ويعنى نلم نفسنا ونقبل حل أمريكى .. ومبادرة .. وبحل مقلوب وحل معووج ونروح نعمر مدن القناة .. ونفتح القناة ونخش سيناء وتعبر قواتنا وندخل زى ما بعض السياسيين العرب ما بيدجلوا . أنا لا ألجأ لهذا الاسلوب .

ان جيتوا للصراحة .. نحن اليوم أمام امتحان كفوات مسلحة .. فى الفترة الماضية أنا عملت كل ما أستطيع .. صبرت على الاتحاد السوفيتى بالكامل . وغطيت موقفهم . وفى يناير وفبراير ومارس من ٧٢ اللى احنا فيها دى النهاردة لما كانت البلد كلها .. المنطقة كلها قايمة .. كنت أنا واقف فى ١٤ مايو فى البرلمان تذكروا .. ١٤ مايو وبأدافع عن الاتحاد السوفيتى بشراسة .. وكنت مستعد أخش معركة كمان مع اللى عايز يخش علشان أغطيه أملا فى أن احنا كنا عاملين استراتيجية اللى حكيت لكم عنها بتاعة ٥ أشهر . وحنيجى ونجهز نفسنا ونقف .

ده ما حصلش . وضع تانى .. قلت له لأ .. زى ما دافعت عنه بشراسة .. ووقفت معاه لآخر الشوط . قلت له قف مكانك

مهما كان . الموقف مع الامريكان . خدت ٧١ كلها . شفت روجرز قابلته هنا واتقال على من المتآمرين أنى بابيع القضـــية وبابيع البلد للامريكان .. ماهيش مشكلة يعنى .. الهدف كله هو المصلحة .. مصلحة هذا البلد قبل كل شيء مجرد من اى حاجة . وانا عملت مع الامريكان كل ما يمكن عمله . وقدمت المبادرة بتاعتى وانا كنت مخلصا فيها . هم بيتصلون بى الان .. قلت لهم أنا معتمد على حاجة اسمها سياسة الباب المفتوح .. اللى عنده حاجة يتفضل.. لو كان عند الروس حاجة بيجوا .. الامريكان عندهم حاجة تعالوا قولوا لى .. الانجليز عندكم حاجة اتفضلوا قولوا . وانا أول ما ألقى أنه ممكن بالنسبة لى ولبلدنا ولشرفنـــا بأقبــله . اللى ما هوش مناسب ما بأقبلوش .. فأنا معتمد على سياسة الباب المفتوح .. لكن تذكروا فى هذه القاعة .. وفى القيادة فى كوبرى القبة لما كنت بقعد معاكم .. تذكروا كويس أنى أنا كنت كل مرة بأجتمع فيها مع القادة السوفيت بأقرأ فى عينهم تساؤل ؟ بيقولوا أمتى حتحاربوا .. امتى حتبقوا رجالة بس مش قادرين يقولوا لى . الدور ده قالوه بصراحه لعزيز صدقى . عزيز صدقى سأل سؤال لكسيجين وبودجورنى فى الجلسة أمام الوفدين .. فى المناقشة وهى محتدمة .. طيب لو فيه حته عندكم محتلة زى سينا ما هى عندنا محتلة تعملوا ايه ؟ .. قالوا نحارب ولو بالبندقية . هو عايز يقول أكثر من هذا . لانى أنا عارف الكلام اللى بودجورنى شتمنا بيه كعسكريين فى تركيا نتيجة الهزيمـــة بتاعة ٥ يونية بأبعادها المؤلمة اللى احنا كلنا عارفينها كعسكريين ماهياش تايهة عنـــا .

النتيجة ان العسكرين شرقا وغربا صـــديقنا وعدونا الاثنين لا ثقة لهم فينا ان احنا نقدر نتحرك .. أو نعمل عمل اطلاقا .. أو نتقبل تضحيات .. أو نناضل علشان نحرر أرضنا .. وناخذ حقنا .. علشان كده بأقول لكم مافيش حاجة اسمها حل سلمى الا اذا كنا عايزين نستسلم .. كل العروض اللى جاية مبنية من منطق واحد .. هو انك خلاص ألقيت السلاح .. وعليه فاستعد انك تقبل أى حاجة . لانك ألقيت السلاح ومافيش معركة تانية . هذه الحقيقة عند الاثنين عند الامريكان وغرب أوربا كله .. وعند أصدقائنا الروس .. عبر عنها الروس وقالوا : العرب مافيش فايدة فيهم .. مهما اديتهم سلاح مش حيحاربوا دول مش بتوع

حرب .. وقالوا ما هو أكثر من هذا فينا وده يمكن من الأسباب التى خلتنى عجلت الان .

لعلمكم برضه كان لايمكن نبتدى نعمل أى حاجة والمستشارين السوفيت فى وسطنا .. فى وسط قواتنا .. أبدا ده مستحيل .. ده كان مبدأ أساسى عندى .

من ضمن الحاجات اللى خلتنى الحقيقة اتخذت قرارى وأنا سعيد .. أن معركتنا نعملها احنا . ونتقبل كل ما هو مقدر علينا .. لان هذه هى الحقيقة والفشل والنجاح علينا احنا مش على حد تانى اطلاقا .. يعنى نحط الاوضاع السليمة فى محلها .. ونقف فى الخندق السليم بتاعنا احنا بنحارب معركتنا .. بس ..

النهارده زى ما قلت لكم .. نتيجة هذا .. نتيجة الموقف اللى احنا وصلنا اليه .. اسرائيل تعربد فى المنطقة كما تشاء .. وبلا أى رادع من أى جهة كانت .. النهارده أعتدت على لبنان وبتكسر حاجز الصوت فوق المدن اللبنانية كلها . بتكسر لهم القزاز .. قبلها كانت فى سوريا .. منتهى الوقاحة .. برضه الروس سألوا الاسد وهو عندهم ؟ طب لما ضربوك اليهود فى ٧ أماكن فى سوريا .. مصر لماذا لم ترد ؟الاسد قال لهم حترد فين ؟ توصل لعمق اسرائيل ازاى ؟ هو أنتم اديتوهم اللى يوصلوا بيه عمق اسرائيل والناس اتأخروا ؟ يعنى اتضح لى أننا نوضع اليوم أمام مسئوليتنا وأمام الامتحان .

زى ما قلت لكم أنا غير مستعد أنى أقبل حلول الاستسلام .. مش أنا اللى اقبلها أبدا . ولا أتكلم فيها مع أى فرد من الافراد .. لان الجلوس على طاولة مع اسرائيل معناه وانا فى هذا الوضع المهين معناه أنى بأسلم . ماذا يبقى امامنا ؟ .. يجب أن نثبت للعدو والصديق أننا نستطيع أن نناضل وان نتقبل التضحيات .. ونحرك الموقف .. بالتخطيط مش بنرفزة ولا بعصبية ولا انفعال .. لا .. بالتخطيط تمام .

وده ميعادنا .. حتى فى كلامى مع الروس فى المرحلة اللى جاية .. أو كلامى مع الامريكان فى المرحلة اللى جاية .. أو كلامى مع العرب فى المرحلة اللى جاية .. أو كلامى مع الشعب

هنا فى المرحلة اللى جاية .. لن يكون له قيمة مع أى جهــة من الجهات دى راحنا قاعدين فى السكون اللى احنا قاعدين فيه .. **الكلام انتهى وقته ووصلنا الى نقطة التشبع .. بما لدينا يجب أن نحكم أمرنا نخطط .. لغاية ما نحرك القضية . بمعنى نولع حريقة .. عندئذ الكلام له معناه الكامل وله قيمة وسيظل الموقف العربى كما هو واقع الان تماما . طالما ان احنا زى ما حنا فى موقف السكون . لن يتحرك بل سيسوء أكثر مع العرب .. مع الامريكان .. مع الروس .. مع شعبنا .. أو فى تقــديرى أن القضية بتنتهى الى السكون والموت .. انتهت .. انتهت ..**

أنا قلت مرارا وحاقول انه لا أمريكـا ولا روســيا ولا أى حــد حيحارب لنا معركتنا . أو حيدينا اللى احنا عايزينه .. أبدا احنا لازم نحرك .. لازم نحرك الروس علشان يدوا .. ولازم نحرك الامريكان علشان يحلوا .. احنا قوة الدفع . وصلنا الى المرحلة اللى القضية فيها مهددة .

لقد اتخذت القرارات .. **وقلت للفريق صادق على الجولةاللى جاية . ماتدخلنيش الجولة اللى جاية من موقف السكون اللى احنا فيه .. والا القضية تنتهى . واذا القضــــية انتهت على جبهتنا ، فانها تنتهى على الامة العربية كلها .. وعلى الجبهات كلها .. لانه مافيش هنـــا جبهة لهـــا فيمه عسكرية غيرنا احنا ..**

اسرائيل عارفة اذا صمتت جبهتنا انتهت القضية .. وانتهت الثقة اللى فى شعبنا بالتدريج حتنتهى .. النهاردة بنينا وضع وثقة .. وبنينا أوضاع .. كل ده حينتهى كله بالتدريج .. **للتاريخ . أنا باعتبر ان هذه جلسة تاريخ** .. لازم نفكر أيضا فى المستقبل ..

واحنا بنفكر فى الحاضر .. والتجارب لازم تتحضر .. المعركة تنتهى على أى وضع .. وبارادة الله وبارادة هذا الشعب .. لن نخسر .. ولن يكون الوضع أسوأ من ذلك أبدا على أى وضــع .. وعلى أى ظـروف كانت .. أبدا .. ستنتهى المعركة .. طب ما هو الحل بالنسبة للمستقبل .. أنا بيهمنى .. فى قياة القوات المسلحة بتاعتنا .. أنا جامعكم النهاردة .. لانه مثل ما بيشغلنا المستقبل دائما .. بيهمنا الحاضر كمان . ونشتغل بقى بتخطيط وبعقل مانشتغلش زى زمان زى ما حصل فى معركة ٥٦ .. وطلعنا من معركة ٥٦ وقلنا انتصرنا صحيح انتصرنا سياسيا ..

عبد الناصر قلب الهزيمة العسكرية الى نصر سياسى . بس ماكانش لازم نقوله لقواتنا المسلحة . ولا احنا فى تخطيط يجرى لنا اللى جرى ونسيب العملية مثل ما حدث بعد ٥٦ بالشكل اللى جرى. لانه اللى حصل بعد ٥٦ .. انتصرنا .. انتصرنا . وقيادة القوات المسلحة صدقت اننا انتصرنا عسكريا فى ٥٦ وناموا وسابوا العدو .. فى نفس الوقت اللى اليهود قعدوا يحضروا من أول ٥٧ عشر سنين بالكامل العدو لفى وغير كل تكتيكاته .. وغير كل شىء . والنص جنزير وراح فيتنام يطور وجدد واشتغل ليل نهار .

واحنا هنا مافيش مابنعملش أى حاجة .. الا أن صدقى محمود الله يكرمه .. كل نوفمبر يقول .. أكبر قوة جوية فى الشرق الاوسط .. وقعدنا عايشين على التهريج ده .. لازم نفكر بأسلوب علمى للمرحلة الجاية . بالنسبة للمستقبل .. علشان تكونوا امناء على هذه الرسالة .. للتاريخ .. لازم يكون لنا استراتيجية ونستطيع ان احنا نعمل على ٤ أسس : بالنسبة للجو وهو الاساسى .. ليه .. صحيح ليس هو الحاسم فى المعركة .. لانه زى ما احنا عارفين كلنا وعلمنا على عامر الله يرحمه فى الكلية الحربية .. انه فى النهاية المشاة (ضحك) والدبابة علشانك (ضحك) . لكن وضح من الاستراتيجية اللى قدامنا .. ما احنا كمان لازم نتعلم .. هى كل المشكلة اللى احنا فيها النهاردة ايه .. ان امريكا عاملة من اسرائيل حاملة طيران .. بعيدة المدى .. وكمان جايبة لها طيارات من التى تمون من الجو علشان تدى مدى كمان فوق ٢٠٠٠ كيلو وهو مدى الطيارة .. كمان الفين زيادة .. علشان توصل زى مابتقول لآبار البترول ولا جنوب السودان ولا لطرابلس وتونس يعنى يوصل لاى حته .. أدى المشكلة بالنسبة للجو عندنا .. معمول من اسرائيل حاملة طائرات فى المنطقة .. وده مصدر التهديد الوحيد النهارده .. هو التفوق الوحيد . . أنا ما بأعترفش لاسرائيل بأى تفوق على الارض .. انتم اكثر ناس تقدروا تقرروا على الارض . العسكرى الاسرائيلى شكله ايه .. واجهتم .. كثير منكم واجهوا هذا الكلام .. لكن التفوق الوحيد هو فى الجو يبقى بالنسبة للمستقبل فى المرحلة اللى جاية . . القاذفة المقاتلة والهليوكوبتر . تصنيع وليس شراء . كفاية بقى .. لان اسرائيل بتعمر .. (الفوجا) ماشية اللى بتشتغل من ٢٠ سنة بتشغلها اسرائيل لغاية النهاردة .. لانها بتعمر . .

بتعمل كل شيء جوه عندها فى اسرائيل .. ووقت اللزوم .. هنا بعد ما ضربوا طيرانا فى ٦٧ لو تذكروا .. دخلت الفوجا ماشية فوق القاهرة .. كانت الفوجا ماشية .. بس تدريب .. ما هو مافيش حاجة .. دخلت فوق القاهرة . ما لم يكن لنا صناعة عسكرية .. مافيش .. يبقى بنحرت فى البحر .. وما نكررش غلطة ٥٦ . قاذفة مقاتلة .. وهليكوبتر .. ده بالنسبة للجو . بالنسبة للبحر .. بندور نشوف محمود فهمى بيعمل ايه .. استراتيجية العالم بعد ضرب ايلات كلها اتغيرت .. محمود فهمى بيعمل زورق يعطيه قوة نيران مدمرة بالكامل . العالم كله بيتجه لهذا مفيش داعى للقطع الكبيرة الضخمة دى اللى بتضرب وعليها أطقم كذا .. وكذا . فيه زورق عنده (عملت فيه تجديدات عسكرية فنية) .. زورق .. ده بالاسلوب اللى ماشى فى العالم كله .. ونتيجة الخبرة والدراسة ونتيجة معركة احنا عملناها .. معركة ايلات .. تغيرت استراتيجية البحرية فى العالم الان .

ده بالنسبة للبحر .. وبالنسبة للجو .

وبالنسبة للارض .. الجنزير والنصف جنزير لابد يصنع هنا .. لازم .. مايبقاش مسرح العمليات عندى فى الشرق .. صحراء فى الجنوب .. صحراء .. فى الغرب صحراء وفى الشمال بحر .. كله صحراء .. واشتغل بالكاوتش .. كان نوع من السفه الحقيقة مش عارف سره أنا مش فاهم .. ماكنتش عايزه ذكاء .. فى الفترة الماضية .. وكانت بعد الحرب الثانية كان النص جنزير فى أوربا معروف مرمى بتراب الفلوس .. بالتراب مرمى .. وخدته اسرائيل .. واحنا ماخدناش اشترينا الكاوتش علشان الصحراء ! ..

ويبقى البند الرابع وهو الحرب الالكترونية اللى هى سمة العصر الجديد اللى احنا فيه .. وبدخولنا الحرب جهات كثيرة ممكن تعاونا فى هذا .. مش الاتحاد السوفيتى .. يعنى انجلترا جايز تعاونا فيه فرنسا جايز تعاونا فيه ..

بأعتقد أنه اذا غطينا الاربع بنود دول كأستراتيجية لنا فى البر والبحر والجو والحرب الالكترونية نستطيع أن احنا نقف فى بلدنا على رجلين ثابتة .. وعلى أرض ثابتة .. ونواجه أى حاجة ..

وبعد ذلك بنتطور مع العالم فى كل ما يتطور ومش حنقف أبدا . ده بالنسبة للحاضر . وبالنسبة للمستقبل .. ودى كل الصورة الى حبيت أقولها لكم .. واذا احتجتم الى أسئلة أنا مستعد لكم .

اللواء الجمسى : ما هو موقف سوريا بالنسبة للمعركة :

الرئيس : موقف سوريا أولا باعتبارها مواجهة ويانا موقف سوريا .. كان عندى حافظ الاسد فى اجتماع مجلس الرئاسة .. واتكلمت مع الفريق حافظ الاسد .. حافظ الاسد كل يوم بيزيد اقتناع عن اليوم اللى قبله انه لابد أن تتحد الجبهتان وتصدر الاوامر من هنا بأى عمل .. وعن قناعة انه أى وضع حنحرك فيه العمل .. حيكون أحسن من الوضع اللى احنا فيه النهاردة مهما كانت التضحيات اللى حناخدها .. واضحة جدا فى ذهنه علشان كده أنا كلفت الوزير صادق علشان يسافر ان شاء الله .. وينسق فى هذه الناحية .. وهما جاهزين .. لسبب بسيط .. مصيره كله متعلق بالعملية دى .. ولا يستطيع أن مصر تتحرك وهو يقف يتفرج وبعدين هو يعلم انه لوحده يتاكل .. لكن مع مصر ممكن يكون فيه حاجة . . سوريا متمسكة انه لازم يتم التنسيق مع هنا بالكامل وفورا .. وحتى كان الاسد بيلح على أن الفريق صادق بيسافر له مباشرة بعد الاجتماع .. وأنا وعدته بس لما جت رحلة عزيز صدقى .. أنا قلت أحسن استنى برضه لغاية ما يجى عزيز من موسكو واتكلم مع الفريق صادق . وبعدين يسافر لهم انشاء الله .. ده بالنسبة لسوريا .. الخلاصة فى كلمتين .. يعنى مرد الوضع فى سوريا الينا .

بالنسبة لليبيا . ليبيا عندها النهاردة طائرات .. رئيس الاركان هناك أبو بكر قال لى انه عمل خطة علشان فى ٦ ساعات تكون الطيارات عندنا هنا فى مطار من مطاراتنا .. فى قاعدة من قواعدنا .

اللواء الجمسى : بس عايزينها بطيارين ليبيين يا أفندم ؟

الرئيس : ما أعرفش انا مدخلتش فى التفاصيل .

اللواء الجمسى : أبو بكر يونس قال لى .. على أن تعمل بطيارين ليبيين .. انما فكرة القوات الجوية بتاعتنا .. ان الطيارين الليبيين مستواهم منخفض .

الرئيس : والله أنا لا أبحث هذا هنا .. أنا كل ما عندى الان أن أبو بكر يونس جه قال لى أن فى مدى ٦ ساعات عاملين خطة فى ٦ ساعات تكون فى قاعدة مصرية . ده بيبحث بالتفصيل بقى .. ده أمر عايز بقه المختصين يقعدوا بالتفصيل ويحطوه على الورق وواحد + واحد = ٢ اللى أنا عايز أقوله حاجة .. يوم مايتحرك الموقف ما فيش حد حيتأخر عنا .. كل شيء عند أى حد من اخوانا .. مش حيتأخروا اطلاقا لكن حالة السكون اللى احنا فيها بتضعفنا داخليا .. بتضعفنا عربيا بتضعفنا أمام الصديق وأمام العدو .. أمام العالم كله .. بتدى عدم ثقة .. حتى الليبيين فى وقت من الاوقات ما كانوش مصدقين ان احنا ناويين نعمل معركة ونحرر أرضنا أبدا .. دول فاهمين ان احنا ماشيين فى عملية الحل السلمى .. حنخش فى الدوامة اياها ومافيش جدية .. لغاية وقت قريب كانوا فاهمين هذا الكلام .

اللواء حسنى مبارك : يا افندم أقول حاجه عن موقف طرابلس أضيف عليها يعنى احنا سبق واتفقنا والفريق صادق موجود ان احنا حنشترك فى المعركة وحتكون مصرية .. وعملنا دراسة عن هذا الموضوع .. وبعتنا لهم .. هنا لما جم مصر آخر مرة وكان أبو بكر موجود قلنا له فيه أسرار لا تذاع .. قال لا العقيد قال مافيش حاجة اسمها اسرار المعركة .. الاخبار كلها معلنة الناس اللى مسئولين موجودين هناك اللى هما بيشرفوا على التدريب هناك ماجوش على الاشارة الاخيرة .. حتى بعت اشارة للفريق أول صادق عن الموضوع .. يعنى أنا أعرفش دلوقت عنده الطيارين اللى هناك حتى لو كانوا طيارين مصريين ! ..

الرئيس : يا حسنى ده مش شغل المجلس بتاعنا واحنا فيه حقيقة واضحة قدامنا .. اذا كانوا ممتنعين .. اذا كانوا بيناوروا .. بيزايدوا ده وضع آخر .. ده يبقى وضع سياسى .. اذا كان فيه هرجلة .. المفروض نوقف الهرجلة دى .. مافيش حاجة حناخدها بالساهل أبدا .. مافيش شيء جاهز حنلاقيه جاى قدامنا وحناخده .

ايه يا اخوانا أخبــار الجيوش ..

اللواء سعد مامون : اخبار الجيوش من انهى ناحية ؟

الرئيس : من كل ناحية .

اللواء سعد مأمون : ماشى التدريب حسب السياسة الموضوعة والحمد لله كويسه .. كان فيه تخفيض بالنسبة حتى لعمليات كنا مجهزينها .. وكانت هيئة العمليات درستها .

اللواء عبد المنعم واصل : من الناحية التدريبية .. التـدريب ماشى تمام الروح المعنوية تمام .. اذا كنا خنخش المعركةبالتسليح اللى موجود فى أيدينا .. يجب ان احنا نقبل أى كمية خسائر .. لان زى ما سيادتك النهاردة عارف . . وضع الساتر الترابى وارتفاعه ١٨ر٢٠ متر .. وعمل مصطبة متصلة أمام واجهة الجيش على كامل مواجهته .. لضرب الهجمات عليها بحيث تضرب أى قوات تعمل على العبور .. ده هيحصل خسائر كبيرة بيها ..

اللواء نوال سعيد رئيس الامداد والتموين : هوه فيـــه خطة موضوعة ؟!

الرئيس : الدفاع الجـــوى .

اللواء محمد على فهمى : (تحدث على أسرار عسكرية لايجوز نشرها عن بطاريات الصواريخ) .

الرئيس : نسيت أقول لكم ان عزيز اتفق معاهم على أن فيه وفد عسكرى ييجى من ١٠ الى ١٥ نوفمبر .

(ثم دارت المناقشـــة بين الرئيس وقائد القوات البحرية حول تفصيلات عن المرات والغواصات والصواريخ، وكلها أسرار عسكرية لا يجوز نشرها) .

ثم اثار اللواء سعد مأمون موقف الاتحاد السوفيتى وسال الرئيس :

ـ أنا لا أناقش سيادتك عن واقع المعـــركة .. ان تحريك القضية عسكريا أمر حتمي .. لا أناقشه .. الموضوع بتاعنا من الناحية العسكرية بنعمل أيه ونناقش ايه والموقف ايه وشكله ايه .. لا أناقشه .. بس أنا عاوز أستوضح حتـــه من الناحيـــة السياسية من ناحية الاتحاد السوفيتى .. فهمت من ســـياق الحديث اللى سيادتك شرحته لنا كلنا واضح بس عاوز أستوضح نقطة .. رأى الاتحاد السوفيتى فى تحريك القضية عسكريا بعد الانتخابات الامريكية ايه ؟ .. ومتفرع منه سؤال آخر .. هم قالوا ووجهوا الكلام للرئيس حافظ الاسد .. لينقل لنا .. لما سوريا انضربت فى سبع مواقع ولبنان .. مصر عملت ايه .. ما سألوش سوريا ما ضربتش عمق اسرائيل اللى جنبها ليه ؟ .. الحته دى .. أنا قمت بزيارة مع سيادة الفريق أول صادق فى يونية سنة ٧٢ للاتحاد السوفيتى .. كان الكلام لما كنا بنقول ان فيه أسلحة هجومية مطلوبة للقوات المسلحة كانوا بيعتبرونا برجوازيين وكانوا بيعتبرونا ان احنا جبناء .. وكانوا يعتبرونا ان احنا مهرجين .. ولأول مرة فى المباحثات الرسمية مع جريتشكو .. ثم مع أنه فى الحديث اللى دار بين بريجنيف والفريق أول صادق انهم اعترفوا لأول مرة أن القوات المسلحة المصرية اسلحتها دفاعية ومن الان حننظر فى موضوع الطلبات الخاص بالخطط الهجومية للقوات المسلحة .. وان السياسة الواضحة انهم عايزين الامور تمشى ٧٢ ويمكن ٧٣ النهاردة فيما يختص بالقرار بعد زيارة سيادة رئيس الوزراء للاتحاد السوفيتى .. هل الاتحاد السوفيتى يبارك تحريك القضية عسكريا أم لا ؟

الرئيس : هو بالنسبة للحتة بتاعة حافظ الاسد هو الفريق حافظ أنا اللى سألته .. قلت له انت خسرت الثلاثة ليه .. طيب مادخلتش جوه ليه وضربت عمق اسرائيل والثلاثة السوخوى خسرتهم .. خسرتهم .. وكنت خسرتهم أحسن جوة فى عمـــق اسرائيل زى مادخلوا فى عمقك .. اللى أنا عارفه بقه أن حافظ كان طول هذه الفترة قاعد فى غرفة العمليات .. فى قاعدة .. وطنى حافظ أى والله .. قال لى أنا اللى رجعت الطيارين .. أنا اللى خليت الطيارين ضربوا الجولان ورجعوا .. ليه ؟ .. قال لى قدامى على شاشة الرادار لقيت ناموس .. أسراب ناموس مش طيارات طالعين مستنيين .. قال لى قلت للاولاد الضباط ارموا

فى الجولان وارجعوا .. أما لقى أسراب ناموس ومع ذلك ضربوا ٣ طيارات سوخوى .

لما نيجى للنقطة الاساسية وهى السؤال بتاع الاتحاد السوفيتى .. الاتحاد السوفيتى لن يغير موقفه الا اذا أرغمناه واحرجناه .. بمعنى الاتحاد السوفيتى لا يريد أى حركة عسكرية .. وممكن أن يقف بس ما بيصرحش انما اللى فى قلبه أيه .. شوية تنازلات ونفض المشكل وبلاش هوسة .. ده سياسة الاتحاد السوفيتى الثابتة المقررة .. طيب أنا سعيد بزيارة عزيز صدقى ليه .. مش علشان تعاقدات جديدة زى ما قلت لكم أبدآ اطلاقا .. تعاقدات جديدة ده لسه وضع أنا هابحثه بقى مع بريجنيف ولما هانشوفه وقبل ما أشوفه لسه هاخدكلام طويل .. هى العمليةبتنتهى بسرب أو أو سربين .. العملية مش سرب والا سربين العملية مبدأ .. ايه موقفهم معانا .. بالنسبة للتطور اللى بيحصل فى المعركة .. اللى سعدت به أنا الـ (flow) رجع .

استراتيجية الاتحاد السوفيتى لعلمك .. هى .. هى لن تتغير .. ولكنها تتغير اذا احنا اتحركنا واجبرناهم وحطيناهم فى الوضع الحاسم لن يتغير .. واذا لم يتم شىء فى موقفنا .. نرجع نلف .. نلف .. نلف .. مع الاتحاد السوفيتى .. زى مع أمريكا زى مع العرب .. زى مع أوربا الغربية زى مع الكل .. أثبت وجودك .. اثبت انك موجود يعترف الكل وغصب عنهم .. متثبتش وجودك اليوم اللى احنا فيه محدش ها يعترف بك .. وها تبقى زى ماانت .. دلوقتى خلاص مفيش معركة ثانى انتهى .. زى الصورة اللى فى ذهنهم .. ان المعركة فى الشرق الاوسط انتهت .. ودى مهابرة .. والكلام الى بيسمعوه ده مهابرة بس من العــرب لحفظ ماء الوجه ولكن مفيش حاجة تانى والعرب ليسوا أهل حرب وكفاح ولا تضحيات ولا حاجة أبدا ..

الفريق سعد الشاذلى : هل سـيادتك ستقوم بتحرك عربى لحشد القوى العربية أو أن المعـركة ستكون قاصرة على دول الاتحـاد ؟ ..

الرئيس : حدد كلمة حشد القوى العربية .

الفريق سعد الشاذلى : التحرك العربى على ضوء المناقشات القديمة اللى سيادتك عارفها وموقف الجزائر وموقف الدول الاخرى ..

الرئيس : لأ .. أنا مش شايف موقف عربى ولا حاجة .. زى ما قلت لك مفتاح الموقف ياسعد انما حدش واخد مجال للرد لا فى العرب ولا فى غير العرب اطلاقا ..

(ثم تحدث الرئيس عن تصريحات غير صحيحة لاحد رؤساء العرب) .. ثم قال :

ماحصلش كلام من ده أبدا اطلاقا .. مش بس احنا بنواجه موقف متفكك فى العرب وغير جاد .. احنا بنواجه مزايدات وكلام عارفينه ..

ثم أعرب الرئيس عن وجهة نظره فيما عرضته الجزائر من انها ترسل سلاحا وقوات قبل بدء المعركة بثلاثة أشهر . وقال ان هذا غير عملى ، ولا يمكن أن يحدث فى الحروب .

***

ثم قال الرئيس : انا قدامى اسرائيل ضاربة سوريا وضاربة لبنان وممكن قوى تضرب فى مصر وتعاقب زى ما هى عايزة فى المنطقة وتفرض علينا معاهدة .

وحسنى مبارك كان فى الجزائر بناء على طلب الرئيس بومدين. انت كنت هناك امتى يا حسنى .

اللواء حسنى مبارك : ما بقاليش شهر .

الرئيس : الشهر اللى فات .

الفريق سعد الشاذلى : على اعتبار ان المعركة لسه لم تتحدد يعنى انما لو سيادتك تكلم الرئيس بومدين على أن المعركة خلاص بدأت والتحضير لها وحتكون فى هذه الحدود .

ثم قال الرئيس : مغزى كلامى لكم كله النهارده ماتحملش بقه مشكلتنا على حد . اللى نقدر نعمله نخطط بعقل ونعمله .. ونتحرك نولع حريقة للكل .. للعرب للصديق للعدو ولاسرائيل .. ونقف فى موقفنا السليم .. وزى ما قلت لعزيز صدقى وهو مسافر موسكو .. حيكون موقفنا ايه يعنى اسوا من اللى احنا فيه النهاردة .. مش حيكون .. فى اى وضع من الاوضاع مهما واجهنا من تضحيات مش حيكون اسوأ من اللى احنا فيه النهاردة لانه هنقدم تضحيات وحنحط فى اسرائيل تضحيات .. هى ماتستحملش .. احنا نستحمل .. مش حنكون أسوأ مما نحن فيه .. وأشرف لنا نموت واحنا واقفين على رجيلنا احسن ما نكون بنرتعش أو بنسلم .. بس مش هنموت .. مش الشعوب .. الشعوب مابتموتش أبدا .. أبدا ..

عضو : أنا فى تقديرى للموقف بأقول انحتى بالفرض الامريكان اذا كانوا حيفكروا فى حل سلمى أو ناويين يحلوا هما واسرائيل فالامريكان من مصلحتهم واسرائيل مش حاقول حد تانى .. احسن بقى يمكن أتهم بالمغالاة .. كلهم لهم مصلحة فى تدمير مصر أو القوات المسلحة المصرية اللى هى خطر مخيف اللى اسرائيل بتعمل حسابه فى المنطقة .. حتى لو حصل أنه فيه حل سلمى يكونوا فى وضع هما مستريحين فيه احنا نكون فيه تعبانين وياخدوا فترة بتاع عشر سنين راحة زى ما عملوا سنة ٥٦ وزى ما عملوا سنة ٤٨ وخلافه اللىهى الفترات اللى هو استريح فيها من وجود قوة كبيرة موجودة على حدوده الطويلة .. ولذلك لازم نفكر كويس جدا أنه يصح أنه هو قبل احنا ما نبدأ اى حاجة أنه هو يقوم بأى تلكك .. أنا جمعت اخوانى أيام ما ضربنا الطيارة بعد ما رجعت من بره ويذكروا هذا الكلام أنا قلته لهم .. قلت لهم فيه احتمال كبير جدا ولازم نحطه ان احنا نفاجأ بأن اسرائيل تبدأ هى علينا ضربة وحيمارس هذا الموضوع الامريكان .. مش عايز اقول ناس ثانيين كمان . لان الكل مصلحته حيشترك فى تدمير القوات المسلحة المصرية .. فى هذه الفترة . من قبل المفاوضات وقبل يعنى ما نتكلم من مصدر قوة . يعنى لازم برضه نحط فى اعتبارنا أن احنا لازم نخوض قريبا معركة دفاعية عنيفة جدا ستستخدم فيها اسرائيل سلاحها الرئيسى اللى هو سلاح الجو لان أنا ما أعتقدش من الناحية العسكرية انها تقدم علىعملية عبور برية أبدا .. ولازم نكون حذرينجدا من ضربة جويةمفاجئة

أو من تركيز عنيف على مواقعنا أو على مواقع داخل أراضينا فى عمق أراضينا فجائى .

مش لازم يعنى مانقعدش بقه فاهمين ان احنا نحصر الوقت المناسب بتاعنا والحتة المناسبة بتاعتنا والكلام اللى احنا بنفكر فيه دلوقتى بس ؟

الرئيس : انا قلت هذا الاحتمال من زمان ..دا انا بأحكيه لكم وأقولكم يعنى من فترة .. من الصيف وانا متهيأ لى انه قبل الانتخابات يعنى لو أنا محلهم هناك قبل الانتخابات لازم أضرب. ليه ؟ .. لان اسرائيل النهارده من بعد قرارات الروس وخروجهم من المنطقة بدأت تطنش مع أمريكا شوية .. تحليلهم هكذا على المدى الطويل الامريكان وغرب أوروبا .. الشيء اللى كانوا بيشتغلوا عليه وهو أن الاتحاد السوفيتى هنا وهما قاعدين عشان يفاوموه وعلشان كده بيسحبوا من أمريكا ومن غرب أوروبا ومن كله تأييد .. خلاص .. خلص . تحليل من داخل اسرائيل جانى انه بيقولوا .. على المدى الطويل ان احنا حنكسب أمريكا وغرب أوروبا الاثنين وعليه يعنى العملية اللى عملوها فى لبنان وكسروا القزاز .. و... و... و... كل ده بيعملوه ولا هاممهم ولا هم سائلين .. ليه .. يعنى لو يفكروا صح لازم قبل الانتخابات علشان يحطوا أمريكا والكل فى «...rner» أنه يبقى الكلام .. الحل بيجى على اللى جرى فى الضربة دى مش بتاع يونيو ٦٧ .. ينقلوا الكلام بدل ما نتكلم على حل القضية .. لا .. على اللى جرى فى الفترة الاخيرة ويوقفوا اطلاق النار .. عدونا خبيث .. بيشتغلوا بمخطط واسع كبير قوى قوى قوى وقاعدين يحسبوا براحتهم .. عندهم كل اللى همه عايزينه وبراحة .

اللواء على عبد الخبير : اذا كان سيادتك تسمح أسأل .. يعنى نقطة أستوضحها .. سيادتك بتحدد ميعاد اجراء الانتخابات الامريكية كموعد محتمل سواء من ناحية اسرائيل أو من ناحيتنا فى جمهورية مصر .

الرئيس : بعد الانتخابات بالنسبة لنا .

اللواء على عبد الخبير : بالنسبة لنا بعد الانتخابات ٠٠ وهذا الموعد يجوز بالنسبة لاسرائيل ٠٠ في الوقت نفسه الموقف بالنسبة لروسيا لم يتغير من ناحية التسليح ٠٠ بيتهيأ لى خلال السنتين الاخيرتين لا يوجد أى نوع من التغير اطلاقا ٠ أو أى نوع من الزيادة ٠ فيه تأثير نتيجة استهلاك بعض المعدات واستهلاك الذخيرة أو أى استهلاك خلال الفترة ٠٠ نواحي النقص الاساسية اللى هى موجودة وقائمة بيننا وبين اسرائيل فى نواحى الطيران لم يتعدل الموقف فيها حتى الآن . فى خلال المدة دى . الاتفاقية التى تمت وكلها حاتتم فى خلال ٧٣ وما بعدها ولن تؤثر على الموقف الحالى ٠٠ هل ده مايكونش له تأثير على موقف القوات المسلحة فىحالة دخولها ، مع حساب موقف الطيران الاسرائيلى ، وموقف قواتنا وما يترتب عليه من خسائر .

الرئيس : برضه ما فهمتش التحليل الاولانى يا على أما نيجى أمام قدر ٠٠ يعنى لو أنا خدت بهذا التحليل فى ٨ يوليو وحسبت على هذا النمط ماكانش لازم آخذ قرارات ٨ يوليو خالص ٠٠ بتيجى لحظات عليك أن تواجه قدرك فيها ٠٠ اذا خدنا بتحليك ولاسنة ٨٠ هنتحرك ٠٠ بيعوض هذا الكلام اللى أنت بتقوله تخطيط سليم لسد الفجوات اللى عندنا بيعوضه أن نفهم طبيعة المعركة اللى احنا بنواجهها ونفهم الناس اللى حتخش المعركة طبيعة المعركة وأنه الروح ٠٠ روح القتال وروح الجندى وروح الاستبسال والتشبث بالارض و ٠٠ و ٠٠ وكل ده أسلحة لازم نستخدمها علشان نعوض النقص اللى عندنا لازم ٠٠ كقائد سياسى أنا النهارده وبأواجه الظروف اللى احنا فيها ٠٠ فى سنة ٧١ أنا أديت براح كبير وأمام الوضع اللى أنا فيه خدت وقت واتكلمت مع الامريكان ٠٠ واتكلمت مع الروس وطولت ٠٠ وزرت روسيا ٤ مرات وتحركت في كل الاتجاهات وبذلت كل ما يمكن بذله ٠٠ تلخص فى الموقف فى الآخر أنه هل أنت موجود ولا مش موجود ٠٠ كشعب وكقوات مسلحة ٠٠ دى اللى أنا بأواجهه النهارده ٠٠

اللواء على : أنا من سنة ٦٧ وأنا أعلم أن الروس موقفهم لم يتغير من يوم ما عملنا اتفاقية معاهم ٠

الرئيس : بس أنا مش معاك فى أنىأحمل الروس المسئولية ياعلى٠

اللواء على : لا أنا أحملهمش المسئولية .

الرئيس : عايز ايه أكثر من واحد سلح لك جيشين ٠ سلح لك جيشين بس بالسلاح اللى هو عايز يديه لك ٠٠ لكن سلح لك جيشين حقيقة واقعة ولا لأ ٠٠ ؟؟

اللواء على : الروس بيقرروا سياسة لهم وبينفذوها واحنا عاطفيين من بعض النواحى فبنطلب منهم أكثر من السياسة بتاعتهم مابيستجيبوش ٠

الرئيس : طيب ايه دخل ده فى أنك تكون أو لا تكون٠ ايه يعنى٠؟ همه الروس اللى بيخلونى أكون أو لا أكون ٠

اللواء على : لا احنا على أساس نكون أو لا نكون هو ده (الوضع) . انما علشان نكون لازم يكون كل شىء من أجل أن نكون ٠

الرئيس ـ لا كل شىء بقه أنا مش معاك مفيش قائد عسكرى ابتدأ معركته بكل شىء قدامه ٠

اللواء على : لا مش كل شىء معايا يافندم .. بأقول كل شىء فى الدولة .. كل فرد زى أى دولة تدخل الحرب وتجند كل امكانياتها فى سبيل المعركة ..

الرئيس ـ ملكش دعوة بالدولة ٠٠ ده شغلى أنا ٠٠ الدولة بتطلع من بقها لقمة العيش والدولة يوم ما تتحرك أنت ٠٠ أنا بأقولك مش على موقف العربى ومش للروس ومش للامريكان ٠٠ لشعبنا قبل دول كلهم ٠٠ يوم ماتثبت أنك موجود ان شاالله تقلعهم الهدوم هايقلعوها ويدوهالك٠ لكن شعبك شأنه شأن أى حد تانى النهارده ٠ فيه معركة ولا مفيش٠ التساؤل ده موجود عند ناس طيبين٠٠ مش عند الحاقدين ٠٠ لا ٠٠ فيه معركة ولا مفيش ٠٠ عاملين ايه ٠٠ احنا بنواجه القدر وساعة الانسان ما بيواجه ظروف وقدر يبقى فيه خطر محسوب ٠٠ نخشى ٠٠ بنقبل ونخشى المحسوب ٠٠ اذا ترددنا ٠٠ بنقبل ٠٠ ما بنقبلش ٠٠ الحال حايبقى على ما هو عليه بل أسوأ ٠٠ الوضع عندى فى الداخل قبل ما أكون باتكلم على العرب ولا على الروس ولا على الامريكان ٠

اللواء على : نقبل الخطر المحسوب ..

الرئيس : آه طبعا ٠٠

اللواء على : مفيش بدل .. نعمل على تلافى الخطر .. يعنى ..

الرئيس : أمال بأقول تخطيط يغطى الفجوات ليه ؟ ما عادش أمامنا من سبيل يعنى حاولنا ٠٠ وعملنـا كل ما يمكن عمله وأمامى لحظـة من لحظات القدر النهارده ٠ هل احنا موجودين ولا مش موجودين بس ٠

الفريق عبد القادر حسن (نائب وزير الحربية) : الحقيقة يعنى احنا من وقف اطلاق النار واحنا أملنا جميعا يستمر الوضع ٠٠ أحسن وضع وصلنا له كان هو الوضع بتاع يوليو سنة ٧٠ هل المطلوب ٠ أو التركيز ٠٠ من الكلام اللى سيادتك قلتـه ان احنـا نقوم بعمليات نشطة ومحدودة أو بمهمة تحرير الارض ٠ هنا فيه فرق ٠ الهـدف الاول المحدود هو للتنشيط عسكريا وليكون فيه أساس سـياسى أو قاعدة نتحرك فيها ٠ طبعا مختلفة عما اذا كان التخطيط أو الهدف هو تحرير الارض ٠

الرئيس : فى أغسطس اديته للوزير ٠٠ وهو ٠٠ كسر وقف اطلاق النار ٠٠ كسر وقف اطلاق النار ٠

الفريق عبد القادر حسن : هو بس فيه نقطة ٠٠ انه عملية الدخول ى الارض ٠٠ تحرير الارض فيه ٠٠ موضوع الاستهلاك المستمرة ٠٠ والاستهلاكات المستمرة لازم يكون الاحتياطات الموجودة كافية باعتبار أن اعتمادنا على الصديق أحيانا فيه بعض احتياجات استراتيجية مش هايدينا ٠

انما اذا كان بالغرض اللى سيادتك حددته ٠٠ يبقى شىء آخر ٠

الرئيس : محدد من أغسطس ٠

الفريق عبد القادر حسن : المعركة حتى لو أردنا أن تكون محدودة قد لا تكون محدودة ٠

الرئيس : طبعا مفيش شك ٠٠ ده طبيعى ٠٠

الفريق عبد القادر حسن : انما هى قد تبدأ من هجوم مننا طبعا ٠

وطبعا سيادة الوزير يظهر عنده خطة ٠٠ انما احنا مش حنمتلك انها تكون محـدودة أو فى مكان أو فى مدة محـددة ٠ بمعنى أنى أنا فى تخيلي للعمليات أن على قدر الامكانيات الموجودة عندنا نقدر نبدأ عملية محدودة لكن حتنقلب العملية بشراسة من اسرائيل٠ وحتنقلب نهايتنا الى معركة دفاعية ٠ حنخوض معركة دفاعية مع تعديل فى بعض القوات الموجودة فى سيناء ٠ فى بعض المواقع اللى هانكسبها باذن الله ٠ لكن حتنقلب الى وضع دفاعي واسرائيل حتستمر فيها لأنها ما زالت عندها التفوق الجوى ٠٠ الورقة اللى بتلعب بيها ٠٠

هنتعرض لموقف أن العمق بالذات هو الكلام بتاع محمد على فهمى اللى قاله ليس جميع أهدافنـــا الحيـــوية تدخل ضمن خطة الدفاع بالصواريخ ٠ وطبعـا حتى الاهداف اللى فى خطة الدفاع بالصواريخ معرضة أنهـا لو ركز عليهـا حتصـاب ٠٠ ففيه احتمالات كثيرة أن أهداف كبيرة من عندنا فى العمق هتتدمر ٠٠ سواء كانت قناطر أو مصانع كبيرة ٠٠ هو ده التأثير بالنسبة للعمق ٠٠

بالنسبة لوضعنا فى نهاية المعركة الدفاعية طبعا فى نهاية المعركة الدفاعية لازم العدو هيتحرك وحيوقف المعركة الدفاعية وهنشوف بقه وضعنا احنا حيبقى ايه ووضع اسرائيل ايه ؟٠ النقطة بس الوحيـدة ٠٠ ان اسرائيل حتصل فى معركتها الدفاعية اللى حتتوقف بعد كده الى أنها أصبحت صاحبة حق فى كل ما تملكه من بقاء جزئى فى سيناء فى أيديها ٠ وحتعتبر أن هذا هو الواقع الاسمى اللى تتمناه ٠٠ يعنى مثلا الخطة اللى احنا بنفكر فيها أو بنحضر لها لا تشتمل على (كذا) ٠٠ وقد تصـل الى أقصى ما نتمنـاه الى (كذا) وحتحتفظ اسرائيل (بكذا) أو كذا على الاقل ٠٠ هتعتبر هـذا حق اكتسبته بعد معركة أخرى تانية بعد ٦٧ ٠٠ احنا ماهيكونش عندنا الطاقة اناحنا نستغل نجاح قواتنا اللى عبرت عشان نكمل فى تحرير الارض لأن امكانياتنا فعلا غير (موجودة) ٠ يقابل هذا أن اسرائيل هتتمسك وممـكن بقه تبقى بعد كده عشرة ، عشرين سنة فى وضع هى تتمنـــاه أو بتتمنى النهارده جزء منه ٠٠ أنا نفسى يتبع العمليـة ايذاء اسرائيـل انى أنا أضرب عمقها بعنف وقسوة سواء كان من سوريا أو بواسطة أى حاجات أنا حاجيبها ٠ اذا لم يكن هذا يتبع العملية بتاعتنا ٠٠ يبقى اسرائيل فى الواقع هينتهى بيها المطاف أنها فى وضع أحسن مما هو الآن ٠٠ هتخسر بس خسائر ٠٠ انما هتمتلك جزء من سينا كبير والوضع كما

هو وما يبقاش فيه مجال بعـد كده انها تتفـاوض حتى ويانا ولا أية حاجة ٠٠ اذا كنا عندنا مقدرة فى أى وقت نطردها من سيناء بالكامل تقدر فى الواقع مهما كانت العملية محذودة لابد أن تكون ٠٠

الرئيس : اذا تصورنا أنه فى هذه العملية المحدودة مش هنضرب عمق اسرائيل نبقى واهمين ويبقى مفيش فعالية فى هذا ٠٠

الفريق عبد القادر حسن : تماما

الرئيس : وبعدين أنا كان دايما لى رأى مع عبد الناصر الله يرحمه ٠٠ أنا كنت باقول عشرةسنتى جواسينا ٠٠ عشـان أعمل ثغرة لى جوا سينا ٠٠ وأشرف ألف مرة أن القضية تقعد عشر سنين ولا أطلع ولادى من القاعدة يشتغلوا طول الليل ويرجعوا لى الفجر ٠٠ من موقف السكون اللى احنا فيه اللى القضية بتنتهى فيه نهائيا مش بقه نص سينا ٠٠ لا ٠٠ ده كل سينا ٠٠ واحنا وجودنا كوجود انتهى ٠٠ فبالنسبة للنقطة الاولى ما حدش بيشك فيها أبدا واذا كنا احنا مش بانيين على هذا نبقى واهمين ٠ ممكن أن نضرب عمق اسرائيل وبعنف ٠

الفريق عبد القـادر حسن : ضرب عمـق اسرائيل بقه يستوجب حاجات الحقيقة مبدئية لازم احنا نأخذها من الاتحـاد السـوفيتى أو سوريا تأخذها يعنى أرض سوريا لا يمكنها أن تضرب اسرائيل اذا لم نؤمن سوريا بخطة صواريخ ودفاع جوى كامل ٠٠ هم ماشيين فيهـا وأنا بأقول لسـيادتك أنا مطمئن لهذا وصحيح فيه أكثر من طـيران بيشتغل من سـوريا وهو ده اللى هيقـدر يضرب عمق اسرائيـل من السوريين ٠

الرئيس : كل الصعوبات اللى بنقولها وهتقولوها بقالى سنتين من يوم ما توليت ٠٠ بقالى خمس سنين من يوم ٦٧ وأنا عايشها ووصلت فى الآخر ان احنا بنواجه لحظة قدر ٠٠ يبقى تكملوا لى كل الفجوات بالتخطيط السليم ٠٠ يتبعه تجميع وتركيز لكل امكانيات ممكنة ٠٠ وتبدأوا فى التنفيذ ونتوكل على الله ٠

الفريق عبد القادر حسن : طيب نقطة ثانية يافندم بالنسبةلسوريا برضـه ٠٠ التوقيت بتـاع نوفمبر ده أو بعـد الانتخـابات لما نبص

للأوضاع فى سوريا تملى همه يبقى عندهم Execuse انهم مش حيقدروا يتحركوا ٠

الرئيس : مش شغلى أنا ٠٠ ده مش شغلى ده شغل القائد العام بتاع الجبهتين ٠

الفريق عبد القادر حسن : فيه نقطة ثانيـة يا أفندم مع احترامى برضه لسيادتك طبعا ٠٠ ان فى حالة ضرب العمق أو أى بهـدلة فى العمق عندنا ٠٠ احنا مش عايزين نصل الى موقف يضطرنا أن نقول للاتحاد السوفيتى ولع ٠٠ مرة ثانية ٠٠

الرئيس (بلهجة جادة) : يا عبد القادر دى تانى مرة أنت بتغلط فيها قدامى ٠

الفريق عبد القادر حسن : لا يا فندم بس ٠

الرئيس (أكثر احتدادا وغضبا) : دى تانى مرة أنت بتغلط فيها قدامى وأنا لا أسمح بهذا ٠٠ مش أنت الحريص على اسـتقلال البلد دى ٠٠ انت اللى خدت القرارات ؟

الفريق عبد القادر حسن : لا يافندم ٠

الرئيس : انت اللى جيتنى أقنعتنى بيهـا ؟ أنا لا أسمح بهذا أبدا أنا مسئول عن اسـتقلال البلد وأنا عارف أنا بأعمـل ايه وما أحبش تتدخل فى شغل غير شغلك ٠٠ دى تانى مرة تغلط فيها ٠٠ الثالثة حا أقولك روح ٠٠ أنا عارف بأعمل ايه ٠ وأنا وقفت للاتحادالسوفيتى لأحاسبه لغاية ما أكمل المعركة ٠٠ انما أنا مش محتـاج أنك تنبهنى لشغلى يا عبد القـادر أبدا ٠٠ لأن فى مرة أنت غلطت ٠٠ الغلطـة الأولانية كانت فى الطيارة ٠٠ وأنا يومها أنا فكرت أشيلك ٠٠ عيب ألزم حدودك ٠٠ أنا ما عندى حد يتخطى حد ٠٠ أبدا ٠٠

الفريق عبد القادر حسن : أنا آسف قوى ٠

الرئيس : أنت شغلك عسكرى بس ٠٠ مش سـياسى ٠٠ والدعم ٠٠ عايز تنبهنى لواجبى دعم ايه ٠٠ بتتكلم عن ايه ؟

الفريق عبد القادر حسن : أنا آسف خلاص .

الرئيس : للأسف .. يعني فترة فاتت كل واحد تصور فيها أنه يتخطى حده .. لا .. أنا اذا كنت سمحت فى الفترة اللى فاتت فى الوقفه أنه يحصل غلط.. المرة دى مش مستعد أسمح أبدا أن انسان يجاوز حده أبدا .. مهما كان .. يكون ده واضح (فترة صمت طويلة)

أى أسئلة .

اللواء محمود فهمى قائد البحرية : هو قطعا كل واحد فينا بيتمنى أن القضية ما تتحلش سلميا وتتحل عسكريا لكرامة الضابط والعسكرى المصرى.. وكل واحد مستعد يبذل كل جهده يعنى وحياته .. فى سبيل المعركة المصرية بتاعت مصر وتحرير الارض .. انما لو فيه أى سؤال فهو برضه من الحرص على مصر ومصلحة مصر ..

الرئيس : أيوه .

اللواء محمود فهمى : ده بس .. يعنى كنت سيادتك زعقت شوية يعنى احنا كلنا بنحرص قطعا ان احنا ..

الرئيس : أنت بتدافع عن عبد القادر حسن .

اللواء محمود فهمى : لا أبدا ..

الرئيس : أمال ايه يعنى معنى كلامك .. دى وجهة نظرك ؟

اللواء محمود فهمى : لا

الرئيس : أمال ايه يعنى ما معنى الكلام ده يا محمود .

اللواء محمود فهمى : أيا بأقول ان كل واحد فينا مستعد أنه يقدم حياته للقضية المصرية .

الرئيس : فى حدود شغلك مش فى حدود شغل حد تانى .. يعنى فى حدود البحرية عندك أعمل .. ما عندى مانع أبدا . وبأديكم كل الصلاحيات ومديكم كل الصلاحيات . وفى البلد .. مدى لكل واحد فى مكانه كل الصلاحيات.. رئيس الوزراء بيشتغل رئيس وزراء ..

مجلس الأمة بيشتغل مجلس الامة ٠٠ كل حتة بتشتغل ومدى صلاحيات كاملة بس كل واحد مايتجاوز القدر بتاعه ٠٠ ومش عايز حد يفهمنى واجبى ٠٠ أو يخرج عن حده أو يعمل بطل ٠٠

اللواء محمود فهمي : تمام ٠٠ وكل واحد فينا بيبذل كل جهده فى التدريب عشان اليوم بتاع المعركة ٠

(صمت طويل)

الرئيس : اذا كان فيه أى حاجة ٠٠ ان شاء الله ربنا يوفقكم ٠٠ زى ما قلت لكم بأعيد كلامى لحظات قدر واتحطينا أمام التحدى ٠٠ صعب ٠٠ فيه تضحيات وآلام ودم ٠٠ ولكن يعلم الله أنه مفيش أمامنا حل غيره ٠ يعنى عملت بكل ما أستطيع فى السنتين اللى أنا أتوليت فيهم عشان أحاول أخففها ما أمكنش ٠٠ وواجهنا الظرف ٠٠ والنهارده زى ما قلت لكم احنا أمام اختبار قدر ٠٠ هل احنا موجودين ولا مش موجودين ٠٠ بعد كل اللى عملناه اللى بنيناه ووقفنا فيه ٠٠ هل احنا موجودين والا مش موجودين ٠

بالنسبة لشعبنا ٠٠ بالنسبة للعرب ٠٠ بالنسبة لأمريكا ٠٠ بالنسبة لروسيا صديقتنا ٠٠ بالنسبة لغرب أوربا بالنسبة للعالم كله ٠٠

هل احنا موجودين والا مش موجودين ؟

وكفاية سمعنا كلام كتير ٠٠ وتجريح كتير ٠٠ ولحظة لازم نواجهها ٠٠ محكوم علينا من الكل ان احنا ناس لا قدرة لنا ٠٠ خلاص مشلولين ٠٠ بنقبل هذا بنفضل مشلولين ٠٠ بنقبل هذا بنفضل مشلولين وهيتحول الشلل الى عجز مطلق ٠٠ نهائى ٠٠ ما بنقبلوش ٠٠ بنقبل قدرنا ونخش ونشتغل على أحسن ما يمكن ان يعطينا العقل اللى ربنا اده لنا ٠٠ والتخطيط السليم ٠٠ واستخدام الامكانيات أمثل استخدام ٠ وفى الحدود اللى نستطيع ان احنا نعمل فيها بعد ذلك ٠٠ يفعل الله ما يشاء ٠٠ عملنا كل اللى علينا ٠٠ وبعد ذلك نواجه قدرنا ٠٠ معنديش لكم حاجة أقولها النهار ده غير هذا اطلاقا ٠٠ مفيش ٠٠ يا ريت كان قدامى شيء ٠٠ انا قلت فى وقت من الاوقات

أنا مستعد أروح لآخر الدنيا عشان عسكرى مش ضابط ٠٠ عسكرى واحد ما يتعورش ولا زلت لحد النهارده مستعد لآخر الدنيـــا أروح مستعد أروح موسكو تانى ويعلم الله أننى لاأريد ٠٠ لقد فاض من كل قلبى مش عشان عبد القادر حسن وحماسه وبطولته ٠٠ يعلم الله أنا مستعد أدوس على كل شىء آخر وأخشــها برضــه بس لما أعرف انى حأعمل لكم حاجة ٠٠ مفيش ٠٠ النهارده مفيش ٠٠ لكن واحنا أمام امتحان ٠٠ نخش الامتحان اللى بأرجوه بالنسبة لكم وبالنســبة لكل الاولاد اللى معاكم ٠٠ لازم يكونوا عارفين ان احنا بنعوض نقص كثير بايماننا بقوتنــا ٠٠ من استبسالنا من استماتتنا بنعوض كثــير ٠٠ ودى حيكون لها قيمتها ان شاء الله ٠٠ ولن يخذلنا الله سبحانه وتعالى أبدا مادمنا مؤمنين وعلى حق مش حنخذل أبدا أبدا ٠٠ وزى ماقلت لكم مش حيكون أسوأ من اللى احنا فيه ده ٠٠ انتوا مش حاسين بيه ٠٠ لأ ٠٠ أنا قاعد أحسب احنا فى وضع سيىء مصيره ابتداء من العام القادم الى لا شىء ٠٠ نهائى ٠٠

أنا اللى يهمنى فى المقام الاول هو بلدى ٠٠ احنا فى وضع سيىء ٠٠ وبعدين أنا قلت للفريق صادق وهو عندى وممكن يعنى اذا كان المســألة ميئوس منهــا ٠ والله خلاص ٠ معروض على حل جزئى ٠٠ معروض فعلا على حل جزئى ٠٠ بس أنا مش حاقبله ٠٠ وييجى حد غيرى يقبله ٠٠ أنا بتكوينى وبطبيعتى ما أقبلش حل جزئى ولا زلت مؤمن بالعسكرى المصرى ٠٠ ومؤمن بأننــا نستطيع نعمل حاجة ٠٠ وأنه أشرف لنا ان احنا نموت واحنا واقفين ورأسنا فى سابع ســماء ٠٠ من أننا نتخاذل ونقبل أى حاجة ٠٠ وخاصة بعــد ما بذلنــا كل ما نستطيع وباخلاص ٠٠ وبليالى طويلة « ما بينامش الانســـــان » اطلاقا ٠٠ الناس كلها مســافرة بره فى الصــيف ٠٠ وأنا قاعد فى المعمورة ٠٠

وبالليل كنت أقول لابنى طلعنى يا ابنى بره المعمورة أشم هوا ٠٠ وانا أرجع مانامش ٠٠ بيانات طويلة ٠٠ الشعب طيب ٠٠ وأصيل ٠٠ واداك اللى عنده ٠٠ لحظة ثمنها غالى ٠٠ ثمن كبير ٠٠ ممكن الواحد ينام طويلا خلاص واذا كانت العمليــة على الكرسى نقبــل أى حاجة وندخل فى عقول الناس أى تهريج وأى مزايدات وخلاص أنا ماأعملش هذا أبدا ٠٠ ولا قيمة للكرسى عندى اذا ماكانش فيه كرامة ٠٠ أبدا ٠

كان عندى ناس ديك النهـار بتكلمنى وقلت والله القـرارات ٠٠ قرارات ٨ يوليو ما تساوى أى شىء ٠ القرار باكتبـه من ثلاثة أسطر لرئيس مجلس الشعب ٠٠ يوم ماأحس انى مش كفء أويوم ما أحس ان احنا مش قادرين أقول لهم ٠٠ دوروا على حد تانى يمشى ٠٠ لأنى أنا غير كفء انى أمشى فى هذه المهمة ٠ ما بيساوى عنـــدى شىء ٠ ولا بيزود ولا بينقص عليه حاجة٠٠ احنا أمام امتحان قدام شعبنا فى المقام الاول قدام رجولتنا ٠ تاريخنا كله ٠ قدام أجيالنا اللى جاية ٠٠ هل احنا موجودين ولا مش موجودين ٠٠

ربنا يوفقكم وشكرا ٠٠

وانتهى هذا الاجتماع التاريخى بعد منتصف الليل بربع ساعة ٠٠

وهنا يجب ان ننحنى تقديرا لموقف السادات القائد الاعلى ٠٠ ان اهم القيادات العســـكرية امامه كانت تخشى من الحرب ٠ كان تقديرها اننا سنتحول الى موقف دفاعى ، وأن اسرائيل ستضرب فينا كما تشاء ٠ هذه القيادات التى تدافع عن هذا الرأى هى المحيطة بالفريق صادق وزير الحربية ٠ نائبه الفريق عبد القادر حسن ٠٠ اللواء على عبد الخبير قائد المنطقة العسكرية المركزية ٠٠

ثم يسمع القائد الاعلى من اللواء عبد المنعم واصل ، ان اسرائيل متقدمة عنا فى السواتر الترابية ٠٠ واننا مكشوفون ، واننا سنواجه خسائر فادحة ٠٠ وهذا يعنى ان الخطة الدفاعية ٢٠٠ لاتنفذ !

ثم يسمع القائد الاعلى من اللواء نوال ســـعيد رئيس الامداد والتموين ، الذى يقول : **لايمكن ان يتحرك اى جيش الا اذا كان ملما بكل تفصيلات الخطة** ٠٠ يسمع القائد الاعلى منه ، تساؤلا : هل توجد خطة ؟ ٠٠ معنى ذلك انه لم يخطر بأى شىء ٠٠

ويصمت وزير الحربية فى **هذا الاجتماع ، ولا يتكلم .. والرئيس** يعرف رأيه ٠ ويعرف ماكان يتحدث به الى قيادات الجيش ، بأن الحرب مستحيلة ، **بالاسلحة السوفيتية التى نملكها ..**

كل هذا ٠٠ ويقف أنور السادات كالعملاق ٠٠ ويؤكد قـــرار

الحرب . ويؤكد ثقته فى المقاتل المصرى والعسكرية المصرية .. ويعان عن ايمانه بأن الموقف هو ان نكون او لا نكون ..

ويسرع على الفور فى اجراء تعديلات في القيادة .. ويعين وزير الحربية الجديد .. ويبدأ الاعداد الجاد للقتال .

هذا هو موقف التاريخ ، الذى لن ينسى لانور السادات ..

بطولة اتخاذ القرار .

كان من الممكن ان يستند الى أراء هؤلاء القادة .

كان من الممكن ان يجد العذر ولا يتخذ القرار .

ولكنه قرار زعيم مسئول عن شعبه .. لاقرار رئيس جمهورية يتمسك بالمقعد .

قرار التاريخ لاجيال الامة العربية كلها ..

قرار لايتخذه الا زعيم بطل .

الفصل الثالث

الى قادة العالم

رسائل السادات

... كان التحرك السياسي لمصر قبل حرب اكتوبر ، مستمرا ، وفعالا على نطاق المسرح العالمي الكبير شرقا وغربا ، وكان مواكبا للاستعداد العسكرى . لم يتوقف ايهما انتظارا للآخر .ولعل النشاط الكبير الذى وضح فى تحركنا السياسى . اقنع الكثيرين ، بأن احتمالات دخولنا الحرب ضعيفة ، بل مستحيلة .. والا فلماذا نبذل هذا الجهد المكثف فى السعى السياسى والدبلوماسى .

وكانت وجهة نظر الرئيس السادات ،انه يضع زعماء العالم امام مسئولياتهم ، وانه يضمن بذلك التأييد السياسى العالمى لقرار الحرب .

ونرى فى رسائل السادات الى قادة العالم خطين متوازيين : انه يستحث بكل الاصرار على جهود تؤدى الى سلام عادل مشرف .. وهو فى الوقت نفسه يحذر من ان مصر ستضطر الى استخلاص حقوقها بوسائل اخرى .. مؤكدا ان الموقف متفجر .

فنقرأ فى رسالته الى السيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند فى ٥ مارس ١٩٧٣ ـ اى قبل الحرب بسبعة اشهر ـ نقرأ قول الرئيس لها :
« لقد جاوز الاحتلال الاسرائيلى لبلادنا خمس

سنوات ، وهذا موقف كما ولاشــك تقدرين ، لايمكن السكوت عليه او استمرار تحـمله بكل مايلقيه من اعباء نفسية ومادية على شعبنا » .
ويشرح لها مراوغات اسرائيل لقتل جهاد السلام ثم يقول : « ..ومما سبق يتضح بجلاء ان سياسة اسرائيل تقوم على اغلاق جميع المنافذ والابواب امامنا ، عدا باب واحد وهو باب الاستســـلام لمطالبها والجلوس معها لغرض محدد وهو تحديد حجم الغنيمة التى تحصل عليها ثمرة لعدوانها علينا ، ولكى تملى علينا الشروط التى تقبل بهـا تعديل خطوط احتلالها لبلادنا ، وهو مالا نقبله ونعلن امام العالم رفضه ، وان مسئولية مايترتب عليه يجب ان تتحملها اسرائيل ومن يساندها ، كما اننا واثقون من قدرتنا ـ بمســاعدة جميع الدول الصديقة والتى تؤمن بعدالة قضيتنا ـ على ازالة العدوان الاسرائيلى بكافة آثاره » .

ويؤكد السادات مرة اخرى فيختام رسالته الى انديرا غاندى : « اننا نرجو مخلصين بأن يتحقق هذا السلاموبالوسائل السلمية ، ونرجو مخلصين الا نضطر الى الالتجاء الى وسائل اخـــرى امام الغطرسة الاسرائيلية من اجل اســتعادة حقوقنا الاساسية المشروعه)) ..

وفي رسالة السادات الى موبوتو رئيس زائير فى ٢٢ مارس ١٩٧٣ ، يستحث الرئيس التضامن الافريقى ويطالب « بضرورة تضــافر جهــودنا واتخاذنا المواقف الحاسمة من اجل ارغام اسرائيل على ان تكف عن سياستها الغاشمة » .

والرئيس السادات يحذر فى رسالته الى هيث رئيس وزراء بريطانيا فى ٣١ يوليو ١٩٧٣ ، من خطورة التعنت الامريكى فى المســاندة الكاملة لاسرائيل على السلام : « لقد اصبح واضحا ان

الموقف الذى اتخذته الولايات المتحدة ، هو تحد لارادة المجتمع الدولى يسد الطريق امام الجهود للتوصل الى تسوية سلمية ، ويعرض السلام والامن الدوليين لمخاطر شديدة فى منطقتنا » .

ثم نقرأ فى رسالة الرئيس السادات الى قداسة بابا روما فى مارس ١٩٧٣ ، موقفا مصريا يسجله الرئيس ، وهو اننا « بالرغم من المجهودات المضاعفة التى نبذلها فى سبيل الحصول على السلام فاننا نقاسى ظلم العدوان والطغيان » .

... وفى فصل مقبل من هذا الكتاب ، سيجد القارىء قولا للرئيس السادات يحدد فلسفته .. « ان المعركة العسكرية يجب ان تكون فى خدمة المعركة السياسية .. كما ان المعركة السياسية يجب ان تكون فى خدمة المعركة العسكرية » ..

ورسائل السادات السياسية الى زعماء العالم ، كانت مقدمة فعلا لتهيئة الرأى العام العالمى للمعركة العسكرية ..

وفى الصفحات المقبلة نصوص من بعض رسائل الرئيس الى زعماء العالم ...

رسالة الرئيس

الى انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند

فى ٥ مارس ١٩٧٣

عزيزتى السيدة أنديرا غاندى

رئيسة وزراء الهنـــد

لقد كنت آمل ان تتحقق رغبتى فى لقائك اثر لقائى مع صديقنا وزميلنا العزيز **المارشال تيتو ، ولكن مشاكل ملحة طرأت وألقت** بكامل ثقلها على الموقف فحرمتنى مما كنت ارغب فيه ، بل واتطلع اليه من تبادل الرأى معك والتشاور سويا بشأن الموقف العصيب الذى تمر به مصر والبلاد العربية · والواقع اننى كنت آمل فى ان اشرح لك شخصيا الابعاد المختلفة لهـــذا الموقف لنفكر سويا فى الوسائل المتاحة لمعالجته بكل ما يستحق ذلك من جدية وحسم وعلى اساس المبادىء التى آمنا وما زلنا نؤمن وباصرار بأنها يجب ان تكون اساس العلاقات الدولية ·

سيدتى العزيزة :

لقد جاوز الاحتلال الاسرائيلى لبلادنا خمس سنوات ، وهذا موقف كما ولاشك تقدرين ، لايمكن السكوت عليه او استمرار تحمله بكل مايلقيه من أعباء نفسية ومادية على شعبنا ، فلقد اصبحت ميزانية الدولة تنوء بأعباء الدفاع الثقيلة التى تتزايد يوما بعد يوم وتعطل بذلك والى حد كبير جهودنا التى نحرص على ادائها كاملة من اجل التنمية ، كما اضطررنا الى ان نبقى فى ميدان القتال مئات الالوف من الشـــبان طوال هذه الســـنوات بكل ما يستتبعه ذلك من آثار نفسية واجتماعية واستنزاف لجهودهذه النخبة الممتازة من ابناء مصر وبغير طائل · ولقد تمادت اسرائيل فى صلفها فأخذت تخطط وتعمل لتغير واقع اراضينا ومعالمها لتجابه العالم بما تسميه الحقائق البديلة واننى واثق انك تتفقين معى فى الرأى على ان هذه الاوضاع هى بطبيعتها مما لايمكن السكوت عليها او تركها سنوات اثر سنوات

بغير علاج فعال او رد حاسم تجند له كافة الطاقات والامكانيات من سياسية واقتصادية وعسكرية ٠

سيدتى العــزيزة :

لقد تعددت جهودنا من اجل السلام سواء عندما قبلنا قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ او عندما تعاونا مع سكرتير عام الامم المتحدة ومع ممثله الخاص او عندما عرضنا عليه اقتراحاتنا الخاصة بجدول زمنى يتم على اساسه تنفيذ قرارات الامم المتحدة وكذلك عندما قبلنا وشجعنا مباحثات الدول الاربع الدائمة العضوية فى مجلس الامن ولم نتردد فى مساعينا هذه فى الاستماع والاســـتجابة لأى جهة كان لديها ما تقترحه فى سبيل التوصل الى تسوية شريفة ٠ فلقد استمعنا الى فرنسا عندما اقترحت المباحثات الرباعية والى الولايات المتحدة عندما تحدثت عن احترام الحدود الدولية وتقبلنا بل وشجعنا زعماء افريقيا عندما نهضوا لصيانة العدالة الدولية الى جانب صيانتهم للحـــرية والكرامة الافريقية ، كما اعلنا قبولنا لمبادرة السفير يارنج فى فبراير ١٩٧١ ، الا ان كل هذه الجهود والخطوات من جانبنا قوبلت ، وكما كنا نتوقع ، برفض قاطع وعناد وصلف من جانب اسرائيل بل وبكل أسف بتردد وتراجع من جانب الولايات المتحدة التى اصرت فى نفس الوقت على مساندة المعتدين ٠

واننى اود ان أؤكد لك يا سيدتى العزيزة اننا اتخذنا هذه المواقف كلها حرصا منا فى المقام الاول على ان يلمس العالم ايماننا بالسلام ورغبتنا الامينة فى ان نعيش فى ظل المجتمع الدولى وشرائعه ٠

ومما سبق يتضح بجلاء ان سياسة اسرائيل تقوم على اغلاق جميع المنافذ والابواب امامنا ، عدا باب واحد هو باب الاستسلام لمطالبهـا والجلوس معها لغرض محدد وهو تحديد حجم الغنيمة التى تحصل عليها ثمرة لعدوانها علينا ولكى تملى علينا الشروط التى تقبل بهـا تعديل خطوط احتلالها لبلادنا ، وهو مالانقبله ونعلن امام العالم رفضه وان مسئولية مايترتب عليه يجب ان تتحملها اسرائيل ومن يساندها ، كما اننا واثقون من قدرتنا بمساعدة جميع الدول الصديقة والتى تؤمن بعدالة قضيتنا على ازلة العدوان الاسرائيلى بكافة آثاره ٠

وازاء تعنت اسرائيل ورفضها الاستجابة لاحكام النظام الدولى فاننا نعتقد ان على دول عدم الانحياز عدم الاكتفاء بشجب موقف اسرائيل

واستنكاره ، فمجموعة عدم الانحيـــاز اخذت فى اكثر من مناسبة مبادرات ايجابية وفعالة لحماية السلام العالمى وكان دائما لسياسة دول عدم الانحياز تأثير مباشر على مسرح السياسة الدولية كلما تعرض السلم والامن الدولى لأخطار الحروب . ولاشك ان العالم اليوم يتعرض لتهديد مباشر وشديد بسبب الموقف المتوتر المشحون بالاخطار فى الشرق الاوسط . ولذلك فانني آمل ان تتمكن دول عدم الانحياز من مباشرة دور قيادى وتقوم بنشاط مكثف بين مختلف الدول لتأكيد مسئولية المجتمع الدولى نحو ازالة آثار العدوان الاسرائيلى والعمل على اقرار السلام العادل فى الشرق الاوسط .

وفى ختام خطابى هذا اود ان أؤكد اننا نرحب دائما بكافة الجهود الامينة من اجل التوصل الى حل سلمى عادل ومشرف ينتهى بانسحاب اسرائيل من كافة الاراضى العربية التى احتلتها اثر عدوانها فى يونيو ١٩٦٧ واعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، وأننا نؤمن بأن اقرار السلام العادل هو مسئولية المجتمع الدولى وان هذا واضح من تصرفاتنا بما لايدع مجالا لأى شك **واننا نرجو مخلصين ان يتحقق هذا السلام وبالوسائل السلمية ونرجو مخلصين الا نضطر الى الالتجاء الى وسائل اخرى أمام الغطرسة الاسرائيلية من اجل استعادة حقوقنا الاساسية المشروعة .**

سـيدتى العزيزة :

اننى اذ ابعث اليك خطابى هذا مع السيد وزير الخارجية الدكتور محمد حسن الزيات لكى يضع أمامك حقائق الموقف الراهن وتفصيلاته ويوضح تفكيرنا ازاءه من انك شخصيا والحكومة الهندية والشعب الهندى الصديق سوف تبذلون كما عودتمونا دائما اخلص الجهود وأقواها لمساندة قضيتنا العادلة فى هذا الموقف الدقيق الراهن .

القــاهرة فى ٥ مارس ١٩٧٣

محمد انور الســادات

رسالة الرئيس

الى موبوتو .. رئيس زائير

فى ٢٢ مارس ١٩٧٣

عزيزى الرئيس موبوتو سيسى سيكو

رئيس جمهورية زائير

ابعث اليكم بخالص تحياتى مقرونة بأطيب تمنياتى لكم بالصحة والسعادة والهناء والتوفيق ولشعب زائير الصديق بمزيد من التقدم والازدهار تحت قيادتكم الرشيدة .

لقد تابعنا باهتمام ردود فعل الدول الافريقية الشقيقة ، كما لاحظنا بصفة خاصة ، بالتقدير موقفكم العادل والمشرف من حادث العدوان الاسرائيلى الاجرامى ضد الطائرة المدنية الليبية وهو عدوان يمثل حلقة جديدة من استخفاف اسرائيل بكل المبادىء الانسانية والقانونية التى تتمسك بها شعوبنا فى سعيها لبناء عالم افضل . كما ان هذا الحادث يؤكد **اقتناعنا جميعا بضرورة تضافر جهودنا واتخاذ المواقف الحاسمة من اجل ارغام اسرائيل على ان تكف عن سياستها الغاشمة** وتستجيب لأحكام القوانين الدولية بأن تنسحب من جميع الاراضى العربية التى احتلتها غدرا وعدوانا . وان تعترف بحقوق الشعب الفلسطينى السياسية والانسانية .

ان موقف الدول الافريقية الشقيقة التى قررت قطع علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل لخطوة هامة لاسماع صوت قارتنا عاليا وابراز تصميمها على التضامن فى وجه العدوان الاسرائيلى والاطماع الصهيونية التوسعية .

ان هذا القرار يعد تعبيرا عن الادراك العميق لافريقيا بأن التضامن الفعال بين شعوبها هو وحده الكفيل بتحقيق النصر لها .

مع وافر تحياتى واحترامى ..

القاهرة فى ٢٢ مارس ١٩٧٣

اخوكم

(محمد انور السادات)

رسالة الرئيس
الى هيث رئيس وزراء بريطانيا
فى ٣١ يوليو ١٩٧٣

عزيزى المستر ادوارد هيث

رئيس وزراء المملكة المتحدة

لقد رأيت أن أكتب اليكم بعد انتهاء اجتماعات مجلس الامن بناء على طلب مصر لبحث مشكلة الشرق الاوسط ، لأعبر لكم عن خالص الشكر والتقدير للموقف الذى اتخذته بلادكم خلال مناقشات المجلس وما اظهره مندوبكم فى المجلس من تعاون مع وزير خارجيتنا ، وما أبداه من تأييد واضح وصريح لمشروع القرار الذى يؤكد ضرورة انسحاب اسرائيل من الاراضى التى احتلتها فى يونيو ١٩٦٧ بالمخالفة لأحكام ميثاق الامم المتحدة ، ويؤكد ضرورة احترام حقوق وآمال الشعب الفلسطينى ·

ولقد كان هذا الموقف ـ فوق انه يعكس علاقات الصداقة بين بلدينا وتأييد اوربا لموقفنا ـ تعبيرا عن المبادىء السامية التى تؤمن بها جميع الشعوب والدول المحبة للحرية ، والعدل والسلام ·

ولقد اصبح واضحا ان الموقف الذى اتخذته الولايات المتحدة الامريكية لتحول دون صدور القرار الذى صوتت لصالحه ١٣ دولة هو تحد لارادة المجتمع الدولى يسد الطريق أمام الجهود للتوصل الى تسوية سلمية ويعرض السلام والأمن الدوليين لمخاطر شديدة فى منطقتنا التى تتطلع الى تحرير أراضيها واسترداد حقوقها وبناء سلام عادل تستطيع فى ظله الاسهام بطريقة ايجابية وبناءة فى تحقيق الامن والرخاء فى العالم ·

وليس من شك فى ان المجتمع الدولى فى مواجهة هذا الموقف الامريكى المعوق والذى يتناقض مع مسئوليات دولة كبرى عليها مسئولية خاصة تجاه السلم والامن الدوليين ـ سوف يواصل ـ داخل الامم المتحدة وخارجها ـ دعم جهودنا منأجل حقوقنا التى تقرها الغالبية الساحقة من دول العالم ·

وانى اذ أبعث بأطيب تمنياتى بالصحة والسعادة لشخصكم ، أرجو للشعب البريطانى اطراد التقدم والنجاح والازدهار ·

القاهرة في ١٩٧٣/٧/٣١

محمد انور السادات

رســـالة الرئيس

الى بابا روما

فى ١٩ مارس ١٩٧٣

قداسة البابا

تسلمت بكل تقدير واعزاز رسالتكم التى وجهتموها بمناسبة يوم السلام العالمى فى شهر يناير عام ١٩٧٣ ٠ وقد وقعت من انفسنا موقعا حسنا لأننا نشارك قداستكم ولاءكم واخلاصكم لقضية السلام اذ أننا فى هذه المنطقة من العالم نواجه عدوا يبدى اصرارا على الغزو والعنف واراقة الدماء ، عدوا لايعرف الا لغة الحرب ٠

ونحن نعلم جيدا من خبرتنا المرة خلال الخمس سنوات الاخيرة ان استتباب السلام ليس بالامر الهين ،فبالرغم من المجهودات المضاعفة التى نبذلها فى سبيل الحصول على السلام فاننا نقاسى ظلم العدوان والطغيان ٠

اننا نشارك الآمال التى تحدو قداستكم نحو مستقبل افضل للامم المتحدة ، مستقبل تكون فيه المنظمة الدولية أداة لاقرار النظام وتتركز عليها آمال الشعوب نحو عالم يســـوده العدل والحق حتى تصبح المنظمة فى حد ذاتها قانون سلام يحكم العلاقات الدولية ٠ وقد ابدينا من قبل ثقتنا بالمنظمة كمؤسسة تعبر عن أمل الانسان فى البقاء وقد توجهنا اليها ننشد معونتها فى جميع مراحل أزمة الشرق الاوسط والتزمنا بجميع قراراتها منذ انشائها ٠

ونحن نعتقد ان السلام يجب ان يقوم على العدل والمساواة وان يحتوى الانسانية جمعاء بغض النظر عن العقيدة واللون والجنس ٠ أما التمييز والتعصب السياسى الذى تمارسه بعض الدول فهو من اهم اسباب الحرب والصراع ٠

ودعاؤنا الى الله أن يلهمنا جميعا للعمل من أجل ان يكون صراع الانسان فى سبيل العدل والتفاهم الذى بدونه لايمكن اقرار السلام ٠

القـاهرة في ١٩٧٣/٣/١٩

محمد انور الســادات

الجزء الثانى

الوثائق السياسية

الفصل الأول

ذات مساء
من ابريل ١٩٧٣

●●● ((فى مايو تمت آخر تجربة كاملة للعبور . اتخذ القرار الخطير . السادات يوفد وزراء فى مهام سرية . أسرة الرئيس ترفض تغيير المنزل مع أنه هدف معروف للأعداء . نصائح للرئيس بالعدول عن الحرب نهائيا ، واعلان المفاوضات المباشرة مع اسرائيل . الرئيس يؤكد فى حديث خاص - للمؤلف - أننا اذا لم ندخل قبل نهاية ١٩٧٣ ، فاننا لن ندخلها أبدا . حسابات دقيقة عن قوة اسرائيل . بورقيبة يائس . القذافى يؤكد أننا لن ندخل حربا . وفجأة بدأت الحرب)) ●●●

ذات مساء من أبريل عام ١٩٧٣ .. وجدت من واجبي أن أتحدث الى الرئيس أنور السادات ، بكل ما يؤرق نفسي .. وبكل الوضوح.

لقد أمضيت أكثر من ليلة عاجزا عن النوم حتى يشرق النور . وكان قد تأكد لي من أكثر من مصدر ، أننا مقبلون على الحرب فعلا، وخلال وقت قصير جدا . لقد تصورته حينئذ . ربما أسبوعين أو أقل

وعرفت أن الرئيس استدعى أحد الوزراء ، وكلفه بمهمة سرية سافر اليها الوزير ، خاصة بتوفير مادة استراتيجية هامة من مواد الحرب .

وقال الرئيس للوزير :

ـ سأبلغك بساعة الصفر قبلها بوقت كاف ، لكي ترتب نفسك

واذكر انني اثرت هذا الموضوع ، في اجتماع لمجلس ادارة مؤسسة أخبار اليوم ، وطالبت باستكمال كل استعدادات الدفاع المدني وكنت أؤكد أنني أشم بأنفي الصحفي أن المعركة تقترب جدا .

وزاد يقيني ما سمعته من مصدر ثقة عن هذا الحوار الذي دار ـ حينذاك ـ بين الرئيس أنور السادات والسيدة جيهان قرينته ..

قال لها الرئيس :

ـ عليكم من الآن أن تبحثوا عن منزل غير هذا المنزل . ان المعركة ممكن أن تبدأ في أية لحظة . ولا شك أن منزلنا مطمع محدد لطائرات العدو .. وموقعه معروف وأنا لن أكون معكم .. مكاني سيكون في قيادة القوات المسلحة وأماكن أخرى ليل نهار ..

ولكن السيدة جيهان اجابته .. بأنها ستبقى في المنزل، ومايحدث سوف يحدث ، وهي تفضل أن تعيش أيام الحرب كأية أسرة مصرية

وقد سعد الرئيس السادات بهذه الاجابة ، وهـذا الاصرار .. وقال لها انه كان متأكدا تماما ، من أن هذا سيكون موقفها .. ومع ذلك فقد أراد أن يعطيها الخيار .

عندئذ قلت لنفسي .. اذا كان الرئيس يتحدث هكذا مع السيدة قرينته .. فلاشك أن القرار قد اتخذ تماما . ولم يبق الا التوقيت .. ولاشك أيضا أنه قريب جدا !

وكان الرئيس قد أدلى بحديث الى « بورجريف » كبير محررى النيوزويك ، أكد فيه بصراحة كاملة ، أن الحرب على الأبواب .. وخلال وقت قصير ، وتحدى فى اجابته لمحرر النيوزويك .. بقوله .. انتظروا وسترون أن هذا سيحدث وفى وقت أقرب مما تتصورون

وأذكر أننى اتصلت بالدكتور أشرف غربال المستشـار الصحفى للرئيس ، وقلت له ان لهجة الحديث عنيفة جدا .. وأحسست منه بأسلوبه الدبلوماسى أنه يؤيدنى ..

وكان « بورجريف » قد اتصل بى أكثر من مرة ، قبل أن يقـابل الرئيس أنور السادات وتناقشنا فى الموقف طويلا . وهو صحفى عالمى على أوثق الصلات بأكبر الساسة فى دولهم .. وله صداقة مقـربة بالدكتور كيسنجر وزير الخارجيـة الامريكيـة . وهو الصـحفى الامريكى الوحيد الذى كان له لقاء خاص معه عندما حضر كيسنجر الى القاهرة لاول مرة .. وكان « بورجريف » يرى أن دخولنـا الحرب مسألة خاسرة ، علينا ألا نفكر فيها ..

وقـال لى :

ــ لو كنت الرئيس أنور السـادات .. لأستطعت أن أقضى على جولدا مائير باعلان سياسى واحد ..

قلت :

ــ كيف ؟

قال :

ــ لقد أخرج الرئيس الخبراء الروس . والخطوة التالية هى أن يعلن الغاء المعاهدة مع السوفيت .. وأن يعلن للعالم كله ، أنه لن يدخل الحرب ، وأنه يعرض مفاوضات مباشرة مع جولدا مائير من

أجل السلام .

قلت :

ــ وماذا بعد ؟ ..

قال :

ــ عندئذ يكسب الرئيس السادات العالم فى صفه .. وتنهار كل حجج مائير .. فهم يقنعون العالم الآن بأن أمن اسرائيل معرض للخطر لأن السادات لا يريد السلام .. ودليلهم أنه يرفض المفاوضات المباشرة وكل مشكلات العالم الآن تحل بالمفاوضات المباشرة ..

وقلت لبورجريف :

ــ ان ما يقوله مجرد خيال . أولا لأنه ليس من صالحنا أن نتخلى عن صداقة الاتحاد السوفيتى .. وقرار اخراج الخبراء السوفيت ، هو قرار وطنى مائة فى المائة ، قد اتخذ بعد أن استنفد الخبراء مهمتهم .. وأصبح وجودهم ، وكأنه اتهام لنا بأننا سوف نحارب بقوات روسية .. وقد جاء الخبراء بناء على طلبنا فى عهد عبدالناصر .. ومن ناحية أخرى ، ليست هناك جدوى على الاطلاق ، من المفاوضات المباشرة مع اسرائيل .. فما معنى المفاوضة وأنا عاجز؟.. وبالعكس سوف يكون ما تتصوره أنت قاضيا على جولدا مائير وكل الصقور .. مدعاة لمضاعفة غرورهم .. وستفشل المفاوضات طبعا لأننا لن نحرر شبرا واحدا من أرضنا .. ونعود مرة أخرى مائة سنة الى الوراء ..

وقال بورجريف :

ــ اذا أفشلت اسرائيل مفاوضات السلام ، فهذه ورقة فى يدكم

أمام العالم .. وهذا أيضا يضعف القوى السياسية الامريكية المدعمة للصهيونية ، بحجة أنكم لا تريدون مفاوضات السلام .. ويمكن أن تنصرفوا الى مشكلاتكم الداخلية الاقتصادية والاجتماعية

قلت :

ـ اذا كنت مخلصا لمصر فأنت تعيش فى أوهام .. ولا طريق أمامنا الا الحرب . ولن ترعوى اسرائيل الا اذا ذاقت مرارة الحرب ..

قال :

ـ وما فائدة الحرب اذا لم تنته بانتصاركم ..

قلت :

ـ لا أريد أن أقول اننا سوف ننتصر . ولكننا لن ننهزم . سوف نلحق باسرائيل خسائر فادحة فى الارواح والعتاد .. وسوف تلحق بنا اسرائيل أيضا خسائر فادحة .. ولكننا نحتمل الخسائر ونستطيع أن نستوعبها .. أما اسرائيل فلن تقدر ..

وبدأ على « بورجريف » أنه غير مقتنع . لقد زار اسرائيل أكثر من مرة . ويعرف قادتها واحدا واحدا .. ويعرف مدى قوة اسرائيل العسكرية .. وهو هناك ليس شخصية محبوبة من مائير .. وقد أحرجته مرة مائير فى مؤتمر صحفى ، وعتبت عليه ، أنه لا يقدر معنى أمن اسرائيل الذى يواجه الاخطار ..

فقلت لبورجريف :

ـ لا تنس يا بورجريف أن الحرب ليست مواجهة عسكرية بين جيشين فقط .. هناك أساليب أخرى عديدة ، سوف نلجأ اليها .

قال : ماذا تقصد ؟ ..

قلت :

ـ لا أعرف كيف يمكن أن تحدث ، ولكنى واثق أنها لابد أن تكون

فى تخطيطنا .. وليس أمامنا الا أن نخرب جميع المصالح الاقتصادية الامريكية فى المنطقة العربية من أقصاها الى أقصاها ..

قال :

ـ كيف ؟ ..

قلت :

ـ لا أعرف كيف .. ولكننى أعرف أن الدول الصغيرة قادرة على الحاق أخطر الاضرار بالدول الكبرى التى تملك الصواريخ الذرية.

ولم يقتنع بورجريف ..وكان مصرا على رأيه فى أن دعوة السلام من السادات ، ونبز فكرة الحرب .. هى الطريق الوحيد أمام الرئيس .

واستقبله الرئيس السادات . وأجرى معه ذلك الحديث المثير، الذى أكد فيه أن الحرب على الابواب . وقد وصف أحد وزراء ألمانيا الاتحادية الذين جاءوا الى مصر ـ بعد قطع البترول العربى ـ هذا الحديث بقوله : لقد قرأنا كلمات السادات فى النيوزويك فى ابريل .. ولكننا لم نفهمها الا فى ٦ أكتوبر !

وأذكر أن النيوزويك ، نشرت فى نفس العدد مع الحديث،تحليلا سياسيا ، مؤداه ان مصر عاجزة . كما نشرت قصة خبرية ، تقول ان طائرة هيلوكبتر اسرائيلية هبطت فى موقع مصرى على الضفة الغربية ، وأسرت عددا من الجنود والضباط المصريين ، وعادت بهم .. دون أن تتعرض لطلقة واحدة مصرية ..

وانزعجت من هذا الخبر .

واتصلت بالدكتور محمد حافظ غانم أمين أول اللجنة المركزية ـ وكان حديثا فى منصبه ـ وابلغته بما نشرته النيوزويك .. وقلت له انه يحتاج الى توضيح .. واذا كان حقيقيا .. فلماذا لا تكتب الحقائق .. وليس من العيب أن تتسرب طائرة للعدو . هذا يحدث كثيرا . وبعد دقائق .. عاود الدكتور غانم الاتصال بى ، وقال لى

انه تحدث مع الفريق أحمد اسماعيل وزير الحربية فى هذا الخبر .. فأكد الوزير أنه كذب .. وأنه جزء من الحرب النفسية .. بل قال فى لهجة الواثق :

ـ لو أخذوا منى جنديا واحدا .. لاخذت منهم بدله على الفور عشرين ..

* * *

وكان صدى حديث الرئيس السادات الى النيوزويك ..مختلف الاتجاهات فى أمريكا .. ولم يصدق أحد ..

فى اسرائيل .. خرجت التعليقات كالعادة على كل تصريح للرئيس بأنه حاكم يفتقر الى الشعبية والتأييد.. وأن هذه الكلمات للاستهلاك المحلى . وللرد على الاحداث التى تطالب بالاستعداد الحقيقى للحرب .

فى أوروبا .. لم يغير من الموقف شيئا .

أما فى الداخل ، فقد اختلفت الآراء ..

المؤيدون للسادات الذين يرون أن الرجل تسلم تركة مثقلة ، لا ذنب له فيها ، يجدون أن من حقه أن يناور ، وأن يلعب بكل الاوراق التى بين يديه .. وماذا يمكن أن يفعل ؟ .. ان أمامه مشكلة لا حل لها الا بالحرب .. فاذا كان غير قادر عليها ، فليس خطأه ..

المتحفزون لتأليب المشاعر ضد السادات ، وهم قلة لها نوعية خاصة ،وهذا موقفها منذ ١٥ مايو..يرون أن السادات لن يحارب

الواثقون من صلابة أنور السادات ، وقدراته ، ووطنيته ، ومصريته . فى قلق كبير عليه . بل يخشون أنه يتعجل قرار الحرب وأن نفاذ الصبر ربما كان له تأثير على القرار .. ولذلك فأنهم يضعون أيديهم على قلوبهم قلقا على رجل سيصنع لمصر الكثير .. لو أنقذه الله من محنة احتلال الارض .

قلة لا يعرفها الناس واثقة من القرار ، وتنفيذ القرار .. وهؤلاء هم قيادات القوات المسلحة. ولكنهم كانوا يعملون فى صمت كامل .

وكنت من القلقين .. لعدة أسباب ..

كنت مقتنعا بأن من حق أنور السادات أن يأخذ الوقت الكافى فى الاستعداد .. عاما آخر أو عامين أو ثلاثة أعوام . فمشكلات حصولنا على السلاح الكافى ليست بالهينة .

كنت مقتنعا بأن الحملة ضد أنور السادات من هذه « النوعيات » فى مصر وبعض البلاد العربية ، هدفها دفع السادات الى حرب سريعة خاسرة .. ومن ثم يمكن أن تكون أمامهم الفرصة لتحقيق أطماعهم السياسية فى الحكم .

لقد كنت مؤمنا ، تماما ، بأن الحرب هى سبيلنا الوحيد . ودعوت الى هذا فى كل ماكتبت . ولكننى لم أكن أتعجل القرار أبدا

ولذلك أمضيت ليالى عديدة ، يهدنى الارق .. وأنا أفكر .. بعد أن تجمعت لدى المعلومات ، بأن الحرب على الابواب .. ووجدت من الامانة أن أعبر عن أفكارى بصدق ، للرئيس ..

وتحدثت اليه ..

وقد بادرنى الرئيس بتوجيهه أن الاقلام يجب أن تتجه كلها الى توعية الناس بالمعركة .. ويجب أن نركز تماما على أنها حرب تضحيات وأنها ستكون حربا شرسة .. وأنها ستصل الى كل موقع

ومن هنا وجدت فرصة النقاش ..

قلت للرئيس :

الشعب معك .. والشعب يثق فى كل قرار تتخذه سيادتك . ولكن أحد لا يتعجل القرار . فليكن بعد عام .. بعد عامين .. لنا قدرة على الاحتمال .. ولكن يجب أن نأخذ وقتنا الكافى فى الاستعداد الكامل ..

قال الرئيس :

ـ اننى لا أتخذ أى قرار تحت أى ضغط .. هذه طبيعتى . وهذا مصير بلد . وليس أمامنا الا القتال .. واذا لم نقاتل هذا العام ، فلن نقاتل أبدا ..

قلت :

ـ انى يا سيادة الرئيس ، لا أحشر أنفى فيما ليس لى فيه .. ولكننى فقط أريد أن أؤكد لك ، أن الشعب بثقته فيك ، يمكن أن ينتصر .. المهم أن نأخذ وقتنا لنكسب المعركة .. ؟

قال الرئيس :

ـ كل الحسابات الدقيقية عملت ، من جميع النواحى .. حتى فى أصغر التفصيلات التى لا تخطر على بال .. وأنا واثق أن الله معنا .. وكل الحسابات تؤدى الى أنه لا مفر أمامنا من القتال قبل نهاية ٧٣ .. بعد هذا قد يتغير الموقف العسكرى فى غير صالحنا ولدينا معلومات دقيقة ، عما تملكه اسرائيل الآن .. وعما يمكن أن يكون بين يديها فى العام المقبل ..

قلت :

ـ ولكن .. هل من العدل أن نتحمل أعباء المعركة وحدنا ..

قال :

ـ هذا قدرنا ..

قلت :

ـ أليس من الاوفق أن نضمن مشاركة عربية ..

قال :

ـ عندما يبدأ القتال .. ستشارك الدول العربية ..

قلت :

ـ اننى أشك فى هذا تماما يا سيادة الرئيس .. وكل ما اتوقعه بضع مظاهرات شعبية ..

قال :

ـ لا .. تأكد أن الطلقة الاولى ، ستغير الموقف العربى كله ..

قلت :

ـ على بركة الله ياسيادة الرئيس .. وكلنا معك حتى آخر قطرة من دم .. وأسأل الله أن يعطيك الصحة .. يا أمل مصر ..

* * *

وقد تأكد لى بعد ذلك ، أن القرار النهائى قد اتخذ فى ابريل فعلا ولم يكن باقيا الا التوقيت النهائى ، واللمسات الاخيرة ، فى استكمال بعض أنواع السلاح الناقص .. وبعض معدات العبور .. فقد أجريت آخر تجربة عسكرية للعبور فى شهر مايو ، واتفقت كل الآراء العسكرية ، على أننا أصبحنا قادرين فعلا على نجاح العبور ولكن كانت تنقصنا حينئذ بعض المعدات العسكرية .

وقد صرح لى بذلك الفريق سعد الشاذلى .. فى نوفمبر الماضى.

* * *

وخلال شهر أغسطس .. كان كل شىء معدا تماما ..

عقدت القيادات العسكرية المصرية والسورية ، الاجتماع السرى ـ الذى أصبح مشهورا ـ فى العاشر من أغسطس ، وفى مدينة الاسكندرية وتم الاتفاق على حالة الاستعداد الكامل لخوض القتال

وكانت القيادات العسكرية السورية قد حضرت الى الاسكندرية بطريق البحر .

وبعد الاجتماع ، اتفق على أن يكون تحرك القيادات العسكرية ، بين مصر وسوريا ،بالاسلوب الفردى لا الجماعى ..وقد نبه رئيس الاركان السورى الى ذلك ، بقوله .. ان وجود القيادة كلها فى طائرة واحدة .. أمر بالغ الخطورة .

وعاد القواد السوريون .. الى دمشق متفرقين .

* * *

وامضى الرئيس أنور السادات بعض الوقت فى استراحة « برج العرب » قريبا من الاسكندرية . وتصور الرأى العام ، أن الرئيس منشغل باجراء تعديل وزارى . والحقيقة أنه كان معطيا كل وقته للاعداد العسكرى والداخلى للقتال . ودعا فى برج العرب ، الى اجتماعات سرية كثيرة ، لم يعلن عنها . ومنها اجتماع مع المحافظين وأمناء المحافظات نبه فيه بشدة الى ضرورة اليقظة الكاملة ، والاشراف الدقيق من الآن على المرافق العامة ، ومتابعة الاكتمال فى أجهزة الدفاع المدنى والشعبى .. وحذر المحافظين من امكانية وقوع أى تسلل اسرائيلى من قواتهم الخاصة (الكوماندوز) .. وقال الرئيس : أنه لن يغفر أبدا هذا .. ولا أقبل أن يجرى فى مصر ماجرى فى لبنان .. من تسلل الاسرائيليين وارتكابهم جرائم داخل بيروت . ثم هربهم .

ولكن الرئيس لم يحدد للمحافظين توقيتا .. ولم يتحدث بوضوح كامل .. وخرجوا جميعا من اللقاء ، وهم يستشعرون ان القتال أصبح قريبا . والغيت جميع اجازات المحافظين .

وفى اجتماع الرئيس مع اتحادات الطلبة فى برج العرب أيضا ، استطاع بعضهم أن يستنتج من بعض تلميحات الرئيس اليهم اننا اقتربنا من المرحلة القتالية .. ولكنهم لم يفهموا تماما ما قصداليه الرئيس ، الا بعد ٦ أكتوبر .. وأخذوا يسترجعون كلماته فى لقائه معهم .. كما قال لى احدهم .

* * *

وخلال شهر يوليو وقع حادث غريب فى الوسط الصحفى ..

كان محمد حسنين هيكل رئيس تحرير « الأهرام » فى رحلة صحفية الى الخارج . وفى باريس اجتمع بعدد من الصحفيين الفرنسيين الذين سألوه عن رأيه فى المسيرة الليبية التى دبرها العقيد معمر القذافى ، لتطالب بالوحدة الفورية باسم ما يطلقون عليه الثورة الشعبية .. وقد كان موقف مصر حكومة وشعبا ضد هذا التهريج السياسى لعدة أسباب :

١ ـ ان الوحدة لا تتحقق بتدبير مظاهرات أو مسيرات .

٢ ـ أن الوحدة ليست مجرد شكل أو شعار .. ولكنها تخطيط علمى ، يحقق أهدافها اقتصادا وتعليما وتشريعا .. وأنها يجب أن تتم على خطوات راسخة . فالوحدة لاخلاف عليها ، ولن يكون هناك خلاف عليها . ودور أنور السادات فى هذا ، لا يمكن النيل منه

٣ ـ أن العقيد القذافى أتيحت له الفرصة الكاملة فى مصر ، لاجراء مناقشات حرة موضوعية فى مجلس الوزراء وفى دور الصحف . وفى مجلس الشعب ومع التنظيم النسائى فى الاتحاد الاشتراكى العربى وقد لمس أن الرأى العام فى مصر ، يؤيد الوحدة بكل الاقتناع ، ولكنه لا يتقبل الاندماج الفورى ، بدون اعداد حقيقى ، كما لا يتقبل التجارب الداخلية فى ليبيا ، لتطبق فى مصر ، لاننا تجاوزنا هذه المرحلة تماما .

٤ ـ فى مرحلة الاعداد للقتال ، لا يجوز أن ننشغل الآن باجراءات وحدة فورية ، ولابد من توجيه كل الجهود للحرب .

٥ ـ وكان القذافى يفتح مدافعه الكلامية ، على المملكة السعودية ويطالب باسقاط الحكم فيها ، ويريد من مصر أن تشارك فى الهجوم على الملك فيصل .. ودول الخليج والكويت .. ويصرح بأنه لابد من تصدير الثورة الى هذه الدول .. ورفضت مصر هذا المنطق تماما .. فالاعداد للمعركة يحتاج الى توحيد كل القوى العربية .. وقد فشلت تماما سياسة التدخل فى الشئون الداخلية للدول العربية .. واتضح بعد ذلك ، أن الرئيس السادات كان على اتفاق كامل مع الملك فيصل على خطوات المعركة .

ولكن محمد حسنين هيكل تحدث الى الصحفيين الفرنسيين فى

باريس ، بما يؤيد المسيرة الليبية ، واعترض على وقفها ، وقال انها كان يجب أن تستقبل بالاحضـــان ، وأيد كل تخطيط القــذافى . ونشرت الصحف هذه الاحاديث .

وكان من قبل ، قد اختار خطا واحدا فى كل ما يكتبه ، وهو أن انتصارنا وحدنا فى الحرب هو المستحيل .. وكانت مقالاته مثيرة لمشاعر الجنود والضباط الذين أمضوا فى خنادق الجبهة ٦ سنوات .. يستعدون للحظة الحاسمة . وأذكر أننى تصديت لهذه المقالات التى رأيتها ــ تساند بأسلوب غير مباشر ــ حملة الحرب النفسية ضدنا .. وتعمق الفكرة السائدة أننا عاجزون عن الحرب ..

وثارت بلبلة كبيرة بين صفوف الرأى العام .. رئيس الدولة ، يؤكد فى كل ما يقول على حتمية المعركة .. وكاتب كبير مسئول ، يظهر فى كتــاباته أنه يلتقى بالرئيس وأنه عليم ببواطن الامــور .. يؤكد حتمية الهزيمة بايماءات عديدة واضحة وغير واضحة ..

والتقى الرئيس السادات فى أغسطس بمحمد حسنين هيكل .. وخيره فعلا بين ثلاثة مواقف :

١ ــ اذا كان غير مؤمن بخط المعركة .. فيمن أن يســتقيل ، ولا يكتب غير ما يقتنع به ..

٢ ــ اذا كان راغبا فى الخدمة العامة ، فيمكن أن يفيد الدولة بخبراته وآرائه ولكن فى منصب رسمى .

٣ ــ اذا كان مصرا على الاستمرار ، فى التشكيك فى جدوى القتال .. فهو يعرض نفسه للعزل من مسئوليته كرئيس تحرير ..

وأكد محمد حسنين هيكل للرئيس ، أنه ملتزم تماما بخط المعركة .. وأن ما نشر فى الصحف الفرنسية محرف وغير صحيح .. وانه لا يقر بحال أسلوب القذافى .. وقال رأيا فى هذا ، يتنافى مع كل ما كتبه عن القذافى .. وبكى مؤكدا صدقه .

وتقبل أنور السادات هذا الالتزام من محمد حسنين هيكل .. وكان معروفا أن الرئيس كان قد قرر فعلا اسناد مسئولية أخرى

اليه .. تقبل أنور السادات هذا الالتزام ،مع أن نصوص كل مانشره هيكل فى صحف فرنسا بين يديه .. ولم يكن يهم الرئيس الا التزام كل مصرى ، بالاستعداد للحرب .. حلا حتميا لتحرير الارض ، وتحريك القضية العربية دوليا ..

ولم يصدر قرار بنقل هيكل من « الأهرام » ..

وكان ذلك موضع تعليقات مندهشة فى كل الوسط الصحفى .

وبعد ٦ أكتوبر .. عرف الصحفيون السر .. كان الرئيس حريصا على تجميع كل الطاقات من أجل المعركة . وكان لا يهمه الا التزام كل المواقع المسئولة بهذا الاتجاه التاريخى الذى لا عدول عنه ، لرفع الكرامة المصرية.. وظهر ذلك فى قراره بعودة الصحفيين المبعدين من الاتحاد الاشتراكى وبالافراج عن الطلبة .. حتى تدخل مصر كلها المعركة .. بلا أى فجوة داخلية . لقد كان أنور السادات يتصرف .. فى ظل تهيئة كل الاجواء ، لليوم الحاسم . ولم يكن أحد يعرف أن الايام تقترب بسرعة من ساعة الصفر .

وأذكر ان شخصية سياسية قريبة الصلة بالرئيس أنور السادات .. اعتادت دائما أن تصارحه بكل رأى تراه بلا حرج . وهذه الشخصية مؤمنة تماما بقيادة الرئيس السادات .. ولكن عندما بدأ حديث الحرب يرتفع .. وخاصة بعد تصريحات الرئيس لمجلة « النيوزويك » .. بدأ صاحبنا يسمع الكثير فى اتصالاته وجولاته السياسية .. وشعر بأن الحرب النفسية للاعداء ، توحى للناس أن اليوم الاول للحرب ، يعنى أن اسرائيل ستدمر القاهرة وكل المدن الكبرى .. وأن امريكا سوف تشترك بكل قوتها العسكرية لتخريب كل المرافق .. حتى يقع النظام .. وكانت الحرب النفسية تروج الاشاعات عن عدم استكمال استعدادنا العسكرى .. مما كان له بعض الاثر فى النفوس ..

وقد أسرع صاحبى وطلب لقاء مع الرئيس..ونقل اليه الصورة كما سمعها من بعض الناس ..

وقد التقيت بهذا الصديق ــ وهو الاستاذ محمود أبو وافية عضو مجلس الشعب ــ بعد اجتماع الرئيس به .. وسألته عن النتيجة ..

فقال لى :

ــ أن أنور السادات شخصية غريبة .. كثيرا ما أذهب اليه ، وأنا مقتنع تماما بالرأى المخالف .. أناقشه بكل حرية وصدق وبدون أى حرج فى ابداء رأيى .. ولكننى أخرج مر لقائه دائما مقتنعا تمام الاقتناع ، بوجهة نظره .. لقد ذهبت اليه هذه المرة ، مهتز الوجدان ..

وخرجت من عنده ، وكأننى أحمل بندقية .. وكأننى مستعد للقتال فى التو واللحظة .. وبكل الثقة فى الانتصار ..

* * *

وانتهى شهر اغسطس .. وأنا اتابع أنباء الاستعداد للقتال .. والتقيت بالدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء .. وبعد حوار طويل استمر أكثر من ساعتين .. وجدته يعد بكل هدوء الاعصاب ، للخطة الاعلامية عندما تبدأ المعركة . وهذا يفسر أن الاعلام خلال فترة الحرب ، كان هادئا وناجحا ، واستطاع أن يكسب ثقة العالم .. لان كل شىء كان مخططا له من قبل ، وفى فسحة من الوقت .

والتقيت بممدوح سالم نائب رئيس الوزراء .. ووجدته ممتلئا بفكرة القتال ، مطمئنا تماما الى امكانيات الدفاع الشعبى والدفاع المدنى .. واثقا من الانتصار .

وكنت مدعوا للسفر الى تونس فى العشرين من أغسطس لعشرة أيام .

وشددت الرحال الى هذا البلد الجميل ..

وكان لقائى مع الرئيس بورقيبة .. الذى لم يتقبل منى أبدا ، أن مصر مستعدة للحرب بل قال لى ، وكرر عبارته أكثر من عشر مرات : أنا متشائم .. أنا متشائم .. أنا متشائم .

بل انه ذكر لى أنه نصح الرئيس أنور السادات عندما كان فى زيارة تونس ، أن يتخلى عن شرم الشيخ.. ولا داعى لاستمرارهذه

الازمة الطاحنة ، اذا كانت قطعة أرض صغيرة ترضى اسرائيل !!

وكانت وجهة نظر الرئيس بورقيبة تتمثل كما يلى ، على لسانه :

قال :

● انني أرى ان النفوذ السوفيتي يتدعم ويتسع في مختلف بقاع العالم . والحرب بين أمريكا والاتحاد السوفيتي مستحيلة .. والاتحاد السوفيتي الآن يريد أن يستفيد من التقدم التكنولوجي الامريكي ، لكي يدعم كيانه في الداخل ، ويوسع نفوذه خارج أرضه والنفوذ السوفيتي قائم الآن في الشرق الاوسط . وأن العون السوفيتي العسكري لمصر لن يحقق كل ما تريده مصر للقتال .

● والموقف الامريكي واضح في المساندة الكاملة لاسرائيل . وأصبح معروفا أن الاتحاد السوفيتي لا يؤيد نشوب حرب جديدة في الشرق الاوسط . ومصر لم تحصل على ما تريده من أسلحة ، والميزان العسكري لا يزال في صالح اسرائيل ، وقد أصبحت اسرائيل الآن تشكل خطرا على الواقع العربي كله . وسوف تحقق حلمها من النيل الى الفرات .

● السياسة الناجحة هي الترهيب والترغيب .. بمعنى أن تكون لدينا القوة لضرب اسرائيل ضربة جزئية . وبعدها يكون الترغيب .. بالتفاوض ولكن .. بكل أسف .. ليست لدينا القدرة على الترهيب ، لان المقاومة الفلسطينية غير قادرة على مباشرة نشاطها ، بسبب ما فرض عليها من قيود خوفا من رد الفعل الاسرائيلي . كما أن مصر لا تستطيع أن تبدأ حرب استنزاف ، لانها ستتحول الى حرب شاملة ، والميزان العسكري في صالح اسرائيل .

● الواقع العربي مؤلم ومؤسف . خلافات . اصطدامات . تناحر . صراعات حزبية ومذهبية . تقسيمات للدول العربية بأن هذه رجعية وهذه تقدمية وهذه ثورية . والامة العربية تغط في نوم التخلف .

وليس من السهل استخدام سلاح البترول العربى . وأمريكا سوف تنفذ تهديدها بالاستيلاء بالقوة العسكرية على منابع البترول اذا حرمت من حاجتها اليه .

● لقد أعدت اسرائيل نفسها عسكريا واقتصاديا ، بحيث تستطيع التمرد على أمريكا ، اذا اضطرت أمريكا الى مباشرة ضغط على اسرائيل لصالح العرب اذا هم استخدموا سلاح البترول (وهذا غير وارد) .. ان اسرائيل لن تستسلم لاى ضغط أمريكى ، وأصبح لديها من قوتها الذاتية فى التصنيع الحربى ما يكفيها ، وستصل الى ما هو أقوى .

حتى اننى قلت للرئيس بورقيبة :

ـ اننى أرى أنك تقفل كل الابواب . أليس هناك من أمل ..

ـ لا أمل عندى على الإطلاق ..

ـ والحل .

ـ أن تنصرف الجهود وبسرعة لمقاومة التخلف ..

* * *

كان هذا رأى الحبيب بورقيبة .. ولم يختلف معه فى هذا الرأى وزير خارجيته حينئذ محمد المصمودى . لقد دعانى الى غداء ، جرى خلاله حوار طويل .. كان يقول أنه ليس متشائما مثل الرئيس بورقيبة ، لان المشكلة تعقدت الى درجة لابد من الوصول فيها الى حل . ولكن الحل ليس هو الحرب .. لاننا غير قادرين عليها ..

ـ وماذا ترى ؟ ..

قال :

ـ ان الرئيس السادات أجرى تحولا جذريا فى أسلوب الحكم

الداخلى . وأصبحت مصر تشعر فعلا بالديمقراطية . اننى أرى أن الطريق الوحيد أمامه ، هو أن يعلن نبذه لفكرة الحرب تماما ، ويترك الوضع على ما هو عليه ، ويتجه الى البناء الاقتصادى . عندئذ ستساعده كل الدول ..

وحتى تقوى مصر .. وتقاوم التخلف .. تستطيع اذن أن تحارب وتحرر الارض .

وحاولت عبثا أن أقنع المصمودى بأن الحرب هى الحل الاوحد .

أما الرئيس الليبى معمر القذافى فكان قد أعلن عن رأيه فى خطابات علنية .

قال انه مختلف تماما مع الرئيس أنور السادات والرئيس حافظ الاسد . فى الاستراتيجية التى اتفقا عليها . وأنه يرى أنها استراتيجية فاشلة فى قهر العدو الصهيونى ، ولكنه سجل أنه يقدم كل امكانيات تطلب منه (ونفذ ذلك بعد الحرب ، جزئيا) .

وقد كان القذافى يرى بعد حادث نسف الاسرائيليين للطائرة المدنية الليبية ، أن تجرى ضربة انتقامية داخل أسرائيل . ثلاث طائرات تنطلق من دمشق الى اسرائيل ، وتضرب ، وتعود الى القاهرة أو العكس .

ولم تقر القاهرة .. ولم تقر دمشق .. وجهة نظر القذافى . لان الحرب هى الحرب الشاملة . ولن نبدأ الا عندما نكون قادرين على المواجهة الشاملة فعلا . وأى جهد جزئى .. هو شىء ضائع ..

واعلم أن القذافى طلب بعد ذلك ، أن تضرب البحرية المصرية باخرة كبيرة للركاب ، هى الباخرة البريطانية «كوين اليزابيث» التى كانت تنقل سائحين من أصحاب الملايين الى اسرائيل . وقد رفض أيضا هذا الطلب ، لان الحرب ، ليست بضرب مدنيين سائحين ..

وأخطأ القذافى فى تحليل الوضع الداخلى فى مصر ..

كان يتصور أن النظــام على شــفا هاوية .. ولذلك دعا الى ما أسماه الثورة الشعبية داخل ليبيا .. وطلب بتطبيق هذه الدعوة فى مصر ، متصورا أنها تثير الطبقة العاملة وتحقق اضطرابا داخليا، وتأييدا له كصاحب الدعوة .. ثم دعا الى ما أسماه النظرية الثالثة .. ولم تجد هذه الدعوة أيضا أى صدى فى مصر ..

وعلى كل ليس هذا مجال تفنيد كل ذلك .

ولكن المهم أن القذافى كان معارضا للتخطيط المصرى للمعركة .. ثم انه أيضا شكك فى هذا التخطيط فى حديث صحفى نشر فى بيروت قال فيه ما معناه : أن الرئيس السادات يتحدث عن المعــركة .. والحقيقة أنه لا توجد معركة .. وعندما بدأ القتال فى ٦ أكتوبر .. أعرب القذافى أيضا ، عن معارضته ، وقال انه لا يتوقع النجاح ، وانه لم يغير رأيه السابق ، وان مصر لم تبلغه بساعة الصفر .. وانه « برى » من هذه الحرب . يقصد « برىء » ..

وقام القذافى بعد ذلك بجولة فى أوروبا .. ودعا الى مؤتمر صحفى فى باريس ، وصف فيه انتصار ٦ أكتوبر ، بأنه هزيمة ، وقال ان الملك فيصل ليس الا تاجر بترول .. وقال أيضا ان الامة العربيــة تفتقر الى الرجل القائد الشجاع الذى يعترف بالحقيقة .. وقال ان جمال عبد الناصر كان هو ذلك القائد الشجاع الذى اعترف بالهزيمة فى عام ١٩٦٧ ، ولكن جمال عبد الناصر غير موجود الآن .. وأن الثغرة التى قيل انها من ٧ دبابات .. تحولت الى ٧ ألوية ..

وكان المؤلم أن يصرح رئيس عربى بذلك فى عاصمة أوربية .. فى وقت كان أى مسئول اسرائيلى لا يجرؤ على ادعاء الانتصار ..

وأسجل أن شخصية مصرية كبيرة ــ ليست الرئيس السادات ــ التقت بالقذافى عندما حضر الى القاهرة لتكريم أبطــال القوات المسلحة فى مجلس الشعب .. وقالت هــذه الشخصية المصرية للقذافى : انك قدمت أكبر خدمة لاسرائيل .

ولا أريد الاستطراد فى تقديم صورة للموقف العربى ، قبل ٦ أكتوبر ، فستجىء هذه الصورة فى الصفحات المقبلة ..

ولكننى أردت أن أقول .. ان الصورة الظاهرة لم تكن تدعو الى أى تفاؤل ، عن امكان القيام بعمل حربى موحد .. أو ان الامكانيات العسكرية العربية كلها يمكن استخدامها فى القتال .. أو أن سلاح البترول سيكون له وجود بعد اشتعال القتال ..

* * *

وعدت من تونس فى أول سبتمبر ..

ثم بدأت الاشاعات تنتشر عن اعلان حالة الطوارىء فى القوات المسلحة المصرية ..

وأذكر أننى كنت فى زيارة مسئول كبير يوم الخامس من أكتوبر . وقلت له : ان اخبار حالة اعلان الطوارىء فى الجيش .. على كل لسان ..

وابتسم وقال ممعنا فى تضليلى : وما الغريب فى هذا .. ؟ يجب أن تتحرك مشاعر الجماهير .. ان الحرب ممكنة فى اى لحظة .. واسرائيل يمكن أن تهاجم .. فلماذا لا نجرب حالات الاستعداد . ثم أخذ هذا المسئول الكبير ـ الذى كان يعرف ساعة الصفر ـ يحدثنى عن مشكلات التموين والمجمعات الاستهلاكية !

وفى صباح ٦ أكتوبر نقلت وكالات الانباء ، وتل أبيب ، أن اسرائيل تستدعى الاحتياطى .. وانها اعلنت التعبئة الكاملة ..

واتصلت بأحد الوزراء وأعطيته صورة عن الموقف فى اسرائيل كما نقلته وكالات الانباء ..

فقال لى :

ـ فى نطاق مسئوليتى كوزير .. لقد طلب الى أن اتخذ كل

الاحتياطات الممكنة منذ أيام.. ولكننى لا أعرف حقيقة مايجرى الآن

* * *

ثم صدر أول بلاغ عسكرى مصرى عن القتال .

وكانت الحــــرب !

* * *

ولكن كيف كان الموقف منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ .. وكيف كان أنور السادات يفكر منذ ذلك الحين ؟ ..

حديث خاص لانور السادات فى نوفمبر ١٩٦٧ ، يلقى الاضواء على فكر الرجل الذى كان يعده القدر لمستقبل لم يكن أحد ليتخيله.

وهذا ما تقرؤه فى الفصل المقبل .

الفصل الثانى

حديث لم ينشر

● ● ● ((فى نوفمبر ١٩٦٧ جمعتنى مع أنور السادات رئيس مجلس الامة جلسة خاصة استمرت ثلاث ساعات ، تحدث خلالها الرجل عن تقييمه للموقف بعد الهزيمة ، وعن طريق البداية لمواجهة كل آثار الهزيمة . سجلت هذا الحديث فى حينه ولم يكن للنشر .

ان قراءة كلمات أنور السادات بعد الهزيمة فى ١٩٦٧ .. تؤكد أن الطريق الذى بداه بعد توليه الرياسة لم يكن فكرا جديدا طارئا عليه . فى هذا الحديث يؤكد أنور السادات أمريكا لن تغير من موقفها المنحاز لاسرائيل الا اذا اجبرناها على ذلك)) ● ● ●

((عد بنا يا سيدى الى ثلاثة وعشرين عاما خلت من العمر .. انت اليوزباشى أنور السادات المطرود من الجيش ،والمعتقل بأمر السلطات البريطانية .. وانا الشاب الذى لم يجاوز حينئذ التسعة عشر عاما ، المتخرج لتوه فى كلية الحقوق ، ونزيل المعتقل معك .. لم يكن بيننا حجاب فى رأى أو تعبير أو وجهة نظر ..

اليوم يا سيدى تجمعنا ساعات محنة بالغة القسوة والمرارة . كلنا اليوم فى ساحة معركة واحدة . رئيس مجلس الامة والوزير والصحفى والقاضى والعامل والمهندس والفلاح وطالب الجامعة.. كلنا نعانى أيام المصير)) ..

***

وهكذا بادرت أنور السادات رئيس مجلس الامة .. فى فى جلسة خاصة دعانى اليها فى مكتبه بعد هزيمة يونيو .. وبالتحديد فى صباح العاشر من نوفمبر عام ١٩٦٧ . لم يكن الحديث للنشر .. ولكنه كان كعادته بين الحين والحين ..يدعو صديقا كاتبا أو صحفيا .. ليتبادل معه الكلمة .. يستشف منها اتجاهات الرأى العام المختلفة ..

وانتهزت الفرصة لكى أفرغ له كل ما فى صدرى من قساوة ومرارة . وسجلت المناقشة ـ التى استمرت ٣ ساعات ـ فى حينها .. واحتفظت بها فى أوراقى الخاصة .. ودعوة التاريخ تطالبنى اليوم بنشر هذه المناقشة بكل كلمة فيها .. وبعد أن أصبح أنور السادات هو الرجل الاول .. وبعد انتصارات ٦ اكتوبر.. فاننا نرى أن الطريق الذى سار فيه أنور السادات رئيس الجمهورية حتى اتخذ قرار ساعة الصفر .. كان ممتدا فى أعماق فكرة منذ زمن طويل ..

لقد كان واضعا يده تماما على كل أوجه القصور ..

وكان مقدرا للدور العدائى الذى ستقوم به أمريكا ..

وكان عارفا أن الانتصار سينطلق أولا من قاعدة ديمقراطية في الجبهة الداخليـــة ..

وكان مدركا ، أن الجهد السياسى الدبلوماسى .. لا يتنافى ابدا مع الاعداد للقتال ..

قلت له وهو يجلس على المقعد الهزاز بجوار شرفة تتسلل منها شعاعات شمس دافئة .. سارحا يفكر فى دخان سيجارته.

ـ ليست عندى لك أيا الاخ العزيز كلمة نفاق .. وارجـو الا أجد عندك لى يا رئيس مجلس الامة الا كلمة الحقيقة ..

قال أنور الســـادات والارهاق يثقل عينيه وكل قســـمات وجهـــه :

ـ وكيف يمكن أن نخطط وسط هذه الغيوم المتلبدة ، ومشكلات المصير تحاصرنا .. كيف يمكن أن نقتحم الغد الخطير ، بغـــير الكلمة الامينة ، بغير صحفى يعيش بالصدق ، ومسئول لايخفى ولا يخدع ، ومواطن يعطى ثقته عن حرية واقتناع .

قلت :

ـ اذن فلنبدأ النقاش فى حـــرية كاملة .. ولو كان النقد موجها اليك . كيف يمكن أن يتأخر اجتماع مجلس الامة منـــذ ١٠ يونيو حتى اليوم ؟ . كيف تعيش الامة أخطر أزماتها ، بغير مجلس يقول كلمة الامة ؟ ..

أنور السادات :

ـ أنا مسئول عن ذلك .. انا المسئول عن ذلك .. انا المسئول عن عدم التقاء المجلس ..

قلت :

ـ كان يجب أن يجتمع المجلس . الم تصل اليك أصـــوات الجماهير تنتقد هذا الوضع ؟ .. الم تستمع الناس يقولون فى شبه اجماع .. كيف يؤلف مجلس الامة لجنة تتقصى الحقائق فى مصنع السيارات ومستشفى قصر العينى .. ثم يقفل المجلس فمه ويصم أذنيه ويغمض عينيه . والامة كلها تعـــانى من أزمة قاصـــمة ؟ ..

أنور الســادات :

ــ طبعا سمعت هذا الكلام .. واحترمت واجهته .. وانت تعرف أننى لا أزال ابن الشارع . لم أنفصل عنه ولن أنفصل . ولكن يجب أن تستمع الى وجهــة نظــرى . ولنعد معــا الى ليلة وصباح ١٠ يونيو .. لقد سجل التاريخ هبة الشعب الكبرى .. صــوت الملايين . اجتماع المواطنين كل المواطنين .. صرخة الشارع .. نداء الضمير القومى . سجل التاريخ اجماعا لم يشهده من قبل على أرض الوطن .. شعب يطالب القــائد فى صوت واحد أن يبقى .. يطالب الرمز الا يسمح للاعــداء بأن يسقط الرمز .. يقول لعبد الناصر .. ابق فى مكانك ..

وأرجو أن تعلم ان جمال عبد الناصر فى مساء ٩ يونيو ، قد أعلن قراره بالتنحى عن تصميم قاطع .. فشلت كل القوى التى تحيط به والقادرة على التأثير عليه أن تزحزحه قيد شعرة عن التنحى وكان منطقة غير القابلة للمناقشة .. اذا كان الاستعمار يلحق ــ بسبب وجودى ــ اضرارا لبــلادى لا أستطيع دفعهــا .. فلاذهب أنا .. ولتبق بلادى .

واجتمع مجلس الامة فى صباح ١٠ يونيو محاطا بكتل الجماهير الصاخبة . واتخذ المجلس قراره بتخويل جمال عبد الناصر سلطات المجلس فى اعادة البناء العسكرى والسياسى للبلاد .

وهنا أقف لاقول لك ان جمال عبد الناصر اتصل بى تليفونيا بعد الجلسة مباشرة .. ولم يكن يعرف من قبل شيئا عن هذا القرار .. وسألنى .. ما هذا القرار . وتلوته عليه .. وســألنى ولماذا اتخذتموه دون استشارتى فقلت له .. الموقف خطير جدا وبالغ الخطورة .. واذا لم يطمئن الشعب اليوم الى انك ستقوده فى هذه المرحلة .. فلا أحد يدرى ماذا يمكن أن يحل بالبــلاد من فوضى وخراب .. وأبلغت الرئيس بالعرائض التى تلقيتها من مختلف طوائف الشعب تطالبه بتحمل المسئولية ..

خلاصة الموقف .. ان غضبة الجماهير يومى ٩ ، ١٠ يونيو كانت تعبر عن حقيقة واحدة ، وهى الثقة برمز واحد هو جمال عبد الناصر .. كان اعلان هذه الثقة بجمال عبد الناصر ، يحمل فى طياته اقتراعا بعدم الثقة فى كل شىء آخر أدى الى الفشل ..

كانت صورة الهزيمة هى الصورة الحقيقيـة الجامعة لكل جوانب الموقف .. وكان الامل فى القـائد أن يحول هذا الفشل الى نجـاح .

ولذلك اتخذنا قرارنا بتخويل جمال عبد الناصر سلطات مجلس الامة فى اعادة البناء العسكرى والبناء السياسى للبلاد ..

قلت :

ـ هل تسمح لى أن أتوقف قليلا باستطرادك .

قـال :

ـ تفضـل ..

قلت :

ـ كانت تلك لحظات عاطفة ساخنة .. وكان هذا القرار يحمل معنى يماثل المعنى الذى عبرت عنه مظاهرات ٩ ، ١٠ يونيو .. جميلا جدا . ولكن ماذا يمنع المجلس من الاجتماع لمناقشة اسباب النكسة .. لدراسة عميقة فى كيفية اعادة البناء .. لنظرات مدققة الى داخل أنفسنا .. لمكاشفة حقيقية لما لنا وما علينا ..

قـال :

ـ لقـد تم هـذا فى الاجتماعت التى عقـدناها للمجموعات الاقليمية .. بل أن بعض الاعضاء فى هـذه الاجتماعات تجاوز حدود الدراسة والمناقشة .. ولكن هل ننسى الدور الايجابى الذى أداه الشعب .. هل ننسى مناقشات الشعب فى كل مكان .. لقد كانت هى التعبير الصادق عن الجماهير .. هى صوتها الامين .. ان مرحلة نقد النفس التى واجهناها هى الدليـل الساطع أمام التاريخ ، على ان هذا الشعب .. طيب .. أصيل .. ان كل ما تردد من مناقشـات ليل نهـار بين كل الفئـات .. حتى النكت التى رددتها الالسنة بكل سخريتها اللاذعة .. كل ذلك يؤكد انه شعب واع .. لايفوت حقه أبدا فى المحاسبة عن الخطأ .. وفى الوقت نفسه لاينسى أمام الكوارث والنكبـات ، ان الحفاظ على نظامه ومكاسبه هو أول واجبـاته فى التصـدى

للعــــدو .. كان يمكن لو ألمت هذه النكسة بشعب آخر أن تشيع فيه الفوضى ، وان تتسلل فيه النوازع الخبيثة . ولكن الشعب حافظ على تماسكه الرائع .. وقدم الدليـــل على أنه الشعب الاصيل الطيب المتطلع الى الخير .

هذه واحـــدة ..

أما ما كنت سأستطرد اليه ، وقاطعتنى ملاحظتك ، هو أن المهمة الشاقة الجسيمة الاولى بعد النكسة كانت اعادة البناء العسكرى .. لقد كان الشروع الفورى فى اعدة البناء السياسى مستحيلا ، والعدو فى أرضنا منتفخا فى ساعات نصره الاجرامى الانتقامى وقواتنا تعانى من انسحاب تم فى ظروف بالغة السوء يعلمها الجميع . وقسوة الاحزان والآلام تمزقنا وامامنا قوات الطيران تتبدد فى ساعات .. ومدرعاتنا وأسلحتنا الرائعــــة . تتحول الى سلائب للعدو فى أيام .. اننى لا أتحدث الان عن الاخطاء العسكرية ، ولكنى أصور الوضع العسكرى بعد النكسة .. الذى كان لابد من انقاذه بكل القوى ومهما كان الثمن .

وأؤكد لك أننا كنا نتصور اعادة البناء العسكرى للبلاد ، وكأنه الحلم بمعجزة مستحيلة .

وكان العدو يعرف ذلك . وقد بنى خططه السياسية بعـد القتال ، على أن الحكم الثورى فى مصر لن يستمر بضعة أيام ..

ولذلك فاننى أقول ان قرار مجلس الامة بتخويل جمال عبـد الناصر كل السلطات لاعادة البنــاء العسكرى ، صــدر فى توقيته السليم . وفى موضعه الصحيح .

ليس من الحكمة أن نخوض فى التفاصيل .. ولكننى أقول ، وأنا مستريح الضمير ، أن مقارنة الوضـــع العسكرى اليـــوم ، بالوضع العسكرى فى أيام النكسة .. تؤكد لنا أن القيادة باشرت مسئوليتها على أكمل وجه ..

بقى الموضوع الخطير الثـــانى .. والموضـــوع الاول مستمر بطبيعة الحال . فحالة الحرب قائمة .. والقتال متوقع والمعركة طويلة تحكمها المفاجآت .

الموضوع الثانى هو اعادة البناء السياسى .. وها نحن قد بدأنا بدعوة المجلس الى الانعقاد ليباشر مسئوليته ..

قلت :

ـ المسألة تتحمل مزيدا من الجدل .. ولا أريد أن أضيع من وقتك الآن بعد ان تقرر اجتماع مجلس الامة ولكن قبل أن نتطرق الى موضوع اعادة البناء السياسى .. أريد أن أسالك عن الحلول السياسية التى تجرى الآن فى الامم المتحدة .

أنور السادات :

ـ لا بأس .. وأريد أن أعلن بوضوح كامل ، أننى لا أعتقد على الاطلاق أن امريكا ستعدل عن موقفها فى المساندة الكاملة لاسرائيل . . الا اذا اسطعنا اجبارها على ذلك
الذى يبدو الآن جاليا ، ان امريكا لا تساند اسرائيل بهذا الاسلوب المفضوح الذى لايتفق مع مكانتها كدولة كبرى ، ليس لانها أخلص حلفاء اسرائيل كما قال موشى ديان منذ أيام .. ولكن لان امريكا تريد فعلا أن تصفى حسابها مع ثورة ٢٣ يوليو .. وقائدها جمال عبد الناصر .

لم يعد الموقف الان فى الامم المتحدة بيننا وبين امريكا . . نحن نطلب السلام والحق ونلتزم بتطبيق ميثاق الامم المتحدة وامريكا تريد لنا أن نحرم من السلام .. وان نقبل الباطل راكعين .. وان نؤمن بأن امريكا هى حاكم العالم .. هى المعز المذل .. هى القوة التى يجب أن تطاع وامريكا أرادت هذه المعركة وصممت عليها ، ولا تزال مصرة فى عناد غريب .

هى التى طلبت منا الا نهاجم .. حتى تباغتنا اسرائيل بالهجوم .. وهى التى عرضت أن يحضر همفرى نائب الرئيس جونسون الى القاهرة للتباحث مع عبد الناصر ... وبعد سفر رسولها بأيام .. وفى الموعد المحدد لسفر زكريا محيى الدين الى واشنطن .. وقع الهجوم الاسرائيلى وهى التى ارادت بعد النكسة ان تظهر براءتها من اتهام تدبير الهجوم والمشاركة فيه .. فأظهرت استعدادا للتدخل بشأن حل سياسى يحترم حقوقنا وفجأة غيرت موقفها .. وتمادت فى العناد والصلافة والاصرار !

كانت أمريكا تتصور أن هذا النظام سينهار .. وان الحكم الثورى لا يمكن ان يستمر .. وكانت ترقب الموقف وخاصة الاحداث المرتبطة بمؤامرة اغسطس الماضى التى قام بها عدد من ضباط الجيش ولذلك أبدت جانبا من المرونة .. ثم تحولت فجأة عن هذه المرونة .. وكان خطاب الرئيس جونسون الى الرئيس اليوغوسلافى جوزيف بروز تيتو الذى تلقاه فى اليوم السابق على مجيئة الى القاهرة ، مؤكدا أن أمريكا تبيت شرا للحكم الثورى ..

ثم عادت الى المرونة بعض الشىء .. وتبنت مشروع دول أمريكا اللاتينية .. ولكنها أخيرا أصبحت تقول ان هذا المشروع يعتبر فى خبر كان .. وان الموقف قد تبدل .. وانه لا يصلح أساسا للعمل السلمى !

المسألة اذن .. ليست هى مساندة الرئيس جونسون لاسرائيل بسبب الانتخابات المقبلة .. ولكنه موقف محدد للحكومة الامريكية من نظام الحكم فى بلادنا .. حتى ولو كان على حساب سمعة الولايات المتحدة الامريكية الدولية .. حتى ولو كان على حساب صداقة سبعين مليون عربى فى الشرق الاوسط .. وتلاشت المبادىء الخمسة التى أعلنها جونسون كأساس لحل الازمة ..

واذا ضربنا المدمرة ((ايلات)) بعد استفزاز استمر يومين .. تقرر امريكا على الفور امداد اسرائيل بخمسين طائرة مقاتلة .. ويقرر الكونجرس مقاطعة القطن المصرى والقطن السودانى .. وعندما تضرب اسرائيل مواقع البترول والمناطق المدنية فى محاولة همجية لتخريب الاقتصاد المصرى .. فان أمريكا لاتنطق بحرف واحد !! .. ولعلها سكتت ، بل قاومت أن يصدر مجلس الامن قرارا بادانة اسرائيل فى هذا الانتهاك .. الحل السياسى الذى تريده أمريكا ، هو الاستسلام .

ولن نستسلم .. ولن نستسلم .. ولن نستسلم .

قلت :

ـ اذن .. انت ترى أن الحل السياسى قد أصبح خارجا الان عن الحساب والتقدير ..

أنور الســـادات :

ـ لا .. ولكننا لن نقبل الاستسلام .. ؟ .. وحتى لو فرض وأصدر مجلس الامن قرارا نرتضـــيه .. فمن سينفذ هـــذا القرار ؟ .. هل نتصور ان اسرائيل ستمتثل لقرار من الامم المتحدة ، وهى ترى امريكا تحرضها على التمرد ، وعلى تحدى دول العالم .. وتحميها من أى عقوبات دولية ..

واذا كان هذا الموقف من أمريكا كما أسلفت ، هو موقف ضدنا نحن مباشرة .. موقف مرصود مقصود ، فهل نتصور أن أى قرار يصدر من مجلس الامن او الجمعية العامة فى صالحنا .. هل نتصور أن أمريكا ستساعد على تنفيذه ؟ . الجواب طبعا بالنفى . والجواب اعلنتـــه امريكـــا نفســـها وهى تباشر ضغوطهـــا العنيفة على الدول الاعضـــاء .. لقـــد قال جولد برج أن امريكـــا لن تتعهد بتنفيذ أى قرار الا اذا كان القرار الامريكى ..

الحق القتيـــل يريدون له أن يرضى بدمه المسفوك .. والغيـــلان القاتلة لاتريد له أن يمسح جراحه .. انها أبشع صور التسلط .. أن أمريكا تريد لجلسات الامم المتحدة أن تكون مأدبة لمص الدماء .. لا يا أمريكا .. لن يكون فينا غير الرجل الحر الذى يدافع عن دمه بدمه .. وسيجىء الوقت الذى تعرف فيـــه أمريكا ، أنها تسير فى غير طريق الصواب .. وستعرف أمريكا يوما أن الاعتماد على اسرائيل ضد العرب لن يجدى .

قلت :

ـ ألا ترى ان القوى الاشتراكية ستكون مسئولة عن هـــذا الطغيان الامريكى .. اذا لم تتخذ موقفا متحديا له .

أنور الســـادات :

ـ هذا أمر واضح .. فالمعركة الان تجرى على ميدان عالمى واسع . تفجر فيها امريكا صواريخها فى موقعين .. فيتنـــام والشرق الاوسط .. ولذلك فان شعوب العالم المكافحة على ثقة من أن القوى الاشتراكية المتحررة لابد أن تتحرك خطوات جديدة حتى لا يؤثر هذا الاختلال فى التوازن العالمى ..

قلت :

ـ هل تقصد الموقف الدولى ؟

أنور السادات :

ـ أقصد أن مجال العمل الدبلوماسى على نطاق القوى الكبرى لايزال متسعا لكثير من الخطوات التى تحمى حركات التحرر فى الشرق الاوسط وافريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية من أن تفتك بها الضغوط السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية التى تباشرها قوى التسلط العالمى ..

ان القضية فعلا .. ليست قضية مصر فقط أو البلاد العربية .. انها قضية القوى المتحررة فى العالم ..

ولذلك كان طبيعيا ان يجتمع زعماء الدول الاشتراكية فى أوربا أكثر من مرة . . لمناقشة أزمة الشرق الاوسط ..

قلت :

ـ ولكن هذا لايعنى ان نتراخى وان نحمل الصديق فوق ما يطيق .. ماذا فعلنا نحن فى أرضنا حتى نغير ما بأنفسنا ؟ .

قال :

ـ هذا يعود بنا الى اعادة البناء السياسى .. دعم الجبهة الداخلية .

قلت :

ـ نعم .. وهذا هو السؤال الكبير الذى لم تصدر عنه اجابة كبيرة حتى الان ..

قال :

ـ كان لا يمكن أن نشرع فى اعادة البناء السياسى بحلول جذرية .. قبل أن نجتاز مرحلة التقاط الانفاس .. واعتقد اننا اجتزنا اليوم تلك المرحلة .. وعلينا أن نفكر جميعا بصوت مسموع .. أريد أن أسمع رأيك ..

قلت :

ـ اذا كان الناس قد انتقدوا عدم اجتماع مجلس الامة . . فهـــذا لا يعنى رضـــاءهم عن مجلس الامة بشكله الراهن .. واعتقد أن من الحلول الجـــذرية أن تجرى انتخابات حـــرة جـــديدة ..

قـــال :

ـ ماذا تقصد بشكله الراهن ..

قلت :

ـ أقصد بأعضائه الحاليين .. فقد مرت مناسبات قوميـــة عديدة .. ولم تر الجماهير أن أعضاء مجلس الامة قد ارتفعوا الى مستوى تلك المناسبات .. وليس مفهوما أن يكون رئيس مجلس ادارة الشركة عضوا فى مجلس الامة . ان المجلس رقيب على هذه الشركة .. فكيف يراقب العضو نفسه .. والنـــاس تتحدث عن امتيازات الشقق وسيارات نصر لاعضاء المجلس .. والناس تتحدث عن رحلة أعضـــاء المجلس الى غزة .. كانت للدراسة فتحولت الى شراء الملابس والكماليات وأطقم الصينى.

***

وتوقفت عن الكلام .. ولم يعلق أنور السادات .. كان يستمع بكل مشاعره .. ثم قال :

ـ انا لا أريد أن أقيد حريتك فى التعبير عن الرأى .. ولكننى اقول لك ان هناك عناصر صالحة فى مجلس الامة .. وان المجالس النيابية فى كل أنحاء العالم يعتمد نشاطها على عدد محدود من البرلمانيين .. ولكننى اوافقك على أن الحلول الجذرية تتطلب بدايات جديدة من الاعماق .. ان أعضاء المجلس الحالى لا يغضبون لو قلنا لهم أن المرحلة الخطيرة التى تمر بها البـــلاد تحتاج الى استفتاء شعبى جديد .. أى الى اجراء انتخابات جـــديدة ، يختار فيها الشعب من يمثله ليتحمل مسئولية البناء الجديد.. والكفاح الجديد .. فهذا اسلوب ديمقراطى ، لا يأباه أعضـــاء مجلس الامة .. ولا تأباه التقاليد البرلمانية .. هذا صحيح . ولكن هل تعتقد ان الوقت الان مناسب لاجراء انتخابات ؟

قلت :

ـ ولماذا لا يكون مناسبا ؟ ..

قـــال :

ـ أنا لا أفرض رايي .. ولكن لنقلب الامر معا . العدو على الابواب .. ولابد أن نتوقع منه اجراء غادرا فى أى وقت . . والجبهة الامريكية الخارجية التى تناصبنا العداء جبهة قوية ولها امكانياتها الضخمة وتحتاج منا الى يقظة مستمرة وحذر لايغفل او ينام .. والحماسة من أجل الانتخابات قد تخرج المرشحين عن مواقف اليقظة والحذر .. الا ترى أن انتخابات مجلس جديد، وان كانت واجبا ديمقراطيا ، هى واجب يتقبل منا أن نمهله الى حينــــه ..

قلت :

ـ الوضع ياسيدى لاينطبق على مجلس الامة فقط . . انه ينطبق أيضا على تنظيمات الاتحاد الاشتراكي واستكمالها . . وقد أعلنا انها ستجرى من القاع الى القمة بالانتخاب الحـــر وسيلة مثلى للتعبير عن رأى الجماهير .. ولا أعتقد اننا سنجرى تغييرا جذريا فى البناء السياسى بغير صوت الجماهير ..

ـ الواقع ان هناك مشكلات عديدة فى الوسائل الجذرية لاعادة البناء السياسي ويعترضها دائما السؤال السياسى .. من أين نبدأ ؟ وكيف ؟ .. وهذا هو موضوع البحث المستمر منذ وقوع النكسة حتى يومنا هذا . الكلمة متفقة على أن اعادة النظر فى الجسم السياسى ، وفى وظائف اعضائه .. وفى حسن اختيار الاعضاء لوظائفها الديمقراطية .

كلها من واجبات دعم الجبهة الداخلية .. ولكن المناقشة مستمرة فى كيف ؟ ومتى ؟ .. ان الهدف من المناقشات هو . كيف نسير فى الطريق الذى يكون المواطن الصالح الحر فيه هو المواطن الذى يقدم رأيه الامين مجردا من النفاق والخوف ومسايرة السلطة .

قلت :

ـ هناك تعبير سياسى يقول .. سياسة جديدة تعنى وجوها جـــديدة .

قــال :

ـ لقد كان يقيني دائما ولن يتغير .. ان الوجوه التى يختارها الشعب بملء ارادته وحريته هى التى ترسم وجه المجتمع فى صدق .. وفى مراحل التحولات التاريخية فى حياة الشعوب، فان القائمين على مسئولية هذه التحولات ، ومواجهة مشكلاتها وأزماتها ومفاجآتها ، ان يقدروا فعلا على أداء دورهم الا اذا كانوا معبرين عملا وقولا عن ارادة الجماهير ..

ونحن فعلا نواجه اليوم مشكلات التطبيق الديمقراطى ، فى قيام الاتحاد الاشتراكى العربى بوظائفة كتنظيم شعبى .. وفى قيام مجلس الامة بدوره التشريعى والرقابى .. ان المزيد من الديمقراطية السليمة التى تشارك فى البناء ، وتتصدى للتحدى ، وتدعم وحدة الجبهة الداخلية وتماسكها .. هو الشعار الذى نرفعه الان ويجب أن نسعى الى تنفيذه .

قلت :

ـ ان ذلك يتطلب أولا تمهيد الارض الصالحة ..

قــال :

ـ ماذا تقصد ؟ ..

قلت :

ـ أقصد القضاء الكامل على الامتيازات التى أصابت البلاد بوضع طبقى ممجوج .. هدد ثقة الجماهير بشعار تكافؤ الفرص ..

قــال :

ـ ان كل وطنى مخلص يتحمس مع الجماهير فى ندائها بالقضاء الكامل على الامتيازات .. وقد بدأت اجراءات ذلك فعلا فى تخفيف بدلات التمثيل وغيرها ..

قلت :

ـ بدأنا بالقليل .. ولكن بقى الكثير .

قــال :

ـ أنت تقصد امتيازات شقق الحراسة وشركات التأمين .. أنت تقصد امتيازات الوظائف فى بعض الوزارات .. وفى بعض المؤسسات والشركات .. هذا حق . وسعينا فى هذه المرحلة ، أن يكون وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب . . حقيقة واقعة يلمسها الجميع . لا مجرد شعار نرفعه بالكلام ونمزقه بالتطبيق .

قلت :

ـ والقدوة الحسنة من القيادات .. الجماهير تسمع عن قصور تسكن .. وأثاثات تستورد من الخارج .

قــال :

ـ خذ فى هـذا كلمتى الواضحة .. اننا مقبلون على أيام التضحيات . أيام أبسط ما تحتاجه منا لمواجهتها أن تكون الجبهة الداخلية كبنية واحدة .. جسم واحد .. روح واحدة . وهذا الشعب الاصيل الطيب ، يتقبل التضحية فى سبيل الهدف بكل التجارب والرضا والاقناع .. ولكنه يأبى أن تقع التضحية على فريق دون فريق .. ان الشعب مستعد أن يحرم نفسه من أية مادة تموينية مهما كانت أساسية بالنسبة له .. ولكن بشرط أن يرى أنور السادات وزير التموين ورئيس المؤسسة يشاركه هذا الحرمان .

ونحن الذين عشنا أمر أيام الكفاح قبل الثورة وبعد الثورة .. مستعدون أن نقدم أغلى التضحيات .. لقمة الخبز الاسود تكفى معدة أنور السادات ..

قلت :

ـ الجماهير تريد أن ترى اجراءات الغاء الامتيازات تنفذ بأقصى السرعة ..

قــال :

ـ سيحدث .. سيحدث .. ولابد أن يحدث .

قلت :

ـ ولماذا لا نعيش الآن حالة الحرب ؟ .

قـــال :

ـ نحن نعيشها بكل أعصابنا ..

قلت :

ـ ولكن مظاهر حياتنا تتنافى مع حالة الحرب .. ان المجمعات الاستهلاكية بعد محنة النكسة وحتى الآن عامرة بألوان الطعام التى لم تكن موجودة بها من قبل .. وعنـدما خربت اسرائيل مستودعات البترول .. لم نتخذ اى اجراء للاقتصاد فى استخدام البترول باستثناء اجراء الكيروسين .. وهذا ما لا يمكن أن تتحمله دولة ولو كان لديها مخزون كبـــير .

قـــال :

ـ انت تجرنى الى حديث عن الوضع الاقتصادى .

قلت :

ـ صدقنى . لا .. ان وضعنا الاقتصادى ليس سرا فى بطون الملفـــات .. والعيب ان نتمهل فى اجـراءات تتناسب وظروف الحاضر .. وتحمينا من احتمالات المستقبل .. الشعوب المحاربة عاشت على بيضة واحـــدة فى الاسبوع وعشر قطع من السكر وترقيع الملابس .. واذا اتجه دعم البناء السياسى الى تأمين المواطن على حريته وعمله ، واشراكه فى تقرير مصيره بأسلوب ديمقراطى سليم .. واذا راى قياداته تقدم له القدوة الطيبة .. فان شعبنا الاصيل يتقبل بكل الرضا والحماسة ميزانية الحرب وتقشف الحرب ونضال الحرب ..

قـــال :

ـ هذا يعيدنا الى الحديث عن دعم الجبهة .. اننى لا أستطيع

أن اخفف من احتمالات المستقبل .. بل من الحكمة أن نفرض كل مايمكن أن يأتى به الغد .. بل يجب أن نغالى فيما نفرض .. ولا شك أن الاحداث هى التى ستتحكم فى فرض الطريق الذى يتجمع موكبنا للسير فيه .. ولا أشك لحظة أن هذا الشعب الوفى الكريم الذى ضرب مثلا تاريخيا أذهل شعوب العالم فى تماسكه وترابطه .. هذا الشعب لن يبخل على أرضه بأى تضحية . اننا مستعدون دائما أن نبدأ من الصفر .. أن نحمل السلاح من شارع الى شارع ومن بيت الى بيت .. فلم نكن يوما الا من نبض هذا الشارع .. واذا كنا وقعنا فى أخطاء .. واذا كانت المرارة قد جسمت هذه الاخطاء فى نفوس البعض .. فللقلوب الحزينة كل الحق ان تقسو فى النقد .. لانها تشعر أنها تنقد نفسها أولا .. ان قيمة اى منصب فى هذا البلد لاتسمو الا باحترام الكيان لا عبادة المنصب .. مناصبنا الاولى هى أننا مواطنون فدائيون .. مناصبنا الاعلى والاكرم ، هى اننا وطنيون لا محترفون .. كل ما على السطح هو الزيف الذى يبطل وكل ما فى الجوهر هو النبض الذى لا يذبل .. وجوهرنا هو مزيج الدم بتراب هذه الارض .

قلت :

ـ مرحبا بانتفاضة تعبر عن روح ٢٣ يوليو ..

قال :

ـ بل مرحبا بالشعب كله من أقصاه الى أقصاه .. ينتفض فى صلابة روح ٢٣ يوليو .. ونحن خلفه .. ان الشعب هو المعلم القائد .. ولقد علمنا الشعب كيف نعتبر من دروس النكسة .. ربما فرضت علينا الظروف يا أخى بعض مظاهر الانعزال عن الشعب ولكن تأكد أن الجوهر لم ينقطع أبدا .. انا لا أزعم اننى فوجئت ببض أخطاء النكسة .. ان الكثير من هذه الاخطاء كان يؤرقنى .. ولكن العمل السياسى الذى يحرص دائما على

عدم التصدع .. كان يؤجل المواجهة الجذرية للاخطاء .. ولكن ما جرى قد جرى .. ولنبدأ من جديد بداية حازمة .. ولتكن رؤوسنا متجهة الى الامام .. ولتكن النظرة الى الوراء للاستفادة من كل ثغرة .. وليؤد كل مواطن فى المواقع الكبيرة والصغيرة دوره بلا خوف .. بلا شك .. بلا تردد .. ولن يضيع حق نسعى اليه بالعرق الحلال ..

***

الذى قاله لى انور السادات حاول أن يقنع به الشباب المتمرد على الهزيمة فى مظاهرات فبراير ١٩٦٨ . لقد عقد مع قياداتهم الغاضبة الرافضة لكل شيء اجتماعا خاصا فى قاعة مجلس الشيوخ .. أذيع الآن كل ما جرى فيه لاول مرة ..

وهذا هو موضوع الفصل الثالث ..

الفصل الثالث

سقطت جميع اللافتات

●●● ((ماذا قال أنور السادات للطلبة عن المعركة فى مظاهرات فبراير ١٩٦٨ . كيف كان يتصور الخلاص ؟ . . كيف أراد اعادة البناء الداخلى ؟ . . كيف تحدث عن الحرية والاعداد العسكرى لحرب الانتصار ؟))

اليـــوم الثامن والعشرين من فبراير عـــام ١٩٦٨ .. كان يوم عصـــيبا .

محاكمـــات شـــمس بدران وزير الحربيـــة وزملائه المتهمين بتدبير الانقلاب مع عبد الحكيم عامر .. مستمرة . ما ينشر منها يعطى صورة مؤلمة عن فضائح فساد الحكم ..

كانت قد صدرت أحكام ضباط الطيران .. وكانت الجماهير معبأة قيادة الطيران هى سبب الهزيمة .. فبدأت مظاهرات من أحد مصانع حلوان .. ثم بدت مظاهرات الطلبـة .. احتكـاك بالشرطة .. اطلاق رصـــاص . المظاهرات اتجهت الى جـــريدة الاهرام .. الهتافات ضد محمد حسنين هيكل .. ((هيكل .. هيكل ياخدام . يا مزيف الاحلام)) .. ((بتقول بصراحة . . وتكتب بوقاحة)) .. ((يا جمال للصبر حدود ..عشرة يونيو مش حتعود)) .. وهتافات عـديدة أخرى تنـادى بسـقوط حكم الفرد وتطالب بالحريات .

وانتهى الامر باعتصام عدد من الطلبة فى كلية الهندسة جامعـة القاهرة .. واستمر إعتصامهم أياما .. حتى جاء يوم ٢٨ .. واتفق على أن يجتمعوا بأنور السادات رئيس مجلس الامة فى قاعة مجلس الشيوخ فى المساء ..

وحضرت هذا الاجتماع الصاخب العنيف ، الذى لم ينشر منه كلمة واحدة حتى الان .. وسجلت كل حرف دار فيه .

لقد واجه أنور السادات فى هذا الاجتماع شبابا فى قمة الغضب بعد اعتصام استمر أيام .. وبعد أن انتشرت بينهم أنباء القبض على بعض زملائهم .. وكانوا يطالبون بتغيير أسلوب الحكم وكانت كلمة الحرية هى هتافهم المستمر ..

قاعة مجلس الشيوخ صغيرة .. والزحام على أشده .. عدد كبير من النواب حضر هذا الاجتماع .. وجلس الى المائدة أنور

السادات وحوله بعض الوزراء .. فى مقدمتهم شعراوى جمعة وزير الداخلية ، والمتهم من الطلبة أنه اطلق الرصاص عليهم .

وتكلم أنور السادات ليشرح الموقف للشباب الغاضب . قد أردت أن أسجل كلماته فى هذا الكتاب عن ٦ اكتوبر .. لانها تعطى صورة لمنطلق تفكير أنور السادات منذ الهزيمة .. وتؤكد أن قرار ٦ اكتوبر ، لم يكن وليد تجربته كرئيس للجمهورية . ان هذه التجربة تستمد جذورها من فكر أنور السادات الضابط الشاب المفصول من الجيش فى عام ١٩٤٢ والمعتقل بالزيتون بأمر السلطات البريطانية ، لانه قرر أن يخرب على القوات البريطانية وجودها فى مصر ، وهى تحارب معارك الحرب العالمية الثانية .. ثم أنور السادات المتهم بتدبير مقتل أمين عثمان وزير المالية الوفدى ، الذى كان يفاخر بعمالته للانجليز .. وأنور السادات القاسم المشترك ، فى كل محاولات التخلص من عملاء الاستعمار فى مصر .. ثم أنور السادات أحد قادة ثورة ٢٣ يوليو ..

لقد جاءت هزيمة يونيو ٦٧ .. واعلن جمال عبد الناصر تحمل مسئوليتها كاملة .

وشارك أنور السادات مشاركة ايجابية ، فى كل المحاولات التى بذلت .. لخلق بداية جديدة لتثبيت النظام لكى يواجه آثار الهزيمة ، ويحاول الانطلاق الى طريق التصدى لها ..

ثم جاءت .. هذه المظاهرات التى كان يمكن أن تهدد القاهرة بحريق جديد .. وكان ـ الشعب يتجاوب مع نداءات الطلبة .. وهتافهم الباكى ((بلادى .. بلادى .. بلادى .. لك حبى وفؤادى)) .. وهتافاتهم الاخرى الملتهبة بسقوط حكم المعتقلات .. ثم الهتاف الخطير ((٩ يونيو أيدناك .. والنهارده عارضناك)) .

والسبب المباشر لكل هذه المشاعر فى رايى ، ان تغييرا أساسيا فى نظام الحكم الداخلى لم يحدث منذ الهزيمة .. واستمرت الاوضاع على ما هى عليه .. وكان من المستحيل ان يتقبل أحد هذا الاستمرار ..

ولكن كلمات السادات الى الطلبة في تلك الليلة .. تلقى الاضواء على فكره .. وتفسر كثيرا من القرارات الجذرية الداخليـــه ، التى اتخذها بعد أن تولى مسئولية رئيس الجمهورية .. وبعـد أن قرر أن يدخل المعركة بالسلاح لا بالكلمات ..

قال أنور السادات فى تلك الليلة التاريخية :

ـ بعد هزيمة يونيو سقطت اللافتات كلها .. كل أجهزة النظام بما فيها مجلس الامة . وقد اختــار الرئيس جمــال عبد النــاصر أن يبدأ باعادة البناء العسكرى .. لماذا ؟ .. لان العدو على بعـد ١٠٠ كيلومتر من العاصمة .. وكان لابد أن نحرر ارادتنا أولا من أن تكون أسيرة للعدو .. يضرب ويملى علينا الشروط . ولم ينته البناء العسكرى بالشكل الذى يطمئن على بلدنا دفاعيا الا فى شهر ديسمبر . وقفنا على أقدامنا.. حمينا ارادتنا من الخوف .

ما هو الموقف الان .. ؟ .. انتم بتصرخوا وتشتكوا .. كثير من أبناء الشعب يشاركم نفس الشعور .. الكل يسأل .. ايه اللى بيجرى فى الاتحاد الاشتراكى .. فى الحكومة .. ايه اللى بيجرى فى المؤسسات . وانى أسلم بكل هذا تماما . ولكننى أقول أن البناء العسكرى كان له الاولوية .. كان من المستحيل أن أترك نفسى لضربات اسرائيل .. وأنا عاجز عن الدفاع ..

تبقى الخطوة التاليـــة .. هى اعادة البنــاء السياسى .. الحكومة .. الاتحاد الاشـــتراكى .. مجلس الامة .. وسائل الاعلام . المؤسسات .. الحكم المحلى . مجموع هذا كله هو البناء السياسى ..

أريد منكم أن تتصوروا معنى .. معنى اعادة بناء جيش من لا شىء .. اعادة بناء قوات مسلحة انتهت فى ٩ يونيو . لقـــد تم هذا فى ٦ أشهر على صورة معجزة بدون شك .. اقتضت ٢٤ ساعة من العمل المستمر ليل نهــار .

وبعدين كنا بنصرخ .. لماذا لم يتم البنـــاء السياسى اللى فيه كل الحاجات التى تطالبون بها .. كما تم البناء العسكرى ؟ . . هل يمكن اعادة البناء السياسى ، بنفس طريقة البناء العسكرى .. هل يمكن ؟ .. البناء العسكرى يعتمد على استمرار أسلحة

وتدريب .. وعمل يمكن أن يتم بالاوامر ولكن فى البناء السياسى الامر يختلف .

ضعوا انفسكم فى المسئولية وانتم تحاسبوننا ..

القطاع العام .. فيه لخبطة .. آه .. صح .. ولكن هل ممكن نقول فى يوم واحد .. جميع رؤساء المؤسسات .. بره ؟. جميع المديرين .. بره ؟ . البناء السياسى عملية متكاملة .. كل مكان يتأثر بالمكان الأخر . الجبهة الداخلية كلها نافدة على بعضها .. أى لخبطة فى الحكم بتأثر على الانتاج . وده يؤثر على العمالة .. الى آخره . اذن لابد من خطة تستوعب أبعاد العملية كلها .. الجهاز الحكومى .. اقول على مسئوليتى انه خرب يحتاج إلى اصلاح ضخم .. القطع العام .. متهم فيه أخطاء . قطاع عام بهذا الحجم الكبير لابد أن تحدث فيه أخطاء .

طيب .. الراجل اللى كلفتوه بهذا .. جمال عبد الناصر .. كل مجهوده انصرف للبناء العسكرى .. طيب علشان يعيد البناء السياسى ، مش على الاقل يفكر فى المدخل لهذا .. ويضع الخطة لهذا .. فى الشهر الماضى عقدنا اجتماعات متتالية .. وكان أمامنا نقطتان اساسيتان للبحث :

النقطة الاولى .. تقييم ما وصلنا اليه الان .. ومن المسئول . لانه ثبت أن الطريقة اللى كنا ماشيين عليها خطأ من اساسها .. لابد من طريقة جديدة . وهذا يتفق مع ما تطالبون به .. ولكن لابد من التقييم أولا .

النقطة الثانية .. هى دراسة الوضع الاقتصادى .. لماذا ؟ .. لان الاقتصاد هو الصمود .. هو اساس معركتى . لا أستطيع أن أقول للشعب .. جوع .. وكافح .. واصبر . وانتم مانقدرش لكم بعد ما تخلصوا جامعة ، اطلعوا عاطلين و ١١٠ الف عام لازم نشغلهم سنويا ..

اننا لم ننته بالعدوان .. لقد خسرنا معارك .. امريكا خسرت معارك فى الحرب العالمية ثم انتصرت .. ولابد أن نستعد .. وان نعيد البناء .. وأن ننتصر ..

اصوات الطلبة : احنا عارفين الحاجات دى

السـادات :

ـ يجب أن تتكلموا من مستوى المسئولية .. من دلوقت ورايح أنا حاحطكم فى المسئولية وعلى أعلى المستويات .

بعد كده بتقولوا الحريات .. بتقولوا الصحافة ..

اصـوات :

ـ آه ..

السـادات :

ـ أقول لكم على أعلى مستوى .. عاوز اعادة تنظيم .. لابد من بناء ديمقراطية .. ولابد من صحافة تعبر عن آمال الشعب.

طـالب :

سمعتنا فى الخارج شوهتها الصحافه .

السـادات :

ـ الكلام اللى بيقوله اخ .. بينقلنا الى حاجة اساسية .. شرط أساسى وشروط الالتزام ان يكون المواطن على علم بما يجرى .. مش ترديد كلام .. ان يكون عارفا بالحقائق عن اقتناع .. اننى أشعر فعلا .. وخاصة بعد ان قابلت بعضا منكم .. انكم لا تعرفون حقائق ما يجرى ..

أصـوات :

ـ الصحافة .. الصحافة ..

السـادات :

ـ يعنى هيه المشكلة اللى احنا فيها .. رسيت على الصحافة بس ؟ ..

أصـوات :

ـ لا .. لا ..

طـالب :

ـ الحرية هى البند الاول .. وكل شىء بعد ذلك يليها .. ومنه

الصحافه .. لكى نعرف الحقائق .. لابد ان تكون هنــاك صــحافة حـــرة ..

السـادات :

ـ الحرية .. هل هى حرية مطلقة ؟ .. علشان ننظمها تبقى من خلال ايه ؟ ..

اصـوات :

ـ دستـور ..

السـادات :

ـ النصوص وحدها لا تكفى .. لابد من بناء سياسى متكامل . لو كان لدينا هذا البناء ، ماكنتوش وصلتم الى هذه المشاعر .. البناء السياسى صعب .. وليس لى اعتراض أبدا أن تعبروا عن كل آرائكم .. ولكن داخل الجامعات وبنظام ..

اصـوات :

ـ فيه مخابرات .. مش قادرين نتكلم ..

السـادات :

ـ انا اضمن لكم انه لن يمس طالب بسوء .. لكم الحق أن تعبروا عن رايكم .. كل ما اطلبه الا يخرج التعبير عن حيز الفهم والادراك للحالة التى نجتازها . نقول رأينا بكل صراحة فى كل شيء .. الى أن تتم خطوات البناء السياسى .. أنتم ما عشتوش اللى احنا عشناه قبل ١٩٥٢ . المسألة الان .. أننا كلنا كشعب نجتاز فترة من أصعب فترات حياتنا ..

صـوات :

ـ احنا صـوت الشعب ..

السـادات :

ـ أنتم شجعتم بالمظاهرات .. عناصر كانت انتهت .. كانت دخلت الشقوق .. النهاردة الضهر ، عربيــة كانت بتلف على

المدارس فى مصر الجديدة علشان يضربوا .. واتمسكت العربية ، واللى فيها من أولاد الاقطاعيين بتوع زمان .

اصـــوات :

ـ وزير الداخلية هوه اللى اقطاعى ..

الســـادات :

ـ عاوز أخلص كلامى لانكم تعبتونى يا أولاد . ارجو كمواطن مثلكم ، أن نضع فى ذهننا وفى تقديرنا الظروف التى تمر بها البلاد .. وقد يكون هذا مدعاة للضغط على أعصابنا ونفوسنا .. الى أن نحقق الانتصار .. انها معركة مصيرية .. العدو كل تركيزه اليوم على الجبهة الداخلية .. فى ديسمبر لم تكن لدينـــا عملة صعبة . الان بعد مؤتمر الخرطوم الوضع تحسن . بعد الهزيمة كان العدو يتصور ان النظام سيقلب من الداخل ، لم يحدث .. اجتزنا مرحلة الضغط الاقتصادى . العدو لايزال يريد تكسير الجبهة الداخلية . أريد القول بصراحة ، وبكل الهدوء .. ان موقفنا اليوم لا يدعو الى التفاؤل فقط .. ولكنى واثق أننا فى طريقنا الى تحقيق النصر باذن الله .. قواتنا العسكرية تتقدم فى الاستعداد والتدريب .. الوقت فى صالحنا وصالح المعركة .. ولكن المعركة تحتاج الى نفس طويل يعتمد على جبهة صلبة لا ينالها أى خدش .. عليكم ان تحافظوا على صلابة الجبهة فى كل تصرف من تصرفاتكم .. وفى كل مايعرض لكم .

وأنا جاهز للاسئلة ..

وأجاب السادات على أسئلة الطلبة الذين حاصروا شعراوى جمعة وزير الداخلية فى موضوع الصدام بين البوليس والطلبة.. ثم أراد الطلبة تلاوة بيان باسم الاتحاد العــام لطــلاب الجمهورية وطالبوا بنشره كاملا فى الصحف ..

وهنا قال السادات

ـ انا ارفض هذا البيان شكلا وموضوعا .. كان عندى بالليل وقرأته مش هوه البيان بتاع الحرية تؤخـــذ وتغتصب .. أنا بقولكم .. لا .. لا .. لان هذا البيان بنى على عملية انفعالية ..

ولم يبن على الموقف اللى احنا فيه النهارده بعد هذه المناقشات الديمقراطية .. والمسألة ليست مزايدات . اننا نخوض معركة واحدة . وامامنا مسئولية واحدة .

ودارت مناقشة حول البيان اشترك فيها عدد من أعضاء المجلس . وكان أحد الطلبة قد قال قبل ان تبدأ اية مناقشات : انا نشترط أن تنشر مناقشاتنا على الشعب فى الصحف ..اتفقنا أو لم نتفق . ورفض السادات وقال فى اصرار .. اذا كانت المسألة فيها املاء شروط .. انا مش بتاع شروط لا أقبل هذا أبدا .. وكرامة هذا المكان لا تسمح باملاء شروط . نحن هنا جالسون على قدم المساواة والمسئولية .. تتناقش ونقتنع .. والصحافة موجودة فى الشرفة .

***

سجلت هذه المناقشة .. وهى خلاصة اعتقد انها وافية .. لانها تعبر عن فكر أنور السادات .

كان يريد الاستمرار فى الاستعداد العسكرى واعطائه الاولوية دائما

كان يريد اعادة البناء السياسى ..

كان يريد مواجهة كل الاخطاء الداخلية

كان يرفض الضغوط .. وأهم من هذا كله ، انه كان يعرف الحقائق .. ولكنه لم يتخلف أبدا عن ارتباطه الكامل ، بالدفاع عن النظام الذى أوجدته ثورة ٢٣ يوليو ..

وكان يعرف الداء الاكبر .. فى المحيطين بالقيادة .. وعندما أثار الطلبة هذا الموضوع فى المناقشات ، تجاوزه أنور السادات فى الرد عليهم . وهذا هو أنور السادات السياسى .. الذى قال الطلبة فى تلك الليلة .. « لا أعتقد ان فيه مراكز قوى » !

بل انه عندما عقدت جلسة مجلس الامة فى مساء ٢٨ فبراير ١٩٦٨ لمناقشة موضوع مظاهرات الطلبة ، غضب غضبا شديدا من النائب علوى حافظ ، لانه هاجم على صبرى هجوما قاسيا ..

ووجه كلمته مباشرة الى جمال عبد الناصر .. وقال بأعلى صوت:
واننى أقول للرئيس جمال عبد الناصر .. ابدأ بمن حولك !

ولا أشك لحظة فى أن أنور السادات ، كان يقر كل كلمة قالها علوى حافظ .. ولكنه رأى أن انطلاقها تحت قبة مجلس الامة ، ومن علوى حافظ القريب الى أنور السادات .. يعنى أن رئيس المجلس على اتفاق مسبق معه على هذه الاتهامات . وهذا ماحرص أنور السادات على أن يتجنبه بعقلية السياسى الذى يعرف ، متى يتحرك . ومتى يجب أن يقف موقف الترقب والانتظار .. وماذا يجوز ان يناقش علنا ، وماذا يجب أن يعالج بالاسلوب السياسى على مسرحه الحقيقى .

ولم يتحرك أنور السادات للقضاء على مراكز القوى الا بعد أن تولى مسئولية رياسة الجمهورية ، بسبعة أشهر ! .. بل وبعد أن أمسك بالدليل تلو الدليل على وجود مؤامرة !

والتاريخ .. أنشر اليوم فقرات من كلمة علوى حافظ ، التى لم تنشر قط بسبب الرقابة على الصحف .

قال علوى حافظ فى جلسة ٢٨ فبراير ١٩٦٨ :

ـ هى ليست نكسة فقط . انها نكسة ونكبة .

ـ يجب أن نعترف ان النكسة هى نتيجة اخطاء فى الجبهة الداخلية والعمل السياسى وقيادة الشباب .

ـ اننا نواجه أزمة أخلاقية سببها الإبتعاد عن الدين والوطنية وهما ركيزتان لاى تقدم وانتصار .

ـ يجب أن نعرف ان الولاء الصحيح هو الولاء للشعب .. الشعب كله .. وليس الولاء للافراد .

ـ لقد سقطت دولة المخابرات .. ويجب أن تسقط كل دولة داخل الدولة .

ـ المعاهد الاشتراكية للشباب .. يشرف عليها ويوجهها اليسار المتطرف الذى يريد أن يقضى على مصر الازهر .. مصر الكنيسة .. مصر الانسان الطيب البعيد عن الحقد الدموى .

ـ اشتراكيتنا ليست اشتراكية ماركس وانجلز ولينين .

ـ الشعب .. يجب أن يحكم مصر .. ولا يمكن أن نسلم مصر لدكتاتورية طبقة .

ـ يجب أن نضع حدا للامتيازات التى حصل عليها البعض بدون وجه حق .. وأنا أقول لجمال عبد الناصر « ابدأ بمن حولك .. ابدأ بالقادة .. بالمتصدرين للعمل السياسى . القيادات السياسية اذا لم تمثل القدوة الصالحة النظيفة .. فنحن سائرون الى الهاوية »

ـ يجب أن يقدم الوزراء كشف حساب بما يملكون .. ومن أين ملكوه .

ومن المؤسف ان بين القيادات حول جمال عبد الناصر ، من أسس قصرا بسبعين ألفا من الجنيهات .. وكأننا فى عصر المماليك .. وهو فى الوقت نفسه يتصدر القافلة الاشتراكية !

ـ التكافؤ فى التضحية مبدأ يجب أن يطبق على الجميع .

ـ أين النقاء الثورى ؟ .. أين الطهارة الثورية ؟ .. فى كل مكان شلل .. قطيع غريب . محاسيب . قرايب . يسار متطرف . ناس لفظتهم القوات المسلحة . هذه الصورة هى التى تصنع السخط وتثير القلق . ما معنى أن يبقى وزير فى الحكم ١٥ سنة ؟! يجب أن يخرج قبل أن يحكم الوزارة بشلة .

الفصل الرابع

المحاضر السرية لاجتماع الرؤساء العرب قبيل وفاة عبد الناصر

●●● « الفصول السابقة عرضت للوضع الداخلى بعد الهزيمـة وقبـل أن يتولى أنور السادات مسئولية الرياسة . ولكن ماذا كان عليه الوضع العربى ؟ .. كيف كانت العلاقات بين الدول العربية ؟.. ان آخر الاحداث قبيل وفاة عبد الناصر ، كانت مذبحة الفدائيين فى الاردن . وخلالها اجتمع الملوك والرؤساء العرب فى القاهرة.. ان المحاضر السرية لهذا الاجتماع تكشف حقائق الوضع العربى المنهـار عندما أصبح السادات رئيسا للجمهورية » ●●●

بعد أيام من الهزيمة القاصمة في يونيو ١٩٦٧ .. أذكر أن أنور السادات رئيس مجلس الامة ، دعا عددا من الكتاب الى مكتبه ، لمناقشة مقفلة ، حول أسباب الهزيمة وسبيل البداية الجديدة بعدها . حضر الاجتماع يوسف السباعى واحسان عبد القدوس ومحمد حسنين هيكل واحمد بهاء الدين وفتحى غانم واحمد حمروش .. وكاتب هذه السطور .

طلب منا أنور السادات أن نتحدث بمنتهى الحرية والوضوح .

واذكر من الآراء التى قيلت ما قاله أحمدبهاء الدين ، عن ضرورة أن تقوم المشاركة فى الرأى . لابد من شعور المواطنين بأنهم يشاركون فعلا فى اتخاذ القرار .

واذكر أن أحمد حمروش ركز فى كل كلماته على الدور الذى يجب أن يؤديه الاتحاد الاشتراكى ، لكى يكون تنظيما سياسيا مؤثرا ..

واذكر أننى طالبت بالديمقراطية .

وسافرنا مع أنور السادات بعد ذلك الى السويس .. حيث تفقد آثار ضرب مصانع الزيتية .. واجتمع بالقيادات الشعبية هناك ، لكى يحثها على استمرار المقاومة ، ويشجع عناصرها التى اثبتت وطنية وشجاعة ..

وكان قد زار من قبل بور فؤاد ، واجتمع بالضباط والجنود الذين قاتلوا فى موقعة رأس العش بعد الهزيمة ، وأعادوا الثقة بجدارة المقاتل المصرى وشجاعته .

وكان بعد كل زيارة يقول بلهجته البسيطة المصرية : « أولادنا زى الورد .. شىء يفرح القلب .. لا يمكن أن تستمر الهزيمة وفى مصر هذا الشباب » .

وكنت أحس أن أنور السادات رئيس مجلس الامة ، كان يرى الحقائق أمامه واضحة .. وكان يدرك تماما الاسباب الحقيقية

للهزيمة .. وكان يرى أن المحيطين بجمال عبد الناصر ليسوا أبدا على مستوى المسئولية ..

وعندما تولى أنور السادات مسئولية الاتحاد الاشتراكى العربى بعد تنحية على صبرى ، بسبب « البضاعة » التى أتى بها من موسكو ، وأعدت لاستقبالها سيارتان لورى فى مطار القاهرة .. لجأ أنور السادات الى أسلوب « السامر » .. فتح القاعة الكبرى فى مبنى الاتحاد ، لكى تدعى اليها الجماهير مرة كل أسبوع .. وتجرى المناقشات وكأننا فى « دوار » العمدة بالقرية .. وكانت مشاعر الناس ساخنة .. لجان المعركة لا تؤدى شيئا . استعدادات الدفاع المدنى والشعبى .. تشكو القصور الكامل .. وكانت الشكوى عامة من أن الاتحاد الاشتراكى عاجز ..

وكان أنور السادات يركز فى هذه الاجتماعات على حقيقتين .

* الاولى .. أنه لا مهرب من المعركة .

* الثانية .. أن المعركة ستخلق قيادات جديدة هى الجديرة بتولى المسئوليات فى مواقعها بعد الانتصار .

وكنت أتابع هذه الاجتماعات ..

وكنت ألمس مدى الجهد الذى يبذله أنور السادات ، فى اطفاء هذه الحرائق المنتشرة فى كل مكان .. وكان هدفه الاول ، أن تتجمع الجبهة الداخلية فى وحدة وطنية حقيقية .. فبغير هذا .. لا معركة .. ولا انتصار .

كانت مصر تواجه تفسخا حقيقيا بعد الهزيمة .

مؤامرة عبد الحكيم عامر الفاشله .

محاولته الانتحار فى منزل جمال عبد الناصر .

ثم انتحاره بعد ذلك ، فى البيت الذى تحددت فيه اقامته .

قضية المؤامرة وما ظهر فيها من فضائح الذهب والفساد .

قضية صلاح نصر رئيس المخابرات العامة .. وما انتشر حولها من قصص التعذيب واستغلال النفوذ .

قضية قائد الطيران .. الذى اختير كبش فداء هو وعدد من ضباط الجيش ..

وكان جمال عبد الناصر قد اختار حسين الشافعى ليرأس محكمة المؤامرة .. ثم اعتذر حسين الشافعى ، فغضب عبد الناصر ، وطلب اليه أن يعطى كل أوراق القضية الى أنور السادات ليرأس المحكمة .. وكان أنور السادات مستعدا لذلك ، واشترط أن يجريها فى مجلس الامة .. وعلى مشهد من الجماهير ..

ثم عدل حسين الشافعى عن اعتذاره ..

وجاءت بعد ذلك اقالة زكريا محيى الدين ..

خلاصة القول أن البلاد كانت تمر بفترة حالكة السواد .. وقد كشفت حقائق مؤامرة مايو فى عهد أنور السادات ، أن جمال عبد الناصر كان يقاسى آلام المرض الشديد .. وكان فى معظم أيامه لا يغادر فراش المرض .. وكان يحكم مصر من خلال لجنة من سامى شرف وشعراوى جمعة ومحمد حسنين هيكل .. وكان يحضر بعض اجتماعاتها أمين هويدى والفريق محمد فوزى .. كل هذا وأنور السادات ، لم يفقد الامل لحظة واحدة ، بأن الغد سيحمل معه بشائر الخير ..

وتقدمت أمريكا بمشروع روجرز . وسافر عبد الناصر الى موسكو . ولم تكن مباحثاته ناجحة مع الزعماء السوفيت .. ولذلك قرر قبول المشروع . وكان أنور السادات قد أعلن رفضه للمشروع فى اجتماع سياسى بالاتحاد الاشتراكى أثناء وجود عبد الناصر فى الاتحاد السوفيتى .

وكان أنور السادات قد أصبح نائبا لرئيس الجمهورية ، وحلف اليمين قبل سفر عبد الناصر الى موسكو .. وعرف أن عبد الناصر تلقى تقارير عن مؤامرة تستهدف حياته .. فاختار أنور السادات ليكون على رأس الدولة فى غيبته .

وعاد جمال عبد الناصر من رحلته ..

وفوجئت بأحد سكرتيرى أنور السادات يبلغنى فى التليفون ، أنه يتحدث من قرية ميت أبو الكوم ، وأن نائب رئيس الجمهورية يعانى

من أزمة قلبيــة .. وطلب الى أن اكتب خبرا بهــذا المعنى ، وأن الاطباء منعوه من استقبال الزوار ..

وكتبت الخبر . وأمليته عليه . وعرضه على أنور الســادات ؛ وأجاز صيغته .. وطلب منى ابلاغه لباقى الصحف ..

ومن هنا انتشرت شائعات كثيرة .. تتناول مرض أنور السادات وأنه مرض سياسى ، بل تتناول أيضا نزاهته بقصد النيل منـــه والتشهير به .. وسرت قصة كاذبة تماما ــ مصدرها جهاز سامى شرف ــ أن أنور السادات أمر بوضع تاجر تحت الحراسة ، لانه رفض أن يترك الفيلا التى يملكها .. لكى يسكنها !

ثم انتقل أنور السادات من ميت أبو الكوم الى الاسكندرية . وزرته فى منزله . وقلتله ان الاشاعاتمنتشرة بأن مرضه سياسى وأجابنى بأنه سيعود الى مسئوليته بعد أيام .. واستأذنته فى نشر هذا الخبر ، حتى نقضي على الاشاعات .. ووافق وزاره عبدالناصر فى منزله . وتجاوز أنور السادات أزمته الصــحية .. وكان يزور عبد الناصر كل ليلة ، من الغروب حتى ساعة متأخرة من الليل .

اننى أورد هذه الوقائع لاقول .. أن تولى أنور السادات منصب نائب رئيس الجمهورية ، كان محاطا بسموم الثعابين .. ومع ذلك استطاع أنور الساداتبكل الهدوء أنيخطو بقدمه فوق كلمناورات صراع السلطة .. وأن يظــل على علاقة طيبــة ومباشرة بجمــال عبد النــــاصر .

وأذكر أن فضيلة الاستاذ أحمد حسن الباقورى روى لى ، نقلا عن حديث جرى بينه وبين عبد الناصر ، قول عبد الناصر له ،وهو يستعرض معه كفاءات أعضاء مجلس الثورة ــ ان الوحيد من بينهم الذى يعتبره سياسيا داهية ، هو أنور السادات ..

وكان ذلك فى الاشهر الاولى للثورة ..

واذكر أيضا أن مصدرا ــ أفضل عدم نشر اسمه ــ قال لى أيضا ان جمال عبد الناصر قال له يوما : اننى أشعر أن أنور الســادات هو الذى ســيخلفنى !

ثم مات جمال عبد الناصر فجأة ..

ولو أن المخابرات الامريكية تنكر أن موت عبد الناصر كان مفاجأة بل ان رجلها « مايلز كوبلاند » ، الذى كان على صلة وثيقة بجمال عبد الناصر كتب فى صحيفة صنداى تلجراف فى الرابع من أكتوبر بعد وفاة الزعيم يقول : « على النقيض مما عن للرئيس نيكسون أن يصرح به فى حديث تليفزيونى أخيرا ، فان حكومة الولايات المتحدة لم تفاجأ بوفاة الرئيس ناصر ، وكذلك الحكومات البريطانية والسوفيتية والاسرائيلية .بل ان الحكومة المصرية لم تفاجأ بذلك ، اذ أن « ناصر » كان قد وطن نفسه منذ فترة من الزمن على التسليم بخطورة حالته الصحية . ان الحكومات الحديثة نادرا ما تفاجئها الاحداث التى تعنيها بصفة مباشرة ، اذ تكون لديها خطط للطوارىء لكل الازمات تقريبا التى يحتمل نشوبها . وبالنسبة لناصر فليس سرا انه كان مريضا بمجموعة من الامراض مثل السكر والتهاب الاوردة .. وكان جهازه التنفسى يعانى من الضيق .. وبعد أن ألمت به نوبة مرضية خطيرة فى سنة ١٩٦٩ قال له طبيبه انه لابد أن يكف عن عمله الذى كان يستغرق ١٦ ساعة يوميا ، لان ذلك سيقصر من عمره .. وان بوسعه أن يعمل أربع أو خمس ساعات ويكون لديه الامل فى الحياة فترة أطول .

مات جمال عبد الناصر ..

واتفق من كانوا يعتقدون أنهم ورثة الحكم ، على اختيار أنور السادات .. تصورا منهم أنه سيكون صاحب العرش الذى يملك ولا يحكم !

وفى يوم الجنازة الشعبية التاريخية .. سمعت وأنا فى مكتبى فى « الأخبار » أن أنور السادات أغمى عليه .. وانه نقل الى فندق شبرد لاسعافه ، فأرسلت مندوبا ليتحرى الخبر ..

وفجأة دق جرس التليفون ..

فقلت : مين ..

قال : أنا أنور

قلت : أنور مين ..

قال : أنور السادات يا موسى ..

قلت : عفوا .. انذهنى تائه.. الحمد لله أنىسمعت صوتك.. لقد أبلغت منذ لحظات أن سيادتك في فندق شبرد بعد أن أغمى عليك في الجنــازة ..

قال : الحمد لله .. الآن .. انى أتحدث اليك من القبة . لقــد شعرت بارهاق شديد فى الصــباح ، لاننى لم أنم منــذ يومين .، ونقلت الى هنــا ..

واعطانى الطبيب حقنة منومة .. والحمد لله .. أنا أحسن ..

قلت : الحمد لله . كنا فى غاية القلق عليك ..

قال : أريد أن ترسموا في الصفحة الاولى من الاخبار .. صورة لجمال .. توضع في مكان ثابت بجــوار اسم الاخبــار .. كرمز لمؤسس أول دولة مصرية ..

وفعلا .. كلفت الاستاذ الفنان بيكــار ، برسم الصــورة .. واستمررنا في نشرها عاما كاملا ، حتى الذكرى الاولى لوفاة عبد الناصر .

وبدأ أنور السادات يتولى مسئولياته ..

وبدأ يستعد لانتخابات رياسة الجمهورية ..

وكان فيَ ذلك الوقت يقيم فى قصر العروبة .

ولقيته في الصباح التالى . كان مرهقا كل الارهاق . رأيته بعد اجتماع طويل مع على صبرى وشــعراوى جمعه وسامى شرف وأمين هويدى ..

وكان يعد للقائه الاول بمجلس الامة .

وأذكر أن الرئيس أنور السادات قال لى فى هذا اللقاء ..

انه يشعر أن المهمة ثقيلة وصــعبة بعد اختفــاء زعامة جمــال عبد الناصر بثقلهــا العربى والدولى الكبير ..

انه يؤمن بأن أولى مسئولياته هى الاعداد الكامل للمعــركة .. ولكنه ســيستمر في نفس الوقت فى طريق الســلام .. وكان قد

استقبل مبعوث الحكومة الامريكية فى تشييع الجنازة . وقال له انه مستعد أن يناقش كل شيء مع أمريكا بعقل مفتوح وقلب مفتوح .

وانه يؤمن تماما بأن الديمقراطية هي أمل الجماهير .. وهى صمام الامن والامان ، استعدادا للمعركة .

وكان بعض أعضاء مجس الثورة السابقين قد تقدموا اليه بمذكرة .. وطالبوا باتخاذ خطوات معينة لمواجهة الموقف بعد وفاة عبد الناصر .. وكان تعليقه على ذلك ، ان الموقف لا يحتمل .. وان كل الجهود يجب أن توجه اساسا الى أعداد كامل للقتال .

***

لقد أردت بهذا العرض السريع أن أقدم صورة لانور السادات منذ هزيمة ٦٧ حتى وفاة جمال عبد الناصر .. يتضح منها ان الرجل كان يرى بنظرة ثاقبة كل أوجه القصور . وانه استطاع أن يتغلب على كل الاعيب صراع السلطة . وانه لم يتخل يوما عن التزامه مع جمال عبد الناصر .

وانه كان يرى أن الحرب هى الحل الوحيد .. مع متابعة المساعى السلمية من جديد .. ومع السير فى طريق ديمقراطى .

***

ولكن ماذا كان عليه الموقف العربى .. والموقف الدولى فى الايام القليلة التى سبقت وفاة جمال عبد الناصر ؟ .. والتى عايشها أنور السادات لحظة بلحظة ؟ ..

كان فى القاهرة مؤتمر للملوك والرؤساء ..

وقد بدأ انعقاد المؤتمر فى الثانى والعشرين من سبتمبر ، اثر مذبحة الفدائيين فى الاردن . قاطعت العراق المؤتمر .

وفشلت نداءات الرؤساء الى الملك حسين بوقف المذبحة .

وذهب وفدان من المؤتمر الى عمان . وفشلت كل المحاولات مع الملك حسين لوقف النار .

وحضر ياسر عرفات الى القاهرة .. وحضر بعض زعماء المقاومة .. وأنذرت امريكا بالتدخل العسكرى ..

ونصح الاتحاد السوفيتى بتجنب التـــدخل الامريكى بكل وسيلة ..

وطالب القذافى فى المؤتمر بدخول الجيوش العربية .. لمحـاربة أمريكا ! ..

وأخيرا .. طلب الملك حسين الحضور .. وتم توقيع اتفاقية سميت اتفاقية القاهرة .

والازمة بدأت منذ يوم الاربعاء ١٦ سبتمبر ، عندما أعلن الملك حسين الاحكام العرفية ، وألف وزارة عسكرية ، وعين حاكمـــا عسكريا .. وأعلن الملك ان هدف الحكم الجديد اعادة مكانة الدولة .. وردت المقاومة ببيان قالت فيه : ان الحكم العسكرى مؤامرة ضد العمل الفدائى الذى سيدافع عن نفسه ..

وطلبت الحكومة العسكرية من الميليشـــيا تسليم الاسلحة الى منظماتها ..

الخميس ١٧ سبتمبر :

بدأت المذابح الرهيبة . سقط مئـــات القتلى والجرحى . اشتعلت المرافق فى عمان . كان الرئيس جمال عبد الناصر مجتمعا مع القذافى فى مرسى مطروح . وصل الفريق صادق الى عمان يحمل رسالة من عبد الناصر ونميرى والقذافى لوقف المذبحة .

الجمعة ١٨ سبتمبر :

الاسطول الامريكى يقترب . الطائرات البريطانيـــة تتجمع فى قبرص . وصل عدد القتلى والجرحى الى ٥ آلاف . اســـتمر القتال من بيت الى بيت ومن شارع الى شارع فى ٥ مدن .

السبت ١٩ سبتمبر :

الباهى الادغم يتصل بالرئيس عبد الناصر تليفونيا ويقترح عقد مؤتمر قمة عربى فى القاهرة . عبد الناصر يرسل نداء الى الملك حسين وعرفات بوقف القتـــال فورا لصد المؤامرات الدوليـــة للتدخل . القاهرة تحذر أمريكا من عواقف التحركات العسكرية وتحملها مسئولية نتائجها الخطـــيرة . الخسائر مخيفة . آلاف الابرياء تحت رحمة النيران فى الشوارع .

الاحـــد ٢٠ سبتمبر :

أمريكا تذيع بيانا رسميا عن تدخل قوات سورية ، وتطالب بسحبها فـــورا . كان البيان الامريكى يعبر عن تمهيـــد لتدخل عسكرى اذا لم تنسحب القوات السورية . عمان تؤكد أن القوات السورية تقدمت فى القطاع الشمالى من الاردن . عبد النـــاصر يبعث برسالتين الى الملك حسين . حكومة البعث العراقى تتدخل ضد المقاومة . بدأت اتصالات عقد مؤتمر القمة .

الاثنين ٢١ سبتمبر :

الموقف يتدهور . وصل القذافى والاتاسى ونميرى والادغم الى القاهرة . تقرر الاجتماع مساء اليوم التالى .

الثلاثاء ٢٢ سبتمبر :

اجتمع الملوك والرؤساء . نميرى والادهم ووزير الدفاع الكويتى والفريق صادق سافروا الى عمان . عدد القتلى وصل الى ١٥ ألفا . المعارك عنيفة فى الشمال . طائرات السلاح الجوي الاردنى تشترك فى القتال .

الاربعـــاء ٢٣ سبتمبر :

اتصالات القاهرة بعمان مستمرة . عاد نميرى من عمان ومعه زعماء المقاومة الاربعة الذين طلبوا وقف القتال . المذبحة مستمرة. استمع الرؤساء الى تقرير نميرى . عمان تحولت الى انقـــاض وخرائب وجثث .

الخميس ٢٤ سبتمبر :

نميرى يسافر الى عمان للمرة الثانية . سافر حسين الشافعى والادغم ورشاد واحد زعماء المقاومة . الهدف تنفيذ وقف النار .

الجمعة ٢٥ سبتمبر :

مائير تهدد بعمل عسكرى ضد مصر ، بحجة تحريك الصواريخ المصرية . نميرى عاد ومعه ياسر عرفات . اجتماعات الرؤساء مستمرة .

السبت ٢٦ سبتمبر :

الملك حسين يطلب الحضور الى القاهرة . نميرى اذاع فى مؤتمر صحفى كل اسرار الاحداث . قال ان المذبحه بدات باخلاء عمان من الاردنيين وضربها بقوة من ٧٤ ألف جندى .

الاحد ٢٧ سبتمبر :

يتم الاتفاق على وقف جميع العمليات العسكرية . وقع الرؤساء الاتفاق .

الاثنين ٢٨ سبتمبر :

مات جمال عبد الناصر .

***

وقد استطعت الحصول على ثلاثة محاضر لاجتماع الرؤساء .. من دبلوماسى صديق حضر هذه الاجتماعات .ولا أقول انها محاضر كاملة ، لان صديقى كان يسجل بقلمه .. وربما فاته الكثير .. واننى أنشرها الان ، لكى أعطى صورة كاملة عن الموقف العربى الذى تسلم أنور السادات خلاله أمانة المسئولية .

جلسة مساء الخميس ٢٤ سبتمبر ١٩٧٠

((أمريكا تهدد بالتدخل العسكري . الاتحاد السوفيتى ينصح بتجنب التدخل الامريكى فى المنطقة .

القذافى ورئيس اليمن الجنوبية يطالبان بتدخل الجيوش العربية . عبد الناصر يعلن أنه يرفض هذه المزايدات . قال لهم .. انتم تصدرون البيانات .. ومصر هى التى تحارب)) .

الرئيس عبد الناصر :

ــ ارحب بالاخ سليمان فرنجية الذى يشارك معنا وهو فى أول عهد رئاسته .

الرئيس فرنجيه :

ــ ياريت فى هذا الظرف .

الرئيس عبد النـــاصر :

ـ معلهش .. أتمنى لك التوفيق ، حصل اليوم تضـــارب فى الاقوال فهناك من يقول ان اتفاق امس نفذ حسب ماقال الملك حسين ، وجاءنا من سفارتنا أنه وقع اطلاق نار بعد الظهر .. ومن دمشق يقولون أن أربد معرضة للقصف . ويقولون أن الموقف سيىء جدا ، وقلت للاخ نميرى انكم تكملون مأموريتكم وتتأكدون من وقف اطلاق النار وتتصلون بياسر عرفات ، والاخ نميرى رحب بالسفر ، كان هناك أيضا الشيخ سعد وبعد كده كان هناك الاخ الباهى الذى قال أنا مستعد أيضا وقلنـــا يروح أيضـــا حسين الشافعى والفريق صادق وأخذنا مبعوث عن الملك فيصل وقلنـا يسافروا .. لنعرف من هو على خطأ ومن هو على صواب ، نحن مستعدون نبعث عشرين أو ثلاثين ضابطا ليؤكدوا صحة ما يقال فى الاذاعات . .

كذلك فيه امبارح كلام ضد المؤتمر . وأن المؤتمر مؤامرة ، نحن فى الحقيقة لما الاخوة فى تونس تكلموا معنا ومع الاخوان فى ليبيا قلنا أهلا وسهلا ، وكان ممكن أن اطلع أنا بيان نؤيد فيـه المقاومة ، انما احنا نتآمر على مين ؟ هذا الكلام طلع امبارح ، الناس اللى عايشين فى المعركة فقدوا أعصـــابهم ، ان من يحكم عمان هم وصفى التل وحابس المجالى . نحن هنا لا نريد أننزايد نريد وقف اراقة الدماء أنا بعثت برقية للملك حسين قيـــل فى دمشق أنها شديدة اللهجة ، واحنا لن نذيعها لاننا لانريد المزايدة، أنا عندى جواب من ياسر عرفات يقول ان كل ما يهمه هو وقف اطلاق النار . الاخوان اللى راحوا سوف يحاولون مع الملك حسين تحويل الوضع العسكرى الى مدنى ، سيحاولون أيضا ايجاد صيغة لاتفاق يضمن عدم تجدد هذه المأساة ، مازال هناك اطلاق نار حتى على سيارات الاسعاف .. أعداد كبيرة من الفدائيين وافقت على وقف اطلاق النار .. برقية وردت الان (الساعة التاسعة الا ربعا) من سفارتنا فى عمان تقول انه منذ الصـــباح والقوات الاردنية تشن حملة على الفدائيين ولم تحترم وقف اطلاق النار. ننتظر الوفد الذى سافر ويتصل بياسر عرفات ثم يصل الى نتيجة أو رأى .

الملك فيصـــل :

ـ اختلفت الروايات وليس هناك شيء واضح نبنى عليه ، هل هناك برقيات اخرى . ((قرئت برقية الملك حسين من الاذاعات)).

الرئيس عبد النـــاصر :

ـ كل الصحف ايضا تتكلم ضد المؤتمر ، كذلك نسعى بأن توقف هذه الاذاعات . يجب تشويشها بأى طريقة بالوسائل الدبلوماسية أو بأى وسيلة أخرى . وممكن ان يسافر الرئيس معمر القذافى والرئيس ربيع الى دمشق .

الرئيس ربيع :

ـ كل الدلائل تشـــير الى أن الحكم فى الاردن لا يزال يمارس اطلاق النار ، واذا كان كل مايصلنا غير صادق ، فمن يتـــكلم الصـــدق ؟ .

الرئيس عبد النـــاصر :

ـ أنا مستعد أصدر بيان واستريح ، ويمكن تصفقوا لى لو أصدرت بيانا ، وأنا مستعد أعطى للفدائيين اذاعة أو اثنين واذهب الى الاسكندرية ، والناس تقول انى ثورى ونترك النـــاس تذبـــح بعض ، فى الواقع هناك مخطط فى الاردن وهناك مساعى وهناك فدائيين ، جورج حبش أخذ مطارا وأحضر طيارات ، هل تقبل أنت .. يا سالم ربيع أن تأتى جماعة من اليمن ويتصرفوا هـــذا التصرف حتى ولو كانوا صينيين ، ان السلطة فى الاردن تستطيع أن تقضى على الفدائيين ، وكذلك السلطة فى لبنان . تدخلنا لفائدة الفدائيون . الملك حسين غير مهـــدد ، الناس اللى بتتضرب هم الفدائيين . وهناك فدائيون يريدون أن يشعلوها وهناك المجالى وهناك التل الخ .. السؤال .. هل احنا مستعدين نحارب فى الاردن ؟ .. لا .. انا بصراحة : اقول لا .. السوريون ادخلوا ٣٠٠ دبابة ثم سحبوها .

الرئيس ربيـــع :

ـ القبائل هنـــاك ..

الرئيس عبد النــاصر :

ـ .. وجهة نظرنا أعلناها أنه لا يمكن أن نقبل بتصفية المقاومة الفلسطينية ، احنا سنأخذ مواقف نتيجة لما يجرى ، نرســـل ضباط ـ تراقب ، الناس تموت الآن من الجوع والعطش ، ونحن نريد ٢٤ ساعة وقف اطلاق النار وبعدين نشوف .

الرئيس ربيع :

ـ القبــائل متوحشة ..

الرئيس عبد النـــاصر :

ـ بصراحة هذا واقع فى الجنوب فقط ، وذلك أثر اعتداء عليهم من جماعة من الفدائيين وأنا أرسلت الى الملك حسين أن النــاس اللى معاك مشبوهين ؛ احنا لمـا جينا كان هدفنا وقف اطلاق النار وما يحصل الآن هو ما تتمناه اسرائيل ، اذا كان هنـــاك طلب من الاذاعات ان تسكت وهذا صعب فى رايى . اخنا مجهزين الضباط . انا تصلنى أخبار منتظمة مفادها ان اطلاق النار متواصل ، تصلنا أيضا برقيات . كيف نوقف هذه المجزرة ؟

رشيد كرامى :

ـ لا يزال وقف اطلاق النار غير محترم . لكن لتسهيل مهمـــة اللجنة فى رايى .. لو صدر عن هذا الاجتماع قــول : بأنه اذا لم تتوصل اللجنة اليوم أو غدا أو بعد غد . كلام من هذا النوع يعنى ان المؤتمر أصبح على وشك اظهار الامور كما هى .

الرئيس القـذافى :

ـ ماهو الموقف الذى سوف نأخذه

محمد المصمودى :

ـ هــذا قد يكون بعد عودة الوفد .

الرئيس عبد النـــاصر :

ـ حقيقة ما هو الهدف ؟

محمد المصمودى :

ـ نود أن نعرف نص الكلام الذى قيل الى الوفد لكى يبلغه هناك

الرئيس عبد النـــاصر :

ـ انهم خططوا على أساس أنهم يقضون على المقاومة فى ثلاث ساعات ، الحق أن الملك حسين لم يطلب منى أى شىء ، لـكنى قلت للفدائيين انكم عندما تضعون الحسابات فان الاردن لديه أكثر من ٥٠٠ دبابة عندما تقول الصحف : الملك العميل ، معنـاه أنه سوف يضربهم وهذا الكلام لو قيل للنبى محمد لما سكت . أقـول نحن نتوسط ، هناك ناس قالوا مافيش فايده . هذا سهل . وكذلك التحريض . والنتيجة أن الواحد يذبح الثانى والاعـــداء يكسبون . ماذا نعمل الآن لو اصدرت بيانا الأن ؟ وأنا فى الحقيقة أرسلت له برقية شديدة ثم ذهب الوفد .

الشـــبلى (السودان) :

ـ ان هدف المؤتمر أنه لا بد من وقف اطلاق النـــار . وهـذا ليس بسيط . المخطط لا شك موجود . لكن المهم الا نتـوه فى مواضيع وننسى أن الناس تموت جوعا وعطشا .

وزير خارجية اليمن الجنوبية :

ـ هناك دول غربية مبررها أن اجتماعا مثل هذا قد يعقد وتكون نتائجه سلبية كالمؤتمرات السابقة . ونحن جئنا والآن مرت ثلاثة أيام ، ذهبت اللجنة ثم رجعت ولم يقع شىء ثم رجعت مرة أخرى، فما هو الجديد حتى تعود ؟ وما هى الخطوات التى اتخذت حتى تشكل ضغطا معنويا . ونحن نتكلم عن الملك لانه هو الذى يمثـــل السلطة ، وكما قال أمس الاخ الباهى الادغم هو المسئول لانه هـو السلطة . لذلك فان اقتراح رئيس وزراء لبنان بأن نقوم بنوع من . .

محمد المصمودى :

ـ أن أعمالنا فى المؤتمر فى ظروف دقيقة للغاية ، وحتما لا يمكن أن نشبهه بمؤتمر سابق للملوك والرؤساء . والرئيس عبد الناصر يعطينا أولا بأول أخبارا وتكاد تكون جلســة عمل متوالية . قال الرئيس القذافى وربيع اذا كان حصل اقتناع بأن الملك حسين عنده مخطط للقضاء على الفدائيين ، وان كان هناك من له مصلحة فى أن

تراق الدماء ، ونشك فيما يقولونه .. وخاصة أن هناك من قال ان هذا المؤتمر مؤامرة . وربما اجتماعنا عطل المخطط ان كان هناك مخطط . وذهب الوفد الاول ثم الثانى وعلى كل حال رجعوا باخوان أعزاء علينا وهم نفسهم حريصون على حل . هذا الوفد سوف يقابل ياسر عرفات عندما يقول الاخ الرئيس ربيع كيف يمكن أن يفشل المخطط ، فعلا هنا كما قال الرئيس القذافى لازم ضمانات والحالة معقدة . نمشى خطوة بخطوة .. ثم تحرك عربى وسعى لعمل خير عربى على ضوء المعلومات والمعطيات وعندما تكون لدينا المعلومات الكاملة .

الرئيس عبد النـاصر :

ـ البرقية التى أرسلتها يوم ٢٢ سبتمبر الساعة الواحدة والنصف ، هناك ناس يقولون ان اذاعة هذه البرقية يفيد وأنا قلت أن المهم ليس اذاعة البرقية بل وقف اطلاق النار . موضوع المؤتمرات .. هناك ناس لا تحب المؤتمرات . امبارح طلعت نكتة فيه نظام يسارى فى اليمن الجنوبى عايز يؤمم كل حاجة وموش لاقى حاجة يؤممها ..

يجب أن نعرف أن هناك متناقضات فى العالم العربى وهناك من يريد الفتنة أن تستمر ، وهناك اسرائيل . اذا اسرائيل دخلت لبنان لن نستطيع أن نستردها . وهذا الكلام أقوله ليسجل للتاريخ . هدفكم الاول أن تحافظوا على لبنان وتنظموا علاقاتكم بالفدائيين . يمكن اخواننا فى اليمن الجنوبى يقولوا احنا عجزنا وهم شباب ، لكن احنا تعلمنا الحساب من بعد سنة ١٩٦٧ اللى ورطونا اليمنيين سنة ١٩٦٢ والسوريين سنة ١٩٦٧ وهذا اللى جعلنى أمس أقول اننى غير مستعد لارسال جيوش . يمكن أن نصدر بيانا . اننا ننتظر غدا .

الملك فيصل :

ـ لازم كل شىء ينظر فيه على أنه موجه للجميع .

الرئيس عبد النـاصر :

ـ ويمكن أن نصدر الليلة شىء يمكن أن نقول ان المؤتمر يوصى بضبط النفس .

الملك فيصل :

ــ نوجه الكلام للجميع .

الرئيس عبد الناصر :

ــ أن من رأيى عودة الوفد معناه أننا عايزين نشوف الامور على الطبيعة لو كان الهدف من المؤتمر هو ادانة حسين لخلصنا الموضوع فى خمس دقائق . لكن حاليا فى اذاعة الجزائر وبغداد ودمشق أكثر من الادانة بل بيلعنوا أبوه . يمكن أشجب النهاردة لكن لن يكون فى امكانى أن أتدخل فى الموضوع . الاتحاد السوفيتى باعتين يقولوا لى ان العملية خطيرة ، ولا بد أن تجنب المنطقة ويلات التدخل فى الاردن وفى لبنان وسوريا . وهم منزعجون من دخول القوات . أنا أقدر أطلع بيان ــ وبيانات .

أنا اعمل ايه لو نزل الامريكان فى عمان . عندى قوات فى القنال لو طلعتها يهاجمونى اليهود ، أنا حابقى أحارب الامريكان . تقدير الاتحاد السوفيتى ان أى تدخل يضر بمصلحة العرب .

الرئيس القذافى :

ــ بعد سنة ١٩٦٧ ماعدناش نصدق الاتحاد السوفيتى .

الرئيس عبد الناصر :

ــ احنا سنة ١٩٦٧ لم نبدأ اطلاق النار . ان اى بيان سيقطع الطريق أمام الوفد وبكره الظهر يعودوا ونقول ما هو الواقع . الصبح جبت أبو أياد والجماعة وقت لهم عايزين ايه أنتم عايزين تقولوا أن لواء الحسين استسلم وتعملوا اغانى . فى اليمن الشعبية يقولوا ان موقف الجزائر كويس لانها عملت بيان كويس وانا قلت للوفد روحوا السفارة بتاعتنا فى البلد وما تقعدوش فى القصر انتم فى اليمن الجنوبى عملتم بيان ضد مشروع روجرز .. ما انتم دوختونا ؟! أنتم تقدروا تعملوا ايه ؟.. ما هى امكانيتكم ؟؟

الرئيس ربيع :

ــ انتم مسئوليتكم ..

الرئيس عبد الناصر :

ـ أنتم بتطلعوا بيانات .. وأنا اللى أحارب .. عايزين تحرروا. تعالى قدامى . واحنا موش عايزين ندخل فى مزايدات . واللى يتكلم يتكلم بالحساب ، أنا عندى ٦٥٠ ألف عسكرى وفى ديسمبر حيصبحوا ٧٥٠ ألف عسكرى .. العراق عملت ايه ؟؟ . نقصت ميزانية الجيش . هى عمليـــة استكراد والا ايه ؟؟ اللى يحب يحارب الملك حسين يروح يحارب هذا واقعنا . العراق شتم من اسرائيل مفيش أى تعليق على كلام اسرائيل ، وانما على ما يجرى على القناة .. يا ريت نميرى ينجح ويمكن الملك حسين يستجيب .. وأنا قلت ما فى نفسى .

اجتماع الملوك والرؤساء يوم الجمعة ٢٥ سبتمبر

برقيات الى الرئيس جمال عبد الناصر ، عن ضرب السفارة العربية فى وجود نميرى بها ، واتصال نميرى بالملك حسين ووقف الضرب . وقف النار لم ينجح .

الرئيس عبد الناصر :

ـ حصل نداء فى عمان بشأن الاجتماع ، وهناك شخص أخذ الوفد من السفارة المصرية الى لقاء مع ياسر عرفات الذى قال ان أكثر من ٢٠,٠٠٠ قتلى فى المخيمــات . وأخيرا تم التوصل الى الاعلان عن وقف اطلاق النار . بعــد هــذا وصلتنا معلومات أن الرئيس نميرى حينزل يلف فى المدينـــة وبعدين جاءتنا برقيـــة من الفريق صادق أنه حصل ضرب ووقع اتصال ثم انحصر الضرب حول السفارة . ونميرى طلب الملك ، وسمع الملك الضرب وبعث رئيس الديوان ورئيس الاركان ومساعده ووصلوا وأوقفوا الضرب. وآخر المعلومات أن النيران حاليا تنصب على السفارة وانهم موش راجعين الليلة وأجلوا سفرهم لبكره .

وتلا الرئيس عبد الناصر البرقيات التى تلقاها ومنها برقية من السفير الساعة الخامسة : حدث حوالى الساعة الرابعـة والربع ضرب مما دفع الضيوف الى الاحتماء . اتصل النميرى بالملك حتى أن الملك سمع اطلاق النــار وأوقف النار على الاثر . ولم تحــدث

اصابات . الساعة السابعة .. (برقية من الفريق صادق) بعد أن تحادث الوفد مع المسئولين بما يفيد تأخير السفر ، حدث ضرب شديد على السفارة بقصد حملنا على السفر والتمكن من مواصلة العمليات ضد الفلسطينيين .

ثم قال الرئيس عبد الناصر .. اذا لم ننجح في وقف اطلاق النار مانكونش عملنا حاجة ، اللجنة اللى راحت مرتين وشايف مفيش أمامنا ما نقوله حتى يصل الرئيس نميرى . وهل سينجحون فى وقف اطلاق النار ، اذا لم يلتزم أى من الطرفين بوقف اطلاق النار فنحن لازم يكون لنا موقف .. جاءت برقية وقالوا أن يكون عدد من الضباط لمراقبة وقف اطلاق النار من : مصر ، السعودية ، الكويت ، تونس .. طالبين منا نبعث من الكويتيين والمصريين صباحا على اعتبار أن فيه هناك من تونس والسعودية .

الملك فيصل :

ـ أطلاق النار جاء من أين ؟

الرئيس عبد الناصر :

ـ كلام الفريق صادق أن اطلاق النار جاء من الجيش الأردنى .

الملك فيصل :

ـ المراقبون لازم يكونوا من الجهتين .

أمير الكويت :

ـ نبعث برقية الملك حسين .

الرئيس عبد الناصر :

ـ لازم أبعث حاجة أنا شخصيا . بدأت أفقد الأمل . . الفلسطينون ضربوا كثيرا .

محمد المصمودى :

ـ الشيء الذى حملنا أن نبدى لكم شكرنا هو المظهر السياسى الرائع اللي جعل الكيان العربى يتحرك . وقد أذيع وقيل أنه

حصل أمل كبير حتى أن الامريكيين أعلنوا أنهم غير متأهبين للدخول . لكننا الآن معلوماتنا تختلف من الناحية الموضوعية . لقد ظهر الكيان العربى ويرجع الفضل اليكم فى هذا السبب ضبط الاعصاب .. وما دام الاخوان هناك وصلوا مع الاخوان الفدائيين فعلينا أن نواصل ضبط الاعصاب وما دام الاخوان طلبوا منا ارسال ضباط .. طيب نرسل ضباط ليرى العالم أجمع .. ربما نبعث للملك حسين ببرقية بلهجة أشد وبدون اذاعتها وبرقية للرئيس نميرى أننا معه . ونرسل ضباط وننتظر والعالم يعرف أين نمشى وكيف نعمل .. وليس من المعقول أن نعود بدون شىء ، وهل نعطى فرصة لمن يتهمنا ويدعى أننا متآمرون .. ليقول لهم ها هم راجعون بخفى حنين وهذا غير منصف لا لنوايانا ولا لعلمنا .. وأنا أطالب باستمرار السعى .

الرئيس عبد الناصر :

ــ الكلام بناع الاخ هو ألا نذيع .. نبعث برقية لحسين وبرقية للنميرى ولا نذيع أيضا ..

أحد وزراء السودان :

ــ يبدو أن الموقف خطير واعتقد انه يجب أن نكون قريبين الى الحقيقة أكثر ونفوض الوفد الموجود هناك بارسال برقيات الى الملك أو الى الجهات التى يراها ، بدلا من أن نبعث نحن مباشرة ولا نذيعها وأرى أن نسرع بارسال مراقبين .

الرئيس عبد الناصر :

ــ رايحين غدا الساعة التاسعة .

السودان :

ــ المسائل تتطور بسرعة يمكن موش حيعملوا حاجه .

الرئيس عبد الناصر :

ــ حسب ما أعلم النميرى اتصل بالملك حسين .

المصمودى :

ــ نبعث برقية للملك حسين ونفوض الوفد .

الرئيس عبد النــاصر :

ـ القضية أكثر من وقف اطلاق النار فى الحقيقة ، لكننا نركز على الناحية الانسانية .

الرئيس فرنجية :

ـ نبعث برقية .

الرئيس القـذافى :

ـ نبعث .

الملك فيصل :

ـ أنا ما عندى مانع ، ونحدد أننا عنـــدنا معلومات أن وقف اطلاق النار لم يحترم .

الرئيس عبد النــاصر :

ـ نبعث للنميرى أيضا .

الملك فيصل :

ـ بالنسبة لهيئة الاغاثة أنا تأتينى برقيات .

الرئيس عبد النــاصر :

ـ جاءنى بعد الظهر أن الصليب الاحمر موجود فى اسرائيل وانتقل الى الاردن . ونحن مستعدين نعطى بضائع بمليون جنيه مواد وأدوية وطائراتنا تعمل مجانا ، هذا ما أضعه تحت تصرف الملك فيصل .

الملك فيصل :

ـ الجميع مستعدون وقد انقضى ثلاثة أيام وأنا مسافر وتشكل اللجنة وتبقى .

محمد المصمودى :

ـ فى هذه المدة القصيرة ركزنا جهودنا على وقف اطلاق النار .

الملك فيصل :

ـ ما دام هذا كلامكم لماذا عينتونى مسئولا عن اللجنة .

الرئيس القذافى :

ـ عينا وزير الصحة عضوا فى اللجنة .

محمد المصمودى :

ـ هل من العملى ارسال غدا ما يمكن تجميعه وتكون هى أول بادرة .

الرئيس عبد الناصر :

ـ عندى .. ممكن أنقل ١٥٠ طن بضاعة .

الملك فيصل :

ـ جاءتنى برقية من الملك حسين يطلب موعدا .

القذافى :

ـ والله ملك مجنون وهذه أبسط كلمة تطلق عليه ، أبسط شىء ان يؤخذ لمستشفى الامراض العقلية .

الرئيس عبد الناصر :

ـ الموضوع عايز لجنة طبية تفحصنا جميعا وتشوف مين المجنون .. وأول واحد تشوفه القذافى .

الملك فيصل :

ـ مستعد أقدم نفسى خليهم يعطونى شهادة وأستريح .

الرئيس القذافى :

ـ فيه أعراض .

الرئيس عبد الناصر :

ـ ونجيب أحمد حسن البكر .. نعين اللجنة .

الملك فيصل :

ـ لازم تنبثق من لجنة الاغاثة .. لجنة فرعيةتسافر الى الاردن

أنور السادات :

ـ ممكن تكون لجنة من السفراء العرب هناك .

الرئيس عبد النـاصر :

ـ ينتظر وصول النميرى الليلة الساعة العاشرة .

الرئيس القـذافى :

ـ نجتمع أثر مجيئه .

الرئيس عبد النـاصر :

ـ لجنة الاغاثة تجتمع بكره .

اجتمـاع الملوك والرؤساء يوم الجمعة
٢٥ سبتمبر ١٩٧٠ بعودة الوفد من عمـان

((تقرير الرئيس نميرى ، ان التفاهم مع الملك حسين مستحيل .. وأن الموقف ليس فى يده .. وأن محاولات وقف النار فشلت . القذافى مصمم على تحريك جيوش عربية لتحارب أمريكا ويقول أن هناك متطوعين من أمريكا سينضمون للجيوش العربية .. عبـد الناصر يرفض هذه المزايدات . قال : لن أحرك جيوش .. ومن عنده جنود يحركها .. فليتقدم .. أما أنا .. فلا .

الرئيس عبد النـاصر :

ـ نشكر الرئيس النميرى والاخوان على المشقة التى تحملوها .

الرئيس نميرى :

ـ هذا واجب .. اود أن أسرد على مسامعكم ما قمنـا به من أعمال وما وصلنا اليه من نتائج وما نوصى به من اقتراحات وبعد ذلك سيقوم الاخوان أعضاء الوفد بالحديث عن انطباعاتهم . (ثم تلا البيـان الذى أذاعه فى المؤتمر الصحفى) .

ياسر عرفات :

ـ العملية ليست عملية فدائية .. والمجزرة الآن لا شيء يمكن أن يبررها الا أنه انتقام صهيونى استعمارى خطط لكل هذا الشعب ليضرب ضربة كبيرة .

المذبحة الفعلية بدأت يوم ١٦ سبتمبر . لكن ظهرت بوادرها فى ٢٦ أغسطس . وبعثت فى حينها للرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل يمكن قبل الحوادث بيومين . كنت أصرخ وأقول هذه كربلاء الشعب الفلسطينى . اننا معرضون لاعتداء على أعراضنا .. نحن عندنا مناطق وقبائل نصرف عليها علاج ودواء وتعليم وزراعة .. هذه القبائل ، قامت على كل من هو فلسطينى واستباحوا دمه .. عندى احصائية أن الشيكات زادت ٨٥٠ ألف دينار فى شهر واحد (شهر أغسطس) وهى رشاوى لما قام به هؤلاء المشايخ من مجازر .

الملك فيصل :

ـ الشيكات من أين ؟

ـ من مصادر مختلفة وسعر الدينار مرتفع . أنا أقول أرقام . يمكن تسألوا بيوت المال فى بيروت . فى الشمال قاموا بعملية على ١١ قاعدة من قواعدنا . ونحن نعيش فى الكهوف . وهى قواعد عسكرية عبارة عن نقاط نتخذها مراكز .

فى يوم واحد ٦٦ قاعدة هوجمت بواسطة اللواء المدرع ٤٠ . ولكن استطعنا رغم فداحة المأساة ان نغض الطرف . وأن نطلع أول اتفاقية بيننا وبينهم . من نهار كنا مجتمعين مع أعضاء اللجنة المركزية وأصيب هذا الاجتماع بـ ٨٦ قذيفة . ومع ذلك عودنا الاتصال عندما جاءت اللجنة الخماسية يقول الملك رئيس الوزراء وقع الاتفاقية وهو مستقيل والحقيقة أنه تم الاتصال بالملك حينذاك وحصل رئيس الوزراء على موافقته . ثم يقول الملك ان الاتفاقية وقعت بدون موافقته . ثم بدأت حوادث الزرقاء كلما تكون هناك بادرة خير تبدأ حوادث التخريب .. حاولت واتصلت برئيس الوزراء وبرئيس الاركان (مشهور حديثة) مش موجود . وبعد ذلك علمنا أن حكومة جديدة شكلت . واتصل بى أخ من

اللجنة وقال لى انه اتصل بهم . فقلت هؤلاء يطلبون منا تسليم السلاح وأنا لا أستطيع ان أحكم على نفسى بالاعدام . أفضل أن يقتل الفدائى وسلاحه بيده . وقد قيل لنا هذه أوامر الملك . واتصلنا بنائب رئيس الوزراء لتلافى المذبحة . شاهدت شخصيا مذابح ومجازر كثيرة من قبل لكن لا أعتقد ان ما يحدث فى عمان حدث من قبل . فهناك ثلاثة ألوية مدرعات واربعة ألوية مشاة أحضرهم من الجبهة . وبقى على الجبهة سرية واحدة أى ١٢٠ جنديا فقط . اتصلت ثانية فلم أجد نائب رئيس الوزراء ولا مدير العمليات ولا نائبه الذى قيل لى انه يصلى . ولم أستطع الاتصال بالملك ولا بزيد شاكر . وبدأت المذبحة فى عمان . أول يوم كان بينى وبين الدروع تقريبا ٢٠ متر تعاملنا معها يوما كاملا حتى استطعنا أن نشق طريقنا لكن كيف نتعامل مع المدفعية . الكتيبة السادسة كانت ولا زالت تدك عمان بمدفعية الدبابات . أما الرشاشات الثمانيمائه فغير محسوبة . وهذه أول مرة تظهر فيها هذه الرشاشات . اذ كان الملك يطلب منى أن أحمى مصنع الاسمنت (والسلط) وبعض مواقع بالسلاح القليل الذى أحشده خلينا نقول هؤلاء الفدائيين مجرمين خونة . ولكن ما ذنب مخيم الوحدات ؟ لم أستطع أن أمشى أكثر من مائة متر . لان روائح الجثث فى الشوارع وتحت الانقاض مافيش حد يدفنها . حبيت ندفنها قالوا لى حرام . مافيش ماء فى الاحياء الشعبية اطلاقا . حتى سمعت أن السفارات مافيهاش ماء أيضا . أكل مافيش حتى الادوية لم تصل الى مستشفياتنا اطلاقا . اليوم دكوا مستشفى الاشرفية واستطاع شبابنا ان يعطلوا الدبابات ثم لجأوا الى حيلة . وضعوا أطفالا فوق الدبابات واقتحموا المستشفى وأخذوا الاطباء والمرضات . وأنا أعرف أين ستبيت المرضات الليلة . لان عمان استبيحت كما تستباح المدن فى القرون الوسطى دكوا مخيم الحسينى ولا زالوا يدكون . انا مضطر أن أقدم غدا شكوى الى مجلس الامن بابادة جنسية . والعملية فوق أن الفدائيين انحرفوا . وهذه السلطة لا تشعر بأنها من هذا الشعب وامس كنت فى بيت انفجرت فيه قذيفة . وفى البيت امرأة تقول لى اياك أن تصالحه لقد صالحته ثلاث مرات . أنا أعتقد أننا مقبلون على مذبحة غدا . فى أربد اليوم حى المصاروة الحرائق مشتعلة .. طبعا فيه تناقض .. يقول أنا أسمح بالتجول وهو مسيطر على هذه الاماكن ويرسل بعثة للصليب الاحمر ويذبح

مطالبا بوقف اطلاق النار . لن يعطونا لا هدنه ولا شيء . المخطط ماشي . وفيه اصرار عليه . يجب أن يشعر أن هناك حماية عربية لهذا الشعب . أريد أن اسأل نفسي .. ماذا فعلنا لهذا الشعب منذ سنة ٤٨ . أنا أذكر كلمة للرئيس عبد الناصر انه لم يكن يتوقع أن يصمد .. وها هو صمد . ومن حقه أن يسأل قادة العرب ما ذنبه ؟ هل نخون .. نروح نتفق مع أمريكا ونأخذ حماية منها . نروح نتفق مع اسرائيل نخونكم (وهنا بكى ياسر عرفات) .

القــذافى :

ـ الصورة واضحة امامكم .. انني أريد أن أتحرر .

عبد الناصر :

ـ أود أن نسمع من الاخ الباهى الادغم . اذا كان هناك لا أمل فى وقف اطلاق النار . الاخوان اللى حضروا نحب نسمع منهم . قال الاخ نميرى اليكم طبعا كلكم متفقين .

الباهى الادغم :

ـ باختصار رحنا الى عمان للنظر فى حل يضع حدا للقتال بدون سابق تحيز . فاتصلنا بالملك وبحثنا معطيات القضية من جميع نواحيها وتحادثنا ساعات . وخلاصة الامر فى خصوص وضع حد للقتال بوقف اطلاق النار فهو يقول هذا صعب بل مستحيل ، لان الفدائيين لا يريدون وقف اطلاق النار ، فهناك نهب ولا بد من مواصلة الاعمال . قلنا طيب .. فيه حالة هيجان يمكن يكون هنالك عمليات بوليسية . فى المرة الاولى ، بقينا فى ضيافة الملك لكن علمنا من جهات اخرى أن اطلاق النار تقوم به القوات المسلحة ورأينا أن هناك عمليات مخططة منطقة بعد منطقة هناك قتلى بالالاف والجرحى بالالاف . قلنا ذلك للملك . فلم يعتذر بل قال انه لم تتم العملية بعد . فقلنا طيب لابد من حد أدنى من ظروف الحياة الخاصة وان ٣ مستشفيات ضربت واستنتجنا أن العمليات عمليات حربية تجاوزت بكثير الاهداف التى قامت من أجلها خاصة فى عمان ، الملك وأخوه لا يخرجان من القصر و ٤ أو ٥ أشخاص يخرجون ويدخلون وكل شيء فى يد هؤلاء ولم تبق هناك دولة . فحاولت أن أتحدث معه على الاقل من حيث أن الافراط مضر . هذه ليست عملية أبادة فى مدينة آهلة بالسكان . رد الفعل موش طبيعى ولا

يوجد من نحاسبه . واحد يقول لى أنا عسكرى . وواحد يقول لى أنا لا أعمل سياسة . لم نجد مجالا للحديث .عملية قمع قصيرة النظر . أخ الملك يحضر الاجتماعات وهو يقول لى انه ينصح أخوه . ومصير الشعب بيد اخوه الذى يقول لو لزم محو عمان فسوف تمحى . فبقية الاردن تكفى .

فى الساعة الخامسة صباحا رأينا قصفا . فسألت الضابط فقال هذه مدافع . ثم رأينا النار تشتعل وهى ذخيرة بالفوسفور ممنوعة دوليا . والضرب فى منطقة جبل حسين وهى آهلة بالسكان وهذا بعد التصريح بوقف اطلاق النار . وأنا شخصيا سمعت عويل النساء . هذه ليست عملية اشتباك مع الفدائيين بل هنالك مخطط يشمل عمان . وقد قلنا هذا للملك . واليوم رأينا ٣ مناطق تشتعل ونحن هناك . والمعارك مستمرة وهو يقول ليس هناك شيء . ولما وصلنا هذه المرة .. أول ما وصلنا على بعد مائة متر قصف فى المطار مدة ساعة والمطار طافىء . هذا لا يهمنا بأن الفدائيين ما زالوا يسيطرون على المنطقة ثم أدخلونا فى المصفحات . وحال وصولنا الى القصر أعطينا شظايا باردة ولا علاقة لها بالقصف لا يهمنا بأن مناطق كاملة اشتعلت بدون ذنب . عندما كنا فى السفارة اطلق علينا النار ولم نكن فدائيين . على ما نعلم هناك تصرفات ربما الملك برىء منها لكنها غريبة . هناك أشياء لم نعرف مثلها فى التاريخ لقد اتفقنا على ايقاف النار ثلاث مرات . ولم ينفذ شىء . . هناك حالة جنونية . ونصل الآن الى الموقف ، وننتظر غدا ونبعث بالفعل الملاحظين لادخال وقف اطلاق النار حيز التطبيق فاذا تعذر هذا ندرس .

رشاد فرعون :

ـ لذلك نبعث لجنة ما دام الملك موافق عليها .

حسين الشافعى :

ـ كنت باتصور أن ايقاف القتال والاغاثة موضوع ممكن . لكن وجدنا أن لا ايقاف القتال ولا اغاثة ممكنة فى هذه الظروف . والناس الذين يحكمون عمان غير أمناء على الشعب الفلسطينى . ولو كان هناك أى استعمار من أى نوع ماكانش يتصرف بهذا النوع . لما رأينا الاخ ياسر عرفات الصبح وهو فى حالة الضياع .

الحقيقة ان هذا الوضع يتجاوز أى لجنة . فاذا كنا نحن على هذا المستوى وعمل فينا هذا الشيء .. فكيف يكون مصير لجنة ثم الاجابات مافيهاش احترام . عندما نسأل عن الضرب يكون الجواب هذا تفجير الغام . لذلك مافيش حلول .

ياسر عرفات :

ـ جبل الاشرفيــة بالليل فى الفجر الساعة ٣٠ر٤ ضرب يدك عمان بلا رحمة ولا هوادة حتى حوالى الساعة ٣٠ر٧ ـ ٨ أنا من التعب غفيت وماصحوت الا على صوت الله أكبر وهو منبثق من الاحياء الشعبية . والناس متجهة نحــو الجيش خارج عمان يقولون الله اكبر على الظالم الناس لم تجد ما تقوله لان الرشاشات بدأت تحصد .

فاروق أبو عيسى :

ـ ما يجرى فى عمان عملية ابادة رجالا ونساءوأطفالا . المناطق التى تحترق هى فقط التى يسكنها الفلسطينيون والمخيمات .

عرفات :

ـ حى الطفايلة لم يطلق عليه النار بينما اصيب ما حوله ودخل سوريا ٠٠٠ر٧٤ مواطن .

فاروق أبو عيسى :

١ ـ اريد أن أسجل ما تعرضت له السفارة المصرية اليوم . حتى أن أخذ الجماعة اللى بعتهم الملك اتصــل بغرفة العمليــات وقال لهم هذا موش معقول لاننا احنــا موجودين . جاء الاخــوان السودانيين . قالوا ان ماجرى لم يشاهدوا مثله عندما كانوا فى الكونغو .

٢ ـ ان العملية عملية ابادة وليست عملية عسكرية .

٣ ـ العمليةبدأت منذ يومالخميس وبدأت منذ الاول بالمدفعية الثقيلة . أنالجيش كان منشهور يعبأ بكراهية ضدالفلسطينيين

عندما أمر الرئيس نميرى انهم يرجعوا وكانوا يلبسون لباســا عسكريا وفى سيارة عسكرية أردنية .. ضربوا علينا .

سجلنا النداء والضرب مستمر وقلنا لازم نفكر كويس. فكيف نرسل لجنة فى هذه الظروف فهذه اللجنة كان تشكيلهـا مرتبطا بعملية وقف اطلاق النار .

الباهى الادغم :

ـ أحب أن أقول ان مجىء الاخ ياسر لم يتم بموافقة الملك .

عبد الناصر :

ـ عندى اقتراح نحن عقدنا المؤتمر بدعوة من الاخوان فى تونس .. وفى الايام اللى فاتت كان هدفنا وقف اطلاق النار وهى عملية انسانية . كل هذا يبين انه ليس هنالك فائدة . وأنا حدثت معى عـدة مراوغات . وأنمـا كنت فاكر ان الاخ النميرى يتكلم معه على أساس عمل حكومة وطنية .

ـ قابلنى ٤ مرات وفى كل مرة أقول له يناشدك ابو عمار ألا تقع فى مستنقع دم .

عبد الناصر :

ـ قلت له فى الاسكندرية ازاى تقيم بلدا على القتلى . وأنتم عارفين مين الموجودين حاليا فى عمان اقترح أن الاخ نميرى والاخوان اللى كانوا معاه ، يعملوا لنا التقرير كامل . وبكره الاخ نميري يقدم لنـا التقرير ويعقـد أثر ذلك مؤتمرا صـحفيا ثم نناشـد القـادة العرب الا يقبلوا هـذا الوضع . وانى موافق على أن يذيع الاخ نميرى تقريره .

القـذافى :

ـ هذا التقرير شىء لكن ما العمل .. فيه عملية جنونية .. ماذا نعمل ؟

النميرى :

ـ ننشر البيان ونعلنه للعـالم كله .

عبد الناصر :

ـ يعلم الملك انه لن يستطيع أن ينفعنا بعد هذا .

القـــذافى :

ـ وبعد ماذا .. نفعل ؟

عبد الناصر :

ـ انتظر حتى نخلص من هذه النقطة . الكلام اللى قلتوه هنا يقال للعالم . ويحضر المؤتمر الصحفى الاخوان أعضاء الوفد . اذا أقرينا هذا . يبقى نفكر .. ماذا نعمل .. فاذا اتفقنا عملنا . فاذا لم نتفق كل واحد يعمل على كيفه . ماذا تقترح يا أبوعمار .

عـــرفات :

ـ انا متهم انى معتدل وقرات هذا الكلام فى الصحف الاجنبية قبل ما أسمعه فى الصحف العربية . وأنا لم أعاد الملك حسين وليس بينى وبينه هذا النظام فى الاردن عقد . واربع مرات وهذه الخامسة وهو يذبحنا . وكل مرة آخذ على عاتقى مسئولية التفاهم معه رغم كل المزايدات . أما هذه المرة فاتى أعتبر نفسى مفرطا فى حق هذا الشعب . فاما أن أخونه او أجد له منفذا . وأنا فى حل أن الجأ ولو الى الشيطان . غدا ستسمعون صيحات اللى يذبحوهم فى أربد .. أناشدكم أنتم مسئولون عن الامة . هذا الرجل غرق فى الدم.واذا تراجع فهو قد أدين.انهلايستطيع أن يتراجع . هؤلاء لن يتراجعوا . سوف يكملون المذبحة . هذا الرجل الدموى لا يوقفه بيان . انا سأوقع مع الشرق والغرب . اورط المنطقة العربية . ولا أفنى شعبى .

هناك استفزاز . هذا الوفد لم يبعث لاجراء تحقيق صحفى . وقد ظهر الحق ولكنه لم يستمع لا للبرقيات ولا للوفود ولا لمؤتمر غايته السعى للخير وبعثنا الوفد . ان هذا الشخص أدان الامة ولم يحترم المؤتمر واستفزه . فما دمنا مؤمنين بذلك يفكر الرؤساء الليلة ويتخذون الترتيبات التى ينبغى اتخاذها .

عبد الناصر :

ـ الحقيقة هناك شقان : الشق الاول الاعلان عن التقرير . الشق الثانى ماذا نعمللايقاف ما يجرى.. هذا هوالموضوعالثانى

القــذافى :

ـ واضح أن الامة العربيــة يجب أن تقاتل الى جانب الشــعب الفلسطينى ويدخل من يدخل . ولو دخلت أمريكا فماذا ستفعل أمريكا ؟ أمريكا دولة متحضرة ليست مثل هذا الجيش الوسخ. أنا متأكد أن أمريكا فيها ناس متطوعين حيقاتلوا معنا .

عبد الناصر :

الاخوان السوريون دخلوا وقالوا انهم لم يتقدموا جنوب أربد. قلنا هل حسبتم حساب اسرائيل وأمريكا قالوا لا ..

أنا لا أريد أن أخدع احدا . قيل اليوم أن السوريين خرجوا لاننا ضغطنا عليهم . عندنا تفاصيل كاملة على ما حصــل .. قلت للاتاسى .. عندكم حسبما بلغونا الامريكان ٣٠٠ دبابة فقال فعلا كذلك . كلامى للاخ معمر .. بالنسبة للتــدخل العسكرى لازم يكون محسوب ..

البــاهى الادغم :

ـ اذا حصل تدخل حاليا فان سلوك الملك حسين نفسه غير معروف .

عــرفات :

اسرائيل فتحت جسورها لاستقبال جرحانا .

عبد النــاصر :

ـ نسأل ياسر ماذا يطلب منا .

النميرى :

ـ سمعتم هذا التقرير تجربوا عليه دراســة . اذا كان كل واحد يبعث لواء مدرع يكون المجموع ٦ وهم عندهم ٢٠ ..

القــذافى :

نقرر قطع علاقاتنا . اللى ما يقطع معنا يعتبر مشارك فى الجريمة

عبد النــاصر :

ـ الموقف يتطلب الا نتكلم بنرفزة .

من الناحية العسكرية أنا لا أستطيع أن أحرك أى عسكرى . اللى عنده ألوية يبعث بها . أنا لا أستطيع أن أحرك عساكر . اذا وصلنا الى حاجة . أن الاخ ياسر يخرج جماعته من أربد ثم يعيد بناء الجيش الفلسطينى . احسبوا أنتم أيه القوات ممكن تبعثوها

القــذافى :

ـ اننا لم نعد نجد فلسطينيين لنعطيهم سلاحا .

عبد النــاصر :

زى ما انتم شايفين المعلومات التى لدينا ان اسرائيل تستعد لضربنا . لقد دخلنا الحرب فى سنة ٦٧ علشان ســوريا موش علشان مصر . عندنا قتلى ١٩ألف و٥٠٠ ضابط وجندى . لانستطيع أن نقامر ونخلى اسرائيل تقوم بعملية عبور .

عــرفات :

ـ ترسل برقية شديدة اللهجة نخليه يفكر .

عبد النــاصر :

ـ أنا مشيت معاه حتى لا يعمل صلح مع اسرائيل . لكن مستعد أقطع علاقاتى أنا مليش صالح معاه . الذى يحكم الأن هو وصفى التل . قطع العلاقات بالنسبة الينا أسهل شيء . لكن عن طريق سفارتنا نكون مطلعين . كذلك عندنا مكاتب فى أنحاء مختلفة .

البــاهى الأدغم :

أنا أخذت معايا القائم بالاعمال وأعضاء السفارة . فى هــذه الحالة لا يمكن ابقاء أحد لكن هذا لا يعنى أن نغلق السفارات .

عبد النــاصر :

ـ اسرائيل مركزة الأن ...

عــرفات :

ـ أنا شــايف الاوضــاع فى الاردن بشكل آخر . الفارق فى العملية ليس فقط الملك .

الفريق صادق :

ـ العسكرى يقيم ويضع العلاج الناجح . فالملك حسين موش حيخلص على عمان ويقتصر بل سوف يستمر . لازم التقييم العسكرى السليم لقدرة الفدائيين .

الباهى الادغم :

ـ الصعوبة الاولى تأتى فى شروط المراقبة فيهاخلافات . فاذا رأينا أن هناك صعوبات فلا فائدة . وانا رايى أن يمشى ضابط أو اثنين يجس النبض .

عبد الناصر :

ـ اذا كنا حنقطع العلاقات نرسل ضابط ليه ؟ .

الفريق صادق :

ـ الملك حسين مصمم على خطته وموش عاوز ينحرف عن كل ما يعمله . خطته من الأن تضليل ثم ادخال فى دوامة أضاليل . أنا وجهة نظرى كالاتى .. وضعى دقيق يحتاج الى اعادة تقييم .. لازم تخلونا لبكره ندرس على الاقل .

عبد الناصر :

ـ المؤتمر الساعة ١٢ صباحا .

• • • • • •

اجتماع الملوك والرؤساء يوم السبت ٢٦ سبتمبر ١٩٧٠

« تقرر قبول حضور الملك حسين الى المؤتمر قال القذافى لو حضر الملك حسين فسأنسحب من المؤتمر .. ثم تراجع . مشادة بين الملك فيصل والقذافى والباهى الادغم » .

عبد الناصر :

الساعة ١١ر٥٥ وصلت هذه البرقية من الملك حسين . كان سلمها للسفارة عندنا الساعة ١٠ (يقرأ نص البرقية) .

وطلب منا على أثر ذلك أن يؤجل المؤتمر الصحفي وهو يقول :

ـ ان الحالة هادئة الا من اصــوات طلقات فردية . وانه فى الساعة ١٢ وقف اطلاق النار سينفذ تماما . وقد بدأت قوافل الصليب الاحمر القيام بواجبها . ثم تلقينا انه حتى الساعة ٢ كان القذف مستمرا بالاشرقية وحالة الجرحى سيئة لم يعد الاطبـــاء والمرضات حتى الان . الموقف سيىء .

وجاءت برقية أثر مؤتمر الرئيس النميرى وهى رسالة صوت اللجنة المركزية الى النميرى ((اكتشافكم جاء متأخرا)) . ماذا ستفعلون الان وهل تريدون حقا أن تفعلوا شيئا . اذا كانت هناك فرصـــة ؟

عرفـــات :

ـ جريمة حدثت فى الاردن فعلا . هذا الملك حاربنا بالدبابات التى اشتريت من دم الامة العربية هذا الشعب يطالبنا هل نسمح لفئة من الناس أن تذبحنا ، بأموالكم وباسم الجامعة والاخوة ثم يقول انها فتنة عليه . قال علينا انا مجرمون خـــونة مرتبطون باسرائيل . لدى المقاومة اثباتات أنه يجتمع مع اسرائيل وهــذا موسى العلمى عنده اثبـــاتات ان ذلك حـــدث فى لندن . حتى مستشفانا الوحيد ضرب واحتـــل . يعنى نصف مليون شخص وما عندنا مستشفى كان فى الوفد عسكريين يقدروا لكم كم طنـــا من المفرقعات نزلت علينا . احنا قادرين نخوض حرب عصابات . وامبـــارح نسفنا محطات البنزين . أنا أعرف لاى شيء ضرب الاشرقية لانه مركز قيادتى . وعندما بدأ ضربها ربما كان يتصور اننى مازلت هنـــاك . شفتم الحـــالة مافيش ماء ولا أكل ولا كهـــرباء .

لازلت أعتقد ان وقف اطلاق النار هو المهم . النهاردة الساعة السابعة الا عشرة اتصل بى الملك حسين وقال لى ان الحالة أهدأ وان تصريحات الرئيس النميرى سيكون لها صدى كبير . فقلت له ان هذا الكلام موش كلام النميرى وما نطلبـــه هو وقف اطــلاق النار . وكان معـــاى الاخ أمير الكويت . فأجابنى بان التحريض مستمر . فقلت له لازم تبذل المستحيل بنفسك لوقف اطلاق النار

وقت له انتم ضربتم مستشفى الاشرقية .. ليه تضربوا الاشرقية .. فقال سأعمل المستحيل لوقف اطلاق النار وقال انه مستعد للحضور الى القاهرة ورأيى هو الآتى : أنا أرسلت البرقيات التى لفتونى بها .. والمؤتمر كان نوعا من وثيقة اتهام . ثم يقول انه يجب أن يجىء وانه يمكن ان نصل الى اتفاق غـــير الاتفاق اللى حصل مع أبو اياد .

ان هدفنا هو ايقاف القتال والا سيزيد الفتلى .. وهمنا ان نجنب الاردن مثل هذه النتيجة . وأنا فى كلامى مع الملك حسين اردت أن نعطى فرصة للملك حسين . نحن لحد الان لم تضرب ببشاعة .. لكن صدقونى نستطيع أن نحول هـــذه الدولة الى خراب . أول مرة وقفنا اطلاق النار وثانى مـــرة وثالث مرة بلا نتيجة . أنا اريد أن يقف الشعب العربى الى جانب هذا الشعب الذى ظلم ، وكلمة ظلم لاتكفى .

الرئيس عبد الناصر :

ـ عندنا عدة اختيارات . ممكن نقول للملك حسين انه مايجيش لكن اذا جاء أحسن .

ربيـــع :

ـ لقد توصلنا الى اقتناع بأن الملك حسين عنده إصرار مسبق على القضـــاء على المقاومة الفلسطينية وهذا معناه أنه مسئول مسئولية مباشرة عن ابادة الشعب الفلسطينى .

الســـودان :

ـ كل الحاضرين مقتنعون بأن الملك حسين يرتكب جريمـــة ابادة المقاومة الفلسطينية وقد قمنا باطلاق الرأى العام العربى والدولى . والان السؤال .. ماذا نستطيع أن نقـــدم للشعب الفلسطينى ؟

السيد الباهى الادغم :

ـ فيما يخص الملك حسين يمكن دعوته . لقد تحملنا البقاء تحت الرصاص وكل أصناف سوء المعـــاملة فضلا عما تقتضيه

الكرامة وصلة الرحم . هناك أيضا مقتضيات المصلحة العليـــا وتقديرهم الاهم على المهم . هذه سياستنا نحن أمام خطرين :

أولا : أن يأتى الملك حسين يحكى لنا الحكاية ونحن مستعدون لدحض كلامه اذا اقتضى الحال نظرا لمشاهدتنا مشـــاهدة عيان . الخطر هو بعد حضـــوره يرجع لعمـــان ويتصرف نفس التصرفات ولكن وجوده يمكن من اقناع غير المقتنعين .

ثانيا : أن يرفض القـــدوم .

أكبادنا تتمزق وقد قلنا لهم انكم تقومون بعمليات محق بالنيابة عن اسرائيل قلنـــاه ومستعدون لاعادته ونتخذ مسئولياتنا واذا تمكنا من استدراجه الى خطة يكون كسبا بالنسبة لاخواننا . ولكن لازم يدفع الثمن ثمن الدماء . نحن لا ندخل فى مغامرات ، هو أطلق علينا الرصاص وأنا مستعد لمصافحته ، نحن لم نوجه اليه دعوة . نحن نترك له خط الرجعة ، نتسامح اذا جاء وننظر ما هى الاسباب التى جعلت اتفاق وقف اطلاق النـــار غـــير صالح للتطبيق ؟

نحن نسعى الى توفير اسباب النجاح ووضوح الرؤية ، لان البشر يعيش حالات جنونية .

شخصيا أؤيد اقتراح سيادة الرئيس عبد الناصر .

النمـــيرى :

ـ الملك حسين عفا الله عنه .. أنا اوافق على قبول الملك حسين مع حضور رجال المقاومة ولكن يجب أن أطلب منه يرجـــع قواته للخلف ، يسحب المدفعية والدبابات للثكنات وقد قلت فى المؤتمر الصحفى أن ما ادعاه ان القصر ضرب ليس صحيحا لقـــد جاء بوحدات تضرب لايهامنا لكنه نسى أننا عساكر ونفرق .

عبـــد النـــاصر :

ـ قلت له فى البرقية ان الكلام اللى جاء فى الندوة الصحفية ليس كلام النميرى فقط بل هو تقرير اللجنة .

النميرى :

ـ لقد جاء بولية تبكى فى القصر تدعى ان أولادها خمسة قتلوا سألناها عن عمر أبنائها قالت ابنى عمره ٣٠ سنة وهى عمرها ٣٨ سنة .

الباهى الادغم :

ـ بمجرد ما خاطبناه بالتليفون عن موضوع المستشفى أجابونا بالرصاص ..

النميرى :

ـ اهم شيء اذا جاء الملك حسين عليه أن يوافق على تقديم المساعدة فى صورة وقف اطلاق النار . والا فعلينا أن نقدم الذخيرة للمقاومة ونبدأ حرب عصابات .

وزير خارجية السودان :

ـ من الناحية المبدئية حضور الملك حسين خطأ خاصة بعد زيارة اللجنة للاردن . حضوره يعنى التشكيك فى الوفد وفيما صادق عليه الوفد . حضوره لا فائدة منه لاحد خاصة بالنسبة للشعب الفلسطينى الذى يقتل . لكن من الناحية العملية حضوره يجب أن يقتصر على الجلوس فى غرفة مع المسئولين عن المقاومة للوصول الى حل . اقترح لذلك أن يطلب اليه الحضور لتنفيذ وقف اطلاق النار . لكن قبل أن يرفع المؤتمر يجب كما اقترح الرئيس النميرى اقرار كل المساعدات للشعب الفلسطينى .

حسين الشافعى :

ـ ملاحظاتنا ادتنا الى القول ان الملك لم يكن يتصور أن الصور حينما تنقل للملوك والرؤساء ستؤدى الى المؤتمر الصحفى طالما أن الهدف الاساسى هو ايقاف اطلاق النار .. فاذا كان ثمة طرف متغيب طالما أن الهدف الاساسى هو وقف اطلاق النار فان وجود الطرفين سليم للتأكد من مراقبة العملية .. سمعنا أن الملك وافق على وقف الاطلاق وان بعض الضباط يرفضون هذه العملية .. وهذا خلق نوعا من الاثارة داخل

صفوف الجيش .. لدرجة انها تخلى الملك لا يملك كافة الوسائل .. فيه فئات من الجيش لا تنفذ أوامر الملك ، هذه الاشياء تجعل قدوم الملك مرغوبا . ان تقرير اللجنة ليس مجالا للنقاش فقد شاهدنا كل ما قلنا .

محمد المصمودى :

ـ تونس عندما قدمت الاقتراح كانت أول ما فكرت فيه احضار ياسر عرفات والحسين . أنا اعتقد ان الوفدين تعرضا للتجريح ، ولا أعتقد أن هنالك جدالا .فيما جاء فى تقرير الوفدين . ونحن لانقبل أن يناقش الحسين ما جاء فى التقرير والسؤال هو لو استجاب حسين لدعوتنا من اليوم الاول هل كنا نقبله أم لا .

انى أوافق الاخ فاروق فى عدم امكانية فتح نقاش بين الرئيس النميرى والحسين . تحرك الحسين اعترف بالضغط المسلط عليه . عندما يأتى نقرر الاجراء . الحضور أو المحادثة على مستوى ثانى .. عندما يأتى هنا جو الضغط .. واذا كان بمجيئه يكون وقف اطلاق النار وتحسين الاتفاق المبرم مع الفدائيين لا أعتقد أن قدومه يكون مرارة فى الرأى العام قد يكون ذلك اذا ما فشلنا. ان قدومه اكبار للوفد .

فاروق أبو عيسى :

ـ انى أعتقد أن حضور الحسين يكون لطاولة عمل لتنفيذ ما يقرره المؤتمر بشأن وقف اطلاق النار .

الشـــافعى :

ـ المؤتمر وصل فعلا الى وسائل ضغط .

رشيد كرامى :

ـ هناك اجماع حول الهدف : وقف اطلاق النار . من أجل الوصول لذلك ، أرى ان اجتماع حسين بعرفات بحضور ناصر وفيصل ومن يشاء .. سيكون مفيدا . . وسيتم ما يرضى ضمائرنا .

فيصـــل :

ـ انى أوكل الاخ عبد الناصر .

عبـــد الناصر :

ـ وأنا أوكل الاخ معمر .. كنت فى مرسى مطروح هروبا من الاسكندرية ٩ أيام وكان باستطاعتى أن اصدر بيانات وأقول أضع كافة امكانياتى وأروح استريح .

فيصـــل :

ـ حل المشكلة ايش السـبيل للوصـول الى الهـدف هـــذا هو المهم ..

عبـــد الناصر :

ـ هدفى هو وقف إطلاق النار ثم تنفيذ الاتفاقية ـ الحسين قلنا له تفضل وفى استطاعتى أن ابرق له بعـدم الحضـور .. هل يرى الاخوان الفدائيين فائده فى حضوره ؟ .. اذا كانوا لايرون فاننى أبرق له معتذرا .

أبو عمـــار :

ـ فى خلافاتنا السابقة كنا نحاول أن نبعد الملك حسين . كنا نحاول ما ندخلش الملك . قلنا له هذه الزمرة تبعدك عن الشعب. وأشرنا عليه ان يكون سلطة وطنية تحكم البلد . فوجئنا به يخذل الاتفاق . طلب منا باندار تسليم السلاح . أعلمت الملك فيصل عن طريق سفيره . حدثت المذبحة حاولت الاتصال بالقصر .. بالوزارة .. بالاركان لم يجاوبنى مسئول فى الدولة لمـــدة ٣ أيام أحاول الاتصال ـ بدأ القصف فى البلد ولمدة ٣ ساعات أحاول الاتصال بدون جدوى .

لقد استباحوا دمنا ولا يزالون حتى أمس باعترافهم ١٤ ألف قتيـــل .

فى اسرائيل ـ أنا محكوم على بالاعدام . وسيادة الفريق شاهد واحدا من أعضاء الصليب الاحمر بكى خمس ساعات عندما رأى

حالة الجرحى ...ر٢٥ عدا الاموات . والله أعلم . البعض لايزال تحت الانقاض الحقيقـــة . ليحضر حسين ولكن .. شكلوا لجنة لمحاكمته كمجرم . أمريكا اهتزت لمذبحة ٢٥٠ فى فيتنام . اخـو الملك قال والوفد سمع ذلك ان اسرته جاءت الى هذه الارض وهى خلاء وستتركها كذلك .

القـــذافى :

ـ من أين جاءوا ..

أبو عمـــار :

ـ من الجـــزيرة .

فيصـــل :

ـ هربـــوا .

اليمن الشمالى :

ـ المأساة مريرة وشديدة .. ولكن هل تحولت القضـــية من قضية أساسية الى قضية بين المؤتمـــر وبين دولة الاردن لا أعتقـــد ان أحدا يوافق على ذلك .

عبـــد النـــاصر :

ـ ما فهمتـــه من كلام الاخ ياسر ان يحضر الملك حسين ولكن لا كمشارك فى المؤتمر .. واذا حضر .. لابد أن استقبله .

القـــذافى :

ـ ماتروح لوش !

عبـــد النـــاصر :

ـ بعد أستقباله من سيحضر ؟ الاخ نميرى ؟ الاخ القدافى ؟ الاخ ربيـــع ؟

القـــذافى :

ـ الاخ فيصل .. لانه اذا لم يحضر فسيكون لهذا معنى .

فيصـــل :

ـ اقترح الاخ البـــاهى .

عبـــد الناصر :

ـ اللجنة ! الاخ نميرى ، الملك فيصل ، الامير الصباح ، الاخ الباهى ، الاخ ياسر عرفات .

ياسر عرفات :

ـ وصلنى انذار من القيـادة العسكرية اذا صافحت هـذه المرة فلا طاعة لى .

عبـــد النـــاصر :

ـ ننهى المؤتمر ونبعث للملك رسالة .

القـــذافى :

ـ ما هى القرارات التى توصل اليها المؤتمر ؟

الباهى الادغم :

ـ أستطيع أن اجاوب .

عبـــد النـــاصر :

ـ انت الداعى .

الباهى الادغم :

ـ لقد أبعدنا تدخل الاجنبى . فرضنا الطرف الفلسطينى ، واخرجنا من السجن أقطاب المقاومة . ومن الناحيـــــة المعنوية ، أفهمنا الملك انها خطة فاشلة وفرضنا عليه أن يحضر الذين كانوا اسرى كطرف مقاتل . لقد كنت اليوم أفكر فى طريقة للخروج من هذا المؤتمر مع الحفاظ على ماء الوجه فلاحظت أن وجود الاخ عرفات بيننا كطرف يعتبر غنم المسـألة تتعلق ب ٤٨ ساعة لتمديد المؤتمـــر .

النمـــيرى :

ننهى المؤتمر ويستمع حسين .

القـــذافى :

ـ التدخل الاجنبى غير وارد الان طالما حسين منتصر . ما جئنا الى هنا بشأن التدخل والضغط الادبى . الافراج عن زعمـــاء المقاومة شيء ايجابى . والذين لم يحضروا المؤتمـــر منضمين تحت راية الامة العربية . لان العالم لا ينظر الينا كرجعيين وتقدميين .. وقف اطلاق النار ليس بأيدينا . حسين استطاع أن ينفذ الجريمة وهو ينفذ المخطط رجل يضيع الوقت .. السعودية بعثت له كم مليون ؟ الكويت جمدت المعونة هل هذا يعتبر تأييدا للمقاومة ؟

اذا جاء حسين ولم يقبل وقف اطلاق النار لابد من اتخاذ تدابير من الان . قدومه هنا مراوغة بودى أن اسمع من الملك فيصـــل بعض ايضاحات .

عبـــد النـــاصر :

ـ الملك فيصل أدان تصفية العمل الفـــدائى ووافق على نص البرقيـــة .

فيصــــل :

ـ أنا أتكلم لانى متهم . نحن خلال هذه الفترة لم ندفع شيئا. دفعنا قسط ونصف أكتوبر .وما تدفعه المملكة هو بنـــاء على قـــرار مؤتمر القمة فى الخرطوم ونحن من أوائل من ساعد المقاومة منذ ١٩٦٥ أليس كذلك يا أبو عمار ؟

نحن نستقبل حسين . واذا لم توفق المقاومة الى حل مرض نحن نتخذ كل الاجراءات بثقلنا .. وموقفنا يتضح على ضـــوء النتـــائج .

أبو عمـــار :

ـ أنا أخشى أن يأتى الى هنا وهو يعتقد أنه فى مركز قوة . نحن لا نجتمع معه كمؤتمر ـ نشكل لجنة للتفاوض معه ـ نتخذ قرارات (ادانة) ونؤكد فى هذه القرارات ان ما قاله الرئيس نميرى ليس على لسانه بل هو باسم الجميع ، ويجب دعم الثورة واغاثة الجرحى فى أسرع وقت .

فيصـــل :

ـ اقترح أن نشكل لجنة من السفراء العرب مع منـدوب عن الهلال الاحمر الفلسطينى والاردنى لاستلام الاغاثة وتوزيعها .

عبـد النـاصر :

ـ مازلت أهدف الى وقف اطلاق النار . تقييد الملك حسين بوقف اطلاق النار ثم سحب الجيش من عمان وكذلك بالنسبة لقوات الفدائيين . يمكن بعث لجنة من الضباط للمراقبة . قد يقال أن الملك حسين سيأتى ويغدر بنـا .

القـذافى :

ـ ماذا تعمل لحسين اذا غدر بنـا ؟

عبـد النـاصر :

ـ اذا غدر نقطع العلاقات . ونقطع عنه المعونة وندينه .

فيصـــل :

ـ توقيعنا غدا سيكون على ذلك .. اذا لم ينفذ حسين .

عبـد النـاصر :

ـ أذهب الى المطار غـدا يرافقنى السيد البـاهى الادغم هل هناك من يريد أن يصاحبنا ؟

القـذافى :

ـ سأغادر القاهرة حال وصول حسين .

عبـد النـاصر :

ـ اما أن يحضر كل رؤساء الوفـود أو ننهى المؤتمر الليلة ونعلن القرارات المتفق عليها .

فيصـــل :

ـ لا أوافق على انهاء المؤتمر واصدار القرارات الليلة ولابد من مواصلة السعى .

القـــذافى :

ـ اننى أطلب رأى المقاومة وأوافق مسبقا على رأيها .

عرفـــات :

ـ اقترح اجتماع حسين مع لجنة .

الباهى الادغم :

ـ (الى القذافى) اذا كنت تعتبر من يحضر متخاذلاً فانه يمكن أن يقال فى حقك انك منفصل .

ابراهيم بكر :

ـ موقف العراق سلبى . موقف الجـــزائر سلبى . موقف النميرى وندوته الصحفية شيء ايجابى . ان ما قاله الاخ النميرى له وقع فى الاردن . هناك صلح مع اسرائيل منذ ثلاث سنوات وهناك تبادل تجارى وغيره . نريد وقف اطلاق النار بصـــفة دائمة وضمانات دائمة ملزمة لان هذا الملك مخادع ورأينا أن الملك حسين يجيء لان له جيشا مواليا ولذلك يجب أن يقول له كل رئيس وفد ما قاله الرئيس نميرى .

***

وحضر الملك حسين .. وتم توقيع اتفاق القاهرة .

ومات جمال عبد الناصر بعد أن ودع أمير الكويت فى المطار .

وتسلم أنور السادات أمانة المسئولية فى ظل هذا الموقف العربى العصيب .

* المقاومة الفلسطينية تنزف دما .

* دول عربية تريد أن تحارب .. ولكن حتى آخر جندى مصرى .

* دول عربية فى موقف انعزالى عن القاهرة تماما .. ولكن بياناتها عنيفة وملتهبة .

* أمريكا يسيل لعابها للتدخل العسكرى .

* الاتحاد السوفيتى يطالب بتجنب دفع أمريكا الى التدخل العسكرى .

* مصر متهمة بأن قبول مشروع روجرز .. هو الاستسلام .

* وأخيرا الموقف الداخلى فى مصر .

ولكن أنور السادات .. بدأ يفكر منذ اللحظة الاولى فى المعركة، والاعداد الحقيقى الكامل للقتال .

لقد اشاد بعد ذلك بعبارة كان قد قالها أشرف غربال ، ممثل المصالح المصرية فى ذلك الوقت فى أمريكا .. هى أن الاسرائيليين لن ينتزعوا من سيناء .. الا اذا انتزعنا دماءهم ..

الفصل الخامس

مؤامرة مراكز القوى

●●● ((مبادرة ٤ فبراير ١٩٧١ التى أعلنها الرئيس السادات فى مجلس الامة كانت مفاجأة لكل مراكز القوى .. وكانت الدليل أن رئيس الجمهورية بدأ يتحرك .. وبدأ يحكم بسلطاته)) ●●●

تولى أنور السادات المسئولية ..

قال على صبرى انه لا يريد أى منصب .. يريد فقط أن يبقى فى موقعه عضواً فى اللجنة التنفيذية العليا .

وقع الاختيار على الدكتور محمود فوزى رئيسا للوزارة .. وكان لذلك صدى شعبى كبير .

أولا لانه رئيس وزراء مدنى . وثانيا لان له سمعة دبلوماسية على المحيط الدولى . وكان هناك تصور أن بالامكان حل ازمة الاحتلال الاسرائيلى بالاسلوب السياسى .

أنا شخصيا .. لم أرحب بهذا الاختيار ، لان رأيى أن الدكتور محمود فوزى رجل مفكر ، ودبلوماسى .. ولكن ادارة الحكم فى هذا الظرف العصيب .. بعد وفاة عبد الناصر .. تحتاج الى حزم وقدرة على المتابعة والتنفيذ ، وقدرة على اتخاذ القرار . وهذه الصفات لا تتوافر فى رئيس الوزراء .

وتولى امانة الاتحاد الاشتراكى العربى عبد المحسن أبور النور.

وكان الدكتور لبيب شقير رئيسا لمجلس الامة .

وكان شعراوى جمعة أمينا للتنظيم .

وكان سامى شرف الوزير المسئول فى رياسة الجمهورية .

مجالات العمل والمسئولية أمام انور السادات ، ضخمة وثقيلة ..

أولا : الاستمرار فى الاعداد العسكرى .. وقام أنور السادات برحلة سريعة الى موسكو .. وبدأت الخلافات مع الاتحاد السوفيتى على التسليح .. ولكنها كانت خلافات مكتومة . وكان أنور السادات يشيد دائما بالصداقة السوفيتية .

ثانيا : الاستمرار فى السعى الدبلوماسى .. وبدأت اتصالات فعلا مع نيكسون بعد أن بعث الرئيس الامريكى تهنئة الى الرئيس

انور السادات فى عيد ميلاده يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ .. واسفرت الاتصالات عن عرض أمريكا ان يزور روجرز القاهرة ويجرى مباحثات مع السادات .

ثالثا : مواجهة مطالب الجبهة الداخلية ، وأولها الديمقراطية ، وتصحيح الاخطاء ، ورفع الظلم ..

واهم من هذا كله مواجهة مناورات مراكز القوى التى بدأت الجماهير تحس بها وتتوقع تطوراتها .

كان واضحا ان السيطرة على كل شئون الحكم فى يد القلة التى كانت تباشر الحكم فعلا فى فترة مرض جمال عبد الناصر وقبل وفاته .. وقد رحبت هذه القلة باختيار أنور السادات لرياسة الجمهورية ؛ لانهم تصوروا كما قلت ـ أنه سيملك ولا يحكم .

وكانت (الاهرام) قد ركزت فى يوم وفاة جمال عبد الناصر ، على ابراز اسم زكريا محيى الدين .. وفى تشييع الجنازة ، سلطت عليه عدسة التليفزيون أكثر من ساعة متصلة ..

ولكن القلة استقر رايها على ان انور السادات سيكون اساس قيادا .

وفى الوقت نفسه ، كان الرأى العام ، لا يعرف قدرات أنور السادات ، لقد كان طوال حكم الثورة بعيدا عن الاضواء .. وحتى تاريخه القديم قبل الثورة ، نسيه الناس وتجهله الاجيال الجديدة .. وكان التساؤل هل يمكن أن يملأ أنور السادات فراغ عبد الناصر ؟..

ولكن الجماهير بدأت تميل بعواطفها نحو أنور السادات ، لانها تعرف تماما عناصر القوة المضادة له فى الصراع الداخلى . وتعرف أنها قوة مخيفة ، تعتمد على أجهزة المخابرات ، ووسائل القمع والفصل والاعتقال .

وعندما تحدث أنور السادات الى الشعب بالتليفزيون بعد انتخابه لرياسة الجمهورية ، وقال أنه يأمل أن يقتنع به من قالوا

نعم .. أحسن الناس بالارتياح ، لانهم يسمعون هذا الاسلوب الديمقراطى المتواضع لاول مرة ..

واراد أنور السادات أن يتحرك ديمقراطيا ..

ان الهدف الاول فى كيانه .. هو المعركة .. ولا يمكن أن يكون رأس الدولة ، مقدما على معركة عسكرية .. وهو يعانى من صراع داخلى فى الحكم .. والجبهة الداخلية تعانى من كل ما عانت ، فى ظل الحكم بقرارات استثنائية . وكيف يمكن أيضا أن نصل بالاتصالات الدبلوماسية الى أية نتائج .. اذا كان النظام مهتزا .. ورئيس الدولة لا يمارس سلطاته ؟.

وبدأ أنور السادات يتصل بالجماهير اتصالا مباشرا .. بهدفين: الاقناع بجدية الاستعداد للمعركة .. ومحاولة تحويل التمزق واليأس الى أمل ..

وكانت أول مواجهة بينه وبين الجماهير فى مدينة طنطا . وهى مدينة ذات طابع خاص . ولم يزرها جمال عبد الناصر فى حياته أبدا . وفوجىء أنور السادات باستقبال شعبى منقطع النظير لم يكن ليتوقعه . بل أنه شعر وهو فى سيارته عندما اقترب من مشارف المدينة ، بشىء من القلق . لقد تذكر فى تلك اللحظات فقط أنه سيخطب فى اجتماع شعبى وهو رئيس الجمهورية لاول مرة . ولكنه تجاوز هذا الشعور .. وجاء الاستقبال الشعبى الضخم ، ليغمره بالثقة .. وكانت الدبلوماسية الامريكية تسير معنا فى تلك الايام ، بمنطق أن الشعب المصرى لا يريد أن يحارب .. وأن القيادة هى التى تريد دفعه الى حرب ستكون خاسرة ..

وكان أول رد علنى من انور السادات عليهم فى اجتماع طنطا الشعبى .. سأل الجماهير :

هل تريدون الذل والعار .. أم تريدون الحرب ؟ ..

وجاءت أصوات عشرات الالوف فى عبارة واحدة .. تدوى فى حماسة ملتهبة (الحرب .. الحرب .. يا سادات) ..
ثم سافر الى أسيوط ..

وكان الاستقبال الشعبى فى روعة استقبال طنطا .. وامتلأت نوافذ المدينة وشرفاتها بالرجال والنساء والاطفال .. ونثرت عليه الورود .. وانطلقت الزغاريد .. وان كانت مراكز القوى حددت مرور موكب السادات فى شارع واحد فى الحى الجديد من اسيوط .. ومع ذلك فقد تجمع الآلاف فى ميدان المحطة .. واهتز الميدان بهتافهم بمجرد رؤية السادات الذى سالت الدموع من عينيه تأثرا بهذا الترحيب .

ثم جاءت زيارته لقاعة محكمة الجنايات التى سبق أن حوكم فيها .. فى قضية مقتل أمين عثمان .. وتكلم عن القضاء وسيادة القانون .. وفخر تاريخ مصر بتاريخ قضائه ..

وكان ذلك الخطاب أول اشارة منه ، الى طبيعة حكمه ..

ثم عقد اجتماعا فى قاعة محكمة أمن الدولة الكبرى .. حضره الآلاف من رجال القضاء .. وألقى خطابا فى قمة روعة التعبير .. عن اجلاله لقضاء مصر .. وكان القضاء المصرى يئن من مذبحة القضاء التى فصل فيها أكثر من مائتى قاض .. لبيان أصدروه ، طالبوا فيه بتصحيح الاوضاع فى البلاد .. ولاحكام أصدروها بالبراءة لاشخاص لفقت لهم اتهامات كاذبة .

ثم أصدر أنور السادات قانون الغاء الحراسات . .

واذكر أننى قلت للرئيس فى ذلك اليوم : ان هذا القرار لم يكلف ماديا أكثر من ثمن الورقة التى كتب عليها .. ولكن أثره على الجماهير ، كان لا يمكن أن يتحقق ولو بمشروعات تتكلف ملايين الجنيهات .

وقبل عيد العمال فى أول مايو ١٩٧١ ، عرفت الجماهير قصة أنور السادات العامل .. الذى نحت الحجر ، واشتغل سائق لورى .. وعانى من الفقر والجوع ، ولم يفرط فى مبادئه ، حتى عندما ماتت طفلته لانه لم يجد ثمن الدواء ..

ثم سعى الى انشاء دولة الاتحاد .. لتوسيع قاعدة دعم الاستعداد للمعركة .

وسافر الى السودان .. وكان لقاء تاريخيا مع الشعب السودانى ، الذى كان متلهفا على رؤيته ..

وكان من قبل قد عقد اجتماعا كبيرا فى قصر عابدين مع الصحفيين والادباء والكتاب والفنانين .. دعا فيه الى الحب والامل ..

وبدأت شعبية أنور السادات فعلا تصل الى القلوب.وانتشرت عنه القصص .. قيل ان وزير الداخلية تقدم اليه بكشف به عدد من الاسماء ، وقال لرئيس الجمهورية : هؤلاء يتحدثون عنك بالسوء ..

وسأل أنور السادات : هل تآمروا .. هل أتوا شيئا يخالف القانون ..

فأجاب وزير الداخلية : لا ..

وامسك أنور السادات بالكشف ، ووضعه فى درج مكتبه ، وقال لوزير الداخية : دعهم يتكلمون .. هذا حقهم ..

وبدأت الجماهير تستشعر ايضا ، أن أنور السادات ، يريد أن يحكم ديمقراطيا .. ولكن القوة المضادة المسيطرة على كل شئون الدولة تقف له بالمرصاد ..

ثم تسربت الانباء الى الجماهير .. بأن هناك خلافا على توقيت المعركة بين أنور السادات وبينهم فى اجتماعات اللجنة التنفيذية العليا .. وأنهم يريدون أن يدفعوا به الى معركة خاسرة لم يتم لها الاستعداد الكافى .. وهو يعارض .. وكانت حجته القوية أن تسليح الصعيد لم يستكمل فكيف يغامر..وهذه الاسرار لا يمكن أن تذاع على الجماهير .. ولكنها تسربت ..

ثم فاجأ انور السادات الجميع .. بالمبادرة (١) التى أعلنها فى مجلس الامة فى ٤ فبراير والتى عرض فيها :

١ ــ مد وقف أطلاق النار حتى ٧ مارس، استجابة لنداء أوثانت أى الامتناع عن اطلاق النار ٣٠ يوما ..

٢ يتحقق فى هذه الفترة انسحاب جزئى لقوات الاسرائيليين على الشاطىء الشرقى لقناة السويس كمرحلة أولى على طريق جدول زمنى يتم بعد ذلك وضعه لتنفيذ بقية بنود قرار مجلس الأمن .

---

(١) .. شرح الرئيس السادات أهداف مبادرة ٤ فبراير فى اجتماع مغلق للهيئة البرلمانية قال فيه : لقد كنا مطالبين من الدول الكبرى بمد وقف النار . واسرائيل تزعم أن تحديد مواعيد لوقف النار يهددها . وأوربا الغربية تصدق اسرائيل . وعندما سافر محمود رياض وزير الخارجية الى أسبانيا وروما وبروكسل وجد ان وزارة الخارجية الامريكية أرسلت الى أوربا الغربية تقارير بوجهة نظرها بهدف اثارة الخوف فى أوروبا الغربية من الوجود السوفيتى فى مصر وفى البحر المتوسط ، وانه يهدد أوربا الغربية كلها . وكانت الاشارة الى فتح قناة السويس فى المبادرة بعد الانسحاب الجزئى (وهو مرتبط تماما بالانسحاب الكامل) تريح أوربا الغربية التى يتحمل اقتصادها سنويا ١٣٠٠ مليون جنيه استرلينى بسبب اغلاق القناة ، علاوة على زيادة أسعار البترول وقبل اعلان مبادرة السادات ، كانت جولدا مائير قد طلبت من السفير الامريكى فى تل أبيب أن يبلغ نيكسون أنه اذا قبلت مصر ان تتفق على السلام ، فانها مستعدة أن تضع كل أوراقها أمام الامريكان . ولكنها قالت انها متأكدة أن السادات لن يفعل ذلك لانه لا يريد السلام .
وقد أبلغ روجرز الرئيس السادات بهذا .
ثم قال الرئيس : ولما أعلنا المبادرة ورددنا على يارنج ، انكشف موقف اسرائيل . والمبادرة تنقل الكلام من وقف النار الى موضوع الانسحاب . وقد قلت لروجرز : لا يهمنى موقف اسرائيل لاننى اعرفه منذ عشرين عاما . يهمنى أن تحدد أمريكا موقفها .
وقال الرئيس : البعض يقول .. لماذا نتصل بأمريكا ؟ .. ومن السفه الرد على ذلك ، لأن أمريكا طرف أساسى فى الموضوع وانا لا أضع راسى فى الرمال كالنعامة .

٣ ـ اذا تحقق ذلك فى هذه الفترة ، فنحن مستعدون للبدء فورا فى مباشرة تطهير مجرى قناة السويس ، واعادة فتحها للملاحة الدولية ولخدمة الاقتصاد العالمى .

وقال السادات :

ـ ونحن نعتقد اننا بهذه المبادرة ننتشل جهود السفير جونار يارنج من الالغاز الغامضة الى الاجراءات المحددة لتنفيذ قرار مجلس الامن .

واذكر أننى لقيت الرئيس انور السادات بعد هذه المبادرة فى القناطر الخيرية ..

وبدات افهم حقائق كثيرة من المناورة المقصود بها احراج أنور السادات ودفعه الى قرارات ساذجة ..

فهمت أن هذه المبادرة كانت مفاجأة لاعضاء اللجنة التنفيذية العليا ولوزير الخارجية محمود رياض .. وقد تجمع فريق الصراع فى احدى حجرات مجلس الشعب .. وقال على صبرى .. أنا لا دخل لى . انا لست مسئولا . وقال آخر : هذه المبادرة ستنتهى بمصر الى الهلاك .. البلد راحت فى داهية !

ولما استمالت المبادرة الرأى العام الاوروبى .. وجاءت تعليقات صحف الغرب مؤيدة لها ، وخاصة أننا نتيح فتح قناة السويس .. عاد المناورون ليمتدحوا المبادرة .. ولكنهم لم يهضموا أبدا ، أن يفاجئهم بها أنور السادات .. انها أول خطوة تثبت أن رئيس الدولة يحكم ولا يملك . كما لم يكن مقدرا له ! ..

وسمعت من انور السادات لاول مرة .. أنه لن يقبل الارهاب الفكرى . وأنه مستعد لاطاعة صوت الشعب فقط . ولذلك فانه يعتزم اجراء انتخابات جديدة فى الاتحاد الاشتراكى ومجلس الامة .. بلا أى قيود . ومن يختاره الشعب يجب أن يحكم ..

سمعت من انور السادات لاول مرة .. التعبير الذى أطلقة الدكتور محمود فوزى على مراكز القوى .. كان يقول عنهم « وحوش غابة ما بعد جمال عبد الناصر » ..

بدأت أدرك أن أنور السادات يتحرك .. ويتحرك بقوة .

ولكننى كنت مثل بقية أبناء الشعب .. أخشى عليه .. كنت أتصور أنه محاصر بمن يسيطرون سيطرة كاملة على كل السلطات

وأذكر أن الدكتور عزيز صدقى قال للرئيس وهو فى مكتبه ذات يوم :

ـ لدى معلومات يا سيادة الرئيس أنه توجد آلات تسجيل فى مكتبك وفى كل حجرات منزلك .

ولم يعلق أنور السادات ، واستبعد ذلك ضاحكا ..
ثم جاءت رحلته الى ليبيا .. واعلان دولة الاتحاد ..

وأذكر أننى تحدثت اليه بعد عودته من ليبيا .. وأعربت له عن خوفى من هذه الوحدة .. لان الناس لاتزال تعيش بعقدة الانفصال بعد الوحدة مع سوريا ..وشرح لى الرئيس أن البيان المعلن لا يعبر عن وحدة اندماجية . أو وحدة فورية . انه أول أشكال الوحدة .. وكل دولة محتفظة بنظام حكمها .. ولن تأتى الوحدة الا على خطوات مدروسة .. ولابد من دعم الكيان العربى من أجل الاستعداد للقتال .

واجتمعت اللجنة التنفيذية العليا فى استراحة الرئيس بالقناطر .

ولم يصوت مع أنور السادات الاحسين الشافعى والدكتور فوزى

وطلب الرئيس عقد اللجنة المركزية فى أسرع وقت .. لعرض الامر عليها . وحاول عبد المحسن أبو النور أن يتمهل الرئيس فى تأجيل اجتماع اللجنة المركزية بحجة تهيئة أعضائها القبول .. ووجد الرئيس فى هذا المطلب ، احراجا له ، ووضعه فى موضع العاجز أمام القادرين الذين فى يدهم السيطرة على اللجنة المركزية . لكى تقبل أو ترفض .

وانعقد الاجتماع فى الموعد الذى حدده .. وجرت فيه المناورة المعروفة .. التى تصدى لها أنور السادات .. وواجه على صبرى بعد الاجتماع ، بأن ما فعله هو تخريب .. وانه سوف يتصدى

لهذا التخريب . وسيقضى عليه ، ولن يسمح به . وكان السادات فى قمة الغضب الحاسم .

ثم جاء الاحتفال بعيد العمال فى أول مايو بحلوان ..

وأمضى الرئيس الليلة مستيقظا حتى الرابعة صباحا ، وهو يعد خطابه الذى أعلن فيه انه يرفض الارهاب الفكرى مهما كان مصدره .. وأنه لن يسمح بأن يقاتل أبناؤه فى القوات المسلحة .. الا بعد ان يحصلوا على السلاح الحديث القادر على الانتصار ..

وكان قد رتب الاجتماع على أن يكون الهتاف لجمال عبد الناصر .. وأعطيت صورة لكل الصفوف .. لكى يلوحوا بها فى وجه أنور السادات ..وكان المقصود، اتهامه بأنه يخرج على طريق عبدالناصر .. وأن حكم « خلفاء » عبد الناصر ، هو الحكم المطلوب ! ولكن خطاب السادات كان مفاجأة مذهلة لعلى صبرى وشركائه .. وحل عليهم الوجوم .. وقال لى السادات بعدها « لو كان عندهم دم كانوا ما حضروش » ..

وعاد السادات الى منزله عن طريق كورنيش النيل بعد أن القى القنبلة .

وحيته الجماهير على طول الطريق .. تحية رائعة ..

وفى اليوم التالى أصدر القرار باعفاء على صبرى .

وصفقت الجماهير فى كل مكان .. وكانت « فرقة » مراكز القوى قد طلبت من الرئيس تأجيل هذا القرار ، حتى لا يفسر أنه تم بناء على طلب أمريكى .. قبيل أن يحضر روجرز الى مصر .

ولكن السادات لم يهتم بهذا التهديد ..

وتحرج الموقف.. ووصل الى درجة الخطورة.. وبدأت الجماهير ترقب وكان السؤال .. هل يقدر أنور السادات على التخلص منهم؟

وامتنع السادات فى كل أحاديثه الخاصة ، عن الافصاح بأية كلمة عن نواياه .

وكان ينام الليل ومسدسه تحت الوسادة !

وكانت السيدة قرينته لا تكتفى بهذا .. بل كانت تقفل باب حجرة النوم بالمفتاح ..

كانت تتوقع حدوث أى شيء ..

ولكن أعصاب أنور السادات الهادئة .. لم تخش أية مفاجأة ..

وفى ذلك الوقت .. نما الى علمى من ضابط مخابرات ، جاء لزيارتى دون تعارف ، أن جهاز المخابرات يعد فرقة خاصة لا يعرف عنها باقى اجهزة المخابرات شيئا .. وانه يستريب فى أن هذا الفرق الخاصة معدة لمهام ضد الرئيس ..

وأبلغت الرئيس تليفونيا .. ولكنه تجاهل كلماتى وكأنه لم يسمع منى شيئا !

كان يعرف قطعا أن تليفونه مراقب .

وحاولت أن أتحدث اليه عن خطورة استغلال أجهزة الامن فى هذه المرحلة .. ولكنه أجابنى متجاهلا قصدى ، بقوله ان الامن بخير !

وكنت أشتعل غيظا بينى وبين نفسى .. وأتساءل : « كيف لا يعرف أنهم مسيطرون على كل شيء » ..

وباختصار .. تقدم له ضابط بالاشرطة المسجلة التى تثبت المؤامرة ..

واقيل شعراوى جمعة .. وحدث ما يعرفه الجميع .. وأعلن أنور السادات سقوط دولة مراكز القوى .. والغى كل اجراءات الحكم الاستثنائى .. وأفرج عن المعتقلين .. وبدأ حكم سيادة القانون .. وعاد القضاة الى آخر ما هو معروف من اعادة الانتخابات .. فى الاتحاد الاشتراكى ومجلس الامة .. واصدار الدستور الدائم .

وبدأ أن الرجل سوف يتفرغ لمواجهة القضية الخارجية سياسيا وعسكريا .

ولكن ماذا فعلت أمريكا .. ؟

وماذا فعل الاتحاد السوفيتى .. ؟

وكيف بدأت المتاعب من جديد .. والرجل يرى أن قدره ومصيره ومسئوليته الاولى والاخيرة .. هى تحرير الارض ان سلما أو حربا ؟

الفصل السادس

مسرحية .. روجرز

●●● « يروى الرئيس أنور السادات الفصول الكاملة لمسرحية روجرز ، فى اجتماع مغلق أتيح لى أن أحضره مع عدد من الكتاب والصحفيين وحضره رئيس الوزراء الدكتور محمود فوزى فى أكتوبر ٧١ . كيف بدأت الاتصالات بين السادات ونيكسون فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ ؟ . وكيف انتهت الى القطيعة بعد مباحثات روجرز ؟ وكيف ساءت العلاقات خلال هذه الفترة مع الاتحاد السوفيتى .. ثم عادت الى تحسنها بعد ازالة سوء الفهم بين الجانبين فى مباحثات السادات فى موسكو أيام ١١ و ١٢ و ١٣ أكتوبر ١٩٧١ . وانتهى الاتفاق مع السوفيت أن عام ١٩٧١ يجب أن يكون عام الحسم ...

ان أقوال الرئيس فى هذا الاجتماع المغلق يزاح الستار عنها .. لاول مرة » ●●●

فى جلسة خاصة مغلقة دعا اليها الرئيس أنور السادات عددا من الكتاب خلال شهر أكتوبر ١٩٧١ ، استعرض الرئيس حقائق الموقف من جميع جوانبه .. وأسرار الاتصالات التى جرت مع أمريكا .. وانتهت بفشل مهمة روجرز ..

قال السادات : لقد خولت المحافظين سلطات واسعة .. ان أمامنا معركة داخلية هى العصف بالروتين ، وهذا يذلل نفرغنا لمهمتين أساسيتين :

الاولى : المعركة فوق كل شىء .

الثانية : بناء الدولة الجديدة .

ولن يتغير مفهومنا للحكم ، الا اذا تغير ما بنفوسنا أولا . لابد من فهم جديد للمسئوليات . معركتنا العسكرية معتمدة على العلم والتكنولوجيا. وهنا تحضرنى كلمة بارناردشو « الذين لايستطيعون أن يغيروا أنفسهم .. لا يستطيعون تغيير أى شىء آخر » .

لقد قلت للامريكان : اننا لن نواجه مصير الهنود الحمر .

ولكننى مقتنع أنه لن يساعدنا أحد ، قبل أن نساعد أنفسنا . كل طاقة . كل امكانية . كل ملكة . يجب أن تبذل أقصى ما عندها من اجل مصر ..

لقد دعوتكم الى هذا الاجتماع لكى تكونوا فى الصورة كاملة .. لكى تقدر أقلامكم حقائق الموقف ، ومدى المسئولية .. وانتم تتناولون المواضيع القومية .

السؤال : أين نقف الآن ؟ ..

ما هى قصة الشهور العشرة الاخيرة ؟

ولكننى أعطيكم الصورة منذ وقت الهزيمة .

فى ٢٣ نوفمبر عام ١٩٦٧ ، استطعنا أن ننشىء أول خط دفاعى .

تم هذا فى ٥ أشهر ، وكان الخبراء الروس يقدرون انشاءه فى عام ونصف عام .. واعتبروا ما تم بالايدى المصرية أقرب الى المعجزة .

واجتمع مجلس الامــة فى نوفمبر ١٩٦٧ . وتحدث جمــال عبد الناصر فى الاجتمــاع عن الصمود الســياسى والاقتصــادى والعسكرى .. وكان قد كلفنى قبل اجتماع المجلس ، أن أسافر الى الجبهة وأتفقد خط الدفاع ، بقيادة اللواء أحمد اسماعيل .. لاتأكد من وجود الخط .. واستكماله . وأذكر هنا .. حوار دار بينى وبين جمال عبد الناصر ، بعد مظاهرات الطلبة .. وبعد أن اجتمعت بهم فى مجلس الامة وكانوا معتصمين فى كلية الهندسة .. قال لى جمال : ابنى خالد منهم فى كلية الهندسة . والحقيقة أننى لا أجد ردودا شــافية لانفعــالات ابنى . كلهم مثله .. أتركوهم ينفسوا عن أنفسهم ..

وكان عبد الناصر حينئــذ فى أوج المرض . وكان يقاسى آلاما شديدة وكان عاجزا عن تحريك قدميه .. كانتا شبه مشلولتين .. ولكنه كان فى قمة الصــفاء الذهنى ..

فى سبتمبر ١٩٦٨ :

بدأنا عمليات الردع . كانت ضربا بالمدفعية ..

ورد علينــا العدو فى نجع حمادى ..

رأينا أن نتوقف .. وأعدنا تنظيم الدفاع عن العمق .

ثم عاودنا الضرب بالمدفعية فى عام ١٩٦٩ .

والواقع أن القتال استؤنف من يوليو ١٩٦٧ بعد الهزيمة مباشرة معركة رأس العش .

ضرب سلاح الطيران لمواقع العدو فى الضفة الشرقية فى أغسطس عــام ١٩٦٧ ..

ب

ضرب ايلات فى أكتوبر .

بداية الرد فى ٦٨ ثم التوقف .

استئناف الضرب فى ٦٩ بدرجات متفاوته .

وخلال كل ذلك اتصالاتنا السياسية .

كنا قد قطعنا الصلة تماما بأمريكا بعد الهزيمة . وضح لنا انهم كذابون ومخادعون . وكنا لا نتحـــدث معهم مباشرة ، وكانوا هم يتصلون بالسوفيت .. وأدركنا أنهم يريدون الوقيعة بيننا وبين السوفيت . وقد تأكدنا من هذا تماما فى هذا العام (٧١) ..

نحن لا نتصور طبعا أن أمريكا بعيدة عن الحل .

وفى أول مايو ١٩٧٠ وجه عبد الناصر أول خطاب له الى أمريكا.

لقد كانت أمريكا تريد أن تحسم المعركة معنا بواسطة الطيران الاسرائيلى فى الاشهر الاولى من عام ١٩٧٠ .

ولم نستطع أن نقاوم الطيران الاسرائيلى بصواريخ سام أو سام٢ .. فكانت رحلة جمال عبد الناصر الى موسكو فى يناير ١٩٧٠ ، رغم أنه كان مريضا بانفلونزا حادة .. وكان ناقها من أزمة قلبية فى ٦٩ .. **ويروى أنور السادات .. لمــاذا قرر جمال عبد الناصر السفر الى موســكو :**

كان حينئذ فى استراحة القناطر الخيرية .. ضربت الطـائرات الاسرائيلية مصنع أبو زعبل طلب عبد الناصر من الســادات أن يوافيه على عجل . قال له ان اسرائيل بدأت مرحلة جديدة وهى الضرب فى العمق . لابد من تغيير استراتيجيتنا ..

ان الهدف طبعا هو ضرب النظام من الداخل .

وقال عبد الناصر للسادات : اطلب لى السفير السوفيتى فورا .

وكان السفير السوفيتى فى المحلة الكبرى . وأبلغ بطلب الرئيس له . وحضر على الفور . قال له الرئيس عبد الناصر :

« أرجو أن تبلغ الزعماء السوفيت اننى اريد السـفر فورا الى الاتحاد السوفيتى . ان معركتنا مع اسرائيل تأخذ الآن شـــكلا جديدا خطيرا .. هدفه الداخل » ..

وسافر عبد الناصر فى الساعة الثامنة من الصباح .

وبعد سفره بساعة واحدة .. بدأت اسرائيل معركة شدوان .. وكانت اسرائيل تستعرض عضلاتها . ألف طائرة فوق « شدوان » .. مائة طائرة فوق « رأس محمد » مائة طائرة فوق « الفردقة » .

ووقف بارليف مختالا وهو يتساءل : أين الطيران المصرى ؟ ..

واتفق جمال عبد الناصر مع السوفيت فى رحلته على استخدام صاروخ سام ٣

وسافر جمال عبد الناصر مرة ثانية الى موسكو فى يونيو ١٩٧٠ أمضى ٢٠ يوما هناك . وأعلن بعد عودته قبول مبادرة روجرز على أساس أن أمريكا تتحدث لاول مرة عن الانسحاب ، بعد أن كانوا يتحدثون عن المفاوضات المباشرة .. وقبلها مشروع روجرز فى ٩ ديسمبر ١٩٦٩ .

قبلنا المبادرة .. وتم الاتفاق على وقف اطلاق النار فى ٨ ديسمبر عام ١٩٧٠ .

وجاء شهر سبتمبر :

وبدأت مذبحة الفدائيين فى الأردن . وانعقد مؤتمر الملوك والرؤساء فى القاهرة . وتم توقيع اتفاق القاهرة مع الملك حسين .

وفى ٢٨ سبتمبر مات جمال عبد الناصر .

انتهت فترة ايقاف النار فى نوفمبر ١٩٧٠

جمعت مجلس الامن القومى . ومددنا وقف النار ٩٠ يوما أخرى وهنا أذكركم بأننا بدأنا حرب الاستنزاف فى فبراير ١٩٧٠ .. وكانت قد أرهقت اسرائيل فعلا . ورفضوا الاتصال بيارنج على أساس أن مصر خرقت وقف اطلاق النار بتحريك الصواريخ .

قلت لكم .. مددنا وقف النار ٩٠ يوما . وسافر محمود رياض وزير الخارجية الى نيويورك وأثبت هذا فى الامم المتحدة . وحصلنا على قرار من الجمعية العامة ضد أمريكا ، وطلبنا من أوثانت أن يقدم تقريرا عن نتائج اتصالات الامم المتحدة وانتهى الموعد فى ٥ فبراير ١٩٧١ .

وكان علينا قبل انتهاء المدة .. أن نتخذ قرارا . هل نمدد وقف النار لثالث مرة ..

ودعوت الى عدة اجتماعات للجنة التنفيذية العليا .. ومجلس الدفاع الوطنى .. واللجنة المركزية ، قبل أن أتوجه الى مجلس الامة فى ٤ فبراير وأعلن موقفنا ..

وكشف أنور السادات الستار عن بعض مناقشات اللجنة العليا

وكان الرأى الغالب بين أعضائها أنه يجب أن نطلق النار .

وكان أنور السادات يرى العكس ..

قال : طوال شهر يناير وأمريكا تثير الرأى العام العالمى أننا خرقنا وقف النار .. وكل جهدها الاعلامى والسياسى قائم على أن الذى يطلق النار هو الذى يخرق السلام .. وطبعا اسرائيل أعلنت بدهاء سياسى أنها لن تكون البادئة .. وبهذا الاسلوب الدعائى ، أرادوا أن ينسى العالم حقيقة المشكلة .. وهى أن هناك عدوانا واحتلالا للارض .. وركزوا المشكلة فى وقف النار .

وكان هناك سبب آخر يدعونى الى استمرار وقف النار ..

لقد أخذنا درسا من ضرب نجع حمادى . وعدونا خسيس . كان يريد أن يغرق أرض الصعيد . وعندى فى الصعيد قناطر أسيوط ونجع حمادى وأسنا .. ودفاعى عنها ليس كاملا . والحمد لله أن الصاروخ الذى ضرب نجع حمادى عمل شرخ فقط فى القناطر أصلح فى عشرة أيام . وأنا متفق مع السوفيت على استكمال الدفاع فى جبهة الصعيد ..

قلت لاعضاء اللجنة العليا : يا جماعة دعونا من الانفعال . يجب أن نؤدى عملا سياسيا ناجحا . لسنا فى عزلة عن العالم . « الأوبك » مجتمع فى طهران لارغام الشركات على رفع أسعار البترول للمرة الثانية بعد قفل قناة السويس .. وقبلت الشركات مرغمة . وصرخ غرب أوربا الذى يعتمد على البترول اعتمادا شبه كلى .

لماذا لا نفكر فى هذا الوضع ؟ ..

لماذا لا نستفيد سياسيا من هذا الموقف ، لصالح القضية ؟ .. ونحن لابد أن نتحرك ..

وكنت قد تحدثت مع الدكتور محمود فوزى فى جوانب الموقف .. وكان له تعبير واقعى . احنا واقفين محلك سير . لابد أن نتقدم خطوة نحو مادة القضية نفسها .. ولابد أن يكون موقفنا مؤيداً من القوى الدولية ..

ولهذا كان رأيى الذى أعلنته اللجنة العليا . اننى لن أطلق النار فى ٥ فبراير . ولن أعطى هذا الامر لانه خطأ . ويجب أن نفوت على أعدائنا الفرصة . ونمد الموقف شهرا ، تكون لدينا خلاله فرصة لشرح قضيتنا للمجتمع الدولى . فالقضية أساسا ليست وقف النار . ولابد ان نستخدم قناة السويس كورقة سياسية ناجحة فى مبادرة أعدها الان .. ولم أقل لهم تفاصيل المبادرة ..

وعندما أعلنت المبادرة غضب مجلس الحكماء ..

كانوا يتصورون أنهم مجلس وصاية .. ولازم أستأذنهم ..

قلت لهم : لا .. اننى اتحمل المسئولية الدستورية .

ثم قال الرئيس السادات :

ـ يعنى هذا ان مبادرة روجرز سقطت فى ٤ فبراير .

ويعنى هذا أننا ننقل القضية من وقف النار .. الى جوهرها وهو الانسحاب ذاته .

ويجب أن نواجه حقائق موقفنا .. قبل الهزيمة وبعدها .

قبل هزيمة يونيو كان فى أيدينا (كروت) كثيرة نلعب بها .

١ ـ رصيد جمال عبد الناصر العربى والعالمى .

٢ ـ مركزنا فى العالم العربى .

٣ ـ قوتنا العسكرية .

٤ ـ قناة السويس .

وكل هذا فقدناه يوم الهزيمة .. فى ٥ يونيو . الا من جمال عبد الناصر وكان جمال جريحا .

أعلنت المبادرة .. ومددت وقف النار الى ٧ مارس . وهدفى ان يتحقق التالى :

* الا نقف محلك سر .. لابد أن نتحرك .

* أن نبعد عن العالم فكرة أن القضية أصبحت وقف اطلاق النار أو اطلاق النار .

* أن ننتقل فى اتصالنا السياسى الى صلب القضية .

* ان نأخذ فرصة لاستكمال الاعداد العسكرى .

* أن نحرك أوربا الغربية الى جانبنا .. لقد لعبنا بكارت قناة السويس .. لقد كنا بعيدين عن أوربا الغربية تماما ، بسبب سيطرة اسرائيل لمدة ٢٢ سنة وبدعاية مدروسة تماما ..

ثم يقول الرئيس السادات :

ـ الرأى العام فى الخارج والداخل تجاوب مع المبادرة .ولكن مجلس الحكماء خرج من البرلمان ، وجلسوا فى صالون رئيس الجمهورية بعد أن غادرت المجلس ليقولوا أن البلد اتباعت !

وعاد مجلس الحكماء .. بعد أن رأى نتائج المبادرة فى أوربا .. ليعترف بقيمة المبادرة ..

وبدأ الرئيس يشرح بعد ذلك الموقف الامريكى :

ـ لقد رحبت أمريكا بالمبـــادرة .. وهذه كانت خطوة .. والواقع أن أول اتصال تم مع امريكا كان فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ ، برسالة وجهتها الى الرئيس الامريكى نيكسون . وسبب هــذه الرسالة أن نيكسون كان قد أرسل رسالة شخصية فى مناســبة عيد ميلادى الى بيرجس (ممثل المصالح فى القاهرة) الذى قدمها بدوره الى الدكتور محمود فوزى .. وكانت الرسالة تحوى كلاما طيبا فى هذه المناسبة المشجعة .. فاستدعيت بيرجس وشكرت الرئيس نيكسون على رسالته .. وقدمت لبيرجس رسالة الى نيكسون .

وكانت رسالتى تتضمن النقاط التالية :

١ ــ ان كل فعل .. سيكون له رد فعل عندنا . اذا كان الفعل . كويس .. رد الفعل .. عال . الفعل وحش .. الرد أوحش .

٢ ــ ابلغت نيكسون اننى خسرت معركة واعترف . ولكننى لم أخسر الحرب ، بدليل أن اليابان قسمت أمريكا من الباسيفيك فى أقل من شهر ، وأبعاد هذه الضربة بالقياس لنا .. أكثر اهانة .

٣ ــ ابلغت نيكسون .. انه ليس لنا دخل فى لعبة القوى الكبرى . نحن خارج هذه اللعبة . اننى اريد أن أحرر أرضى وابنى بلدى ..

٤ ــ اننى مفتوح العقل والقلب ، لحل سلمى مشرف .

ثم توالت الاتصالات .

ووعدت أمريكا بأنها ستعمل على أن تنجح المبادرة المصرية ..

وقيل لى .. عندك مانع روجرز يجى ؟ .

قلت : أبدا .. يتفضل .

وكانت المبادرة . كان انهاء وقف النار فى ٧ مارس .

ولذلك رأيت أن اسافر الى الاتحاد السوفيتى قبل هذا الموعد سافرت فعلا فى رحلة لم يعلن عنها فى أول مارس . واستمرت المباحثات يومين كاملين فى جلسة متصلة . والحق أنها كانت جلسة مؤلمة ، اختلفنا اختلافا كاملا والمناقشات كانت فى غاية العنف

وعدت الى القاهرة .. وجمعت اللجنة العليا مع مجلس الدفاع . رويت القصة . ولا أرى داعيا لاعلان موضوع الخلاف الان .. لاننا كأصدقاء نحن والسوفيت لابد أن نعرف أننا تلقينا من السوفيت أسلحة قيمتها مليار و ٨٠٠ ألف جنيه استرلينى .

كان يقينى أن خلافى مع الزعماء السوفيت فى هذه المباحثات ، خلاف مبدئى ولكن مجلس الحكماء لم يعتبره هكذا !

وهناك نقطة خلاف أساسية لا بأس أن أعرضها لكم .

انني أقول انه منذ يوم ٢٣ يوليو ، والى أن تقوم الساعة ، لا يجب لاى رئيس مصرى ، أن يسمح لاية سلطة كانت .. بأى قرار أيا كان . هذا حق ومسئولية القيـــادة السياسية داخل البـــلد ..

هذا هو مبـــدأ الخلاف ..

كنت اتنـــاقش مع السوفيت على نوع معـــين من الاسلحة بيشغلوه الروس . وبعد تشغيله كان السوفيت يشترطون أنه لابد من اذن الحكومة السوفيتية قبل استخدامه .

قلت : لا .. اولادى يتعلموا تشغيل هذا السلاح .. اما عن استخدامه فهو قرارى أنا .. قرار مصر .. ولن يكون غـــير ذلك أبدا .. أموت .. ولن اسمح بغير قرار يصدر منى . من القيادة السياسية المصرية .

أما مجلس الحكماء فقد كان له رأى آخر .. قالوا انه لايعنينا ان نستأذن دولة كبرى .. عليها مسئولياتها العالمية .

وفيما عدا هذا الخلاف .. أسفرت الرحلة عن حصولنا على مزيد من الاسلحة .

وكان من راى السوفيت الا نبدأ باطلاق النار بعد ٧ مارس .. واننا يجب أن نوجه جهدنا للحل السلمى .

قلت لهم : اذا وجد حل سلمى مشرف عادل .. انا موافق . ولكن اذا كان مفيش فايدة .. نضحى بـ ٢ مليون .. انتم خسرتم فى الحرب ٧ مليون .

وأعود الى الحديث عن موقف الامريكان .

كنت اتصالات الامريكان بعد المبادرة .. تقوم حول اعطائهم فرصـــة .

وطبعا .. كنت أرحب باعطائهم الفرصة .. لسبب أساسى وهو أن بطـاريات الدفاع عن الصـعيد لم تكن قد وصلت بعد ..

وعرضوا ان يحضروا روجرز الى القاهرة .. ورحبت كما قلت لكم .. ولكن مجلس الحكماء غضب .. لماذا يحضر روجرز الى مصر ؟! .. وكأننا نعيش فى جزيرة منعزلة عن العالم ..

المهم .. جاء روجرز الى مصر ومعه مساعده سيسكو ..

والمعروف ان سيسكو كان مساعد جولد برج ممثل أمريكا الصهيونى فى الامم المتحدة ، اللى عمل الطبخة كلها لصالح اسرائيل .

ما فوتهاش لسيسكو . فقلت له : يا ترى انت لسه الابن البكر لجولد برج ولا ناوى تتغير ؟ .

وامضيت مع روجرز ساعتين فى حديث متصل . وكان مذهولا من طبيعة الشعب المصرى .. قال انه تحدث مع مصريين عديدين . سار فى الشوارع . عرفه الناس .. الحراسة عليه عادية . وباختصار قال لى : صورة الشعب المصرى الطيب المسالم ، ليست هى الصورة التى عندنا ..

ثم قال : وها قد مضت ساعتان علينا فى الحديث .. واننى اشعر براحة كاملة .

وروى لى أن جولدا مائير أرسلت مرة رسالة إلى نيكسون ، تقول فيها أنها تتحدى أمريكا ، أن السادات لن يقبل اتفاق سلام .. وقالت : اذا قبل السادات فهى مستعدة أن تنفذ كل شىء ..

ثم روى الرئيس خلاصة للحوار الذى دار بينه وبين روجرز :

السادات : ماذا تريد منا بعد هذه المبادرة ؟

روجرز : لا أطلب شيئا . المطلوب الان أن تتحرك اسرائيل . وسأرسل لك سيسكو بالنتيجة بعد زيارتى لاسرائيل .. وسأعلن فى أمريكا أنكم فعلا دعاة سلام .

واعلن هذا روجرز فعلا .

السادات : فيه سؤال .. لماذا لم تسأل عنه .. لماذا لم تسأل عن الوجود السوفيتي فى مصر .. هذا محور المشكلة الان .. وهذا ماتستغله اسرائيل ضدنا .. وما أرى أنكم مشغولون به فى أمريكا ..

روجرز : الحقيقة انه بعد أن تحدثت معك ساعتين .. وشعرت اننى جالس الى صديق وانسان متفهم .. خجلت أن أثير هذا الموضوع منعا للاحراج ..

السادات : لا احراج عندى فى أى تصرف لنا .. الوجود السوفيتى شاغلكم .. فلماذا لا نناقشه بصراحة ؟ ..

روجرز : أنا سعيد جدا باثارة هذا الموضوع ..

السادات : لعلمك يوجد هنا على الارض المصرية ، ضباط وجنود من الجيش الاحمر .. (أنا مارضيتش أقوله جنود سوفيت .. علشان عارف ان عبارة الجيش الاحمر تغيظهم) وبملابسهم الرسمية .. وأنتم تعرفون هذا طبعا . وانتم تعرفون أين هم . لان القمر الصناعى يصور لكم كل شىء . اننى أسألك .. أين هم ؟ .. هل هم على القنال .. ؟

روجرز : لا ليسوا على القنال ..

السادات : انت متأكد ..

روجرز : نعم متأكد ..

السادات : اننى سعيد أنك تقول هذا .. وسعيد أن تعرف أن عندنا كرامة وطنية ، ولا نقبل أن يحارب أحد لنا معركتنا .

وهنا روى لنا الرئيس السادات قضية الوجود السوفيتى فى مصر ، الذى تم بناء على طلب من الرئيس جمال عبد الناصر فى رحلته السرية الى موسكو بعد ضرب أبو زعبل . لقد تم الاتفاق مع السوفيت على استخدام صواريخ سام ٣ . وهى صواريخ على مستوى عال . وتحتاج الى تدريب أطقم عليها .. وجاءت الصواريخ بأطقمها السوفيتية .. ثم سافر أبناؤنا الى الاتحاد السوفيتى للتدريب .. وخلال ذلك انتهينا من بناء المواقع ..

وفى مدى ٤٥ يوما تم أمجد عمل عسكرى من أجل الاستعداد للمعركة .

لقد تم بناء ما قيمته مليون جنيه فى اليوم الواحد .

وعادت الاطقم المصرية من الاتحاد السوفيتى بعد أن انتهى تدريبها .

عادوا ومعهم بطاريات الصواريخ التى انتشرت فى الضفة الغربية للقناة .

ثم قال السادات لروجرز : لم يكن مفروضا أن نترك اسرائيل تعربد ، بعد أن ضربتنا بالنابالم الامريكى يامستر روجرز . ولكن لعلمك .. اننا ندفع مرتبات الخبراء الروس بالاسترلينى والدولار .. ونحن فى أزمة عملة صعبة . وكنا نتحمل . . والسوفيت يلحون باستمرار لسحب خبرائهم .

ثم ناقش السادات روجرز فى وجود الاسطول السوفيتى فى البحر الابيض . وكان السادات قد أرسل الى نيكسون رسالة خطية صريحة ، أبلغه فيها ان مصر تعطى وسوف تعطى للاسطول السوفيتى تسهيلات فى موانى البحر الابيض .. تقديرا لوقوفهم الى جانبنا فى الايام السوداء .

وقال روجرز : نعم .. اننى أتذكر هذه الرسالة .. واتذكر ان نيكسون رد عليك بقوله انه لا يطلب صداقتك على حساب صداقة اصدقائك ..

ومادآم القرار فى مصلحة بلدك . فليس له أى اعتراض .

وقال السادات لروجرز فى ختام المباحثات : والان .. ماذا تبقى يا مستر روجرز ؟

روجرز : لا شىء .. اسرائيل يجب أن تتحرك .

ثم عاد سيسكو الى القاهرة بعد يومين ليقول الرئيس السادات، ان اسرائيل لا تبدى مرونة فى ثلاثة نقاط :

* عبور القوات المصرية الى الضفة الشرقية فى المرحلة الاولى من انسحاب اسرائيل ، تكون بقوات بوليس فقط ..

وحاول سيسكو ان يقنع الرئيس بأن هذه مسألة شكلية .. ويكفى أن العلم المصرى سيرفع .. وهنا سيصفق الشعب المصرى لانور السادات .. وسيصبح فى عينه الزعيم الذى رفع العلم المصرى على شرق القناة .

فرد عليه الرئيس السادات ضاحكا : بأين علبك أهبل يا سيسكو .. ده أحدق شعب فى العالم .

ولكن الرئيس أراد أن يكون مرنا .. فقال لسيسكو :

ـ المسألة بسيطة .. موضوع عبور القوات المصرية الى شرق القناة ، غير قابل للمناقشة ولكن من الممكن أن نكون مرنين .. اقبل أن الخط المصرى فى سيناء شرق المضايق ، يكون موازيا لخط اسرائيل .. واقبل أن يكون الخطان فى فترة الستة الاشهر الاولى متساويين فى السلاح والعتاد ..

ووافق سيسكو . وقال : هذا معقول .

* ثم أثار سيسكو النقطة الثانية ..

قال : اسرائيل ترفض ان يكون وقف النار لمدة ٦ أشهر فقط . انهم يريدون وقف النار بلا تاريخ ..

واجاب الرئيس : هـذا مستحيل . لانه يعنى أننا عملنا خط هدنة .. وكأنها حدود جديدة .. وانتهى الامر . وما الذى يدعو اسرائيل الى الانسحاب بعد ذلك . طالما هناك جندى أجنبى على أرضى .. فلا وقف للنار بدون تاريخ . هذا مبدأ لن أحيد عنه .

سيسكو : ولكننا نريد مخرجا ..

السادات : الفترة التى أعلنها هى ٦ أشـهر . وانا أعرف أن اسرائيل ستراوغ ، وسوف تتصل بيارنج فى الشهر الاخير . . اننى أعرف أساليبهم الرذلة .. اننى أوافق اذا انتهت فترة الستة أشهر ، ووجد يارنج أنه يحتاج الى مزيد من الوقت ، فعليه أن يطلب ذلك رسميا ومن مجلس الامن .. بشرط الا يزيد الحد عن ثلاثة أشهر اخرى .

ووافق سيسكو .

* ثم أثرنا النقطة الثالثة .. قال ان اسرائيل لاتريد ذكر حدود ٤ يونيو فى مرحلة الانسحاب الاولى ، لا من قريب ، ولا من بعيـــد ..

السادات : كيف يكون هذا ، اذا كانت المبادرة جزءا من الحل الشـــامل ..

سيسكو : هم يريدون حدود آمنة ومطمئنة .

السادات : اسمع .. اننى أوجدت مخارج مرنة فى النقطتين السابقتين . ولكن فى هذه النقطة لا حل عندى . لا تنازل عن شبر من الارض .. ولا تأخير ولا اعارة .. ولا أى كلام من هذا الكلام الفارغ .. حدود ٤ يونيو دون نقص لاى شبر .

سيسكو : عندى حل . ان ورقة روجرز فى ٩ ديسمبر ٦٩ .. نصت رسميا على الحدود الدولية بين مصر واسرائيل .. ولكى نحل الموقف الان . فان الولايات المتحدة سوف ترسل لك خطابا بأن الحدود هى الحدود الدولية .

السادات : وما الفائدة . لقد رفضت اسرائيل من قبـــل ورقة روجرز . من الممكن فقط أن أقبـل هذا الخطـاب من مجلس الامن .. أو من الاربعة الكبار .. أو من الاتحاد السوفيتى وامريكا مشتركين .

سيسكو : هذه نقطة لا فصال فيها ..

السادات : هذه مسألة بسيطة ، سوف نبحث لها عن شكل.

ووعد سيسكو بالعودة الى أمريكا ، للعمل على أساس المبادرة .. وكان ذلك فى ابريل ١٩٧١ . واستمرت امريكا صامته صمت الاموات ، حتى شهر يونيو .. لا كلام ولا اتصال.. ولا أى شيء .

ثم حصلت خطوة ..

تقدم بيرجس ممثل المصالح الامريكيـــة فى مصر ، بورقة الى وزارة الخارجية المصرية فى يونيو . قال انها من بنات أفكاره هو. وطلب الرأى المصرى فيها . وقد اطلع عليها الرئيس أنور السادات،

وأحس انها ليست لجس النبض من بيرجس . وانها قطعا مرسلة من الحكومة الامريكية لجس النبض . لان ٩٠٪ مما جاء فى ورقة بيرجس ، استخدام عبارات ، تداولهـا الرئيس السادات مع سيسكو ولم يكن معهمـا ثالث . ومن ذلك التعبير عن الخط المصرى شرق القناة بعبارة معينة والتعبير عن الخط الاسرائيلى بعبارة أخـرى .

وأجرى الرئيس تعديلات فى ورقة بيرجس فى جزء منها كان لصالح اسرائيل . وفجأة أعلنت وزارة الخارجية الامريكية أن ورقة بيرجس ، هى من بنـات أفكاره وحـده .. ولا دخـل لواشنطن بها .

وطبعا هذا كلام ساذج ..

ولكن فهم من هذا بوضوح .. ان امريكا قررت أن تلحس كل شيء ..

وقال لنا الرئيس السادات : ومن هنا .. ابتدأ اللوع واللعب والاسلوب المناور من جـديد .

ثم قال السادات :

وفى يوم ٦ يوليـو ١٩٧١ ، اخطرت أن مدير قسم الشرق الاوسط بوزارة الخارجيـة يحمل رسـالة عاجلة من الرئيس الامريكى ..

قلت : يتفضل .. أنا أعرفه .. لقد كان مرافقا لى أثناء زيارتى لامريكا فى عام ١٩٦٦ .. خيرا ؟

قال : ان الرئيس الامريكى قرر أن تأخذ امريكا موقفا ايجابيا فى حل القضية ، وستحدد ذلك فى ورقة ونعلنها لكم وللعالم .

ثم قال المبعوث الامريكى أن سيسكو سيذهب الى اسرائيل يوم ٢٧ يوليو ، وبعد عـودته الى امريكا ، ستعلن الورقة .. وستأخذ امريكا دورا ايجابيا .. ولكن الرئيس الامريكى ينتظر من مبعوثه برقية عن استفسارين :

١ ــ المعاهدة المصرية السوفيتية .. هل غيرت من طبيعـــــة العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى ؟ والسؤال الان .. هل تقوم القاهرة باستئذان الاتحاد السوفيتى فى أى تصرف .. ان اسرائيل منزعجة . والبنتاجون منزعج . **وكان رد مصر على ذلك:** بأن المعاهدة فى اطار لعلاقات قائمة فعلا .. وليست هناك أى وصاية على مصر فى أى تصرف لها . وهذا مبدأ أساسى فى السيادة المصرية .

٢ــ هل يمكن اعادة العلاقات الدبلوماسية بين مصر وأمريكا .. بعد المرحلة الاولى من الانسحاب ..

وكان رد السادات : نعم لقد وعدت بهذا ، ولا عدول عنـــدنا عن هذا الموعـــد .

ثم قال الرئيس السادات :

ــ حدث هذا فى ٦ يوليو .. ثم سكوت الاموات ٧٠ يوما .. سكوت أموات مع مناورات وتمييع ولعب .. ودعاية واســـعة النطاق أن الاتفاق فى خطواته الاخيرة .. والهدف تخدير العالم كله ، لتمويت القضية ..

وفى ١٦ سبتمبر .. أجريت حديثا فى التليفزيون .. وكشفت كل هذا الخـــداع . والغريب أن السوفيت صـــدقوا الخداع الامريكى .. وتصوروا اننى اتفقت فعلا مع الامريكان !

والحق أقول لكم اننى عشت ثلاثة أشهر حالكة السواد .. يوليو وأغسطس وسبتمبر . وقبل يوليو عملية مايو . وفى يوليو وقعت أحداث السودان . قبل مايو .. بعض أعضــــاء مجلس الحكماء أبلغ السفير السوفيتى أننى بعت البلد للامريكان .. وأننى أصفى الاشتراكية والناصرية . المؤلم أن السوفيت صدقوا هـــذا الكلام .. وأننى أرجـــع ذلك لطبيعتهم .. الشك بحكم التكوين الطبقى .. والبطء فى اتخاذ القرار . واقلت على صبرى فى ٢ مايو . وبدأ الصراع فى مجلس الحكماء . **لماذا خرج على** صبرى قبل ما ييجى روجرز بيومين ؟

حتتفسر . أنا ما يهمنيش التفسيرات ما دمت مقتنع بالقرار . حللها المحللون طبعا فى موسكو !

وقد حضر باناماريوف المؤتمر القومى فى ٢٣ يوليو . وجلست معه فى مناقشة صريحة فى موضوع الانقلاب الشيوعى الذى فشل فى السودان .

قلت له : اننا فى مرحلة الوطنية التقدمية المضادة للاستعمار. وأنتم الحليف الطبيعى . ولكن شعوبنا لا تقبل النظام الماركسى . لسنا ضد الفكر ، بدليل أن لدينا ماركسيين فى اللجنة المركزية. ولكن تطورنا ينبع من أرضنا وتقاليدنا ودِيننا وحضارتنا ..

وكان هذا الكلام بالنسبة لباناماريوف طبعا ، كفرا والحادا .. لان عقليته ستالينية ، وكان سكرتيرا للكومنترن وتقديرى أنه لعب دورا فى تشويش العلاقات بيننا وبين الاتحاد السوفيتى ..

وجاء شهر سبتمبر .. وأحسست اننا معلقون فى الهواء .

السوفيت لا يفهمون حقائق الموقف ..

والامريكان .. يناورون ويراوغون لحساب اسرائيل ..

وطلبت السفر الى الاتحاد السوفيتى لمناقشة زعمائه فى كل التطورات التى طرأت على الموقف . قلت اننى لا أملك أن افقد أصدقاءنا .. ومن حقى عليهم أن أسألهم : لماذا .. سوء التفاهم ؟.

وأكدت على رغبتى فى الزيارة .. واذا كان موقفهم انتهى بهم الى عدم التفاهم .. فليكن .. ولكن يجب أن نسجل هذا ، ونوضح المواقف .

وتحدد يوم ١١ أكتوبر للزيارة .

شعرت أمريكا بذلك . واذا بروجرز يعلن فى خطابه بالامم المتحدة ٦ نقاط أساسا للتسوية السلمية .

وكانت النقطة الاولى من بيان روجرز مقبولة .. وهى أن الحل الجزئى جزء من الحل النهائى .

ولكن أمريكا لم تحدد موقفها من باقى النقاط . ووضح استمرار المراوغة . وتقدمت أمريكا باقتراح أن ترسل مصر مبعوثا الى

أمريكا ، للتباحث غير المباشر مع مبعوث اسرائيل ، عن طريق سيسكو ..

وأرادت امريكا الا تظهر بمظهر المراوغة .. فقالت انها تبذل هذا المسعى الجديد لانها تعرف أن سنة ١٩٧١ لابد أن تكون سنة حاسمة ..

ورد السادات بأسلوبه المعروف : ياه .. انتم الذين تقولون هذا ؟ بلاش لعب .. وأنا اللى بقول هذا ليل نهار .

وقبل أن يسافر الرئيس السادات الى موسكو فى ١٧ اكتوبر ، وافق على الاقتراح الامريكى بارسال مبعـــوث مصرى للقيـــام بمباحثات غير مباشرة عن طريق موسكو . واختار الدكتور مراد غالب لهذه المهمة ..

وجاء الرد أن واشنطن سعيد جدا بموافقة الرئيس !

وفى موسكو تناقش الرئيس مع الزعماء السوفيت فى نقطتين :

الاولى : سوء الفهم من السوفيت الذى لا يرتكـــز على اى أساس .

الثانية : ان عام ١٩٧١ يجب أن يكون عـــام الحسم .. لان القضية بعد عام ١٩٧١ ستصبح مثل قضية روديسيا . ١٩٧٢ عام الانتخابات الامريكيـــة . ستحصل اسرائيـــل فى المزايدات الانتخابية على قدر ما تحصل عليه ١٠ مرات . الرئيس الامريكى الجديد يضع سياسة فى يونيو ١٩٧٣ . يتكلم آخر ١٩٧٣ . ندخل على عام ١٩٧٤ .. ويكون الامر الواقع قد استمر حقيقة . وقف النار . اسرائيل باقية ولن تتحرك .

واقتنع الزعماء السوفيت بهذا المنطق الواقعى .. بعد جلستى ١٢ و ١٣ أكتوبر ..

وبدات اتصالات جديدة من أمريكا مع أنور السادات بعد عودته من رحلة الاتحاد السوفيتى ..

ـ هل لا تزال عند رأيك ؟ ..

ـ نعم .. أريد ايضاحا من وزارة الخارجية الامريكية ، عن الدور الذى سيقوم به سيسكو فى المباحثات غير المباشرة . . لقد قلتم فى رسالة الرئيس نيكسون فى ٦ يوليو أن أمريكا ستؤدى دورا ايجابيا .. ولكنى لا أرى ايجابية فى نقاط روجرز الست ..

وجاء الرد .. ان دور سيسكو سيكون Catalist

ـ وما معنى كاتاليست ؟ ..

وقال السادات لمحـــدثه الامريكى : تسمح تشرحها لى بشويش .. لان الكلمة دى جديدة على .. ولم أصادفها فى اللغة الانجليزية .

ـ معناها العنصر المساعد .. وهى الفلزات التى تساعد على التفاعل فى العمليات الكيماوية .

وبعدها .. قدمت أمريكا ايضاحا جديدا لدور سيسكو .. سيكون عاملا مساعدا وساعى بريد ايجابيا .

وبعدها بيومين قدمت أمريكا تفسيرا أخر .. سيكون سيســـكو .. ((كاتاليست)) . وساعى بريد غير سلبى ! ..

وهنا طلب الرئيس السادات ابلاغ الرئيس نيكسون .. أن امريكا عادت الى أسلوبها الاول .. وأن مصر لاتقبل ما جاء على لسان روجرز فى نقاطه الست ، بأنه لابد من تنازلات من الجانبين .

وحدد الرئيس السادات ، أنه لن تكون هناك أية مناقشة بين مصر وامريكا ، قبل أن تعلن اسرائيل ردها بالايجاب على رسالة يارنج اليها .. وبدون هذا لا كلام ..

وقال لنا السادات : وهنا قطعت كل ما بينى وبين أمريكا من الاتصـــــال .

ثم حلل الموقف الامريكى بقوله :

ـ أهداف امريكا بوضوح .. هى ازالة الوجود السوفيتى فى الشرق الاوسط .. وعزل مصر .. والقضاء على النظام ..

أمريكا تريد اخراج اسرائيل كاسبة فى كل شيء .. ولا تريد ان تمارس أى ضغط على اسرائيل .. واننى استنتج الى حد القطع أن هناك تعهدات أمريكية سرية منذ عهد جونسون .. ملزمة لامريكا ان تتخذ هذا الموقف مع اسرائيل وضدنا ..

وأمريكا تتصـــور أن اسرائيل سوف تحقق لها أهدافها فى المنطقة ..

وخلص الرئيس أنور السادات من هذا العرض الطويل الذى استغرق ثلاث ساعات بالنتائج التالية :

- لا مناص من المعـــركة .

- أمريكا مؤمنة بأننا شعب غير مقاتل .. والاتحاد السوفيتى يتصور أيضا أننا نحتج به فى عدم القتال . .

- اسرائيل .. مغرورة ومعربدة بنشوة النصر .

- العـــالم كله .. لا أحد يهتم بأحد ..

ونحن الان أمام اختبار .. امتحان من امتحانات القدر . هل نكون أو لا نكون ؟

وأعلن السادات أنه سيمضى أغلب وقته فى الفترة اللاحقة مع القوات المسلحة . وأعلن عن تأليف غرفة عمليات فى الداخل .. للربط بين الجبهة الداخلية وكل متطلبات المعركة ..

وقال ان ساعة العمـــل الجاد الخطير قد حانت .. وعلينا أن نتحمل مسئوليتنا أمام التاريخ والاجيال .

الفصل السابع

أزمات مع السوفييت

●●● ((قصة الازمات بدأت مع جمال عبد الناصر . وقال انه قبل مبادرة روجرز ، عندما وجد أن الموقف مع الاتحاد السوفيتي ميئوس منه .. وحتى بعد أن بدأ الجسر الجوي لامداد مصر بالسلاح بعد الهزيمة مباشرة في يونيو ٦٧ .. كان عبد الناصر في قمة العصبية من الاسلوب السوفيتي في التعامل الذي يريد أن يمسك بكل الخيوط في يده .. وسجل ذلك في مباحثاته مع الرئيس تيتو في أغسطس ٦٧ في الاسكندرية .. وتولى السادات المسئولية .. وبدأت أول أزمة في أول رحلة سرية .. وحلت الازمة .. وأعقبتها أزمات .. ثم تحسن الموقف تماما أثر رحلة للدكتور عزيز صدقي بعد وساطة الرئيس الاسد .. وقامت الحرب . وبدأت مشكلات السلام .. وبدأت الازمات من جديد مع الاتحاد السوفيتي)) ●●●

حاربنا معركة ٦ أكتوبر بسلاح سوفيتى .. هذا صحيح ..

ولكن قواتنا كانت تستخدم أيضا أسلحة من بلاد أخرى .. كانت أسلحة مكملة . ولكن الاعتماد الاساسى كان على التسليح الروسى .. منذ ١٠ يونيو ١٩٦٧ عندما بدأ الجسر الجوى بين موسكو والقاهرة .. لانشاء أول خط دفاعى غرب القناة ، كان المسئول عن اعداده اللواء أحمد اسماعيل .

.. ومع ذلك فان العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى ، مرت بمراحل عديدة ، من التفاهم ، وسوء التفاهم .. حتى فى عهد جمال عبد الناصر ، وبعد أن نشأت روابط قوية عميقة بين البلدين .

بل قيل على لسان جمال عبد النـــاصر .. انه قرر أن يقبل مشروع روجرز بوقف النار وهو على مائدة المباحثـــات مع الزعماء السوفيت .. دون أن يعلن عن ذلك الا بعد عودته .. لانه وجد أن الاعتماد الكلى على السوفيت لن يصل الى النتائج المرجـــوة ..

ولكن خلافات عبد الناصر مع السوفيت .. ظلت باستمرار فى دوائر الاسرار . لم تخرج الى سطور الصحف .. ولم تكشف عنها أية تصريحات من الجانبين .. وكان هذا طبيعيا .. (١)

---

(١) عندما حضر بودجورنى رئيس الاتحاد السوفيتى الى مصر بعد الهزيمة مباشرة فى صيف ١٩٦٧ .طلب جمال عبد الناصر أن يتولى الاتحاد السوفيتى مسئولية الدفاع الجوى عن مصر بقائد سوفيتى . ووافق بودجورنى ، ولكنه عاد فى المساء وأبلغ عبد الناصر برفض موسكو .

سافر أنور السادات بعد ذلك الى موسكو بتكليف من جمال عبد الناصر وطلب تعيين قائد سوفيتى لسلاح الطيران .

كانت رجهة النظر المصرية ، أن هناك ثقة قائمة فى صداقة الاتحاد السوفيتى ، وان مثل هذه الطلبات قد تعتبر تجاوزا =

فبعد الهزيمة .. كانت عملية اعادة البناء العسكرى معتمدة على السوفيت ..

كما أن الموقف لم يتطور الى الحاجة الى الاسلحة الهجومية .. والى اتخاذ قرار الحرب ..

وكان جمال عبد الناصر - فى رايى - يعتقد انه سوف يصل الى حل سلمى .. **دون اللجوء الى حرب اخرى .**

وعندما تولى أنور السادات المسئولية .. لم يسقط من اعتباره ابدا جهود الحل السلمى . وكان يردد دائما أن ما نستطيع أن نصل اليه بغير حرب .. اذا كان عادلا ومشرفا .. فليس مايدعو أن نصل اليه بالحرب والدماء وتضحيات الارواح . ولكن الاعداد العسكرى للقتال لم يتوقف لحظة واحدة .

وتأزمت الامور يوما بعد يوم ..

كانت تقديرات اسرائيل .. ومعها أمريكا بطبيعة الحال .. أن أنور السادات لن يملأ فراغ جمال عبد الناصر .. ولن يصل الى زعامته .. ولذلك فان احتمالات ضرب النظام من الداخل .. كانت أيسر سبيلا بالنسبة لهم .

وكانت تقديرات الاتحاد السوفيتى ، أن أنور السادات .. لن يتحول بمصر الى دولة تدور فى فلك المعسكر الاشتراكى .. وكانت شكوكهم أنه يتجه الى اليمين .. والى الاتفاق مع أمريكا

= على استقلال مصر ، الا أن صيانة الوطن تأتى فى الدرجة الاولى. فقد كانت طائرات اسرائيل تعربد فى سماء مصر بدون رادع .
ولقد أقام السوفيت جسرا جويا وبحريا بين الاتحاد السوفيتى ومصر لمدنا بالاسلحة . ولكن عبد الناصر كان فى قمة الغضب والعصبية من اسلوبهم فى التعامل . كانوا يستخدمون اسلوبا مبطنا يشعرك بأنهم يريدون الاحتفاظ بكل الخيوط فى أيديهم .. عبر عبد الناصر عن غضبه فى لقائه بالرئيس تيتو بالاسكندرية فى ٩ ، ١٠ اغسطس وسجل هذا فى مباحثات عبد الناصر وتيتو .

((من حديث للرئيس السادات الى مجلة الحوادث))

من وراء ظهرهم .. وشجع تقـديرات موسكو ، أن فريقا من اعضاء اللجنة التنفيذية العليـا كان يوحى للسياسة السوفيتية بهذا .. وقد أراد هذا الفريق أن يعتمد على روابطه بالاتحاد السوفيتى .. وعلى اقنـاع موسكو بأنهم دعاة الاشـتراكية الحقيقيون .. وكانوا يتعاونون سياسيا فى الداخل مع اليسار المتطرف المحلى . فى التنظيم السياسى .. وفى التنظيم الطليعى.. ولذلك كانت كلمتهم مسموعة ، فى موسكو ..

ولهذا ثارت عقبات وخلافات عديدة بين الاتحاد السوفيتى وأنور السادات . وكان الرجل حريصا فى العلاقات مع موسكو على حقيقتين أساسيتين :

١ ـ الانطلاق فى قراراته من القاعدة الوطنية والسيادة المصرية الكاملة ..

٢ ـ عدم التفريط فى صداقة الاتحاد السوفيتى ، ووضعها فى الاطار الصحيح الذى يحقق التعاون الكامل ..

وكان على علم كامل ـ قبـل توليه رياسـة الجمهورية ـ بكل تفصيلات العلاقات مع موسكو .. فقد أسند اليه جمال عبد الناصر .. مهمة هذه العلاقات ..

وبدأ التوتر الشديد فى العلاقات .. عندما أعلن أنور السادات، بعد احتفال عيد العمال فى أول مايو ١٩٧١ .. اقالة على صبرى .

وكان أنور السادات يعلم أن هذا القرار ، سيفسر تفسيرا خاطئا من زعماء الاتحاد السوفيتى ..

ولذلك استدعى أنور السادات السفير السوفيتى .. وقال له دعنا نتكلم بوضـوح .. وأننى لا أعتبر كلامى معك اتاحة لك للتدخل فى الشئون الداخلية .. ولكننى أريد أن أضع النقط على الحروف ، لكى تكون علاقاتنا واضحة .. صلة موسكو بالقاهرة .. هى صلة بين دولة ودولة . وليست بين دولة وأشخاص . ولقـد قررت اعفاء على صبرى . وسوف تخرج صحف الغرب ، لتزعم أن هذا الاعفاء ضربة للعلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى .. لانهم يصورونه أنه رجل الاتحاد السوفيتى هنا .. وهذا من وجهة نظرى غير صحيح ..

لقد قررت اعفاء على صبرى لاسباب داخلية ، لا صلةلها بالعلاقات بين البلدين ، وهى علاقة بين دولتين ٠٠ ولذلك أبلغتك ، حتى لا يكون هناك مجال للتأويلات غير الصحيحة ٠٠

وأعلن الرئيس قرار الاعفاء ٠٠

ثم اتجهت ألسنة كثيرة الى السفارة السوفيتية فى القاهرة ، لتقول أن اعفاء على صبرى ، هو هدية قدمها أنور السادات الى أمريكا ، قبيل وصول روجرز الى مصر ٠٠

وقالت هذه الالسنة أيضا ٠٠ ان السادات قرر بيع مصر لامريكا

ولكن أنور السادات لم يأبه لكل هذه الآراء ٠٠

وجاءت أحداث مايو ٠٠

وكشفت التسجيلات التى كان يقوم بها أحمد كامل مدير ادارة المخابرات ، بتكليف من سامى شرف عن قضية المؤامرة ٠ ثم أكدت المؤامرة ٠٠ اعترافات أحمد كامل التفصيلية التى أدلى بها انقاذا لضميره ٠٠

ولذلك ٠٠ فان اليسار المتطرف المحلى ٠٠ أو معظمه ٠ وقد رأى نفسه مبعدا تماما من العمـــل السياسى العلنى والسرى الذى كان مسيطرا على كل مواقع العمل والانتاج ٠٠ بعد أن أعلن السادات حل التنظيم السرى ٠٠ ثم رأى هذا اليسار من يشـــاركونه فى مسئوليات الحكم وقد أصبحوا وراء القضبان ٠٠ أقول أن اليســـار المتطرف المحلى ، اتخذ موقف التحدى ٠ وصور قضية المؤامرة على أنها مجرد تلفيق ، لكى ينفرد أنور السادات بالسلطة ٠٠ وبدأت الاتهامات بيع البلد الى أمريكا ٠٠ وتصفية الاشـــتراكية ٠٠ وتحولوا جميعا الى ناصريين ملتهبين ٠٠ هكذا فجأة ٠٠ لقدتصوروا أن « لافتة الناصرية » فيها حماية لهم ٠٠ واخفاء للونهم السياسى ٠

وقد ظهرت آثار هذه التيارات فى الانتخابات التى جـــرت فى الاتحاد الاشتراكى ، وعضوية مجلس الشعب ٠٠ وفى انتخابات النقابات المهنية ٠ وامتدت الى محيط الطلبة فى الجامعات ٠

وأصدر أنور السادات في ذلك الوقت بيانا حاسما ، يكشف فيه هذه الاوراق ، وفي الوقت نفسه يحذر اليمين المتطرف اذا كان يتصور أن ١٥ مايو يعنى ردة الى الوراء ٠٠

وليس هذا الفصل من الكتاب ، تسجيلا لكل هذه الاحداث ٠٠

ولكنني أعرض هذه العجالة ٠٠ لأصل الى أول خلاف حقيقى بين الاتحاد السوفيتي وأنور السادات ٠٠ حتى وصل الخلاف الى قمته ، عندما أصدر الرئيس قرار الاستغناء عن خدمات الخبراء السوفييت٠

وقد استغل الخلاف الأول مع الاتحاد السوفيتى من العناصر اليسارية والمدعية للناصرية داخليا ٠٠ وفى كل التجمعات الشيوعية فى العالم العربى ، على أنه ارتماء فى أحضان أمريكا ٠٠ وهذا يعنى أن كل كلام أنور السادات عن الاستعداد للمعركة ٠٠ هومجرد استعراض سياسى للاستهلاك لا أكثر ٠٠ وقد استغل الخلاف الأخير ٠٠ بعد اخراج الخبراء السوفيت ٠٠ على أنه دليل حاسم على أن أنور السادات لن يحارب ٠٠ فكيف يمكن أن يخرج خبراء الحرب، اذا كان يريد الحرب ٠٠ ولكن فاتهم أن السادات لم يكن ليحارب مطلقا ، بجنود أو ضباط سوفيت ٠٠

وفى حديث خاص للرئيس أنور السادات عن قصة الخلاف من أولها الى آخرها ، كما رواها بعد قرار الخبراء السوفيت ٠٠ أوضح السادات الحقائق التالية

ـ عندما أعلنت مبادرة ٤ مارس ٠٠ استفدنا تحقيق هدفين ٠٠ أولهما أستمالة أوربا الغربية ٠٠ وثانيهما أن تكون أمامنا فرصة لمزيد من الاستعداد العسكرى ٠٠ لحماية الصعيد ٠ لقد كان موعد وصول البطاريات المتفق عليه مع الاتحاد السوفيتى فى فبراير ٠ ولكنها وصلت فى شهر أبريل ٠

كان الموعد المتفق عليه أن تصل من ١٨ الى ٢٢ فبراير ٠ ولكن قيل أن مؤتمر الحزب الشيوعى كان منعقدا فى ٣١ مارس ٠٠ ولم يكن الزعماء السوفيت يريدون اثارة متاعب حول مناقشات تسليح مصر فى المؤتمر ٠٠ فتأخر وصول بطاريات الدفاع عن قناطر الصعيد ٠٠

ثم طلب أنور السادات السفر الى الاتحاد السوفيتى ·· وكانت أول رحلة له وهو رئيس للجمهورية ·· وتمت الزيارة السرية فى أول مارس ··

وانعقدت جلستان عنيفتان ، سجل كل ما دار فيهما فى محضر المباحثات · كان أنور السادات يحس أنه لا يجد ردودا واضحة على ما يطلب · كان محور المناقشة ·· أن اسرائيل تملك قاذفة مقاتلة أمريكية تصل الى أعماق مصر ·· لابد أن تحصل مصر على ما يقابلها ·· ولا يمكن أن أسير دائما متأخرا عن اسرائيل ·· والوقت يمضى ·· والخطر يتفاقم · وأمامى مسئولية تاريخية ·

وطلب أنور السادات ·· طائرة حاملة صواريخ (١) ·

وقالوا أنها من الاسرار العسكرية · واذا عرف الامريكان ·· فانهم سيصعدون الموقف ·

وقال السادات أن اسرائيل تملك السكاى هوك والفانتوم ·· ومصر لم تصل الى طائرة أحدث من الميج ٢١ ·

وافق السوفيت على اعطاء طائرات حاملات صواريخ ، بطيارين سوفيت · ولكن بشرط أن استخدامها فى القتال ، يكون بالاتفاق مع الحكومة السوفيتية ·

قال السادات : لا ·· القرار قرار مصر · دربوا أولادى عليها · وعندنا طيارون مدربون على نفس النـــوع من الطائرات من غير صواريخ ··

---

(١) سافر عبد الناصر الى موسكو بعد ضرب مصـنع أبو زعبل · واتفق مع السوفيت على تزويد مصر بصواريخ سام ٣ · وأن يزودنا الروس بأطقم ســوفيتية الى أن يتم تدريب الاطقم المصرية ، وأن يرسلوا الصواريخ بمجرد بناء القواعد . كما اتفقوا على ارســال طائرات تصل الى عمق اسرائيل · وأرسلوا الصواريخ ولكنهم لم يرسلوا الطائرات · وموضـــوع الطائرات هو الذى أثاره أنور السادات مع السوفيت فى أول رحلة له الى موسكو بعد توليته رياسة الجمهورية · فاشترطوا موافقة الحكومة الســـوفيتية عند استخدام هذه الطائرات اذا أرسلوها ، ورفض السادات ·

قالوا التدريب يحتاج الى أربع سنوات ..

قال السادات : لا .. التدريب يحتاج الى أربعة أشهر ..

أصروا ..

قال السادات : لا أريدها . ان أمريكا لم تشترط على اسرائيل ، عندما أعطتها الفانتوم ، هذه الشروط .. بل ان أمريكا أنذرتنا أنها لن تستطيع منع اسرائيل من الضرب فى العمق ..

وانتهت هذه المباحثات بصفقة أسلحة ..

فى آخر أبريل ١٩٧١ : وصلت بطاريات حماية قناطر الصعيد . موقف السوفيت لا يزال هو الشك فى أن أنور السادات سيكمل معهم المشوار .

المنشقون من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا . يبلغون السفير السوفيتى أن أنور السادات فى أحسن الحالات .. سيضرب السوفيت بعد انتهاء المعركة . وهذا ضاعف من شكوك السوفيت .. وهم بطبيعتهم شكاكون .

فى أول مايو زيارة روجرز ثم جاءت أزمة دولة الاتحاد .. وضح تكتل المجموعة المنشقة .. قرر السادات تصفية الصراع داخل القيادة تحت شعار .. « حرية رأى .. نعم . صراع .. لا » .. اقالة على صبرى . زاد تضاعف الشكوك لدى السوفيت .

وكان حوار السادات مع السوفيت يقوم على المنطق التالى أن موقفكم محير لى . ألجأ اليكم عسكريا .. تطالبوننى بالسعى لحل سلمى . واذا سعيت الى حل سلمى .. تتشككون . فلا سلاح عندى يحسم .. ولا حل سلمى .. اذن ماذا تريدون ؟ .. لماذا لا نناقش كل خلاف بوضوح كامل .. ؟

وفى أواخر مايو .. فوجىء الرئيس أنور السادات ، بطلب من الرئيس بودجورنى أن يحضر الى القاهرة . رحب السادات بحضوره .. واجتمع به فى مكتبه بقصر القبة .

وطلب بودجورنى عقد معاهدة بين مصر والاتحاد السوفيتى ٠ وألح فى هذا الطلب ، على أنه يسير العلاقات بين البلدين على أساس واضح سليم ٠

وقال السادات : أنه يريد تفسيرا لهذا الطلب المفاجىء ، لأن عبد الناصر ألح على السوفيت فى عقد هذه المعاهدة منذ عامين ٠٠ ورفض السوفيت ٠ وجدد الطلب بعد ذلك ورفض السوفيت ٠ والآن تطلبون المعاهدة ٠٠ لماذا لا نؤجلها حتى تنتهى الانتخابات وينعقد المؤتمر القومى فى ٢٣ يوليو ٠٠ وتحضر أنت ٠٠ ونعلن المعاهدة فى المؤتمر ٠٠ وتلقى أنت كلمة فى المؤتمر » ٠٠

ولم يقتنع بودجورنى ٠٠ وقال للسادات أن هذا قرار المكتب السياسى واللجنة المركزية ٠٠ وألح كثيرا فى أن يتم عقد المعاهدة ٠

ثم فاجأ السادات بودجورنى ، باستدعائه محمود رياض وزير الخارجية الى مكتبه فى حضوره ٠٠ وطلب اليه اعداد معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتى ٠٠ فورا ٠٠ لكى توقع الليلة ٠٠

وانتعش بودجورنى فجأة ٠٠ وتهلل وجهه بالسعادة ٠ كان فى تقديره أن الرئيس السادات لن يوافق ٠ وكان محرجا لأن مهمته فى مصر كانت تنفيذا لقرار سياسى ٠

وهنا قال له السادات أن المشكلة فى العلاقات بين البلدين هى الثقة ٠ وهو يرجو ألا تكون هناك شكوك فى العلاقات ٠ وبهذا يمكن أن تسير فى الطريق السليم ٠ وهو قد قبل وجود المعاهدة ٠٠ لدعم هذه الثقة ٠٠

وأثار السادات موضوع قاذفات القنابل ، الذى سبق أن رفضه الزعماء السوفيت فى مباحثات مارس ٠٠

وكانت اجابة الرئيس بودجورنى وهو يحرك أصابعه

ـ عد على أصابعك أربعة أيام ٠ وفى اليوم الخامس ستصل الطائرات وسيتدرب عليها الطيارون المصريون ٠٠ وبكل شروطك ٠

ومرت ٨ أشهر ٠٠ ولم يرسل السوفيت شيئا ٠٠

وفى يوليو .. قام الانقلاب الشيوعى فى السودان . ورفض الرئيس أنور السادات طلبا من الاتحاد السوفيتي بالاعتراف بالنظام الجديد . وناقش السفير السوفيتي ، بأن المنطقة العربية لا يمكن أن تقبل نظام حكم ماركسى . وقال له السادات أنه سيساعد نميرى على الخروج من هذه الأزمة . ولم تتقبل موسكو هذا المنطق. والمعروف أنه عندما قام الانقلاب الثورى الذى تزعمه نميرى .. كانت موسكو مترددة فى الاعتراف به .. وقد تم الاعتراف ، بعد لقاء بين أنور السادات والسفير السوفيتى .. أقنعه فيه بأن يسرع الاتحاد السوفيتي بالاعتراف ، لأنه نظام ثورى يقوم على مبادىء ٢٣ يوليو ..

توترت العلاقات بين مصر وموسكو بسبب موقف عدم الاعتراف بالانقلاب الشيوعى الذى انتهى الى الفشل . وتطور التوتر الى شبه قطيعة . وتضاعفت حملة السوفيت على نظام الحكم فى السودان .

فى ١١ أكتوبر : سافر الرئيس أنور السادات الى الاتحاد السوفيتى بناء على طلبه .. ذابت الثلوج بعد مناقشات حادة ، عن خطأ السلوك السوفيتى فى معالجة الموقف مع السودان ..

ثم جرى الحديث عن بودجورنى بارسال قاذفات القنابل بعد ٤ أيام .. وها قد مضت ٦ أشهر .. « ونحن متفقون أن عام ١٩٧١ هو عام الحسم ، .. كانت مناقشة عنيفة .. أثبتت فى محضر المحادثات

تدخل جريتشكو فى المناقشة .

قال له السادات : يؤسفنى أن أسمع هذا الكلام من ماريشال الاتحاد السوفيتى . ولو كنت قائدا للجيش المصرى .. وضربت المصانع المصرية .. لما كنت تقول هذا الكلام ..

وتدخل كوسيجين فى المناقشة ..

ثم هدأ الجو ..

وأخيرا قال بريجنيف اسمع ياسيدى (وقرأ من بيان) .. سيكون عندكم هذه الأسلحة وقيمتها ٥٠٠ مليون روبل (دولار).

قال السادات : نحن الآن فى أكتوبر ·· ضيعتم الوقت ·· كان من الممكن أن يتم كل هذا من قبل فى مارس ··

قالوا : فهمنا ·· وهذه « اللستة » ستصلك قبل نهاية ١٩٧١ ·

وأكد أنور السادات فى هذه المباحثات ·· كما كان يؤكد فى كل اتصالات مع الاتحاد السوفيتى على ثلاث نقاط أساسية :

١ ـ قرار الحرب ·· هو قرار مصرى ·

٢ ـ أن مصر لا تريد جنديا سوفيتيا يحارب من أجلها ·

٣ ـ مصر لا تسعى الى مواجهة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحـــدة ·

ومضى شهر أكتوبر ، ولم يتم التعاقد ··

ووقع الرئيس أنور السادات تفويضا للبعثة المســـافرة لشراء السلاح ·

وأرسل وزير الحربية الى موســـــكو اخطارا بأن البعثة جاهزة للسفر ·

وجاء شهر ديسمبر ··

لم يجىء أى رد ··

فى ٩ ديسمبر بدأت حرب الهند وباكستان ·· ورصدت مصر الامدادات السوفيتية للهند · وفى ١٢ ديسمبر استدعى الرئيس أنور السادات السفير السوفيتى فى القاهرة ·· وطلب منه توضيحا لهذا الموقف ·· لمـاذا لم تصل الأسلحة ؟ ··

وطلب الرئيس أن يسافر الى موسكو للاجتماع بالزعماء السوفيت ·· لتوضيح الموقف ··

جاء الرد فى ٢٧ ديسمبر أن الزعماء السوفيت مشغولون ·· وهذا كشف مقابلاتهم مع ضيوف أجانب ·

وفى ٣١ يناير أبلغ الرئيس أنور السادات ، أنهم سيقابلونه فى ٤ فبراير ·

وكان أنور السادات فى قمة الحرج ..

كان قد أعلن أكثر من مرة أن عام ١٩٧١ يجب أن يكون العام الحاسم ان سلما أو حربا ..

واقتنع الزعماء السوفيت بذلك .. ولكنهم عدلوا عن اقتناعهم ..

وكانت أمريكا تناور .. بأكاذيب أن نيكسون سيتدخل ويحسم الموقف قبل نهاية ١٩٧١ .

وها هو ذا يرى نفسه .. فريسة للقوتين ..

القوة التى تعطى السلاح ..

والقوة القادرة على اقرار الحل السلمى ..

ولكنه استطاع السيطرة أخيرا على أعصابه الغاضبة . وكان يذهب الى ميت أبو الكوم ليتيح لنفسه فرصة الصفاء الذهنى ..

ولكن رأيه أستقر أخيرا على أن يتحمل .. لأن موقع المسئولية عليه تبعات . واستطاع أن يقنع نفسه ، بأن السوفيت كانوا يعدون لاجتماع نيكسون فى مايو ١٩٧٢ . وهم لا يريدون امداد مصر بسلاح جديد ، يدفع أمريكا الى تصعيد الموقف .. ومن ثم يمكن أن يضع عقبة أمام الاجتماع الذى ينتظرونه ، ويريدون له النجاح فى اقرار سياسة الوفاق ..

وسافر أنور السادات الى موسكو فى ٤ فبراير ..

وسأل بريجنيف فى المباحثات سؤالا مباشرا ..

— من المسئول عن عدم تنفيذ وصول الأسلحة ..

وأجاب بريجنيف : أنا .

فرد السادات : أنت تريد أن تحرجنى بهذه الاجابة . حتى لا أناقشك .

ودارت أحاديث من بريجنيف عن اعداد الجبهة الداخلية للقتال وملاهى شارع الهرم . وأشياء أخرى كثيرة أخذوا منها الدليل ، على أن الموقف المصرى غير مهيأ للحرب .

وكانت اجابة الرئيس السادات على هذه التساؤلات ٠٠ أن كل هذه الاجراءات الداخلية ، يمكن أن تتم فى أقصر وقت ٠٠ ولكنه لن يبدأ الا اذا حدد ساعة الصفر ٠ ويستحيل أن يحدد ساعة الصفر ٠٠ الا بعد الاطمئنان الكامل على الاعداد العسكرى ٠ وانتهت المباحثات الى تفاهم ٠٠

ووعد كوسيجين بأنه لن يكون هناك تأخير فى وصول الأسلحة ، وأنه أخذ تعليمات من اللجنة المركزية أن وصول الأسلحة سيكون تحت اشرافه الشخصى ٠٠

وفى ذلك الوقت ٠٠ أدرك الرأى العام فى مصر ، أن هناك أزمات بين مصر والسوفيت حول الأسلحة ٠ وكانت أخبار امدادات أمريكا العسكرية لاسرائيل ، تتصدر الصفحات الأولى فى جميع صحف العالم ٠٠ وكثر اللغط بين أبناء الشعب ٠ وبدأت حملة على الموقف السوفيتى على ألسنة الناس ٠٠ وفى كل مكان ٠٠

وضج الاتحاد السوفيتى بالشكوى ٠٠

وتصرف أنور السادات السياسى ٠٠ ودافع عن الموقف السوفيتى فى مجلس الأمة ٠٠ وفى تصريحاته ٠٠ ولكنه لم يدافع كذبا ٠ لقد ذكر ما قدمه الاتحاد السوفيتى لمصر ٠ ولكن لم يذكر الذى لم يقدموه ٠

وهذا يؤكد حرص السادات ، على الاحتفاظ باستمرار علاقات طيبة مع الاتحاد السوفيتى ٠٠ فى ظل المصالح المشتركة ٠٠

وفى أبريل ٠٠ طلب الزعماء السوفيت الالتقاء بأنور السادات ٠

وكان السادات حريصا على توضيح وجهة النظر المصرية ، فى اجتماع نيكسون مع الزعماء السوفيت فى مايو ٠٠ فى ظل سياسة التقارب بين المعسكرين. وكانت الخشية.. الا تعتبر مشكلة الشرق الأوسط ، مشكلة حالة مشتعلة ٠٠ بعد أن استمر وقف النار هذه الفترة الطويلة ٠٠ وأن يترك الأمر فيها لمستقبل المساعى السلمية ٠٠ التى أيقنت مصر أنها سائرة الى الفشل ، بسبب التعنت الامريكى الكامل ٠٠

وفى لقاء أبريل حدد الرئيس أنور السادات موقف مصر ٠

حذر من أن يتفق الروس والأمريكان ، على تحديد ارسال السلاح الى دول النزاع فى الشرق الأوسط ٠ كانت أمريكا نشطة فى هذا الطلب من الاتحاد السوفيتى ٠٠ واذا حدث ٠٠ فهذا يعنى أننا لن نستكمل قوتنا المسلحة القادرة على الحـــرب ، فى الوقت الذى أصبحت فيه أسرائيل ترسانة عســكرية حـديثة ٠٠ وهذا يعنى اجبارنا على الركوع والاستسلام ٠٠ وحذر الرئيس السادات من استمرار حالة اللاسلم واللاحرب ٠ وأوضــح أنها تسىء الى موقف الاتحاد السوفيتى وسمعته بين البلاد العربية ٠ لأنها تعنى مساعدة اسرائيل على اقرار الأمر الواقع ٠ ثم موت القضية ٠٠ وأكد الرئيس موقف مصر المبدئى من تطبيق قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ، وهو أنه لا مناقشة فى الحدود على الاطلاق ٠ ولا تفريط فى شبر من الأرض٠ مع استعدادنا لتقبل الضمانات الدولية العادلة ٠

وتفهم الزعماء السوفيت وجهة نظر مصر تماما ٠٠

وأرادوا أن يقوموا بعملية سياسية لتصعيد الموقف شكليا ، أمام أمريكا ، قبل رحلة نيكسون ٠٠

تقرر أن يحضر الماريشال جريتشكو الى مصر ومعه ميج ٢٣ ٠٠ وطيرها فى سماء مصر ٠٠ وأعلن بيانا معدا من اللجنـــة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى، أثنى فيه على كفاءة الطيارين المصريين٠٠ مما يوحى ـ كذبا ـ بأن الطيارين المصريين يســتخدمون الميج ٢٣ المتوافر فى القوات المسلحة المصرية ٠٠

كان هذا هو الهدف السياسى ٠٠

ووافق أنور الســادات على اعلان بيان جريتشــكو ٠٠ كورقة سياسية وان كان رأيه أنها ورقة خاسرة ٠٠ لانها تصعيد شـكلى ٠٠ بينما تصعيد أمريكا يتخذ الاسلوب العملى وهو مد اسرائيل فعـلا بالمقاتلات والاسلحة الحديثة ٠٠ واعترض السوريون على اذاعة بيان جريتشكو ٠٠ ما دام لا يعبر عن واقع ٠ ولكن أنور السادات أقنعهم بأن لا خسارة من هذا البيان ٠٠

وطلب الرئيس من وزير الحربية اعطاء نياشين لجريتشــكو وكل ضباط البعثة العسكرية التى حضرت معه حتى أصغر ضابط ..

وحمل الرئيس الماريشال جريتشكو رسالة منه الى الزعيم بريجنيف خلاصتها :

* مصر تخشى ألا يسفر اجتماع نيكسون مع السوفيت عن أية نتيجة ايجابية نحو أزمة الشرق الاوسط ٠

* موقف أمريكا عام ١٩٧٢ سيىء ٠٠ وسيزداد سوءا ٠

* الوقت بعد اجتماع موسكو سيكون ضيقا جدا٠٠ولابد منعمل شيء قبل انتخابات الرياسة فى أمريكا ٠

* مصر تؤيد موقف السوفييت نحو اعادة انتخاب نيكسون٠فهو أخف الاضرار بالنسبة لنا ٠٠ لانه من الافضل التفاهم معه بعد اعادة انتخابه ٠٠ بدلا من أن نبدأ من نقطة الصفر مع رئيس أمريكى جديد

لا شيء يعزز موقفنا فى الاتصالات السياسية لتحريك القضية٠٠ الا الارتكاز على موقف عسكرى قوى ، وتسليح قادر على الحرب ٠٠ وقد أقر الزعيم برجنيف من قبل هذا التصور ٠

وقال السادات لجريتشكو : انه ينتظر تحليلا منالزعماء السوفيت بعد زيادة نيكسون عن النتائج المتوقعة ٠٠ وانه يحس بخطورة مرور الوقت ٠

بعد ١٥ مايو وصل التحليل السوفيتى ٠

كان تحليلا نظريا فى كل صفاته ٠٠ ولم يضع النقط علىالحروف، بأسلوب عملى ٠٠ وخلاصته أن الاستعماريين الامبرياليينالامريكيين ٠٠ لا يزالون عند موقفهم ٠

ورد الرئيس أنور السادات على الزعيم برجنيف ٠٠ برسالة حدد فيها خطة عمل تعبر عن رأى مصر فى ٧ نقاط محددة ٠٠

وطلب الرئيس ردا سريعا لان الوقت يجرى ٠٠

ومرت ٣ أسابيع ولم يرد الزعماء السوفيت ٠٠

استدعى الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء السفيرالسوفيتى ٠٠ وكان حديثه معه بلغة تفتقر الى الليونة٠٠وعبر عن أن مصر ترى فى هذا الصمت اهانة غير مقبولة ٠ واستدعى الدكتور مراد غالب

وزير الخارجية السفير السوفيتى أيضا ٠٠ وأبلغه احتجاجا على التأخر فى الرد على رسالة الرئيس ٠

وجاء الرد مع ذلك فى ٨ يوليو ٠٠ أى بعد شهر ونصف من رسالة السادات وطلب السفير السوفيتى يوم الخميس أن يقابل الرئيس ٠

وأجل الرئيس موعد اللقاء الى يوم السبت ٠

وكان الرئيس متوقعا أن الرد لن يقدم جديدا ٠٠ فقد كان واضحا من بيان موسكو أن القوتين اتفقتا على تجميد الموقف ٠٠ واستمرار حالة اللاحرب واللاسلم ٠٠ وهذا يعنى دفع مصر الى الاستسلام ٠

وحضر السفير السوفيتى الى قصر الطاهرة ٠٠

وحضر اللقاء أيضا حافظ اسماعيل مستشار الرئيس ٠

واستمع الرئيس الى الرد السوفيتى باللغة العربية . صفحتان ونصف صفحة ٠ وكان الرئيس يستمع وعصاه الرفيعة (التى يعتز بها منذ حرب فلسطين) تحت أبطه ٠٠ كانت الصفحة الاولى ٠٠ شرحا للجهود الشديدة التى بذلها الزعماء السوفيت لاقناع نيكسون بأن يتضمن بيان موسكو اشارة الى قرار مجلس الامن ومهمة يارنج ٠ وأن الحكومة الامريكية ستكون بعد انتخابات الرياسة فى وضع تقدر فيه مصالحها ٠٠

ولم يكن هذا بالشىء الجديد ٠٠ لان اشارة أمريكان الى قرار مجلس الامن لا تعنى شيئا ٠ وسبق أن ملأ جولد برج (الصهيونى) ممثل أمريكا فى الامم المتحدة ، الدنيا صياحا ، بأن أمريكا ستقف وراء تنفيذ القرار ٠٠ ولم يحدث شىء طبعا ٠٠

كما أن مصر تلقت من واشنطن فى تلك الايام بالذات ٠٠ رسالة تعرض فيها حلا جزئيا جديدا (كان مرفوضا من السادات) وتؤكد نواياها فى متابعة الجهود السلمية رغم الانتخابات ٠

ثم تابعت الصفحة الثانية من الرسالة ٠٠ تفنيدا لما يقال من أن الاتحاد السوفيتى يرى فى مصلحته بقاء حالة اللاحرب واللاسلم ٠٠ وأن من ينشرون هذه الدعوة هم أعداء الاتحاد السوفيتى ٠٠

٩

ثم سطور عن أن المعركة تحتاج الى اعداد شعبى ونفسى ٠٠ والى تهيئة الروح المعنوية للحرب واعداد الدولة لها ٠٠

وكان السطر الاخير من الرسالة يقول « أما عن مطالبكم فهى موضع دراسة » ٠٠ وسيطر أنور السادات على أعصابه فى صبر حتى انتهى من سماع الرسالة ٠٠

وأسند يده على عصاه، ونظر الى السفير السوفيتى فى غضب وسأل:

ـ هل انتهت الرسالة ٠٠ ؟

السفير : نعم ٠٠

السادات : هل هذه هى كل الرسالة ؟ ٠٠

السفير : نعم ٠٠

السادات : هذه الرسالة مرفوضة شكلا وموضوعا ٠ وأنا لا أقبل أن يجىء لى رد بعد شهر ونصف ٠٠ وكفى أننى تحملت هذا الاسلوب عاما ونصف عام ٠٠

لم ينفذ برجنيف وعده لى فى مارس ١٩٧١ ٠

لم ينفذ برجنيف وعده لى فى مايو ١٩٧١ ٠

لم ينفذ برجنيف وعده الثانى فى أكتوبر ١٩٧١ ٠

وغضبت جماهير الشعب المصرى ٠ وتحملت ٠ واتهمتكم الجماهير ودافعت عن مواقفكم لاننى حريص على استمرار الصداقة والتعاون ٠٠ ولكننى أطلب منك الآن أن تبلغ الزعماء السوفيت، أننى لن أتحرك على مزاج الاتحاد السوفيتى. أنتم غير جادين معنا لقد أتفقتم مع الامريكان على تجميد الموقف وعدم قيام المعركة . ولكننى لن أقبل وصاية منكم ولا من أمريكا ٠٠

ثم وجه كلمة الى مستشاره حافظ اسماعيل ٠٠

ـ النهاردة كام فى الشهر ٠٠

حافظ : ٨ يوليو ٠٠

الرئيس : أكتب يا حافظ كلمة سأمليها عليك ٠٠ ابتداء من هذه الليلة كل طرق التعامل مع الاتحاد السوفيتى موقوفة ٠ تنهى خدمات

الخبراء السوفيت · المباني العسكرية تعتبر ملكا لمصر · الاسلحة الموجودة بها اما أن تباع لنا صباح ١٧ يوليو أو تسحب ابتداء من١٧ يوليو ·

وبالنسبة لتنفيذ المعاهدة المصرية السوفيتية ·· لابد أن تجرى مباحثات بين البلدين على أعلى مستوى ·· وفى القاهرة ·

السفير : اسمح لى أن أسأل يا سيادة الرئيس ·· هل أرسل هذه القرارات الى موسكو ·· على أنها للتفاوض بشأنها ··

الرئيس : لا ·· هذه قرارات سيادة غير قابلة للمناقشة ·

ثم قال الرئيس لمستشاره يا حافظ ·· هذه القرارات تبلغ فورا الى وزير الحربية للتنفيذ صباح ١٧ يوليو ··

وأنهى الرئيس المقابلة ··

◎❖◎

والحق أن الرئيس أنور السادات لم يتخذ هذه القرارات على أساس انفعالى·· لقدظل يفكر طويلا·· وكان يستمرمستيقظا حتى الرابعة صباحا ، في شرفة استراحة القناطر ·· ثم يستريح قليل ·· ويستيقظ ··

ان وجود قوات سوفيتية فى مصر ·· سيكون عائقا فعلا عن المعركة · فليس من المعقول أن نقاتل وعلى أرضنا قوات أجنبية ·

ان كل دعاية اسرائيل ومناوراتها السياسية تتركز على أنها ستحارب جيشا سوفيتيا فى مصر ·· ولذلك فهى تسرف فى طلب الاسلحة المتقدمة من أمريكا وتحصل عليها ··

ان قاعدة الانطلاق فى فكر أنور السادات ·· نحو هذا القرار ·· هى قاعدة السيادة الوطنية ·· فنحن متهمون بأننا فى حماية قوات سوفيتية · وفى الوقت نفسه ، فان كل جهود السوفيت قائمة على اقناعنا بالصبر ·· وعدم المخاطرة بالحرب ·· وانتظار نجاح المساعى من أجل تسوية سلمية ·

وكان القرار مفاجأة عالمية كبرى ..

واستغلته صحف الغرب الموالية للصهيونية .. بأن هــذا يعنى تماما أن أنور السادات فقد حليفه الوحيد .. وأنه لن يكون قادرا على الحرب . وتوقعت مقالات عديد من كتابهم انهيار حكم الســادات من الداخل . وبعد أن كانت اسرائيل ، تصرخ ، بأنها ســوف تحارب جيشا سوفيتيا فى مصر . أصبحت تقول .. ان هذا يعنى أن مصر أصبحت عاجزة عن القتال تماما

وانطلقت فى سياسة العربدة ..

ورحب الشعب المصرى بالقرار ترخيبا .. ارتفع الى مســتوى ترحيبه بقرار تأميم قناة السويس .

وتصور البعض أن هذا القرار تم بالاتفاق مع أمريكا ..

وهذا غير صحيح ..

بل أن كيسنجر وزير الخارجية الامريكية ذكر فى أحد لقاءاته مع العرب أنه يتعجب من شخصية أنور السادات الذى لم يســاومه على قرار اخراج الخبراء السوفيت قبل أن يتخذه ..

وكان اليسار المتطرف المحلى والعربى مقتنعا بأن هذه الخطوة تمت بالاتفاق مع أمريكا .. وتضاعف التهجم على أنور السادات ..

ثم بدأ نقد غريب للقرار من العناصر اليسارية، اتخذ أسلوبا ذكيا، لا يكشف عن خلفياته .. النقد يقول .. كان يجب على السادات قبل أن يتخذ القرار ، أن يعرف ماذا سيكون المقابل الذى ســيجنيه من أمريكا .. كانت هذه العناصر اليسارية تردد وجهة نظر كيسنجر !

◉❖◉

وأذكر أن قائد الجيش فى احدى الدول الاشــتراكية .. التقى بمسئول مصرى فى عاصمة بلده بعد اعلان هذا القرار .. وأدى هذا القائد التحية العسكرية وقال للمسئول المصرى .. أرجوك أن تبلغ الرئيس السادات، أننى أعظمه بالتحية العسكرية لهذا القرار الوطنى الشجاع ..

وكان موقف الصحفيين السوفيت الذين كنا نلتقي بهم.. وكانوا طبعا يعبرون عن الرأى الرسمى .. يتبلور فى عدة أسئلة يوجهونها

أيهما أفضل للدفاع عن مصر .. ضد أى عدوان اسرائيلى محتمل .. أن تكون على أرضكم قوات سوفيتية .. أو بدونها ؟ ..

أيهما أفضل اذا كنتم تستعدون للحرب فعلا .. أن تفيـــدوا من خبرة الخبراء .. أو تفقدوها ؟ ..

أنكم تتحدثون عن الحرب .. ولكنكم لا تريدون الحرب .. وأنتم تريدون أن تبرروا ذلك بعدم حصولكم على الاسلحة من السوفيت. ان ما لديكم يكفى للقتال اذا كنتم تريدون فعلا القتال..ولكن الحقيقة أنكم لا تريدون ..

اذا كنتم تريدون القتال حقا .. فيجب أولا أن تتحقق وحـــدة عربية .. ويجب أن تكون لديكم قاعدة اقتصادية قادرة على الحرب.. ويجب أن تكملوا الاستعدادات الداخليـــة .. نقل الآثار .. تجهيز المستشفيات .. اعداد الدم .. التـــدريب على الدفاع المدنى .. أن تعيش أجهزة أعلامكم جو الاعداد للقتال .. ولكنكم لا تفعلون شيئا من كل هذا .. وتكتفون بالحديث عن الحرب ..

وكان السوفيت ــ من قبل ــ كما ذكرت ــ يعترضون على أن يكون عام ١٩٧٢ هو عام الحسم ، وأذكر أن السفير السوفيتى دعا عددا من الكتاب والصحفيين الى عشاء قبل سفر الرئيس الى موسكو .. فى رحلته الاخيرة . وجاءنى من يقول أن السفير السوفيتى يرغب فى أن تجلس الى مائدته . وقيل مثل ذلك ليوسف السباعى واحســـــان عبد القدوس .. وأحسست بعد المناقشة أن السفير تعمد أن يوضح لنا وجهة نظر السوفيت واستشهد فى ذلك بمثل سوفيتى يقول ما معناه .. عندما أدخل حجرة فيجب أن أعرف كيف أخرج منهـــا . فلماذا تغلق مصر الباب على نفسها وتحدد نهاية عام ٧٢ بأنها النقطة الفاصلة ..

وأذكر أننى رددت عليه ضـــــاحكا : مادام فى الحجرة نافذة .. نستطيع أن نخرج منها بدلا من الباب ..

واســتمر السوفيت على موقفهم .. وهو أن علينــا ان نتجنب الحرب ، ونستمر فى المساعى السلمية حتى بعد أن تحسنت العلاقات .. وسارت في مجراها الطبيعى ..

وقد جاءت وفود عديدة من موسكو الى القــاهرة .. للاتصــال بالتنظيم السياسى ورجال الاعلام ..

وزارنى وفد برياسة اكسندروف نائب وزير الكهــرباء . وكل الوفد من رجال الصحافة وأعضاء فى اللجنة المركزية ..

وكان محور النقاش الذى استمر فى مكتبى أكثــر من ساعتين بحضور الاستاذ خالد محيى الدين .. أنه من صالحنا أن نترك تماما فكرة الحرب . وأن نكرس كل جهودنا من أجل السلام .. وأخذ يعطينا احصاءات وصورا عن ويلات الحرب وخطورتها .

واخيرا .. ضجر الرجل من نقاشــنا .. ومن اصرارنا على أن الحرب هى الحل الوحيد .. فقال غاضبا :

ـ انتم أحرار .. اننا لا نقيد أياديكم بالسلاسل حتى لا تحاربوا .. اذا كنتم قادرين على الحرب .. حاربوا .. وسوف تتحملون أنتم التبعات وهذا قــراراكم ولسنا مســئولين . ولكنا نحذركم كأصدقاء ..

⊙❖⊙

أعود الى قرار الرئيس بالاستغناء عن خدمات الخبراء السوفيت

لقد نفذ القــرار فى عشرة أيام . وخرج ١٠ آلاف ســوفيتى أو اكثر . وأقامت الوحدات العسكرية المصرية اجتماعات تكريمية لهم قبل رحيلهم .

ولم يعترض السوفيت . ولم يتكاسلوا فى تنفيذ القرار. والحق أن الاتحاد السوفيتى اثبت بتنفيذه للقرار أنه ليس الدولة التى وضعت جنودها فى أرض أخرى ، لاى هدف غير الهدف الذى من أجله طلب أصحاب الارض وجودهم فيها ..

ولكنهم فى الوقت نفسه .. غضبوا من مفاجأتهم بالقرار . وكان الرئيس قد أوفد الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء الى الاتحاد السوفيتى ، وعرض أن يصدر بيـــان مشترك بخروج الخبراء وشكرهم على ما أدوه من خدمات .. ولـكن السـوفيت رفضوا البيان . وفضلوا أن يكون ذلك بقرار من جانب واحد هو جانب مصر .. وتعبيرا عن ألمهم من المفاجأة .

وعاد الدكتور عزيز صدقى من موسـكو وقال رئيس الوزراء لرؤساء تحرير الصحف ان السوفيت لم يناقشوا مطلقافىموضوع القرارات ولكن فى أسلوب اصدارها . وقـد أبلغوا رئيس الوزراء أنهم مستمرون فى تنفيذ تعهداتهم ..

وقد قدر السوفيت خطورة آثار القرار على وضعهم فى الشرق الاوسط .. وتم الاتفـاق على أن تحصر نتـائج هـذه العملية فى اطارها .. أما العلاقات الاخرى فهى مستمرة ..

وقال عزيز صدقى : وكان شعور السوفيت فى نهـاية الزيارة شعورا طيبا . ولكنى لا أعرف ما فى القلوب ..

واستمر الموقف راكدا ..

وتطوعت آراء كثيرة بالقول ان مصر خسرت بهذا القرار . وانها أصبحت الآن وحدها معلقة فى الهواء ..

ولكن الواقع ان السـوفيت .. لم يكونوا يريدونأن يستمر وضع القطيعة .. وكذلك القاهرة .. وفك حلقـــة الجمود . الرئيس حافظ الاسد عندما سافر الى موسكو فى رحلة للتعاقد على أسلحة .. وفتح موضوع العـلاقات المصرية مع الزعمـاء السوفيت .. **ووجد استجابة لبداية مباحثات جديدة مع مصر .. وحضر حافظ الاسد الى القاهرة وهو فى طريق عودته الى دمشق .. وتم الاتفاق مع الرئيس السادات .. على أن يسافر الدكتور عزيز صدقى فى** رحلة مباحثات الى موسكو ..

وقبل أن يسافر عزيز صدقى الى موسكو فى ١٦ اكتـوبر ١٩٧٢ .. كانت قد نشأت تطورات زادت من سوء العلاقات .

لقد نما الى علم القاهرة ، أن الاتحاد السوفيتى أعطى تعليمات الى سفرائه فى الخارج ــ فى أغسطس ١٩٧٢ ــ لكى ينشروا فى الاوساط

الدبلوماسية أن مصر طلبت قوات سوفيتية لكى تحارب لها ، وأن موسكو رفضت هذا الطلب .. وهذا هو سبب قرار اخراج الخبراء السوفيت .

ثم نشرت تحليلات فى بعض الصحف الشيوعية تدور حول اتجاه مصر الى الغرب .. وأن قرار الخبراء السوفيت سببه أن مصر لا تريد أن تحارب ، ولكنها تحاول أن تلقى الاسباب فوق أكتاف الاتحاد السوفيتي .. وعلمت القاهرة أيضا أن مثل هذه الاقوال بدأت تتسلل الى الداخل .. والى بعض مواقع الطلبة والعمال ..

ولكن مصر الرسمية قررت أن تحتفظ بتوازنها .. وألا تفتح معركة اعلامية أو سياسية مع الاتحاد السوفيتي .. واكتفى فى ذلك بمقالات موضوعية تناقش موضوع العلاقات دون مهاترات . وكان الخط السياسى أن تحتفظ مصر بالخلاف فى داخل حدوده دون تجاوز ذلك .

واصدرت اللجنة المركزية بيانا سياسيا ، وزع على مختلف قواعد التنظيم لايضاح الموقف .

وخلاصته .. اننا نحرص على الصداقة الحقيقية .. كما نحرص على المصالح المشتركة للبلدين .. ونحذر من استغلال العدو للموقف . كما أن مصر تريد علاقات صريحة واضحة مع الاتحاد السوفيتى فى اطارها الصحيح ، توضح حدود الدعم العسكرى السوفيتى بلا غموض . كما ناقش البيان سياسة الوفاق .

وعاد الدكتور عزيز صدقى من رحلته الثانية الى الاتحاد السوفيتى (١) ..

وأعلن فى بيان القاه فى اللجنة المركزية للاتحاد الأشتراكى العربى انه وفق الى الاتفاق على اطار طبيعى جديد للعلاقات بين البلدين

---

(١) قالت صحيفة البرافدا لسان الحزب الشيوعى السوفيتى الرسمية فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٢ :

((ان نتائج زيارة عزيز صدقى بددت كل الافتراءات التى رددتها الدوائر الرجعية حول العلاقات المصرية السوفيتية بهدف وضع أسفين بين البلاد العربية والاتحاد السوفيتى)) .

وانتشرت اشاعات بين الجمـاهير .. بأن الخبراء السوفيت سيعودون الى مصر .. وأن أنور السادات تراجع عن سياسته .. ومرت فترة بلبلة داخلية ، ساعدت عليها الحرب النفسية .

وقد حدد الاتحاد الاشتراكى العربى طبيعة المرحلة الجديدة فى العلاقات مع الاتحاد السوفيتى .. وأصدر بيـانا تنظيميا وقال البيان :

ـ فى آخر أغسطس الماضى أصدرت الامانة العامة بيانا تنظيميا عن العلاقات المصرية السوفيتية ، فى ظل قرارات ٨ يوليـو التى أصدرتها القيادة السياسية ، والخاصة بانهاء مهمة المستشارين العسكريين السوفيت فى مصر ، وتحديد الموقف بالنسبة لبعض الممتلكات والاسلحة السوفيتية الموجـودة على أرض مصر .. ثم القرار الثالث الخاص باقتراح عقد اجتماع مشترك بين الجانبين المصرى والسوفيتى لاجراء مشاورات تتعلق بالمرحلة الجديدة .

وقد حدد البيان الاوجه الايجابية فى الصداقة بين مصروالاتحاد السوفيتى . كما حدد أوجه الاختلافات الهامة فى الاستراتيجية والمبادىء بين الصديقين . ثم خلص الى النتائج الموضوعية لاوجه الاختلاف ، ومنها ان الاتحاد السوفيتى لا يرى أن التحرك لحسم قضية الاحتلال عن طريق المعركة أمر حتمى وواجب ، ،مما ترتب عنه صعوبات عديدة فى تزويدنا بما نحتـــاج اليه من أسلحـة هجومية ، ومنها أن التقارب السوفيتى الامريكى ، دخل مرحلة جديدة واستمر التصعيد الامريكى فى الدعم العسكرى لاسرائيـل .. وخلص البيان الى أن حرصنا على الصداقة المصريةالسوفيتية حماية للمصالح المشتركة للشعبين ، ويدعو الى أسلوب جـديد تقوم فيه الصداقة على أساس موضوعى صريح واضح ، يحدد فيه الصديقان طبيعة المصالح المشتركة وحجمها .

ومن هذا المنطلق ، بعث الرئيس أنور السادات ، برسالة الى الرفيق برجنيف فى ٣١ أغسطس ردا على رسالة الرفيق برجنيف التى تلقاها الرئيس فى ٣١ يوليو التى عرض فيهـا رؤية الجانب السوفيتى للموقف بعد قرارات ٨ يوليو .

وتضمنت رسالة الرئيس أنور السادات ما يلى :

١ ـ مصارحة كاملة للقادة السوفيت بكل أسباب الازمة .

٢ ـ تأكيد واثق ، بأن المعركة ـ والمعركة وحدها ـ هى محركنا الاول فى علاقاتنا مع الاتحاد السوفيتى .

٣ ـ شرح واف ، للتصاعد الخطير فى حجم ونوع الاسلحة الامريكية لاسرائيل . مما يقتضى تزويد القوات المسلحة المصرية بالاسلحة الهجومية الرادعة .. كما سبق أن سجل الرئيس أنور السادات فى مباحثاته السابقة مع الزعماء السوفيت .

٤ ـ تنبيه واضح للجانب السوفيتى الى أهمية الاتفاق على أسلوب جديد للعمل ، يضمن مواجهة الاستراتيجية الاسرائيلية الامريكية فى المنطقة ، التى تستهدف تصفية القضية العربية نهائيا ، وفرض شروط اسرائيل للاستسلام فى حماية قوة ردع عسكرية تضمن أمريكا تفوقها وتصاعد حجمها ، وكفاءتها بغير حدود ..

وفى ٢٧ سبتمبر سافر الرئيس السورى حافظ الاسد الى الاتحاد السوفيتى ليبحث مع القادة السوفيت موضوع تسليح القوات المسلحة السورية ، والموقف العسكرى المترتب على العدوان الاخير .. وخلال تلك المباحثات تعرض الجانبان للعلاقات العربية السوفيتية ، والعلاقات المصرية السوفيتية بوجه خاص ، والرسائل المتبادلة بين الرئيس السادات والرفيق برجنيف . والرئيس السورى ، كان على بينة كاملة بكل التفاصيل المتصلة بموقف مصر . وعاد الرئيس الاسد من موسكو الى القاهرة فى ٢٩ سبتمبر ، وعرض على الرئيس السادات ، كل جوانب ما دار فى مباحثاته مع القادة السوفيت ، وخاصة بالنسبة للعلاقات المصرية السوفيتية . ومن هنا رأى الرئيس السادات، أن الظروف الموضوعية تقتضى أعمال القرار الثالث من قرارات ٨ يوليو ، فى ضوء الصورة التى جاء بها الرئيس حافظ الاسد من موسكو . ومن ثم قرر ايفاد الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء الى موسكو فى ٦ أكتوبر لاجراء مباحثات مع الجانب السوفيتى فى اطار النقاط المحددة الواضحة التى تضمنتها رسالة الرئيس أنور السادات الى الرفيق برجنيف (١) .. وبذلك سوف تعالج المحادثات :

---

(١) .. قامت مصر أيضا بمبادرة صداقة طيبة من جانبها فى ديسمبر ١٩٧٢ . كان باقيا ثلاثة أشهر على انتهاء اتفاقية تسهيلات البحر الابيض . كانت تنتهى فى مارس . والاتفاقية لمدة =

١ ـ الآثار المترتبة على الدعم العسكرى الأمريكى المطلق لاسرائيل ؛ الذى يمكنها من العدوان بغير رادع على الشعب المصرى فى كل مواقع مجاورة لاسرائيل .

٢ ـ مدى التزام الاتحاد السوفيتى الصديق ، بالنسبة للتسليح الذى يضعنا على قدم المساواة فى القدرة العسكرية مع العدو ، بعد أن استبان بجلاء ، الموقف الامريكى فى الدعم المطلق للعدو .

٣ ـ مدى قابلية الاتحاد السوفيتى للتحرك السياسى والعسكرى الايجابى ، أمام التحرك الامريكى السريع سياسيا وعسكريا فى مواجهة أى حادث طارئ فى منطقة الشرق الاوسط وخارجها .

٤ ـ صورة واضحة لضرورات المعركة فى ظل الاعتبارات الاساسية السابقة ، ومدى استجابة الاتحاد السوفيتى لمتطلباتها

٥ ـ التحديد الصريح لطبيعة العلاقات المصرية السوفيتية فى المرحلة الجديدة ، فى جوانبها العسكرية والسياسية ، على أسس حقيقية .

٦ ـ التأكيد المصرى بأن بلادنا تحارب معركتها بأبنائها وبقرار منها وفى ظل مسئونيتها التاريخية وحدها .

وهنا يمكن ان تثار هذه الاسئلة :

= ٥ سنوات ، وقبل ثلاثة أشهر من انتهائها يتفق الطرفان على انهائها أو مدها . وقد كلف الرئيس السادات المشير أحمد اسماعيل بأن يبلغ الملحق العسكرى فى السفارة السوفيتية ، بأن مصر قررت من جانبها مد هذه الاتفاقية . ثم سافر المشير أحمد اسماعيل الى موسكو . وتمت صفقة اسلحة . ومن فبراير ١٩٧٣ بدأت العلاقات تأخذ الشكل العادى الطبيعى . وبدأت تصل الاسلحة . وجاء مؤتمر نيكسون الثانى مع الزعماء السوفيت فى يونيو ١٩٧٢ ، وفيه اتفق على الا يحدث ما يعكر السلام فى جميع أنحاء العالم . وكان الوقف فى فيتنام قد هدأ . وبقى الشرق الاوسط . وكن هذا يعنى تجميد القضية المصرية نهائيا فى ثلاجة القوى الكبرى .

((من كلمات الرئيس فى جلسة مغلقة))

السؤال الاول :

هل يعنى اجراء هذه المباحثات الجديدة ، بل والوصول فيهـا الى نتائج تستجيب الى كل متطلبات الموقف المصرى عســكريا وسياسيا .. أو قرار ٨ يوليــو الاول الخاص بانهــاء مهمة المستشارين العسكريين السوفيت .. يحتمل مناقشة جديدة ؟.

والجواب : لا .. قطعا وحسما .. ان قرار ٨ يوليــو الذى انهى مهمة المستشارين العسكريين السوفيت .. قرار لا رجعة فيه .

السؤال الثانى :

هل يعنى اجراء هذه المباحثات الجديدة ، بل والوصول فيهـا الى نتائج الى كل متطلبات الموقف المصرى عسكريا وسياسيا . ان قرار ٨ يوليو الثانى الخاص بتولى القوات المسلحة المصرية أمر كافة المنشآت والاجهزة العسكرية التى اقيمت على أرض مصر .. يحتمل مناقشة جديدة .

والجواب : لا .. قطعا وحسما .. ان قرار ٨ يوليو الثــانى ، لا رجعة فيه .

لمـــــاذا ..

أن هذين القرارين يمثلان جانبا من الاستراتيجية الوطنية ، وليسا من قبيل المناورة أو الضغط .. ولقد نفذا تنفيذا كاملا فى ١٧ يوليو . وأثبت ذلك أن القرار الســـياسى فى مصر ، لا ينبع **الا من الارادة الوطنية فى ظل أى وضع وتحت أى ظروف ، وقضى** بذلك على كل الدعاوات المضللة التى دأبت أمريكا واسرائيل على اطلاقها عن السيادة المصرية .

وخلص البيـــان الى أن الهــدف من المباحثــات ، هو وضع العلاقات المصرية السوفيتية فى اطارها الصحيح .

وعاد الدكتور عزيز صدقى من موسكو .. وألقى بيانا فى اللجنة المركزية صباح ٢٢ أكتوبر ١٩٧٢ عن نتائج مباحثاته(١) . وكان واضحا أنه نجح فى اعادة الحياة الى مجاريها ، على أسس واضحة . ثم

---

(١) .. تضمن بيان الدكتور عزيز صديقى أمام اللجنة المركزية الفقرات التالية ، ولكن هذه الفقرات حذفت عند نشر البيان فى الصحف بطلب من الدكتور عزيز صديقى . وهذه الفقرات هى :

- (قد يكون فى الصحافة المصرية رجعيون ، وقد يكون فى مواقع الحكومة بعض غير المؤمنين بالاشتراكية ، وهذا موجود فى كل بلد **وأعتقد أنه فى البلاد الاشتراكية أيضا**) .

- (لقد شعرنا أن الاتحاد السوفيتى قد ذهب فى معاونتنا الى حد معين ، ثم أصبحنا نعتقد لانه لا يريد أن يذهب أبعد من ذلك فى مساعدة لنا ، لقد قدم لنا المساعدات التى تمكنها من الدفاع عن أنفسنا ، ولكنها لا تكفى كما نتصور لتحرير أرضنا) .

- (دخل الاتحاد السوفيتى نتيجة للمباحثات التى تمت فى تعهدات جديدة معنا . ويكفى أن أذكر أنه قد تم الاتفاق على أن يسافر وفد عسكرى الى الاتحاد السوفيتى فى الفترة من ١٠ الى ١٥ نوفمبر) .

وواضح من الحذف أن الاتحاد السوفيتى أثار موقف الصحافة المصرية . وكان يتهم الكتاب الذين ينتقدون موقفه ، بالرجعية والعمل لحساب قوى الاستعمار أو لحساب الصين الشعبية . **ولكن رئى أن ذكر هذا البيان يوجه اهانة الى الكتاب المصريين .** وواضح من الحذف أيضا أن السوفيت ناقشوا موضوع التطبيق الاشتراكى ، وأن الجهاز القائم على التطبيق لا يؤمن بالاشتراكية.

والفقرة الثانية التى حذفت تعبر عن الخلاف فى وجهات النظر حول التسليح وكيانه ونوعياته .

والفقرة الثالثة كانت تذيع ما أريد أن يبقى سرا ، وهو أن وفدا عسكريا سيسافر الى موسكو للاتفاق على صفقات أسلحة جديدة .

تتابعت بعد ذلك وفود مصرية سياسية وعسكرية الى العاصمة السوفيتية .. ولكن الاتحاد السوفيتى .. كان عند موقفه الاستراتيجى الاول .. وهو تفضيل المساعى السياسية السلمية .. على تحريك القضية بالقتال .

ولكن لم يزر أحد من زعماء الاتحاد السوفيتى القاهرة .. باستثناء كوسيجين بعد قيام حرب اكتوبر .. ثم جروميكو بعد اتفاق الفصل بين القوات(١) ..

---

(١) .. وبدأت حرب اكتوبر . وكانت على غير ارادة القوتين الكبيرتين . الاتحادالسوفيتى كان يفضل الحل السلمى . وامريكا كانت تتصور ان مصر لن تقوى على محاربة اسرائيل وتدعو الى استمرار وقف النار . وفى الساعة الثالثة من مساء ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ حضر كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى الى القاهرة . وحضر الى القاهرة فجأة وفى طائرة خاصة لم يعلن عنها الا عند وصولها الى مطار القاهرة ، وزير خارجية يوغوسلافيا ومعه سفيرنا سعد عفره . وكان الاتحاد السوفيتى يلح على وقف اطلاق النار . وكان برجنيف قد اتصل بالرئيس تيتو وطلب اليه أن تقدم يوغوسلافيا الى مجلس الامن على وجه الاستعجال مشروع قرار يوغوسلافى بوقف النار . وأكد برجنيف أن الاتحاد السوفيتى وأمريكا متفقان على ذلك ، ولكن الهدف هو أن يقدم من دولة أخرى . وابلغ تيتو معلومات غير صحيحة عن سوء الموقف العسكرى المصرى . واستقبل الرئيس السادات الرفيق كوسيجين اكثر من مرة ، الذى كان يجرى اتصالات مباشرة يوميا أكثر من مرة بزعماء الاتحاد السوفيتى فى موسكو . وكان كيسنجر وزير الخارجية الامريكى فى موسكو أيضا فى ذلك الوقت . كما استقبل الرئيس السادات وزير الخارجية اليوغوسلافى بعد وصوله مباشرة =

• • • • • • • • • • • •

= وكان الرئيس قد عرض مشروعا للسلام فى مجلس الشعب فىذلك الصباح . وكانت وجهة نظر الرئيس السادات انه لن يوقف النار والقوات المصرية منتصرة، الا اذا تعهدت القوتان الكبيرتان بالتطبيق الفورى لقرار مجلس الامن وضمنتا الانسحاب الاسرائيلى الكامل. وتدخل رئيس وزراء بريطانيابرسالة خاصة الى الرئيس السادات قدمهـا اليه السفير البريطانى فى ساعة متأخرة من الليل .

وبدأت حكاية الثغرة ، والتدخل العسكرى الامريكى بالاسلحة الحديثة . واتفق على وقف اطلاق النار فى٢٢أكتوبر . ولم تحترم اسرائيل الاتفاق . وأعلن الرئيس السادات انه وافق على وقف النار بعد ضمان القوتين الكبيرتين للانسحاب الكامل ، وانه لن يحارب أمريكا . ولم تضمن أمريكاوقف النار . وتركت اسرائيل توسع من عبورها بالاسلحة الامريكية الحديثة ، لكى تدعم موقفها فى المباحثات السياسية بعد ذلك . وطلب السادات التدخل العسكرى من كل من الاتحاد السوفيتى وامريكا ، لتنفيذ وقف النار . وتحركت قوات سوفيتية من البحر الاسود . واعلنت أمريكا حالة الطوارىء الذرية . ثم تم وقف النار فى ٢٦ أكتوبر. وبدأت اتصالات السلام . وحضر كيسنجر الى القاهرة. وتكررت رحلاته . من هنا بدأت المتاعب من جديد مع الاتحاد السوفيتى لقد تصور مرة أخرى أن مصر ترسى علاقات جديدة مع امريكا على حساب علاقتها بالاتحادالسوفيتى الذى لم يعد له دور ظاهر فى مباحثات السلام . والذى لم يحضر اتفاق الفصل بين القوات. وبدأ الاتحاد السوفيتى سلسلة من الضغوط على مصر ، لا مبرر لها ، الا هذا الوهم الخاطىء ، لان مصر حريصة فعلا على علاقتها بالاتحاد السوفيتى . امتنع الاتحاد السوفيتى عن تعويضنا عن الاسلحة التى خسرناها فى القتال، رغم أن أمريكا عوضت اسرائيل ثم أعطانا بعض الاسلحة . ولكنه امتنع عن تعويض الطائرات . ثم طالب بسداد أقساط الديون والفوائد بالعملة الصعبة فى ظروف لا تسمح لنا بالسداد ، وخاصة انه تنازل عن نصف ثمن الاسلحة السوفيتية لفيتنام بعد اتفاق السلام . ثم بدأت السنته تشن =

. . . .

= حملة على مصر ضد الانفتاح الاقتصادى ، بزعم انه تصفية للاشتراكية . وحضر جروميكو الى مصر ، واجتمع به الرئيس أنور السادات ٤ ساعات بغير مترجم .. وأوضح لجروميكو الحقائق التالية :

١ ـ ان علاقة مصر بالاتحاد السوفيتى ليست كعلاقتها بأمريكا لانه تربطنا بالاتحاد السوفيتى معاهدة صداقة . ولاننا نعطى تسهيلات بحرية للاتحاد السوفيتى ، لا نعطيها لامريكا .

٢ ـ ان الدور الامريكى الآن من أجل السلام ، لا يتناقض ابدا مع الدور السوفيتى لان امريكا هى القادرة على الضغط على اسرائيل . وكانت هذه دائما حجة الاتحاد السوفيتى دفاعا عن أن سياسة الوفاق مع أمريكا ، سوف تخدم الوصول الى حل سلمى ، لان امريكا قادرة على الضغط على اسرائيل .

٣ ـ تشويه الانفتاح الاقتصادى بأنه تصفية للاشتراكية وللقطاع العام لا أساس له من الصحة . لان ثمن مكونات القطاع العام يصل الى بلايين الجنيهات ، ولا يمكن أن يقوض هذا . وهو قاعدة صلبة للانفتاح .

٤ ـ أن الديون لا يمكن أن تسدد وهذا عرف عالمى ، بعدالحرب مباشرة ، وانها تسدد بعد التعمير . وقد حدث هذا للاتحاد ـ السوفيتى مع الولايات المتحدة الامريكيةبعد الحرب العالميةالثانية ولكن الازمات الجديدة استمرة .

وقام الرئيس السادات بضغط سياسى ، فى عدة أحاديث صحفية كشف فيها عن الخلاف الجديد مع الاتحاد السوفيتى . ولكنه ترك الباب مفتوحا لاتصالات بين الجانبين .

وشرحت مصر بالاتصالات السياسية موقف الاتحاد السوفيتى للاحزاب الشيوعية فى مختلف الدول الاشتراكية الصديقة . وأذاع الرئيس فى اجتماع مغلق يوم ١٤ أبريل ١٩٧٤ أن مصر طلبت حضور الجنرال ماشينكوف وهو عسكرى سوفينى لهتقدير خاص فى القاهرة ، وكان كبير الخبراء السوفيت .وطلب الرئيس =

. . . .

= منه أن يذهب الى الجبهة فى الشرق والغرب ، لكى يكتب تقريرا كاملا عن حقائق الوضع العسكرى ، واحتياجات مصر بعد المعركة وأرسل هذا التقرير الى القيادة السوفيتية . وقد جاء فيه اننا فقدنا نصف القاذفات المقاتلة وفقدنا ٨٠ طيارا . ثم أرسل الرئيس السادات ٤ رسائل الى برجنيف، وسجل فى آخر رسالة الى الزعيم السوفيتى أن اسرائيل استعوضت كل طائرة بطياريها وأن الاتحاد السوفيتى لم يرسل لنا طائرة واحدة . وأن هناك عقودا سابقة مبرمة معنا لم تنفذ .

ورد الاتحاد السوفيتى على الموقف المصرى بحملات فى بعض صحف بيروت ، كلها تلقى اللوم على مصر ، وتعتبر نقدها للاتحاد السوفيتى مفاجأة .

وأمكن بعد ذلك بالاتصالات الدبلوماسية تحسين جو العلاقات والتمهيد لمباحثات يجريها وزير الخارجية المصرية فى موسكو فى ١٥ يوليو، اعدادا لمؤتمر قمة بين السادات وبرجنيف. وقبل سفر الوفد المصرى بخمسة أيام قرر الاتحاد السوفيتى فجأة تأجيل زيارة الوفد المصرى الى أكتوبر .

وحتى طبع صفحات هذا الكتاب لم يطرأ جديد على الموقف ، على الرغم من أن تقارير سفيرنا الجديد فى موسكو حافظ اسماعيل قبل هذا التأجيل المفاجىء ، كانت كلها تؤكد خلوص النوايا نحو تحسين العلاقات .

ووضح أن مصر حصلت على مزيد من الاسلحة . لا كما تريد .. ولكن وفقا لما استطاعت أن تقنع به الاتحاد السوفيتى ..

ووضح أيضا أن أنور السادات بذل جهودا جبارة فى الحصول على أسلحة من دول أخرى عربية .. وشرقية ..

وسارت هذه الجهود العسكرية كلها فى طى الكتمان ..

وكان الاعداد العسكرى ، والتدريب على أكثر من خطة للعبور . يجرى ليل نهار وباشراف مستمر من الرئيس أنور السادات ..
وكانت كل الدعايات حولنا تؤكد أن مصر لن تحارب .. لانها عاجزة عن القتال ..

وكان البعض يتصور أن مصر لو بدأت عملية عبور .. فان اسرائيل ستدك المدن الكبرى دكا يحولها الى أنقاض وتعود مصر مائة سنة الى الوراء ..

وكانت كل تصريحات القادة الاسرائيليين يوميا .. أن العبور عملية عسكرية مستحيلة .. لاستحالة اقتحام خط بارليف أولا .. ولان مصر اذا وجد لديها السلاح .. فلن يوجد فى جيشها المقاتل ..

وخلال ذلك كله دعا أنور السادات الى الصبر والصمت ..

ولكنه اضطر الى مواجهة محاولات مستمرة لتحطيم الوحدة الوطنية من الداخل .. وساعد عليها خلافات مفاجئة نشأت مع السودان .. ثم مع ليبيا ..

وفى ذلك الوقت كانت أكثر تعليقات صحف الغرب تؤكد ان النظام يهتز .. وانه يتماسك بتصريحات صناعية من الرئيس السادات .. وأن الحكم سيهوى خلال أشهر ..

وقال لى مراسل الجارديان فى الشرق الاوسط : اننى اراهن بسمعتى الصحفية .. لو استمر نظام السادات ٣ أشهر !!

وكان ذلك خلال مظاهرات الطلبة الثانية فى عام ١٩٧٣ ..

الفصل الثامن

أنا حزين ..

"أنور السادات"

●●● ((مظاهرات الطلبة تتسع . بيانات من ستة أعضاء بمجلس نقابة الصحفيين تصف الحكم بالقمع . بيانات من عدد من الكتاب عن المستقبل الاسود الكئيب . صحف الحائط مليئة بالعبارات البذيئة . اشاعات . صحف بيروت تردد ما يجرى . حالة تسيب ويأس . الرئيس يدعو رجال الصحافة والاعلام الى اجتماع مغلق ..

هذا الفصل هو تسجيل لما دار فى هذا الاجتماع الحاسم يذاع للمرة الاولى)) ●●●

سالت الرئيس انور السادات مرة : كيف اتخذت قرار المعركة؟
ففال : اننى أشعر بأن ارادة الله هى التى اتخذت قرار المعركة . هذا قدر . لم يصبح أمامنا من حل الا أن نحمل السلاح لنحرر الارض ونرفض الاستسلام . ليس هناك حل وسط .. الشعب رفض الهزيمة .. وهذه هى فلسفة الشعب .علينا أن نتحمل كل العقبات والتضحيات .. أو نختصر الطريق ونسلم ونحل القوات المسلحة ،وبدلا من أن تكلفنا ٩٠٠ مليون جينه فى السنه . نخفضها الى ٢٠٠ مليون .. ونقبل شروط العدو .. ونعيش الى الآبد أذلاء .. وربما لاجئين .

كان هذا يقينه دائما ..

ولكنه كان يحارب فى أكثر من جبهة ..

جبهة الداخل..التى تكتلت فيها غالبية قوى اليسار المتطرف .. بين الصحفيين والكتاب وامتد اتصالاتها وتجمعاتها الى فريق من الطلبة .

الجبهة العربية .. وشروخ الموقف .. بعد الازمات مع السودان .. ثم مع ليبيا .. وتشكك دول عربية اخرى فى نوايا الرجل .

هذا فى الوقت الذى كان يقاسى فيه الامرين فى سبيل الحصول على الاسلحة من كل مكان ..

وفى الوقت الذى بذل فيه جهدا دبلوماسيا جبارا على المسرح الدولى غربا وشرقا .. لوضع الدول عند مسئولياتها امام خطر الازمة .. وتهيئة الرأى العام الدولى لتقبل المعركة عند وقوعها .

ولكن أحدا لم يقدر حقائق الموقف .. ولا حقائق نوايا الرجل حق قدرها ..

وحتى الصحف العالمية ، بدأت تنشر النكت .. ومنها مانشرته النيوزويك نقلا عن السنة عربية .. بأن السادات رجل أسمر ، يجيد الخطابة ، ويحكم مصر بعد وفاة عبد الناصر .. وهواياته وقف اطلاق النار !

وقلت ان التحركات المضادة للنظام ، المشككة في قرارات أنور السادات بدأت تتحرك منذ ١٥ مايو .وبعد تصفية مراكز القوى والغاء التنظيمات السرية .. واحراق أشرطة التجسس..واغلاق المعتقلات .. واعلان سيادة القانون ..

وظهرت الاتجاهات في انتخابات النقابات المهنية والاتحاد الاشتراكي ومجلس الامة . وكان التكتيك هو الآتي :

١ ـ تصوير ١٥ مايو على أنه خطة مدبرة للقضاء على ثورة ٢٣ يوليو !

٢ ـ أن ماحدث في ١٥ مايو ليس ديمقراطية .. بل هو صراع سلطة .. والمطلوب . انقاذ الديمقراطية ..

٣ ـ أن أنور السادات يلجأ الى الحلول الاستسلامية .. ويخدع الجماهير بنداء الحرب ..

٤ ـ أن أنور السادات يصفي الاشتراكية ..

٥ ـ اين هي حرية الصحافة ..

وبدأت تجمعات الطلبة الأولى ، في كليات متفرقة . وانتشرت مجلات الحائط . وكان هناك تنسيق متكامل بين القائمين على الحركة في الكليات المختلفة .. وكان للقيادات الطلابية التي عرف عنها الاتجاه الماركسي اتصال مستمر بكتاب وصحفيين من نفس اللون السياسي ..

وقد نشرت في «الاخبار» وفي صفحة كاملة ، كل ما دار في الجامعة في اليوم الاول ـ للاضطرابات.. جميع البيانات .. التي صدرت عن الطلاب .. خطب قادتهم .. الرأي المعارض لهذه الجماعة كما عبر عن نفسه في بيانات أخرى ..

ورأت القيادات الماركسية للطلبة ، ان هذا النشر يهدم تماما دعواهم بأنه لا توجد حرية صحافة .. واذا بهم يعلقون لافتات في الصباح التالي على باب جامعة القاهرة .. وفي الميدان أمامه حتى باب كلية الهندسة .. لافتات كبيرة تقول انني كلب السلطة !

وعندما سمعت بهذا توجهت الى الجامعة فى الصباح ، ومعى زميلى حامد دنيا الخبير بشئون الطلبة والجامعة ..

ووجدت صحفيا ماركسيا أمام تجمع عند باب كلية الهندسة .. وصاح هذا الصحفى : هذا هو موسى صبرى .. اننى أريد أن أكشف لكم من هو ؟ ..

وتضاعف التجمع .. ورأيت باب الهندسة مغلقا ، وعليه حراس من قيادات الطلبة .. وطلبت أن أدخل ، وأن أجتمع بأى عدد من الطلبة لمناقشتهم .. ورفض الحراس .. وزاد تضاعف التجمع .. وبدأت نوايا الاعتداء على ..

وسألتهم : هل هذه هى الحرية ؟ ..

فاتهمونى بالعمالة للسلطة .. وتركت التجمع وانصرفت يحيط بى جمهور مستفز .

ولا أريد أن أطيل فى قصةهذه المظاهرات الاولى.. والاجتماعات والاعتصام فى صالة جامعة القاهرة .. وأكتفى بالقول أن الهدف كان هدم كل تنظيمات الاتحاد ، باعتبارها لا تمثل الطلبة ، وتكوين قيادات جديدة تمت تحت أى اسم فى كل كليات الجامعة .. السيطرة الماركسية الكاملة على الطلبة .. ثم الانتقال بهذا التكتيك الى محيط العمال .. وكل ذلك لهدم النظام .. والسيطرة عليه .

وطالبت المنشورات بابعادى عن الصحافة ..

وآلمنى كل الالم أنها طالبت كذلك بابعاد محمد حسنين هيكل .. أى أنهم وضعونا فى موضع واحد .. وهذا ليس بالصحيح .. اذ كان الهدف هو التحديد السليم للمواقف ..

وكانت القيادات الماركسية منظمة بحيث يحل محلها صف ثان .. وكان الاسلوب هو المعروف فى كتب التهييج الماركسية .. ايقاف الاتوبيسات والتحدث الى الناس فيها بأسلوب مثير كاذب عن اعتقالات وقمع وقتلى .. تكوين مجموعات صغيرة فى الميادين ، تخطب وتثير مناقشات محفوظة ، وتوزع منشورات مكتوبة بخط اليد ..

ثم نقل صورة هذه الاحاديث كاملة فى صحف بيروت.. بل طبعها بعد ذلك فى كتب أصدرتها دور نشر تصرف عليها منظمات ماركسية محلية وأجنبية ..

وانتهت حركة الطلبة .. وبدأت محاولة اعتصام فى دار نقابة الصحفيين ، من فنانين ، وانصاف مثقفين ماركسيين .. وفشلت

المهم ان الهدف كان ضرب النظام من الداخل .

وواجه أنور السادات الموقف بأسلوب ديمقراطى أيضا .. ودعا الى اجتماع لكل القيادات السياسية والمهنية والعمالية فى قصر عابدين .. وكانت بقايا تجمع المظاهرات لا تزال فى الميادين المؤدية الى قصر عابدين .. وقيل لانور السادات فى ذلك الصباح انه من الافضل أن يتم الاجتماع فى استراحة القناطر — وكان مقيما بها — بعيدا عن القاهرة .. حتى لايتعرض هذا الاجتماع لخطر الانقضاض عليه من المظاهرات التى لا تزال باقية فى الميادين ..

ورفض أنور السادات رفضا قاطعا .. وبغضب . وقال : لست أنا الذى أهرب من اى موقف .. اننى لا أعمل فى الظلام .. وسأواجه الشعب بكل الحقائق .. وأصر السادات أن يكون الاجتماع فى عابدين .. وتم الاجتماع فعلا .. وتحدث أنور السادات .. وكان غاضبا وصارح الشعب بالاتجاهات المختفية وراء قيادات هذه الحركة . وأكد طهارة غالبية الطلبة .. وأشفق فعلا على حيرتهم وتمزقهم بعد الهزيمة .. مما سهل استغلال مشاعرهم ..

وانتهت هذه المرحلة بقرار من السادات ، بالافراج عن الطلبة المعتقلين بأمر النيابة العامة .. وحفظ التحقيق ..

ولكن الدولة كانت على علم كامل .. بالجهات التى اختفت وراء تحركات بعض قيادات الطلبة ..

وتغاضى السادات عن ذلك كله .. فى سبيل الوحدة الوطنية لمواجهة المعركة .

ولكن قولى بأن قيادات حركة الطلاب كانت فى غالبيتها ماركسية .. وكان هدفها هز النظام .. لا يعنى أن عددا كبيرا من الطالبات

والطلبة لم يتأثروا بنداءاتهم .. الذى حدث .. ان الطلبة تأثروا فعلا .. وشاركوا فى التجمعات عن اقتناع برىء .. لان الاوضاع العامة فى البلاد فى ظاهرها ، كانت تدعوهم الى ذلك .. ولم يبذل التنظيم السياسى أى جهد فعال ، فى صفوف الجامعات ، لشرح حقائق الوضع السياسى ، واتاحة الفرصة للمناقشات العـــامة وتبادل الرأى .. ثم عندما حدثت الاصطدامات بين رجال الامن والطلبة .. كان من الطبيعى أن ينحاز الطالب الى زميله ..

ولكن ما جرى بصفة عامة ، كان نتيجة طبيعية لتمزق الهزيمة .. وللحرب النفسية الطاحنة التى صورت مصر فى موقف العاجز

ولم تتجاوب الجماهير العريضة مع مظاهرات الطلاب ..

وكان منطق المواطن العادى يردد : « ماذا يريدون ؟ .. وهـــل أنور السادات هو المسئول عن الهزيمة .. لقد تسلم الرجل تركة ثقيلة .. أعطوه الفرصة لكى يعمـــل . وهل يتردد الســـادات فى الحرب ، اذا وجد نفسه قادرا عليها ؟ » ..

وأذكر أننى اجتمعت مع عدد من قيادات الطلبة الماركسيين .. ومن يحملون شعار الناصرية .. ثلاثة اجتمـــاعات استمرت ٢٧ ساعة .. لمناقشة الحقائق معهم .. وناقشنا قضايا الحـــــرية والديمقراطية والحرب و ١٥ مايو والعـــلاقات مع السوفيت .. والمســـاعى الدبلوماسية .. والبنـــاء الاشتراكى .. الى آخر كل ما كانوا يثيرونه ..

وتأكدت .. واقتنعت .. أن هذه القيادات لا تريد أن تقتنع .. انها مصرة على رأى ، لا تريد أن تتزحزح عنه .. وهو تحدى هذا النظام ، والدعوة الى عدم الثقة بأنور السادات .

ثم جاءت حركة الطلبـــة الثـــانية ..
ولكن الظاهرة هنا تغيرت . وقد بدأ التغير فى ارتباط كامل واضح بين قيادات الطلبة الماركسيين والحاملين لشعار الناصرية .. وبين فريق يسارى من أعضاء مجلس النقابة .. ثم اتسعت لتصل الى عدد من الكتاب وعلى رأسهم توفيق الحكيم !

ورأيى مع كل الاحترام لتوفيق الحكيم .. أنه تصور أن النظام

يهتز .. وان هذه الموجة ستكتسح .. ورأى أن يركب الموجة .. اذ رئى له أن يركبها ..

واذا بنا نفاجأ بجمعية عامة لنقابة الصحفيين . تتحول كلها الى مناقشات تتهم النظام بالقمع والارهاب .. وتصدر بيانا كأنه انذار الى رئيس الجمهورية بالمطالبة بحرية الصحافة .. وتصدر بيانا يطالب بحماية حرية الصحافة الجامعية .. أى صحافة الحائط .. وكانت سطور مجلات الحائط فى بعض الكليات قد تجاوزت كل حدود الآداب العامة !

واذا بنا نفاجأ ببيان كتبه توفيق الحكيم (١) .. ووقع عليه عدد من الكتاب ، يقول أن المستقبل كئيب .. وأن حجة قرار المعركة تعلق عليها كل الاخطاء .. وأن البلاد متجهة الى كارثة .. وأن شبابنا ملقى به فى رمال الجبهة لينسى علمه !

وكل ذلك ينشر فى بيروت فى نفس اليوم .. وعلى أوسع نطاق .. وتحرك عدد كبير من الصحفيين والكتاب لتحدى هذه الأوضاع .. التى كانت تساندها قيادات صحيفة الاهرام ..

وعقد اجتماع فى منزل الفنان رخا . حضره يوسف السباعى وعبد الرحمن الشرقاوى ومحمد صبيح ومصطفى بهجت بدوى وحافظ محمود .. وكاتب هذه السطور .. وغيرهم وتم الاتفاق على أن يحضر الصحفيون اجتماع الجمعية العامة التالى لنقابة الصحفيين .. وأن تكون معركة حياة أو موت ، لكشف الاتجاه اليسارى وأهدافه .. ثم أصدرنا بيانا وطنيا يؤيد موقف الرئيس السادات ، الذى أعاد جميع الصحفيين المفصولين ، والذى أعلن فى اجتماع سابق مع أكثر من مائتى صحفى أنه يريد حرية الصحافة .. وان يؤلف مجلس أعلى للصحافة .. ثم يصدر الصحفيون ميثاق شرف .. والذى رفض أن يمنع صحفى واحد فى عهده من الامساك بالقلم ..

---

(١) طلب توفيق الحكيم مقابلة الرئيس فى يوليو ١٩٧٤ ، وقدم الى الرئيس بياناً جديداً موقعا عليه من نفس من وقعوا البيان السابق ، اكدوا فيه خطأ تقديرهم ، وثقتهم الكاملة فى قيادة الرئيس السادات .

ثم تدخل سيد مرعى أمين اللجنة المركزية فى نفس الليلة .. وعرض أن يعقد اجتماعا مشتركا للقيادات الصحفية مع مجلس النقابة .. وعقد الاجتماع وانتهينا الى اجراء بيان موحد .. يناقض كل ما جاء فى بيان مجلس النقابة السابق ..

ونشر البيان فى الصحف .. وكانت سطوره تأييدا صريحا واضحا لموقف الرئيس السادات وسياسته .

ولكن أعضاء مجلس النقابة اليساريين ، دعوا الى عقد اجتماع لمجلس النقابة بعد ذلك ، ضمنوا فيه الغالبية العددية ..وأصدروا بيانا يؤيد مظاهرات الطلبة ، ويتهم النظام باستخدام القمع .. واستقال عضوان من مجلس النقابة احتجاجا هما الفنان رخا وعثمان لطفى السكرتير العام المساعد لمؤسسة أخبار اليوم ..

ولم يقدر لحركة الطلبة أن تحقق أى هدف . وبدأت النيابة التحقيق .. وتبين أن الهدف المبيت لدى البعض .. كان اشعال حرائق فى الميادين .. وبث الفوضى .. وقلب النظام .

وظهرت مقالات فى الاهرام والجمهورية .. تؤيد تحركات الطلبة ولكن لم ينجح تكتيك انتشار الحركة فى النقابات المهنية الاخرى .. أو فى النقابات العمالية ..

ولا أريد أن أطيل فى سرد هذه الاحداث .. ولكننى أريد أن أصل الى اجتماع مغلق ، دعا اليه الرئيس أنور السادات أكثر من مائتى صحفى .. وعبر فيه عن مشاعره ازاء كل ماجرى .. بقوله : ((أنا حزين .. حزين)) .. ولم ينشر ما دار فى هذا الاجتماع .. وأعتقد أن المجال مناسب الآن لنشره ، ليتبين القارىء مدى المعاناة التى كان يقاسيها أنور السادات .. وهو يتابع الاستعداد العسكرى الصامت للقتال .. ثم تخرج هذه الاصوات ، لينتشر صداها فى البلاد العربية ، وفى صحافة العالم ، وتتهمه بأنه يسعى الى حلول استسلامية .. انهزامية !

قال أنور السادات فى هذا الاجتماع المغلق .. وكانت رنات صوته تعبر عن ألم مكتوم ..

ـ فى كل المراحل الاساسية ، دعوت رجال الصحافة لكى أوضح لهم كل حقائق الموقف ..

حدث هذا عندما انقطعت الاتصالات مع أمريكا . .وعندماصدر قرار الخبراء السوفيت .. وعندما اتخذنا قرارا في اللجنة المركزية والهيئة البرلمانية بمواصلة السير مع الاتحاد السوفيتي.. كانت الصحافة حاضرة في كل المواقف ، ولم تكن غائبة أبدا . وهذا يحدث لاول مرة في تاريخ عملنا السياسي ونضالنا . قبل هذا ، الاحزاب هي التي كانت تضع السياسة .. وصحافة الاحزاب تأخذ التعليمات من الاحزاب مباشرة ..

بعد الثورة .. هيكل المجتمع تغير .. أصبحت صحافة الشعب كله ..

وبعد هزيمة ٥ يونيو ، كان من الضروري في كل المواقف ، المشاركة في الرأي والتفسير .. لان معركتنا ليست معركة هيئة بذاتها أو فرد بذاته أو تنظيم بذاته .. المعركة معركة

وعندما ضربت اسرائيل العمق .. كان الشعب كله معرضا للضرب .. ولو قدر للمخطط الاسرائيلي في عام ١٩٧٠ أن ينفذ كما كان مقرا له في ٦ أشهر .. كانت اسرائيل تريد ضرب كل مرفق من مرافق بلدنا .. وكان الشعب كله سيتعرض في مختلف أماكن عمله .. للضرب .. اذن هي معركة الشعب . . ومن المنطق والمعقول والضروري أن يعيش الكل هذه المعركة في أبعادها كاملة، مرحلة ، مرحلة ..

اليوم وأنا اجتمع بكم ، اكمل نفس المبدأ الذي سرت عليه . حتى نكون جميعا على علم ومتابعين لما يتم ويحدث .

اليوم يختلف الامر عن المرات السابقة .. في أكتوبر ٧١ ومابعدها .. وفي أكتوبر ٧٢ .. والاجتماعات الاخرى .. كنت أضع امامكم الصورة عن آخر تطورات تتم في المرحلة . اليوم الامر يختلف أريد الى جانب وضع آخر تطورات هذه المرحلة .. أريد اضافة شيء آخر .. لوم وعتاب لماذا ؟ .. لان أحداثا وقعت في بلدنا .. واريد ان اتساءل عن دور الصحافة . ومن هنا يأتي لومي وعتابي، خاصة انه تربطني بأكثر الموجودين علاقة زماله صحفية ، واعرف ما هو العمل الصحفي .. وما هي أبعاده .. بالنسبة للمرحلة الجديدة في نضالنا أقول ليس أمامنا الا أن نحمل السلاح . ولن

نكون أذلاء .. ولن نتحول فى بلادنا الى لاجئين . هذا أمر لا جدال فيه ولا مناقشة . قرار المعـــركة نهائى .. التوقيت فقط هو البـــاقى .

ومن السخافة ـ وأنا أحدثكم كزميل لكم ـ أن يكتب بعض الكتاب بيانا يعبر عن الحقد والروح الانهزامية .

كيف نتخلف عن المعركة ؟ ..

يصدر عن البعض منا ، أن الوضع غامض . ايه الغموض اللى فى الوضـــع ؟ ..

اننى أعذر غالبية الطلبة .. القاعدة الاساسية من الطلبة أكثر من ٩٥٪ منهم منتظمون فى الدراسة الى يومنا هذا .. وأنا أقدر أن شبابنا مبلبل ويعيش فى فراغ . أما ان يقول كتاب وصحفيون ، ان الوضع غامض .. فهذا هو غـــير المقبول ، الا اذا كانت نفس الصحفى ملتوية ..

تسليم .. لا .
عن نفسى أرفض .. أنا لا أصلح للتسليم ..

ما هو هذا الغموض ، الا اذا كان الكاتب أو الصحفى يريد أن يفرض نفسه رئيسا للجمهورية . أو قائدا عسكريا .. ويضع لنا خطـــة ؟ ..

من الممكن ان يكون الغموض فى جزئية .. ولكن ليس فى صلب المعركة .. أو صلب الهدف الاساسى .

لقد أوضحت كل شىء أمام مجلس الشعب فى أفتتاح المجلس فى ١٥ أكتوبر .. ثم فى ديسمبر .. ما معنى الغموض عند صحفى .. علشان بيتفلسف ويقول الحلول التصفوية والاستسلامية .. قبل هذه التعابير كنا بخير .. كانت صحافتنا وأنا شاب فى السجن ، تدعو الى بناء الفرد .. وتحفزه أن يكون فى ذاته قوة لا تقهر .. ولكننا أصبحنا الان نمشى فى التعابير اياها ! ..

انعكست هذه العملية فى الشهور الاربعة الماضية .. انعكست على المجتمع .. وعلى الطلبة الطيبين الطاهرين .. لان الصحافة لم تقم بدورها ، الى جانب وسائل الاعلام أيضا ..

فى الاشهر الاربعــة الماضية .. أول ما قال ذلك الفريق من الطلبــة .. لا توجد الان ديمقراطية !! .. اسلوب الدولة الآن هو اسلوب القهر ..

بعد الدستور الدائم .. وبعد صدور القوانين المكملة للدستور . وبعد قفل المعتقلات .. وليس فى مصر اليوم معتقل واحد .

بعد هذا كله .. لم أقرأ فى الصحف الا مقالات معدودة على الصوابع .. عن الديمقراطية .. أما الذين يكتبون البيانات لنشرها فى بيروت .. فلم يكلف أحد نفسه .. ليعبر عن الحقيقة .

لقد كنت طالبا .. وكانت الاحـــزاب تستقطب الطلاب .. ليضاربوا لحساب الاحــزاب .. وليستخدموهم كمادة متفجرة لصالح الاحزاب .. ولكن المجتمع الان تغير .. ولكن يجرى فى محيط الطلبــة نفس الشيء .. بدل حــزب الوفــد . بقى فيــه الماركسيون والباقى اخوان ..

أين اذن الحركة الطلابية وأهدافها فى بناء مجتمع الثورة ؟ .. وهذا لا يسرى على الطلبة فقط . أعذرونى لاننى أتكلم بصراحة مطلقة هذا الكلام فى الصحافة أيضا .

الصحافة لم تتطور بعد الثورة .. حلت على الصحافة موضــة جديدة ، هى المناقشات الايديولوجية والمباريات على من يكتب التعابير (التخينة) لكى يكون مثقفا !
ابتدات حركة الطلبة بشعار انه لا توجد ديمقراطية فى البلاد .. دولة قمع .. دولة بوليسية ..

هل تقرون هذا ؟ .. هل نحن فعلا فى دولة قمع ؟ .

ان الذين قبض عليهم من الطلبة ، فى مخطط جنائى ، وفى ظروف استثنائية ، مقبوض عليهم بنص القانون العام ، لا بسلطة الطوارىء .

ان الاشهر الاربعــة الماضــية ، تميزت بنوع من التسيب السياسى .

فى الجامعة قامت عناصر ضئيلة جدا ، فى اكتوبر تحت شعار الارهاب والحلول الانهزامية .. والاستسلام والحكم صفته كذا .. وصفته كذا .. وتدرجت فى التصاعد حتى الشهر الاخير ..

وهنا شيء اساسي يجب أن أوجه فيه اللوم للكتاب والصحفيين.. هو موقف الصحافة ..

كما قلت وأعلنت مرارا ، انني أطبق فعليا لاشعاريا .. دولة المؤسسات وكما قلت أمام مجلس الشعب .. بعد عبد الناصر شعرنا بفراغ كبير . مؤسساتنا لم تكن لها الفعالية .. الشعب يملأ الفراغ بعد موت عبد الناصر ، بأسلوب شرعي هو أن نوجد المؤسسات الدستورية والسياسية التى تتحمل التبعات . ولن أتراجع فى قيام دولة المؤسسات ، وتدعيمها كاملة .. ومن خلال المؤسسات تجرى الممارسة الديمقراطية . فى كل نقابة مجلس ادارة . يجتمع ويقول رأيه ويبلغ الرأى للاتحاد الاشتراكى . . تجرى مناقشة .. ممارسة ديمقراطية .. تنتهى الى رأى .

لا يمكن أن أى هيئة تفرض رأيها على الدولة .. ولا يمكن أن اضع فريقا فوق سيادة القانون .. وفوق الممارسة الديمقراطية ..

وواجب الصحافة تعميق مفهوم ممارسة الديمقراطية ، فى ظل المؤسسات وسيادة القانون .

لقد تجاوزنا مرحلة الطفولة .. مرحلة ضرب وحرق الترام والاوتوبيس فى الشارع .. تجاوزنا الى دولة محترمة ونظام محترم ..

بيقولوا .. أن فيه حلول تصفوية .. طيب .. والذى يقول هذا عليه ان يذهب الى مجلس الشعب .. ويطلب عقد لجان استماع .. يدعى اليها المسئولون .. تجرى المناقشات .. أنا الذى وضعت النص فى لائحة البرلمان ، على جلسات الاستماع عندما كنت رئيسا للمجلس ..

أما ان يجتمع ٥ أو ٦ أشخاص ، ليقولوا أن الموقف خطير والبلد راحت وينشروا بيانات واشاعات .. فهذه ليست ممارسة ديمقراطية .

وانني اتساءل : كيف يمكن أن يتم حل تصفوى كما يقولون من وراء ظهر الشعب ؟

هذا أفتراء ..

هذه كلمات حق يراد بها باطل .

لكل مواطن الحق أن يبدى رأيه ، وان يشترك فى اعداد قرار مصـــير بلده .. لكن عن طريق المؤسسات الدستورية وبالاسلوب الديمقراطى وليس بأسلوب الضرب بالطوب .

يقولون دولة قمع ؟ .. نسوا تماما سيادة القانون .. نسيها الصـحفيون أيضـا ! ..

لقد عانينا كثيرا عندما افتقدنا سيادة القانون ، وأكثر ما عانينا منه هو الامن الشخصى للانسان .. ان سيادة القانون تضىء أول ما تضىء كرامة الفرد ، وليس لاى سلطة تصرف قبل أى مواطن، الا بالقانون ، والقانون واضح ومحدد وليس مجهولا .

الموقف الحالى هو اعداد عســكرى بكل ما نملك من امكانيــات لانجاز معركة . ولن نحرر الارض بغير معركة .. هذه حقيقة .. ثم عمل دبلوماسى مكثف لخدمة الخط الاول .

والعمل الدبلوماسى فى علم السياسة وعلم الحرب .. يستمر قبل المعركة وأثناءها ، وبعدها . لا يتوقف ..

عملية التشنج الدبلوماسى . .هذه جهالة وطفولة سياسية .

حافظ اسماعيل زار موسكو ، ولندن وواشنطون .. وسيزور برانت ثم فرنسا .. بجوار هذا تحرك عربى فى غرب أوربا .. فى العالم الثالث .. فى افريقيا بالذات .. وكل هذا يسير طبقا لخطة موضوعة ..

هذا خط .. يسير الى جوار الخط الاساسى ، وهو الاعداد العسكرى للمعركة . الاجتماعات العسكرية لا نعلن عن بعضها . وأصرح لكم اليوم بكل تقـــدير للمسئولية ، ان قواتكم المسلحة أوشكت أن تضع اللمسات الاخيرة لما ستؤديه ..

وسط هذه الحمى من الاشاعات والبلبلة والتحركات المشبوهة .. لم نضيع ثانية واحدة . كل شىء ماشى ، وعلى أحدث ما فى العصر من تخطيط عسكرى ، وما هو متاح لدينا من امكانيات تحت أيدينا .. لا على أسس أسلحة لم تصل بعد .

والمؤسف أن بعض الاصوات تشكك فى رحلة حافظ اسماعيل الى واشنطن ولقـائه بنيكسون . يقولون انه ذهب ليعـرض الاستسلام !! وهذا غريب جدا .

حافظ اسماعيل سافر ومعه خطابات مكتوبة منى ، الى قادة العالم كله .. اننى أضعهم أمـام مسئولياتهم ، وأحـذر من أن الموقف قد أصبح على وشك الانفجار .. وهذا لكى أبرىء ذمتى أمام التاريخ ..

ومع ذلك أجد أفرادا فى مجلس نقابة الصحفيين .. معروفة اتجاهاتهم .. يستخدمون أسلوب الطفولة السياسية .. خدوا قرارات .. ابعت انذار للدولة ..

سبحان الله .. اننى أرفض انـذارات من أمريكا وأى دولة كبرى .. وييجى أفراد فى نقابة الصحفيين يعطونى انذارات !

هذا استثمار للجرح ، بكلام ملتو .. هـذه أقلام لا تحكمها المعركة ، ولكن تحكمها أحقاد وانفعالات . اننا نريد أن نعمل بروح العائلة . مصر كلها يجب أن تكون أسرة واحدة بتقاليد القرية .. تعرف الحدود .. وتبـدى المصلحة العليـا فوق كل شىء ..

بلاش استغلال شعار حرية الصحافة .. وكأننا مكممين الافواه منـذ ١٥ مايو ؟ ..

هذا شىء مؤسف ومخجل .. وخاصة ما قيل عن حـرية الصحافة الجامعية . وكلكم قرأتم صحف الحائط وما فيها .. كل انسان تقزز من قراءة ما فيها ولكن مجلس نقابة الصحفيين الاجلاء .. يطالب بحرية الصحافة الجامعية .. ثم يدعى بعـد ذلك أن هذه العبارة دست على قراره !

واجب الصحافة والكتاب يا زملائى فى هذه الظروف المصيرية التى نعيشها .. هو دعوة الأمل .. ودعـوة الصمود .. دعم الجبهة الداخليـة .. وتقويم كل انحراف .. مش ٦ منحرفين يقودوا نقابة بحالها .. ويصدر القرار باسم صحفيين مصر .. ليذاع فى بيروت فى نفس اليوم !

وعندما نشر هذا البيــان فى بيروت جزنت من كل قلبى .. لانه يشوه صورة مصر ! ..

مهما حصل فى داخلنا .. فيجب الا ننسى أننا هنـــا فى مصر العظيمة . كل سياسى عربى يجىء لى مخلوع القلب . . أيه الحكاية .. بيان الطلبة .. بيان نقابة الصحفيين .. بيـــان الكتـــاب .

أزعل .. واتجرح .. والا ... لأ ؟

فى الداخل أنا عارف أنها زوبعة فى فنجان . ولن تؤثر فى قرار الشعب بالمعركة .. لكن فى الخارج .. سمعتنا .. سمعة مصر .

ويؤسفنى أن أقرر ان صحفيين أجانب كتبوا بناء على معلومات كاذبة من صحفيين مصريين أنا أعرفهم بالاسم .. انه حـــدثت انقلابات عسكرية بعد خروج الفريق صادق .. ليس عندى شىء أخبئـــه ..

وليس عندى ما أخشى منه أبدا ..

كل من يعملون فى الظلام مشدودون من الخلف .. ويتصورون انهم يستطيعون الوصول الى شىء ..

ثم انتقل الرئيس فى حديثه الى بيان الكتـــاب الذى كتبه توفيق الحكيم .. وتلاه .. وعلق عليـــه بسخرية لاذاعة .. ثم قال :

البيان يقول ان الشعب يغلى ! وان الكتـــاب مسئوليتهم أن يستشفوا الضمائر .. هل استشفوا الضمائر فعلا ؟

الشعب .. قاعدته العريضة فاهم وعنده وعى .. ولا يحتاج الى هذا الاستشفاف .. اننى اتألم عندما اقرأ هذا الكلام .. لاننى كاتب احترم القلم .. واعز ما أحرص عليه فى حياتى .. واروع ما أحرص عليه هو القلم .. واليوم الذى كنت أكتب فيه مقالا صغيرا فى (الجمهورية) أو تعليقا أرضى عنه .. كان أسعد أيام حياتى .. واليوم الذى استطيع ان اتفرغ فيه لكى أكتب شيئا أرضى عنه ، يساوى عندى كل شىء فى الوجود ..

المكتوب امامى فى هذا البيان هو جسر للحقد والانهزامية .. ولذلك أنا حزين .. حزين ..

علما اننى نبهت .. أياكم وإن يحتل اليهود جزءا من عقولنا كما احتلوا جزءا من ارضنا ..

لسنا أول شعب واجه هزيمة ..

ولم يطلع حبر أسود بانهزامية بهذا الشكل ، فى كل الدول التى لحقت بها هزائم .. مواقف تشرشل معروفة .

والاسوا من هذا ان البيان يحمل تحريضا لابنائنا الجامعيين فى القــوات المسلحة الذين يقفون مستعدين للمعركة فى جبهـــة القتـــال ..

البيان يقول (الشباب لايرى أمامه الا المستقبل الكئيب) !
المستقبل أيها الزملاء لا يكون كئيبا الا اذا كانت نفوسنا مريضة كئيبـــة .

هل قالت هــذا روسيا بعد دخـــول المانيا .. وانهاك قواها العسكرية والصناعية والزراعية .. هل قال كتابها أن الغد كئيب ؟

هل يقال ـ بيان لكتاب مصريين فى هذه المرحلة « ان شـــهادة خريج الجامعة أصبحت وسيلة للقذف به فى رمال الجبهة .. وهذا هو الضياع » .

هل هذا هو الصمود ؟ .. هل هذا هو الامل ؟ ..

الكاتب .. الفنان .. موجه الاجيال .. يرسم هذه الصورة ؟!
الشباب الذى فى الجبهـــة يعرف الحقيقة .. وينتظـــر ســـاعة

الصفر بقوة وارادة وثبات .. ليحقق غد الانتصار ..

اما فريق من كتاب مصر .. فانه يتحدث عن الغد الكئيب .. وبعد ساعة ينشر هذا فى صحف بيروت لتشويه سمعة مصر ..

أصوات كانت فى الجحور بدأت تقول ان مصر فقدت زعامتهـــا ومكانتهـــا ..

شبابنا تحركه مجموعة ملتوية معروفة باللون والهدف ..

هل هذا ضمير مصر ؟ ..

هل ضمير مصر هو اليأس ؟ ..

القلم مسئولية وشرف .. أين مصر فى كل سطر وفى كل رأى وفى كل تصرف ؟ ..

هذا هو السؤال . أين ملكات مصر ومقوماتها .. التى صنعت التاريخ بأصالة وصلابة ؟ ..

لا .. لن أسمح أبدا .. أن يكون القلم سبيلا الى الانهزامية أو اليأس أو بث مثل هذه السموم .

هذا سم وتخريب فى الجبهة الداخلية ..

ولو دفعت اسرائيل ملايين الجنيهات لما استطاعت أن تصل الى

اكثر من هذا الذى نشر بأقلام مصرية ..

اننى حزين .. حزين ..

وحزنت بالذات من أجل توفيق الحكيم . انه يشكل جزءا من عاطفتى . لقد قرأت له وأنا فى السجن ((عصفور من الشرق)) باللغتين العربية والفرنسية . قرأت هذه العبارة « الامم العظيمة لا تبنيها الا الآلام العظيمة » ..

هذا هو توفيق الحكيم .. وليس هو الذى يكتب بيانا عن الغد الكئيب .

كيف لم يفكر فى كلماته السابقة .. ان ما ينطبق على الامم .. ينطبق على الفرد .. لايوجد فرد لهقيمة الا ومارس آلاما عظيمة هى التى بنته ..

الملعقة الذهبية لا تصنع الرجال ..

الآلام هى التى تبنى الافراد والامم ..

قلت للدكتور حاتم .. هات لى الرجل الطيب ده توفيق الحكيم لاننى عاطفيا متأثر به ..

والطريف أن توفيق الحكيم قال لحاتم .. « أنا كنت بسهل العملية علشان يفاوض اسرائيل » ! .

لا .. يا أستاذ توفيق ..

هذه فلسفة عمر الخيام التى اخترتها فى أحد مؤلفاتك لتعبر عن ذاتك .. ((اذا أردت أن تسلك طريق السلام الدائم ، فابتسم للقدر اذا بطش بك ولا تبطش بأحد » ..

هذه الفلسفة لا تصلح مع اسرائيل ..

هذا يعنى التسليم لاسرائيل ..

وليس هذا هو استشفاف ضمير الشعب ..

اذا كان من رأيه أن نفاوض اسرائيل ونحن فى موقف الضعف .. فليكن شجاعا وليكتب .. ياشعب يامصرى .. أنا حاسس أن ضميرك يريد الاستسلام ..

ولكن لماذا نلف وندور ونسود الصفحات .. ونسود تاريخنا .. وتاريخ كتابنا فى لحظة حالكة ..

وبكل أسف .. لقد سجل هذا الموقف على كتاب مصر .. سجل التاريخ أنه خرج فى هذه المرحلة من كتاب مصر من يصف المستقبل بأنه أسود وكئيب .. ويدعو الى الهزيمة والاستسلام ..

انني حزين .. حزين أننا فى الايام الحاسمة .. ويسجل هذا كتاب مصر ..

مصر التى كانت قائدة عبر التاريخ وستظل قائدة الى يوم الدين .. كنت فاهم أن فيه حصانه هنا .. من تراب مصر . من طينها الاصيل .

طلع .. لا . لما زهق بعض الكتاب .. نسيوا التزامهم .
أننى حزين .. حزين ..

المفروض أن يخرج كل كاتب أبدع ماعنده فى هذه الايام .. من موهبة وفن .. ليقضي على روح الهزيمة . ليبدد كل ظلام وغيوم .. ليحول اليأس والقنوط الى آمال مشرقة . رحبة . مضيئة .

لا .. أن نقول لشبابنا فى جبهة القتال .. أنكم ذهبتم لتضيعوا علمكم .

الأمريكى .. الفرنسى .. الأوربى . يفخر بشهادة العسكرية . يعلقها فى منزله . ومن لم يدخل الخدمة العسكرية يكون خجلا ، لأن كل جيرانه يعرفون أنه هرب من الخدمة ..

هل هذا هو الفكر الحر ؟ .. هل هذا هو فكر كتاب مصر ؟ !.
أين دور المسرح فى تخليد معارك بطولاتنا مع التتار .. مع الصليبيين .. أين دور الفن الذى يصل الى وجدان الانسان .. فى الحرب العالمية الثانية . سخرت كل المواهب من أجل الهاب المقاومة الوطنية .. أين نحن من كل هذا ؟ ..

أيام حرب الاستنزاف وكان العدو يغير علينا يوميا بطلعات تصل الى ٨٠ طلعة فى اليوم .. حكيت لكم من قبل فى اجتماع عابدين ، عن الجندى المصرى الذى انصهر جسده مع المدفع ، من كثرة ماضرب .. ورفض أن يترك سلاحة حتى احترق معه ..

وهذه هى روح مصر ..
الا توجد حرية صحافة فى البلد .. لأن البعض لايستطيع أن ينشر السخافات الايديولوجيه التى لامكان لها عندنا ؟ ..

لا .. المعركة ليست ايديولوجية ولا كلام ..
المعركة أرض يجب أن تحرر .

ثم طلع علينا من يريدون القميص الجديد .. قميص عبدالناصر بدلا من قميص عثمان ..

الماركسيون يرتدون الآن قميص عبد الناصر .. حتى مع القذافى .. ٢٧ صحفيا مصريا ذهبوا للعمل فى صحف ليبيا .. كلهم ماركسيون .. وهم يرتدون الآن قميص عبد الناصر .. والهتافات التى ترددت فى بنى غازى ، هى نفس الهتافات التى ترددت فى جامعة القاهرة .. « لا اله الا الله . السادات عدو الله » هذه معارك جانبية .. تشغلنا عن الهدف الاول .. هدف التحرير .. ودعونا من التشكيك .. لقد خرج التشكيك عن بعض دور الصحف (كان يقصد الاهرام) .

والتحركات التى بدأت كان هدفها حرق القاهرة ، فى جميع الميادين ، فى وقت واحد .. ياسر عرفات قال لى أن كل صحفى مصرى قابله ، ردد له ما يذاع فى راديو لندن وصحف بيروت ..
ويؤسفنى أن أقول أن هذا دور سىء ..

وأنا أذكر طبعا الأقلام التى كتبت بواعز من الضمير الوطنى ..

أما الباقون .. فقد اتخذوا موقفا سلبيا .. هو الانتظار .. مين عارف .. يمكن النظام يتقلب . وآخرون تعاطفوا — من تحت لتحت — مع هذه التحركات ..

الصـورة واضحة ..

الديمقراطية مستمرة .. لا عدول عن سيادة القانون ودولة المؤسسات .. مصيرنا أبيض .. مستقبلنا هو المعركة والانتصار .. حاضرنا هو الاصرار والصمود والأمل والارادة ..

وكما قال توفيق الحكيم .. الآلام العظيمة تبنى الآمال العظيمة . والألم هو المعاناة وليس اليأس .. ولبس السواد ..

ثم قال الرئيس :

لعلنى انفعلت . ولكننى الآن فى قمة الراحة ، لأننى صارحتكم بحقيقة ما أشعر به كزملاء . وقد انتهى الأمر من نفسى تماما ..

وأرجو أن تكونوا واثقين .. أننى رأيت أن أضعكم فى الصورة معى كزملاء .. لا كرئيس دولة . فتحت لكم كوامن نفسى كما هى ، بدون كلام منمق أو عبارات منتقاه ..
أفرغت الشحـــنة !

وبعد .. هذا جانب من المعـاناة الداخليـة التى واجهها أنور السادات .. ومع ذلك كان يعمل ليل نهار مع قيادات الجيش ، للاستعداد للمعركة .. بالامكانيات المتاحة ..

وكان هذا بعض الشوك فى الطريق الى ٦ أكتوبر ..
ولكنه ليس الشوك كله ..
لقد جاءت أشواك أخرى .. من ليبيا ..

الفصل التاسع

الشكوك .. والخوف
من معركة خاسرة

***« الحرب النفسية للاعداء أثرت على بعض النفوس . زادت شكوك العالم العربى بأن مصر لن تحارب .. بدأت التساؤلات .. هل نستطيع أن نضمن الانتصار .. هل يمكن أن ندخل معركة « كسبانة » مائة فى المائة ؟ .. وكيف نقاوم التفوق التكنولوجى لاسرائيل .. أنور السادات يواجه كل هذه التساؤلات فى نفوس الجماهير ، ويعقد اجتماعا خاصا مغلقا لاعضاء مجلس الشعب ، ليؤكد لهم أن الحرب حتمية .. كيف ؟ .. ولماذا ؟ » ..**

فى السادس من مارس ١٩٧٣ ، قرر أنور السادات أن يتولى رياسة الوزارة .

وكان هذا القرار مفاجأة . وكانت الانباء قد تسربت الى دور الصحف والمواقع السياسية ان أنور السادات يفكر فى وزارة جديدة ، تواجه مرحلة القتال . وتردد انه كلف حافظ اسماعيل مستشاره للأمن القومى بتأليف الوزارة . وفعلا بدأ حافظ اسماعيل فى اختيار أسماء الوزارة . ولكن هذا لم يستمر لاكثر من يوم . وتردد أنه طلب من وزير الحربية أحمد اسماعيل أن يرأس الوزارة .. وقيل أن الرجل اعتذر ، وقال للرئيس أننى أصلح للحرب .. ولكن ليست لدى صلاحيات رئيس وزراء ..

ثم عرف أن أنور السادات هو الذى سيراس الوزارة . وقد قوبل هذا القرار من المتصلين بالرئيس ، باعتراض شديد . وقال المخلصون انهم يفضلون لانور السادات أن يبقى الحكم الأعلى بين السلطات . ولكن توليه رياسة الوزارة ، سيجعل النقد الموجه الى أخطاء الوزارة ، موجها الى شخصه .

أما المتربصون بأنور السادات ، فقد أخذوا يشيعون ان الرجل يتولى كل السلطات خطوة .. خطوة ، لانه يريد أن يكون الحاكم المطلق !.. ولكن الرجل اختار قدره ، لانه كان الوحيد الذى يعرف أن قرار القتال يقترب كثيرا . ولا بد من ضمان لسير شئون الدولة والحكم والمعركة .. ولن يتيسر ذلك الا اذا كان هو على رأس الجهاز التنفيذى .

وكان الوضع القائم بين الوزارة برياسة الدكتور عزيز صدقى . والاتحاد الاشتراكى بقيادة المهندس سيد مرعى .. قد وصل الى درجة من السوء فى العلاقات بين الجهاز التنفيذى والجهاز السياسى ، بحيث لا يمكن اصلاحها الا بتخلى واحد منهما . وفشلت محاولات التوفيق بين الاثنين . وكان كل اجتماع يحضره الاثنان مع الرئيس ، يتحول الى عرض للخلافات بينهما . كان كان سيد مرعى يقول أن الحكومة تتخذ قرارات ، لا يعلم الاتحاد الاشتراكى عنها شيئا ، ومع ذلك فالمطلوب من الاتحاد الاشتراكى

أن يدافع عن هذه القرارات أمام الجماهير .. وكان الدكتور عزيز صدقى يرى أن الوزارة جهازتنفيذى مسئول أمام البرلمان. ومادام يواجه المسئولية الدستورية ، فان اتخاذ القرار هو من شأنه لا من شأن التنظيم السياسى. وعندما كانت الحكومة تتعرض لاية مساءلة محرجة من اعضاء مجلس الشعب ، كان رئيس الوزراء فى يقينه ، ان هذه مناورة يختفى وراءها سيد مرعى. وحتى عند مواجهة أحداث الطلبة .. كان الطرفان يتصرفان فى شبه انفصال كامل .. وذلك أتاح الفرصة لقيادات الطلبة أن تردد دائما ، أنهم لا يعرفون من يصدقون .. الحكومة .. أم الاتحاد الاشتراكى ؟ وكان الرئيس انور السادات يعتز بالاثنين . وعندما تولى رياسة الجمهورية كان يردد باستمرار .. أن لدينا (اثنين عتاولة) .. فى الصناعة عزيز صدقى . وفى الزراعة سيد مرعى .

ولكن الخلافات بينهما لها جذور طويلة ، قبل وفاة عبد الناصر .. وبعدها .

هذا الوضع أثر على معنويات الجماهير .

بل زاد شكوكها .. فى جدية الاستعداد للقتال .

وتضاعفت هذه الشكوك بمظاهر عديدة .. كان أبرزها عندما تعرضت القاهرة لامطار غزيرة .. وخرجت الصحف بعناوين (القاهرة تغرق فى شبر ماء) .. فاذا كان هذا هو الاستعداد لمواجهة المطر .. فكيف يكون الاستعداد لمواجهة حرب يقول الرئيس السادات ليل نهار انها ستصل الى كل مدينة وقرية ومصنع !..

وبدأت الاشاعات تروج عن أجهزة الدفاع المدنى .. وكان يقال أن سيارات الاطفاء التى ستخدم فى تجارب الغارات .. هى بعينها التى تستخدم فى كل محافظة فى هذه الحفلات الاستعراضية ، التى يقصد بها طمأنة الجماهير فقط ! .. بل ان بعضهم تطوع باعطاء أرقام هذه السيارات التى تنتقل من محافظة الى محافظة !

وتطور الامر فعلا الى شكوك فى كل شىء .. فى كل قرار .. فى كل كلمة .

ومن أجل هذا كان لابد ان يتقدم السادات لتحمل المسئولية كاملة . واختار للمرحلة اسم (المواجهة الشاملة) .

وقد عبر انور السادات في اجتماع مغلق مشترك للجنة المركزية ومجلس الشعب فى ٦ مارس ١٩٧٣ .. عن دواعية لاتخاذ قراره ..

فقال : لم تتحقق آمالي بالقدر الذى كنت أريده لقيام دولة المؤسسات .. وسبب ذلك :

* بعض أوضاع وحساسيات قديمة فرضت نفسها على الظروف الجديدة .

* بعض القوى لم تعرف دورها فى الممارسة الجديدة .

* قواعد الممارسة نفسها أصبحت محفوفة بالمخاطر .

* الممارسة فهمت خطأ فى سيادة القانون ودولة المؤسسات.

ثم قال : الناس تتكلم عن صراع بين الحكومة والاتحاد الاشتراكى . أصبحنا دولة متناقضات لا دولة مؤسسات .. ولا يمكن ان تنتظر المعركة لكى نرتب انفسنا . المعركة ملحة . ولا يمكن تأجيل شيء عن شيء . ونتيجة التضارب والصراعات بدات تخرج من دولتنا أسباب البلبلة . وانعكست على العالم. شوهنا صورتنا بدون داع . شوهنا سمعة مصر . والموقف لا يحتمل أن نمر فى مراحل بلبلة نحن الذين نصنعها ! .. ونتيجة لهذا ، حدث نوع من التسيب فى البلد . تشكيك فى كل شيء . الدولة ليس بها خطة . الحملات نزلت الى الاشخاص . بدات قوى لها مصالح تتحرك . وبدانا نقرا فى المنشورات الماركسية (لابد من العنف أمام السلطة المرتعشة) !

ولخص الرئيس متطلبات الموقف فيما يلى :

١ ـ معركة المواجهة أصبحت حتمية . اذن فلندخلها كما يجب أن ندخلها .

٢ ـ فى الموقف الداخلى .. لا سبيل أمامنا لتأخير المعركة ، على حساب ترتيب أوضاعنا فى الداخل .. ولا سبيل الى تأخير أوضاع الداخل على حساب المعركة .

٣ ـ لابد من توزيع أعباء المعـــركة توزيعا عادلا على كل انسان . كل من عنده أكثر يجب أن تكون تضحيته أكثر .

٤ ـ لابد أن نقول للعالم أن لنا قضية . يجب أن نحـــرك الموقف عسكريا بكل ما يقتضيه من تضحيات . يجب أن يعرف العالم اننا نستطيع أن نملى أرادتنا ، ونستطيع أن نتحدى عدونا ، ولكى يشعر العالم بنا لابد أن تدب فينا الحياة أولا . يجب أن أقول للعالم .. أنا حى .

وعرض الرئيس للموقف العـــربى والدولى بما أوجـــزه فيما يلى :

الموقف العـــربى

* هناك سلبيات كثيرة للاسف . ولكن الايجابيـــات بدات تؤتى فعلا ثمارا للمعركة ، وهذا من نتائج الاتصالات الثنائية . الثنائيـــة .

* الحملة النفسية للاعداء بالغة العنف . نشأت فجوة تصديق بين الدولة العربية . لا أحد يصدق عربيا أننا سندخل معركة .

* من الخير ان تستمر الاتصالات الثنائية العربية ، فى جـو من الكتمان لا يعرف عنه العدو شيئاً .

* سوريا تواجه الموقف معنا ..

الموقف السوفيتى :

اتصالات تجرى لوضع علاقاتنا فى اطار الصحيح ، وعلى خطها المستقيم .

مباحثات أجراها حافظ اسماعيل وأحمـــد اسماعيل مع زعماء الاتحاد السوفيتى .

الموقف الامريكى :

* علينا أن نقدم تنازلات لكى يمكن أن تتحرك القضية .. تنازلات فى أشكال متعددة ومعلنة .

* أمريكا تقول انهـــا لا تستطيع ولا تملك الضـــغط على اسرائيـــل .

* كلمة ايجابية واحدة فى لقاء نيكسون مع حافظ اسماعيل، قالها الرئيس الامريكى وهى : كيف يمكن أن نوفق بين السيادة المصرية على الارض المصرية ، ومقتضيات الامن الاسرائيلى ؟ ..

* ايبان يؤكد التنسيق الامريكى الكامل . ويعلن ان صفقة الفانتوم الجديدة لاسرائيل ، قد نشرت عمدا ، لردع العرب ..

* موقفنا من كل هذا ، أن أعطاء اسرائيل أى حق على ارضنا ، تحت أى صورة من الصور ، وتحت غلاف السيادة ، مرفوض تماما . وعلى أمريكا أن تتحمل المسئولية بالكامل . وصفقة الفانتوم الجديدة تشكل موقفا من أشد المواقف خطورة، وستحس به أمريكا بعد ذلك .

وقال الرئيس أن رسائله الى زعماء العالم ، كانت بهدف أن نطلع العالم كله أن الوضع أصبح متفجرا ، وأنه قابل للانفجار فى أية لحظة . ونص كلماتى فى رسائلى :

ــ الموقف على وشك الانفجار .

ــ على كل أن يتحمل مسئوليته على المستوى العالمى .

ــ القضية لم تعد تحتمل أكثر مما تحتمل .

وختم السادات كلماته فى هذا الاجتماع المغلق بقوله : من اجل هذا ، وخلافا لكل ما أتمناه ، وصلت الى قرار أن أتحمل قدرى بنفسى فى هذه المرحلة . وأطلب من كل واحد منكم أن يتحمل أيضا قدره بنفسه ويده . هناك لحظات فى التاريخ، يجب أن يتقدم فيها الانسان ليتحمل قدره ، وليفعل القدر ما يريد . وليس عندى ما أقول سوى (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا ، واليك المصير) .

واختار أنور السادات لمسئولية أمانة اللجنة المركزية ، الدكتور حافظ غانم . وكان قد شارك المستشار حافظ اسماعيل فى جولته السياسية الى زعماء العالم . وقبل أن يعلن اختياره لمسئوليته الجديدة ، كان الرئيس قد طلب منه أن يعد دراسة كاملة ، لاسلوب عمل الاتحاد الاشتراكى العربى ، على أساس واحد ، وهو اننا نقترب كثيرا من القتال . وأعد حافظ غانم خطة ، ووافق عليها الرئيس . وكان من أهم معالمها ، الحفاظ

على وحدة الجبهة الداخلية ، ودراسة عن حـــرب المصـــالح الامريكية فى المنطقة العربية (*)

وأراد الرئيس أن يوسع نطاق المشاركة فى المسئولية ، فطـالب القيادات ، باجـراء حـوار فى كل المواقع ، حـول متطلبـــات المعـــركة .

ومع ذلك .. فلم يكن أحـد ليتصور أن المعركة تدق الابواب .

وثارت فى مصر تساؤلات عديدة ، ووضح من اتجاهات الرأى العام ، أكثر من علامة استفهام .

ثم اتخذ الرئيس قرار المعركة مع حافظ الاسد .

وأراد الرئيس أن يرد على كل التساؤلات ، وان يقضى على كل ما توحى به أية اتجاهات تخشى من نتائج الحرب .

وكانت هذه التسـاؤلات تدور بين الناس حول الافكار التالية :

* اذا كنا جادين فعلا فى اختيار الحرب .. فلمـاذا لا يدرب الشعب على استخدام السلاح ؟ ..

* هل أعددنا حقا لمعركة عسكرية ، سنكسبها مائة فى المائة ؟.

* كيف يمكن أن نحارب والواقع العربى فى خلافات مؤلمة ، وأحداث لبنان مع الفدائيين لا تبشر بأى خير ؟ ..

* اذا كانت اسرائيل تعربد الان ، وتقتل زعمـاء المقـــاومة داخل بيوتهم فى بيروت .. وتسقط طائرة ليبية مدنية عليها ركاب مصريون .. فلماذا لا نلقنها درسا بضربة فى عمقها .. اذا كنا فعلا قادرين على ذلك ؟ ..

* هل نقول الحرب مع وجود هذه الفجوة التكنولوجية بيننا وبين اسرائيل ؟ ..

* هل هناك أمل فى استخدام ســلاح البترول فى المعـركة ؟ .. مع أن تصريحات المسئولين فى المملكة السعودية تقول أن البترول بطبيعته ليس سلاحا . ولكنـــه أداة لشراء السلاح من أجل المعـــركة ؟ ..

وحرص الرئيس أنور السادات على دعوة مجلس الشعب الى جلسة سرية مغلقة ؛ لاجراء حوار صريح ، فى كل ماتجرى به

ألسنة الناس ، حتى يضع النقط على الحروف ، وحتى يوجد الايمان الصادق فى قلوب القيادات السياسية ! اننا مقدمون فعلا على معركة .. وكان القائد يواجه فعــلا معادلة صعبة . اذا سكت عن الكلام يحدث هبوط معنوى . واذا تكلم عن المعركة .. فهو لا يوجد آذانا صاغية ، لان عبارة المعركة نفسها .. أصبحت غير مصدقة ، مع امتناعنا عن اتخاذ أى اجراء انتقامى ضد عربدة اسرائيل ..

وكن السادات يرد فى مجالسه الخاصة ((اننى أعرف أن بعض الناس يخشى تكرار هزيمة .. ولكن ما جرى عام ٦٧ لن يحدث أبدا مرة أخرى . اننا نستعد بهدوء .. نبحث فى أدق التفاصيل .. هذا ظرف من أصعب ما يمكن أن يعيشه شعب أو قيــادة سياسية .. وعلينا أن نتحمل ، ونحسب حسابا عميقا وهادئا بدون عصبية .. ان المعركة هى الفارق بين الحياة والموت ، ولكن يجب الحساب العسكرى والسياسى . العدو يريدنا أن نتآكل من الداخل بدون معركة)) ..

كان يتكلم عن ثقة ..

ولكن الشكوك كانت تأكل القلوب .

وأعرض هنــــا ردود الرئيس الســـــادات على كل التساؤلات والشكوك من المحاضر السرية لهذه الجلسة الهامة ، لكى تقــــدر الى أى مدى كان الرجل يحاول أن يقنع الجبهة الداخلية ،بجدية خطواته نحو المعركة .. والى أى مدى كان يقاوم الشــكوك التى تسربت الى القـــلوب .

التســـاؤل الاول :

* لماذا لا يدرب الشعب على استخدام السلاح ؟

الجـــواب :

* هناك تدريب فعلا على أعمال المقاومة . ولكننى أخشى أن تكونوا متأثرين بأشكال خاصة عن الكفـــاح . البعض يتكلم عن فيتنام ، وان كل مواطن هناك يحمل السلاح .. والبعض يتكلم عن حروب شعبية . ولكننا نتجاهل أن اسرائيل لن تستطيع النزول الى الكثافة السكانية فى شعبنا .. ولا تنسوا أن فى الجبهة

مايقرب من مليون . وقد بدأ التدريب فى المدارس ، وأرجـو أن يتحصن الطلبة والشباب بمناعة جـديدة فى فترة الصيف ..

المعركة المقبلة لها مواصفات ، يعرفها العسكريون ويحـددها العسكريون .

التساؤل الثانى :

* هل نحن مطمئنون الى كسب المعركة مائة فى المائة ؟

الجـواب :

* هذا التساؤل يثير أشياء كثيرة . المواجهة الشاملة .. ما معناها .. لماذا لا نقول معركة . واذا قلنـا ذلك فان الذهن ينصرف الى أنها المعركة العسكرية على قناة السويس فقط .. ولكننى أقول لكم أن المعركة العسكرية ليست نهاية المطاف .. نحن فى مرحلة صراع ، مثل الصراع الذى حدث أيام الحروب الصليبية . لقد استمر العرب فى صراع ٨٠ عاما الى أن كسبوا الحرب . قد تطول مرحلة الصراع .. وكنت اتحدث الى بعض الاخوة العرب واقول لهم ، انه من الجائز الا نحضر نهاية هـذا الصراع ، ولكن علينـا أن نسلم لمن بعدنا ، مرحـلة كاملة من النضـال ..

ماذا نواجه اليـوم ؟ ..

أمريكا تعلن أن سياستها الاساسية هى الحفـاظ على وقف النـار ..

اسرائيل تعلن أنه أنسب وأحسن وضع لنا .. هو وقف النار .. وذلك حتى يتسنى لها تغيير الارض العربية وفرض الامـر الواقع . انها تبنى المستعمرات . تنقل اللاجئين من غزة الى الضفة الغربية .. تجرى تخطيطا للارض المحتلة . . ثم نحن نواجه حملة نفسية تقول لنا .. اسرائيل لا قبل لكم بها ، لانها مؤيدة من أمريكا سياسيا واقتصاديا وعسكريا واعلاميا ..

وفعلا .. بعد ٦ سنوات .. استطاعت هذه الحملة أن تنفذ الى نفوس العرب .. لا الشعوب فقط .. بل الى جميع نفوس الحكام العرب .. وبدأت تدخل الى نفوس البعض فى شعبنا ..

ويقول العضو (١) .. عاوزين معركة كسبانة ١٠٠٪ .
من يضمن هـــذا ؟ .

المسألة ليست هكذا . المسألة اسرائيل ــ اذا استمر الوضع مجمدا هكذا ــ لن تحتاج الى اطلاق طلقة واحدة .

سننفجر على أنفسنا من الداخل . واليهود لا يخفون هـــذا التوقع .. انهم يكتبونه فى صحفهم .

واحب أن أصارحكم . امريكا تقاوم الان أى تحرك لكسر وقف النــــار . والاتحاد السوفيتى أيضا . يطلب الا نكسر وقف النــــار .

الاتحاد السوفيتى يقول لنا : ستخسرون المعركة .

ولكننى أنظر الان مجـــردا لمصلحة هـــذا الوطن . ولمصلحة قضيته . ولمصلحة اجيالنا . اذا انتظرت بدون كسر وقف النار، سيبقى الامر الواقع .. وروح اليـــأس والانهزامية تسللت الى شعوبنا .. وابتدأنا نقول .. يا معركة نكسبها .. يا . لا ؟! .
طيب .. ماذا يجب أن نفعل ؟ ..

هل أترك العدو يفعل كل شيء .. حتى انفجر من داخلى ؟ ..
وكل يوم يتلقى العدو من امريكا ما يريد .. ويتلقى الضمانات.
وأنا .. ((بالكاد)) أحصـــل على ما أستطيع أن أدخل به المعـــركة ..

وكون أمريكا ، تحقق لنـــا حلا سليما الان .. هـــذا أصـــبح حديث خرافة . لماذا ؟ .. ان ملخص كلام الامريكان لتحريك القضية هو :

* يجب أن يكون هناك موقف مصرى جديد .. أى تنازل نقدمه لتحريك القضية ..

* نزع سلاح سيناء بالكامل .

* الإعتراف باسرائيل .

لقد انقلبت الآية ..

---

(١) تقدم بهذا السؤال الاستاذ محمود ابو وافيه .

التنازل مطلوب منا .. والاخطر من هذا أن أمريكا تتحدث بهذا معنا .. ثم تسرب خبر صفقة الفانتوم الى اسرائيل ، حتى نرتدع كما أعلن ابا ايبان . وسياسة أمريكا المعلنة رسميا ، هى حفظ ميزان القوى فى صالح اسرائيل ضد العرب مجتمعين .

أمريكا حاطة السيف على رقبتى ؟ ..

يبقى حل ايه ؟ ..

هذا فرض شروط .

واذا بدأ التنازل فسوف لا ينتهى .

والاتحاد السوفيتى يطالبنى بأن اختار الحل السلمى ؟

وما أسهل أن أناور ، فى المدة الباقية لى لرياسة الجمهورية ، أعلن عن مؤتمر قمة عربى فى نوفمبر . وتخرج من المؤتمر كما دخلناه . يفوت ديسمبر . ندخل على غام ٧٤ . الروس متفقين على صفقات سلاح فى ٧٣ وأجزاء منها فى ٧٤ . أحضر اليكم واطلب منكم أن ننتظر حتى منتصف ٧٤ .

وتنفيذ الصفقات (سيمط) حتى نصل الى آخر ٧٤ .. بعدها ندخل فى ٧٥ وهكذا .. تنتهى مدة رياستى .. وأنا أناور .

اذا فعلت هذا ، سأكون خائنا . اننى أفكر كمواطن مصرى قبل أن أكون رئيسا .

كمواطن مصرى .. أنا أرفض رفضا كاملا ، أن انفذ ما يريده الاعداء .

اننى لا أخاف من المواجهة ..

.. والا كنت مضحيا بمصالح شعبى كلها .

استمر وقف النار .. موت كامل لهذه القضية .

واقتناعى اننى أحمل قدرى ..

سأدخل المعركة ..

واذا لم نستطع تحرير الارض تحريرا كاملا ، فليكن كسر وقف النار ، ولن أترك للعدو ساعة واحدة ، يعمل فيها ما يشاء ، لكى يفرض الامر الواقع .

ان اى تخلف منا ، فى مواجهة قدرنا هذا ، .. اننى اعتبره جبنا وخيـــانة ..

من الممكن أن أختار الطريق السهل .. طريق المناورات كمـا قلت لكم ..

ولكن القضية تحتاج الى أن يحمل كل منا قدره .. نواجه قدرنا .. يجب كسر وقف النار .. يجب أن أكبـد اسرائيــل خسائر ، تعلنها فى قائمة خســائر يومية . ستضرب اسرائيل فى العمق . وسنضرب فى العمـــق . ان من يريد أن يعيش بكرامة و ((رأسه فوق)) . لازم يواجه ويدفع الثمن .

ثم قال الرئيس :

بعد ذلك نسمع من يقول : عاوزين معركة كسبانه ١٠٠٪ .

والله .. على قد قوتى يجب أن ادخل المعركة . العسكريون عندنا على أعلى مستوى ، والسلاح الذى فى يدهم ممتاز للمهمة التى سيؤدونها . هم يخططون .. بأقصى مالديهم .

ونحن سياسيا .. نضع أقصى ما نستطيع ..

بعد ذلك يجب أن نواجه قدرنا ..

أننى أخشى أن يكون كلام .. عاوزين المعركة كســبانة ١٠٠ ٪ هو من أثر الحرب النفسية التى تشككنا فى قواتنا العسكرية .

هذا الكلام الذى يقال تحت الحرص على نجاح المعركة .. يعبر عن وجود خوف وتردد .

قضيتنا أصيبت بالشلل .. وهى فى سبيلها الى الموت الكامل .

ولكن أقول لكم .. القضية ستحيا .. القضية صراع طويل وليست معركة قناة السويس فقط ..

أمامنا معركة مصالح أمريكا .

أمامنا معركة الطـــاقة .

أمامنا معركة الحشد العربى .

معركة كثيرة يجب أن نخطط لها ، بشكل شامل ، وأن ننسق وننفذ لكى يتم الصراع .

معركة القناة ليست هى نهاية الصراع .

أية تكاليف .. أية تضحيات .. يجب أن نكون جاهزين لادائها .

ولكن .. لابد من أداء الصراع كاملا ، حتى نأخذ حقنا .

التساؤل الثالث :

ـ كيف نحارب والواقع العربى كله خلافات .. ثم هذه احداث لبنان مع الفدائيين ؟ ..

الجواب :

ـ عن الواقع العربى .. اننى اكتفى بالقول أن لنا مع الملك فيصل اتصالات متكاملة .. والعراق يشترك اشتراكا محدودا . وسوريا معنا . أحمد اسماعيل قائد الجيشين . ولكن هل ننتظر حتى يتغير الواقع العربى ؟ ..

قال لى احد أصدقائنا : لا معركة قبل أن تتم الوحدة العربية. فقلت له : الواقع العربى لن يتغير الا اذا بدأنا وتحملنا مسئوليتنا . أقصى ما يمكن أن نأخذه من الواقع العربى ، نحاول أن نأخذه بالاتصالات الثنائية . ولكن لن يتغير الواقع العربى .. والواقع الاسرائيلى .. الا عندما تكون لنا ارادتنا ونكسر وقف النار ..

وطبعا أحداث لبنان تشكل خطورة شديدة ، ليس فقط فى أن يستخدم العدو ارض لبنان ليدخل الى سوريا .. هناك خطورة أبعد ..قد تكون هذه الحوادث مفتعلة ومدبرة فى هذه المرحلة التى شعروا فيها أن مصر وسوريا جادون فى المواجهة .. وقد حاولنا أن نحتوى الموضوع منذ بدايته ، ولكن الجيش اللبنانى تمادى فى العدوان بهدف تصفية الفدائيين .. أعلنا موقفنا .. سحبت الممثل الشخصى . أرسلت رأيى الى الرئيس فرنجيه . الحالة أهدأ الآن . ونحن سائرون ولايجاد أساس لاجتياز هذه المحنة . هناك تخطيط فى المنطقة لايجاد مشاكل بين العرب حتى

ننشغل عن معركة المواجهة الاساسية . اننا نبذل كل جهد .. وما يتم وراء الكواليس ، يتم بكل اصرار ، لكى نتفادى هـــذا الموقف ..

التساؤل الرابع :

ـ كيف نحارب مع وجود هذه الفجوة التكنولوجية بيننا وبين اسرائيل ؟ ..

الجـــواب :

ـ يقال أن هناك فجوة تكنولوجية بيننا وبين اسرائيل .. هذه حقيقة . ولكننى عندما أعود بالذاكرة الى الحرب العالمية الثانية ، وقد عشتها ضابطا وسياسيا .. كان الالمان متفوقين على الروس بفجوة تزيد كثيرا عن الفجوة مع اسرائيل .

بل بدأ الالمان ، وهم متفوقون على انجلترا وفرنسا وأمريكا التى اتجهت الى الانتاج الاستهلاكى . ولكن هذه الدول الثلاث جمعت قواها وهاجمت بعد ٥ سنوات . فلا يعنينا اذا انتظرنا ٦ سنوات . ولكن الروح الانهزامية هى التى دخلت على نفوس البعض .. فأرادوا أن يصبحوا فلاسفة ..

الفجوة كانت ضخمة بين ألمانيا وروسيا . روسيا لا تزال فى مرحلة البناء . وعندما وصـــل الالمان الى ١٥ كيلو مترا من موسكو .. لم يقل الروس : يا معركة كسبانة يا بلاش .

ستالين استدعى القادة العسكريين .. وسألهم : ماذا نستطيع أن نفعل ؟ .. وكان الالمان قد أحرقوا كل شىء .. أكثر من ٣٠٪ من الصناعة والزراعة الروسية دمرت تماما . وعاد المريشال تيموشنكو الى ستالين بعد يومين وقال له : من الممكن أن نستعيد الموقف . بشرط تسخير كل الموارد للمعركة .

وقد اكتشف ستالين أن جزءا من الانجازات الاقتصادية ،كان مكتوبا فى التقارير فقط ! .. ومع ذلك بدأ يعبىء ما عنده ، وطلب من الحلفاء أن يساعدوه

لم يتخاذل ستالين .

لم يتردد لحظة واحدة .

بدأ منطلق الحرب لا من أجل تحرير الارض فقط .. ولكن لاعادة بناء روسيا بالتكنولوجيا الحديثة .

ولذلك يجب أن تكون استراتيجيتنا قائمة ، على أن القوة الاساسية للدفاع عن مصر .. يجب أن تصنع فى مصر ، ولا ننتظر الصفقات المطوطة .. ولا نشرب من صنبور يمكن أن يقفل فى أية لحظة .

وبدأ ستالين ..

خسروا فى ليننجراد مليون شخص ، منهم نصف مليون فى جبانة واحدة . ولم يستسلموا .

كان الاطفال بلا ملابس . ودرجة البرودة ٢٥ تحت الصفر . لبسوا الاشولة القديمة ، ولم يستسلموا .

اننى اكرر ما أعلنته فى أول مايو ١٩٧١ . فلتكن هزيمة ٦٧ منطلقا لبناء جديد . نحرر أرضنا وفى الوقت نفسه نبنى قوتنا الذاتية التى أنتج بها فى مصر ما يجعلنى قادرا على الدفاع عن نفسى ، بتصنيع مصرى ونحن سائرون فى هذا .

اننا فى حصار من الغرب ، وفى تحديد من الشرق .

مع الشرق .. وانا أطالب منذ ١ و ٢ مارس ١٩٧١ (رحلة الاتحاد السوفيتى) بتصنيع حاجيات أساسية فى مصر . والقاعدة الصناعية عندنا جاهزة لكى تتطور وتصنعها ..

ولكن لا رد حتى الآن .

اذن .. انا مضطر أن ألجأ الى كل الاساليب والطرق التى تمكننى من تجميع قوة ذاتية تبنى فى مصر .

هناك بديهيات للدفاع عنا ، لو كنا ننتجها محليا ، لما كانت اسرائيل قادرة على الهجوم علينا ،

سياسة القوة الذاتية تنفذ فعلا ، بكل الاساليب الممكنة وغير الممكنة

انا فى مرحلة ، كل دقائق فيها لها قيمة فى العمل والتنفيذ .

التساؤل الخامس :

ـ لماذا لا نضرب اسرائيل فى العمق . حتى توقف عربدتها . لماذا لم نرد على ضرب الطائرة الليبية المدنية ؟ ..

الجواب :

ـ بعد أن وقعت كارثة الطائرة الليبية المدنية،خطب معمر القذافى وقال اننا نرفض أن نرد على هذه العملية . والحقيقة أن معمر طلب أن ٣ طائرات تقلع من مصر أو سوريا ، وتدخل اسرائيل ، وتلقى بقنابلها وتعود .

ولكن العملية ليست بهذه البساطة . وهنا لا يفلح الانفعال ، لأن المسألة .. مصير شعوب .

وعندما أقول اننى أجهز الآن لكسر وقف النـار ، فلا يعنى هذا اننا سنضرب بمدفعية فى القناة .. واسرائيل ترد وانتهى الامر . لا .. اليوم ، طلقة البندقية ، مثل عبور القناة . العـــدو سيرد بكل قوته .

وهذه مسـألة محسوبة عسـكريا وسياسيا .. كيف ؟ .. لقد اعتبرت اسرائيل وامريكا أن حالة وقف النار هى كسب لها لا رجوع فيه، وعليهما أن يحافظا عليه بأى ثمن وهذا واضح فى خطط الاثنين .. وليس من المعقول أن أضرب اسرئيل الآن بثلاث طائرات.لأعطيها المبرر ، فى وقت غرورها وعربدتها ، أن تشن حربا شاملة . يجب ان أكون جاهزا للمضاعفة والتصعيد . يجب أن أكون جاهزا للرد على الضربة بأعنف منها . ولذلك قلت لمعمر : عمليتك دى .. لا موضع لها الان .

التساؤل السادس :

ـ هل سيستخدم سلاح البترول فى المعركة ؟..

الجـواب :

من الخطأ أن نتصور أن المعركة ستكون على قناة السويس فقط . المعركة جزء من صراع جوانبه متعددة . أحـــد هـذه الجوانب الرئيسية ، مصالح أمريكا ، الممثلة أساسا فى البترول . لا بد أن يكون التخطيط شاملا لضرب المصالح الامريكية خلال الصراع .

ولا أستطيع ان أقول أن هناك خطة جاهزة بالنسبة للبترول . توجد اتصالات . هناك دراسات تتم بمنتهى الدقة . كيفية استخدام سلاح البترول ، أولا يجب أن يقتنع به أصحاب البترول وهذا سيظهر فى المرحلة المقبلة .

ولكن هناك شيء أساسى فى اعتبارى . ستكون معركتنا بالغة الصعوبة ، بدون ضرب المصالح الامريكية كجـــزء من الصراع . ويجب أن يكون زمام المبادرة فى يدنا . والتخطيط من أجل هذا . يجرى الآن . الاتصالات مستمرة . ولكن الموضوع بالغ الحساسية ، والواقع العربى ، يطالبنا بعدم التصريح عما يجرى أو يدور .. حتى بالتلميح .

وهكذا نجد أن الرجل كان يبذل قصارى جهده ، للقضاء على كل الشكوك ، وايجاد وحدة وطنية فى البلاد ، لكى نواجه القتال والجبهة بعيدة عن الانقسام والتسيب . وكان هـذا سر المه من حوادث الطلبة ومن منشورات بعض الكتاب والصحفيين .

لقد تجاوزنا مرحلة الحرائق المتعمدة فى عدد من المرافق العامة والتى بدأت بحريق الاوبرا .

وتجاوزنا الفتنة الطائفية بين المسلمين والاقباط ..

وتجاوزنا مواقف داخل القوات المسلحة ، مرتبطة بقرار الحرب .. كان من نتيجتها اعفاء الفريق صادق وزير الحربية والقـائد العام ..

وتجاوزنا الخلافات مع السوفيت حول الحرب والتسليح .. وكان القرار أن نحارب بما فى أيدينـــا من أسلحة . وبما يتأكد وصوله من الاسلحة .

وتجاوزنا المعارك الجانبية فى الموقف العربى الذى كانت توحى مظاهرة بالفرقة والانقسام .. بل باليـــأس الكامل عبـر الرئيس الحبيب بورقيبة ..

وخلال ذلك كله تجاوزنا الاتهامات بالعجـز والصمت والسعى الى الحلول التصفوية ، واسرائيل تعربد بكل غرور وغطرسة ..

وانطلقت القذيفة الاولى فى ساعة الصفر يوم ٦ أكتوبر .

فماذا حدث فى الجبهة الداخلية :

ظهرت الوحدة الوطنية فعلا فى أروع صورة .

انطلق جوهر الوطنية المصرية الاصيل .. وتبدد كل الصدأ فى لحظات .

ولم يصدر قرار باعتقال مواطن واحد .. وهذا لم يحدث فى أية دولة ، فى أى حرب من الحروب .

وقال السادات لممدوح سالم فى حديث خاص :

ـ هذا هو الشعب المصرى الذى أعرفه . هؤلاء فعلا هم أبناء مصر . دول ولاد الطين .. اللى خرجنا منه كلنا .

ولا شك أن سياسة الأمن القومى فى مصر ، تغيرت جــذريا ، ببداية مرحلة ١٥ مايو .

كانت أجهزة الامن من قبل ، تقسم الاتجاهات السياسية الى اثنين فقط : اخوان مسلمين (يمين) .. وماركسيين (يسار) .. وكانت لديها كشوف بأسماء هؤلاء وهؤلاء .. وفى مواجهة أية أحداث ، كان أسلوبها (للامن) هو اعتقال الجميع .

المنطق الجديد . أو الفلسفة الجديدةبعد ١٥ مايو .. تطور الى ان اقرار (الامن) الحقيقى ، هو فى احترام مصرية الجميع .. انماء القطاع الوطنى الذى تنحسر أمامه كل الاتجاهات الاخرى .. ثم تحويل هذه الاتجاهات الى المنبع الواحد .. وهو منبع التــراب المصرى .

ولذلك فقد وفر العمل للجميع .. بغض النظر عن العقيــدة السياسية ، ورفعت كل اجراءات حظــر السفر الى الخارج . وفتحت مصر أبوابها ، لكل الهاربين من الارهاب ، وأعيدت الجنسية المصرية لكل من طلبها ، وكان شعار أنور السادات فى هــذا .. أننى يستحيل أن أمنع مصريا من العودة الى بلده ووطنه وأرضه .. وقد بقى على أمين فى الخارج ٩ سنوات . وكان يقال له من وسطاء السوء ، أنه سيعتقلك بمجرد نزولك الى مطار القاهرة ، فكتب على أمين الى السادات مباشرة . وتلقى الرد : هذه أرضك ووطنك

.. تحضر وقت أن تشاء . وتغادرها وقت أن تشاء . تقابل هذه الصورة .. صورة أخرى لما كان يحدث فى الماضى .

المواطن عز الدين عبد القادر (٧٠ سنة الان) .. كان فى العراق خلال أزمة الديمقراطية عام ١٩٥٤ ، وأصدر كتابا طالب فيه بأن تحكم مصر بدستور مباشر ودائم يحقق الديمقراطيــة .. ومرت سنوات .. وكان يخشى أن يعــود الى مصر . ثم تلقى رســالة مطمئنة . فعاد .. فاعتقل فى المطار . وقدم الى محكمة عسكرية . وحكم عليه (الدجوى) المشهور بالاشغال الشاقة المؤبدة !..

ولم يخرج من السجن الا بقرار من أنور السادات بعد أن أمضى عشر سنوات !.

فلسفة الامن .. تحولت الى فلسفة أمان ..

ان بعض الاسماء التى كانت مسجلة فى الكشوف ، لكى تعتقل فى كل مناسبة .. لهم أبناء يقاتلون على الجبهة ..

فكيف اعتقل الاب .. لمجرد الاشتباه فى أنه معاد للنظــام لانه (اخوانى) مثلا أو (ماركسى) أو من رجال الاحزاب القديمة وابنه أو شقيقه أو ابن عمه يقدم دمه من أجل تحرير الارض ؟..

ولماذا أنزع المصرية من الاخوانى أو الماركسى ؟.. حتى لو علا صوته بمجرد صخب أو ضجيج .. لا يؤثر عــلى ســـير الموكب الكبير .

وكان تقدير أجهزة الامن العام .. أن الشعب سيقبل على حماية جبهة القتال ، لانه وعلى الرغم من حملات التشكيك النفسية التى أصابت كثيرا من القلوب .. فان الشعور العام كان يطالب بالحرب، مهما كانت النتــائج . كانت الكلمة المتناقلة على السنة غالبيـــة المواطنين .. كفانا حديثا عن المعركة ولندخلها وليكن مايكون ومهما كانت النتائج . اما الاستمرار فى هذا الوضع المائع .. فهو المذلة والمهانة .

وكان مطلوبا من أجهزة الامن العام أن تجيب على هذا السؤال :

ــ ماذا يمكن أن يحدث لو ضربت القنابل الاسرائيلية الاعماق ..

لو ركزت غاراتها على حي شعبى مثل حى شبرا فى القـــاهرة .. لاحداث ذعر فى البلاد ؟..

ودرست أجهزة الامن العـام ، احتمال التهجير من الاحيـــاء المزدحمة بالسكان .. ولكن الى أين ؟.. ومتى ؟ .. وساعة الصفر لا يمكن أن تكشف ؟.. بل هى قد تحدد فى أيام معدودة قبـل المعركة .

ورأت أجهزة الامن أن تهجير الاحياء المزدحمة بالسكان هو الذى سيحدث الذعر ..

لقد أعدت كل امكانيات الاغاثة والاسعاف واطفاء الحرائق ورفع الانقاض والنقل الى المستشفيات .. بالنسبة للاحيـاء المزدحمة .. ولكن كان التقدير أن الشعب ، بعد الطلقة الاولى ، على جبهة القتال ، سيتقبل كل التضحيات .. مهما كانت التضحيات . ان أضرار الحروب لا يمكن تلافيها .. لان الحرب هى الحرب ..

ومقاومة هذه الاضرار .. تعتمد أولا على الشعب ، مهما كانت الاستعدادات الفنية والرسمية .

وقد فرض ممدوح سالم حالة الطوارىء فى الايام الثلاثة الاخيرة ، على كل أجهزة الامن الداخلى .. وكانت الحجة الظاهرة ، اننـا نتوقع ضربة من اسرائيل . وتمت عملية مراجعة سريعـــة لكل استعدادات الدفاع المدنى والشعبى .. والتطوع للمقاومة .. واعداد الاكتفاء الذاتى للمدن والمناطق المتوقع ضربها من العـدو وخاصة فى مناطق الصعيد عند خزانات الميـاه ومواقع مولدات الكهرباء .. وكان المحافظون قد تلقوا فى ٢٦ ابريل خطابا (سرى جدا) من وزير الداخلية يطلب فيه مراجعة جميع خطط اعـداد الجبهة الداخلية ، والاطمئنان الكامل الى كفاءة اجراءات الوقاية والتحصينات وتحقيق الاكتفاء الذاتى فى التموين والادوية ، وضمان العمل تحت كل الظروف .

وشعر المسئولون عن الامن القومى بالخطر فعلا يومى الثـالث والرابع من أكتوبر . لقد طلبت السفارة السوفيتية الى السوفيت المدنيين الموجودين فى القاهرة أن يغادروها الى الاتحاد السوفيتى

على الفور . واعدت لهم سيارات نقلتهم طوال الليل الى مطار القاهرة ، حيث قدمت طائرات خاصة من الاتحاد السوفيتى لهذا الغرض .

وحدث هذا فى سوريا أيضا ..

وكان من الممكن للعدو ، أن يستنتج من هذه الظاهرة ، أن الحرب على الابواب .. وخاصة أن ما يجرى أمام أعين المواطنين المصريين - الاحياء التى يسكنها سوفيت .. انتشر فى كل القاهرة .. وكان حديث الناس ..

ولكن كل شيء مر بسلام ..

وكان من اهم اجراءات اعداد الجبهة الداخلية للقتال :

- خطط وقاية المصانع والمنشآت والمرافق العامة .

- خطط الوقاية من الاخطار البيولوجية والكيماوية .

- خطط للعمل على اجهزة الدفاع المدنى تحت كل الظروف .

- اعداد خطط بديلة فى حالة ضرب مرافق الكهرباء والمياه والمجارى والتليفونات والسكك الحديدية .

- تدريب ٤١٩١٦ مواطنا على أعمال الدفاع المدنى والانقاذ والاطفاء ، وتم اعداد فرق للخدمات الهامة بالمحافظات من ٧٧٥.٦٦ مواطنا .

- تحديد ٦٢ مدينة يتولى متطوعون تأمينها والدفاع عنها ، واتخذت كل الاحتياطات ضد عمليات التسلل والتخريب .

* * *

وقد نجح فعلا مخطط الدفاع المدنى فى كل المواقع التى قصفها العدو بغارات مكثفة ومتلاحقة ..

ومثال ذلك :

طريق دمياط بور سعيد الساحلى (أكثر من مرة) - طريق مصر اسكندرية الزراعى - طريق بور سعيد الاسماعيلية -

خطوط السكة الحديد بين الاسماعيلية والشرقية ، وخط السويس مصر ـ محطة مياه بور سعيد وماسورة المياه الرئيسية بين دمياط وبور سعيد وترعة الاسماعيلية ـ محطة كهرباء بور سعيد ـ محطة بور توفيق ـ بعض أبراج الضغط العالى بالدقهلية ـ خط الكهرباء الرئيسى لمدينة الاسماعيلية ـ خطوط الاتصالات اللاسلكية نتيجة قصف ضواحى المنصورة .

وفى رأس البر ودمياط استخدم العدو مدفعية السفن البحرية فى قصف مواقع مدينة ساحلية .

* * *

وارتفعت الجماهير الى مستوى المسئولية .. فى كل المواقع التى ضربها العدو ، ووصلت اليها قواته بعد التسلل من ثغرة الدفرسوار ..

وكانت كل تحركات العدو فى هذه المواقع ، مرصودة من المواطنين .. وكانوا يبلغون بها كل أجهزة الامن والمخابرات العسكرية فى الاسماعيلية .. وساعد ذلك على نجاح القوات المصرية قبل اتفاق فصل القوات فى يناير فى أن تلحق بالعدو أكبر خسائر فى الارواح .

وقد استخدمت القوات الاسرائيلية أبشع الجرائم ، لكى تجبر المواطنين على تقديم معلومات ، أو الابلاغ عن مواقع القوات المصرية .. وفشل كل ذلك فى أن يهبط بمعنويات المواطنين .. لقد دمروا مثلا جميع المتاجر والمخازن فى فايد .. استولوا على محصول السمسم ونقلوه الى داخل اسرائيل .. استولوا على أموال المواطنين بتفتيش الرجال والنساء تحت التهديد بالقتل ..

حرقوا المنازل وسرقوا ما بها . قتلوا طفلة امام أمها ، ومنعوها من دفنها الا فى اليوم التالى . خطفوا المئات . أطلقوا الرصاص على الفلاحين جزافا وبدون حساب . حدثت كل هذه الجرائم الجرائم فى قرى فايد والشلوفة وجنيفة وجيب الله وكفريت وفنارة وأبو سلطان وغرب الدفرسوار . وعين غصين والضبعية وأبو حميان وسرابيوم .

ومع ذلك فأن هذا الارهاب الدموى الاجرامى ، على مدنيين عزل من أى سلاح .. لم يمنع مواطنا مثلا من ارشاد وحدة مصرية

لاقتناص الدبابات فى ٢٨ أكتوبر الى مركز تجمع لدبابات العدو فى أحد المرافق ودمرنا ١٦ دبابة .. واستشهد أربعة أبطال .

وبلغ من حذر العدو وخوفه من المواطنين ـ رغم هذا الارهاب الدموى ـ انه كان يضىء انوارا كاشفة حول مواقعه طوال الليل. وكان يطلق النار كل ربع ساعة فى كل الاتجاهات ، للتخويف . وهكذا حتى يطلع النهار .

وعندما وصل موشى ديان فى زيارة للقوات الاسرائيلية فى أبو سلطان .. ظهر فى أماكن متفرقة ، أكثر من شخص فى ملابس وشكل موشى ديان . وذلك خوفا على حياة وزير الدفاع الاسرائيلى .. ظهر هؤلاء الشبهاء فى محطة أبو سلطان .. وأمام محطة المياه وفى الوحدة الصحية .

* * *

وهكذا صمدت الجبهة الداخلية ، وتوحدت فى صلابة .. وكان قلق الجماهير فى الايام الاولى التى أعقبت أنباء تسلل العدو من الدفرسوار ، يعبر عن الالم ، أكثر مما يعبر عن الاهتزاز .

لقد نمت ثقة كاملة بين الشعب والقيادة .

وعندما أعلن أنور السادات فى أول مؤتمر صحفى عالمى بعد وقف القتال ، عن أن قواتنا قادرة على القضاء على الجيب الاسرائيلى .. اطمأنت الجماهير تماما ، لانها أصبحت تصدق كل كلمة يقولها القائد .

الفصل العاشر

القذافى .. اللغز المكشوف

●●● « عرض للموقف العربى قبل وبعد المعركة . ماذا دار فى لقـــاء الرئيس السادات وفيصل فى أغسطس ١٩٧٣ . ماذا طلب فيصل؟ وماذا كان رد السادات . كيف كان بومدين يرى الموقف قبل ٦ أكتوبر . ؟

لماذا سافر بومدين الى الاتحـــاد السوفيتى ؟ ماذا قال له الزعماء السوفيت عن أنورالسادات؟ المعـونات العسكرية والبترولية التى حصلت عليها مصر من الجزائر والسعودية ..

ثم عرض شامل صريح لموقف معمر القذافى . ولمـاذا قال له السـادات .. اننى مسـتعد ان أبايعك صلاح الدين .. ولكن بشرط ! .. ماهو هذا الشرط ؟ » ●●●

الرئيس السادات فى أخطر جولة عربية سريعة ، قام بها قبل حرب أكتوبر . الرئيس يزور السعودية وسوريا وقطر . الرحلة مفاجئة .. لا أحد كشف عما دار فى هذه الرحلة حتى الآن التى تمت خلال أغسطس ١٩٧٣ ..

لنتوقف قليلا مع الرئيس السادات فى السعودية . لقاء بالغ الاهمية بين الرئيس السادات والملك فيصل . بل هو أهم لقاء جرى فى المحيط العربى خلال عام ١٩٧٣ . الحديث يدور بين الرئيس والملك ، حول قرار الحرب . كاشف الرئيس السادات ، فى هذا الاجتماع ، ملك السعودية ، برأيه الاخير وهو أنه لا سبيل الى التحرير وتحريك القضية الفلسطينية ، الا بالقتال ، كان الملك فيصل فى أول اللقاء ، مشفقا على المصير اذا لم نكن معدين له ، الاعداد الصحيح القادر على قهر القوات الصهيونية . أفاض الرئيس أنور السادات ، فى شرح الموقف العسكرى ، والخطة المصرية ، واستعرض كل جوانب الضربة المصرية

اقتنع الملك فيصل ، وربط اقتناعه بشرط واحد . **قال الملك للرئيس السادات :**

— لى مطلب واحد فقط .. وهو أن تستمر المعركة وقتا يسمح ببناء موقف عربى موحد . لا نريد أن نبدأ المعركة ، ثم نطلب وقف النار بعد يوم أو يومين .

أكد الرئيس أنور السادات ، أن خطة المعركة قد وضعت لتستمر ، وانه لن يوافق مطلقا على وقف النار بعد وقت قصير مهما كانت الظروف .

وضع الملك فيصل يده فى يد الرئيس .. وتعاهدا على التعاون الكامل .

قال السادات : اننى لا اطلب منك أى شىء محدد . اطلب منك فقط المساندة وبناء موقف عربى واحد .

وأوفى الملك فيصل بكلمته .

ولم يطلب الرئيس السادات ، من الملك ، اتخاذ أى اجراء . وكل ما صدر عن الملك فيصل من قرارات ، كان بغير أى اتفاق مسبق مع الرئيس السادات . لم يجر أى اتصال بين القاهرة والرياض . بشـــأن قرار خفض البترول الى أوربا وأمريكا .. ثم قرار الملك بمنع البترول كليا ، عن أمريكا وهولنـدا . عرفت القاهرة قرارات الملك ، عند اعلانها ، كمـا عرف بهـا العالم كله .

قال الرئيس السادات : هذا موقف عظيم ، لن تنساه الامة العربية للملك فيصل .

وقبل القتال، حصلنا على الاسلحةالتى طلبناها منالسعودية. كما حصلنا على الذخائر التى طلبنـــاها ، بل ان الســـعودية تعاقدت لنا على شراء أسلحة ، كنا فى حاجة اليها ، وقدم الملك فيصل مليونى طن بترول مجانا . وعندما تخلى معمر القذافى عن امدادنا بالبترول ، اشترت السعودية بترولا مكررا من ايطاليا، واهدته لمصر .

ثم قال الرئيس : وباختصـــار .. لم يتردد الملك فيصـل لحظة واحدة ، فى الاستجابة الى أى مطلب طلبناه .. أسلحة .. معونة..بترول..أى شىء . هذا عدا القرارات التى كانيصدرها بنفسه ، لدعم المعركة عربيـا ودوليـا ، وتفاجأ بها القاهرة .. موقف عظيم .

ولم يتكلم الملك فيصل . بل اننى سـافرت الى السـعودية ، باتفاق مسبق ، على موعد للقاء الملك فيصل . ولقيت جلالته . ورفض أن يتكلم بحرف واحد ، عن موقفـه فى حرب أكتـوبر . وكلما وجهت اليه سؤالا كانت اجابته الواحدة المكررة : لم نفعل شيئا لقد أدينا الواجب . أداء الواجب لا يستحق الحديث عنه . مصر غاليـــة .. وشـعب مصر عزيز علينـــا ، وعلاقاتنـــــا على طول المدى طيبه وأخويه وكلها مودة . كل ما أرجو أن يتحقق هو الموقف العربى الموحد . الصهيونية والشيوعية تفيدان من الخلافات العربية . وكل ما يعمل على تفتيت الصـف العربى ،

منحرف ، ينفذ أهداف الصهيونيـة والشيوعيـة ، سواء كان يعرف أو لا يعرف . نسأل الله أن يهدينا جميعا الى وحدة الرأى والكلمة ، من أجل بناء الامة العربية .

هذه خلاصة اجابات الملك فيصل على أسئلتى ..

وفشلت كل محاولاتى معه أن يتكلم :

موقف آخر .. سـألت عنـه الرئيس أنور السـادات . هو موقف الرئيس هوارى بومدين .

انني أعرف انه كانت بين القاهرة والجزائر ، ازمات وأزمات ، قبل وفاة جمال عبد الناصر . وكان الرئيس بومدين بالغ الاستياء مما يكتبه محمد حسنين هيكل من هجوم ظـالم وتشويه لموقف الجزائر . وقد حدث أن كان الدكتور مراد غالب فى الجزائر وهو وزير للخارجية لحضور مؤتمر قمة عربى . وكان واقفا يتحدث مع الرئيس السودانى جعفر نميرى . وكان نميرى فى قمة الغضب أيضا ، مما كانت تنشره « الاهرام » ضد ثورة السودان . ودعا مراد غالب الرئيس نميرى ، أن يمر على القاهرة ، فى طريق عودته الى الخرطوم . وأجاب نميرى : لن أدخل القـاهرة ، ومحمـد هيكل يتولى مسئولية فيها ..

فقال مراد غالب : ولماذا تربط موقفك من مصر ، بشخص ..

وهنا كان قد جاء الرئيس بومدين .. فأراد مراد غالب أن يستعين به على اقناع الرئيس نميرى . وأعاد مراد غالب على مسامع الرئيس بومدين ، ما قاله الرئيس نميرى من أنه لن يدخل القـاهرة .. بسبب هيكل .

وكانت اجابة الرئيس بومدين : الرئيس نميرى عنده حق مائة مائة . أنا معه فى هذا .

وكان بومدين قد اسـتقبل الدكتور مراد غالب ، وعرض له أسباب سوء العلاقات من وجهـة نظر الجزائر . وكان يحتفظ بملف كامل ، بكل ما كتبه هيكل ضد الجزائر . وقال بومدين : هذا تشويه لموقف الجزائر وثورة الجزائر .

واستمرت وجهة نظر الجزائر ، بعد وفاة جمال عبد الناصر ، ان الجزائر مستعدة أن تقدم كل عون عسكرى ومادى .. وكل ما يطلب منها اذا بدأت الحرب فعلا .. أما قبل ذلك ، فلا .

والدافع الى رأى الجزائر ، انه لم تكن هناك ثقة فعلا فى أننا سندخل الحرب .

وحدث ان التقى الرئيس بومدين بالفريق سعد الشاذلى ، وكان قد سافر الى الجزائر ، بوصفه أمينامساعدا للجامعةالعربية وقال له الرئيس بومدين : حقيقة أن السادات فى موقف صعب . عدم دخول الحرب مصيبة .. ودخولها قد يكون مصيبتين . وصفيت أوجه خلافات كثيرة .. فى لقاء بين السادات وبومدين .

ولكن بقيت وجهة نظر الجزائر ، متشككة فى امكانية دخول مصر الحرب .

... ثم بدأ العبور العظيم ..

وكان الرئيس بومدين يتصل يوميا بالرئيس السادات متابعا بكل اخلاص وحماسة سير المعركة . مستجيبا الى كل ما يمكن أن تطلبه مصر .

وفجأة توقف خط الاتصال ..

وفجأة عرف الرئيس السادات ان بومدين سافر فى رحلةسرية الى موسكو واجتمع بزعماء الاتحاد السوفيتى .. ثم عاد من رحلته على الفور فى نفس اليوم أو فى اليوم التالى !

وفجأة عرف الرئيس السادات ، ان الرئيس بومدين ، قام بهذه الرحلة السرية التاريخية ، دون أن يخطر أحدا .. واجتمع بقادة الاتحاد السوفيتى ، وقدم ٢٠٠ مليون دولار لشراءاسلحة . مائة مليون لمصر ، ومائة مليون لسوريا . وطلب من موسكو أن تتصل بالقاهرة ودمشق لتحديد ما تحتاجانه من سلاح .. ووافق السوفيت .

وعاد الرئيس بومدين الى الجزائر ، ودعا مجلس الثورة

الجزائرى الى اجتماع وعرض عليهم كل ما جرى . وأعلنت الجزائر انها ستوقف خطة التنمية كاملة .. حتى تنتهى المعركة .

ولكن ماذا جرى بين الرئيس بومدين والاتحاد السوفيتى ..

لقد جرت مناقشة سياسية طويلة ، هاجم فيها الاتحاد السوفيتى ، سياسة الرئيس السادات .. وقالوا كلاما كثيرا ..

وهنا قال الرئيس بومدين: اننى لم احضر الى موسكو، لكى ادخل في مناقشة سياسية ‥ نرجو ان ننحي السياسة جانبا ‥ مصر وسوريا الآن في حرب ‥ وقد جئت اليكم اشترى سلاحا للبلدين الشقيقين ‥ فهل توافقون ‥

ووافق الاتحاد السوفيتى ‥

وتحدث الرئيس السادات عن موقف الجزائر البطولى ‥ عندما طلبنا المدرعات ، لخطة ضرب الاسرائيليين في الضفة الغربية بعد الثغرة ‥ ووصلت الى مصر ، وفي اسرع وقت ١٥٠ دبابة ورجالها وتموينها ومدفعيتها ‥ ومن قبل ‥ انضمت قوة طيران جزائرى - طائرات وطيارون - الى قوات الطيران المصرية ‥

كان التعاون رائعا ‥

وكان الموقف بطوليا ‥

وعند اخذ معمر القذافى الموقف الشاذ ‥ ومنع البترول عنا ‥ ارسلت الجزائر هدايا البترول ‥ ارسلت الجزائر هدايا البوتاجاز ‥ وكانت الجزائر متعاقدة على شراء بوتاجاز لاستهلاكها المحلى ‥ ولم تكن البواخر قد وصلت بعد ‥ واعطى الرئيس بومدين امرء للبواخر ان تتجه الى مصر ‥

ولم تصدر عن الرئيس بومدين كلمة واحدة ، عن دوره التاريخى فى حرب اكتوبر ‥

وكانت قراراته السياسية ، والبترولية ، خلال المعركة وبعدها تعبر عن المسئولية المصرية الكاملة ‥ ولم يأبه لصوت المزايدات الكلامية والمواقف المسرحية التى اتخذها معمر القذافى فى موضوع اعادة ضخ البترول لامريكا بعد ان تغير الموقف الامريكى ‥

وقال القذافى حينئذ انه لن يدنس ارض ليبيا ، بأن يتخذ عليها ، قرار اعادة ضخ البترول لامريكا ٠٠

وفى اليوم التالى ، كانت بعثة اقتصادية امريكية تزور ليبيا ، باتفاق رسمى سابق للمناقشة فى دعم الروابط الاقتصادية بين أمريكا وليبيا !!

ولكن لماذا اتخذ معمر القذافى هذا الموقف المؤسف ٠٠ قبل حرب اكتوبر ٠٠ وخلالها ٠٠ وبعدها وحتى الآن ، على الرغم من ان طرابلس اتصلت بالقاهرة ١٨ مرة تليفونيا خلال شهر يوليو الماضى ، عارضة ان يتحدث الرئيس السادات الى القذافى ٠٠ وقد اعتذر الرئيس عن ذلك ٠٠ وكان آخر حديث تليفونى مع ابوبكر يونس عضو مجلس الثورة الليبى ٠٠ وقال الرئيس السادات : لقد سئمت التعامل مع معمر بهذا الاسلوب ٠ ان مصر غنية ٠ وغنية جدا ٠ واغنى من بترول ليبيا ٠ يجب ان تعرفوا هذه الحقيقة ٠ وإننى مستعد ان اتجاوز عن حقى الشخصى كأنور السادات ٠ ولكنى لن أفرط فى حق الشعب المصرى ٠٠

ان الرئيس السادات يلخص موقف القـــذافى فى جملة واحدة « معمر يريد ان يفرض نفسه على المسرح العربى ٠٠ وبشروطه » ٠

وقلت للرئيس : اسمح لى يا سيادة الرئيس ٠٠ لى رأى آخر ٠٠ ان أحلام معمر القذافى الحقيقية ، هى ان يحكم مصر ٠ هذه هى الحقيقة ٠ لقد تصور قبل اكتوبر ، اننا لن نحارب ، وان النظام سينهار من الداخل ٠٠ وأراد ان يشجع على كل هذا ، باختراع النظرية الثالثة ، والثورة الشعبية ٠٠ وكل هذه الشعارات ٠٠ تصورا منه ان هذا سيكون له أثره على الداخل فى مصر ٠٠ ولكنه بكل أسف لايعرف مصر ٠٠ ولا يعرف شعب مصر ٠٠

ولم يشأ الرئيس السادات ان يعلق على رأيى ٠٠

ولكن ماهى قصة معمر القذافى ؟ ٠٠ وما هو الدور الذى شاء ان يلعبه فى حرب أكتوبر ٠٠ فخسر بعده كل شىء ٠٠

ان قصتى ٠٠ وقصة عدد كبير من كتاب مصر ، مع معمر القذافى

.. عندما حضر الى مصر فى يوليو ١٩٧٣ .. يمكن ان تلقى الاضواء على قصة القذافى مع حرب اكتوبر .. كان ذلك فى الخامس من يوليو ١٩٧٣ .

وكنا فى دار مؤسسة روز اليوسف ، بدعوة مفاجئة فى نفس اليوم ، لاجراء حوار مع العقيد القذافى ، واشترط العقيد ان يحضر المراسلون الاجانب هذا الحوار ، لكى يضمن نشره على أوسع نطاق عالمى ..

وبدأ الحوار .. وتكلم القذافى عن الوحدة .. وتكلم آخرون عن تحفظاتهم .

ثم قلت للعقيد القذافى : انت يا سيدى تلوم صحافة مصر ، لأنها لاتقيم مهرجانات اعلامية ، لحدث خطير يقترب موعده .. هو الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا .. ومع ذلك فانني أرى فى قراراتك وخطبك ما يقطع الطريق تماما على هذه الوحدة ..

لقد أعلنت فى خطاب أخيرا ، انك لاتوافق على استراتيجية المعركة كما وضعها السادات والاسد وأنك تبرىء ذمتك أمام الله والجماهير من هذه الاستراتيجية ..

فاذا كانت الوحدة أساسا من اجل المعركة .. وانت لاتقر طريقنا الى المعركة .. فكيف يمكن ان تتم الوحدة ؟.. وكيف يتفق هذا الرأى مع دعوتك الى الوحدة ..!؟

كما انك اعلنت يا سيدى ، انك لاتقر سياسة مصر التى وصفتها بأنها تهادن الرجعية العربية . وأنت تطالب نظامنا وصحافتنا بالهجوم المستمر على السعودية والكويت ودول الخليج والمغرب .. وانت فى الوقت نفسه تدعو الى قومية المعركة .. اى الى اشتراك كل الدول العربية فى تبعات المعركة بنصيب .. ونحن نسعى الى الحشد العربى ، وتكتيل الجهود .. واذا كنا نفكر فى استخدام سلاح البترول فى المعركة .. فلا يمكن ان يتأتى ذلك بغير دعم العلاقات وازالة الخلافات وتجنب المعارك الجانبية . هذا خطنا العربى .. تسخير كل الجهود للحشد العربى من اجل المعركة .

وهذا خطك العربى ٠٠ دعوة الى اسـقاط النظم فى هذه البلاد العربية ٠ ودعوة الى تصدير الثورة اليها ٠٠ وقد اعلنت اكثر من مرة انك مؤمن بتصدير الثورة ٠٠

فكيف يمكن يا سيدى ان تتحقق وحدة بين مصر وليبيا ٠٠ فى ظل هذا الاختلاف الجذرى فى السياسة العربية ؟ ٠٠

لقد تجاوزت مصر هذه المرحلة ٠٠ التى تدعو لها انت الآن ٠٠ ان الارض العربية محتلة ٠٠ والخطر الصهيونى يهدد الجميع ٠٠ ولا يمكن ان نتعارك ٠٠ وان نسعى الى انقلابات فى الدول العربية ٠٠ ونحن مقدمون على معركة ٠٠

كما اعلنت يا سيدى ٠ ان مصر يجب ان تهاجم هيلاسلاسى ٠٠ ويجب أن تهاجم اثيوبيا كدولة لها صلات باسرائيل ..

ونحن نقول يا سيدى اننا نسعى الى تضامن عربى أفريقى من أجل المعركة .. واذا كان لهيلاسلاسى كيـان افريقى ضخم مؤثر ٠٠ فكيف نقطع ما بيننا وبينه ٠٠ والتأييد الافـريقى للموقف العربى ، ينمو الآن شيئا فشيئا ٠٠

اذن نحن مختلفان ايضا فى السياسة الافريقية ٠٠ فكيف تتحقق وحدة فى ظل هذا الخلاف ٠٠

ثم انك يا سيدى اعلنت ما اسميته النظرية الثالثة ٠٠ وانت متمسك باضافات الى ميثاقنا الوطنى تسجل هذه النظرية ، وتدعونا الى الاخذ بها ٠

ونحن لانرى جديدا فى هذه النظرية ٠٠ ونحن سائرون على مبادىء ٢٣ يوليو ٠٠ الثورة الام ٠٠

واذا كنت ترى من مسئوليتك الدعوة الى هذه النظرية بين ابناء الشعب الليبى ٠٠ فلا اعتراض علىذلك ٠٠ أما انك تريد منا اقتناعنا بما تدعو اليه ٠٠ فهذا امر لا نقره ٠٠

وهذا ايضا خلاف جذرى يضع عقبات امام تحقيق الوحدة ٠٠

وأنت يا سيدى تهاجم البيروقراطية والنساء فى مصر ·· وقد دعوت الى ما أسميته الثورة الشعبية فى ليبيا ·· العاملون فى كل موقف عمل يجتمعون ، ويفصلون من يشاءون ، ويرئســـون من يشاءون ·· وهذا ما تراه انت انه حكم الشعب ··

ونحن أيضا يا سيدى تجاوزنا هذه المرحلة ·· ان عندنا مجالس ادارات فى المؤسسات واللجان النقابية ، ولجان الاتحاد الاشتراكي .. وكلها بانتخابات حرة يراعى فيها تمثيل العمال والفلاحين بنسبة ٥٠٪ .. وعندنا دولة المؤسسات الدستورية ، فى ظل دستور دائم .

وقلنا ·· اننا لا نعترض على الثورة الشعبية كعمل داخلى فى ليبيا ·· هذه تجربة من حق ليبيا أن تمارسها ، وأن تنتظر نتائجها ·· ولكن ليس من حقك يا سيدى أن تفرض ما تسميه بالثورة الشعبية على مصر ··

وهذه أيضا نقطة خلاف جذرية .. أثرتها أنت ياسيدى · ونحن نقترب من موعد الاستفتاء على الوحدة الاندماجية ··

فكيف يتفق ذلك ، مع دعوتك للوحدة ؟

وأنت يا سيدى ، أعلنت سقوط حكم القانون ·· وأمرت بسجن عدد كبير من المثقفين فى بلادك دون تحقيق، ودون محاكمة ..وقلت أنك جربت الديمقراطية وفشلت تجربة الديمقراطية ··

ولكننا ياسيدى نتمسك بســـيادة القـانون ·· ونحن نرى أن الديمقراطية وسيادة القانون ، هما حماية المواطن فى حريته وعمله ورزقه وحرماته ··

لقد نبذنا الاجراءات الاستثنائية المهدرة للحريات ·· نبذناها إلى الابد · وأنت بدأت حكم ليبيا باجراءات استثنائية ··

فكيف يمكن أن تستقيم وحـــدة بين نقيضين ·· ونحن نتمسك بسيادة القانون ·· وأنت ترى غير ذلك ؟

ولذلك فاننى أقول لكم ، ان الصحافة المصرية التى تصفها بأنها متخلفة ، ورجعية ، وأنها فقدت ثوريتها ·· لم تقصر فى الدعوة الى

الوحــــدة .. ولكن قراراتكم وآراءكم .. هى التى تقف عقبة أمام الوحدة .. صحافتنا تؤدى دورها الوطنى والقومى . واننى أرجو منك ردا على كلامى هذا ..

واستمع العقيد القذافى طويلا .. وكان قد جاملنى قبل أن أتكلم بقوله ، أنه قرأ كتابى ثورة كوبا ، قبل ثورة الفاتح ، وأنه تأثر به .. وطلب من زملائه أن يقرأوه ..

استمع لى منصتا .. ولكنه لم يعقب .. واستمع الى كلمات أخرى من زملاء آخرين .. ولكننى وقفت مرة ثانية .. وطلبت من العقيد القذافى ردا على ملاحظاتى .. كما ألح زملاء آخرون فى أن يستمعوا الى رده .

فقال على مضض : ان ما قلته صحيح تماما .. هذه خلافات أساسية بيننــــا وبين مصر ، وقد جئت الى مصر لاناقش مع الرئيس أنور السادات هذه الخلافات .

كان ذلك فى يوليو عام ١٩٧٣

وكان العقيد القذافى قد وصـــل الى مصر فجأة ، ومعه أسرته ، وكتبه ، وسلاحه .. وبدا أنه كان على خلاف مع أعضاء مجلس الثورة فى ليبيا .. وقال للرئيس أنه بين يديه من أجل الوحدة .

وأثار فعلا هذه الموضوعات ، مع الرئيس أنور السادات ، الذى اســـتقبله أكرم اســـتقبال ، ودعاه الى أن يجتمع بكل المؤسسات الستورية والصحفية فى مصر .. وأن يتعرف الى حقيقة الرأى المصرى، فى مناقشـــات حرة ، تعبر فعلا عن جماهير الشعب .. واجتمـــع القذافى مع أعضاء مجلس الشعب .. ومع التنظيم النســـائى فى الاتحـــاد الاشـــتراكى العربى .. وعقد اجتماعات فى المؤسسات الصحفية ، واشترط أن يدعى اليها ممثلو الصحافة العالمية ووكالات الانباء .. وكان هدفه من دعوة الصـــحافة الاجنبية نشر آرائه على أوسع نطاق ..

ولمس القذافى تماما من كل ما سمع ..

• • ان الجماهير المصرية تؤمن بالوحدة ..

•• ان الجماهير المصرية لا تريد تجربة خاسرة ٠٠ ولذلك يجب وضع ضمانات نجاح الوحدة ، وأولها أن تكون خطوات مدروسة فى جميع النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية ٠٠

وكان القذافى قد رفع شعار أن ليبيا كانت ترى وهى مقبلة على الوحدة مع مصر أنها سوف تضحى بالثروة ٠٠ ولكنها ترى الآن أنها سوف تضحى بالثورة أيضا !

وكان هذا الشعار ، جارحا لكرامة مصر والمصريين ٠٠ فليست مصر التى ضحت بعشرات من آلاف الشهداء وبعشرات من الآلاف من ملايين الجنيهات ، على حساب تطورها ، من أجل القضية العربية ٠٠ هى التى يقال لها أنها طامعة فى ثروة ليبيا ٠٠ وليست مصر الرائدة هى التى تتلقى درسا فى الثورية ٠

ولذلك حرص الرئيس أنور السادات فى كل مباحثاته مع القذافى ، أو مع أعضاء مجلس الثورة الليبى أن يؤكد على معنى أساسى ٠٠ وهو أن ثروة ليبيا ٠٠ لشعبها ٠٠

وعرض القذافى خلال تلك الزيارة أن تشاركنا ليبيا فى مشروعات استثمارية ضخمة ٠٠ وعقد اجتماع فعلا حضره الدكتور عبد العزيز حجازى ٠٠ ثم عاد القذافى فى اليوم التالى ليضع الشروط ٠٠ وقد سبق أن أوردتها ٠٠ وهى الاعتراف بنظريته الجديدة والدعوة الى الثورة الشعبية فى مصر ٠٠ الى آخره ٠٠

ورفضت مصر بطبيعة الحال ٠٠

وعاد القذافى الى ليبيا من الطريق الصحراوى ٠٠ بعد أن كانت أعدت له الطائرة الخاصة ٠

وأذكر أن الرئيس أنور السادات صارحه فى لقاءاته بقوله : يا معمر ٠٠ اننى أعرف أن طموحك يتعدى حدود ليبيا ٠٠ وأعرف أنك مقتنع بأنك ستقوم بدور جمال عبد الناصر فى المنطقة العربية ٠٠ اننى مستعد أن أعترف بك ٠٠ لا كجمال عبد الناصر فقط ٠٠ كصلاح الدين ٠٠ ولكن بشرط واحد ٠٠ هو أن تطرد الغزو الصهيونى من الارض العربية كما طرد صلاح الدين الغزو الصليبى ٠ هذه هى القضية الآن ٠٠ وهذا هو الهدف ٠٠ أما الخطب الملتهبة ٠٠

أما النظريات والايديولوجيات ·· فليس مكانها الآن ·· أمامنا هدف هو المعركة ·· هو طرد قوات اسرائيل من أرضنا ·· اذا حققته ·· فانني مستعد أن أنسحب ·· وأن أبايعك صلاح الدين العربى ··

وللحقيقة والتاريخ ·· فقد بدأ فعلا من خطابات معمر القذافى ، وتصرفاته الدعائية ، ومواقفه المفاجئة ·· أنه مقتنع بأنه جمال عبد الناصر ·· وأن زعامة ليبيا وحدها ، لن تحقق له هذا الطموح ·· وأصبحت زعامة مصر هى هدفه ·· وأطلق على نفسه فى صحف ليبيا لقب ((أمين القومية العربية)) !

وقد أخطأ التقدير فى هذا ·· سواء كانت هذه الفكرة نابعة من منطقه الخاص ·· أو نابعة ممن أوحوا له بها ··

وربما كان الخطأ من مصر أولا ··

لقد أسرفنا فى تمجيد القذافى عند نشوب الثورة الليبية ·

لقد كانت فعلا مفاجأة سارة بعد الهزيمة ·· وكانت دليلا على امتداد مبادىء ٢٣ يوليو الى قلوب شباب الامة العربية · ولذلك كان الترحيب بها ضخما ··

كما أن بعض الحكام العرب ، حاول احتواء الثورة الليبية ، والمباعدة بينها وبين القاهرة .. وقد زاد ذلك من تدليل القاهرة للثورة الليبية ··

ويبدو لى أن شخصية القذافى ، وضح جموحها فى اجتماع الملوك والرؤساء قبل وفاة جمال عبد الناصر · فقد كان يريد أن يحارب أمريكا لو تدخلت فى الاردن !

وظهرت بعد ذلك ((شطحات)) عديدة ·· كنا نرجعها الى عدم الخبرة · وثورة الشباب ولكننا كنا نقول دائما بطهارة التصد ··

ولكن يبدو لى أن فكرة الوحدة مع مصر ، تطورت فى عقل معمر القذافى ووجدانه ·· على أساس أنه سوف يكون حاكم مصر وزعيمها !

وهو فى هذا قد أخطأ التقدير لشخصية أنور السادات .

كانت حسابات القذافى ، أو من يمدونه برؤى المستقبل .. أن أنور السادات لن يدخل معركة ..

وأنه يواجه مشكلات داخلية لن يستطيع التغلب عليها ..

ولا أستطيع هنا أن أتجاهل ، أن القذافى كان له اتصال ببعض العناصر فى مظاهرات الطلبة ..

وكانت قصص قد ترددت عن انقلاب فى الجيش المصرى !!

كل ذلك أقنع من لا يجيدون حساب شخصية السادات ، أن النظام تهاوى .. ومن هنا جاءت فكرة الثورة الشعبية فى ليبيا .. لالكى تطبق فى ليبيا .. ولكن لكى تطبق فى مصر أساسا ..

وتصور القذافى أن هذه الفكرة ستستميل الطبقة العاملة فى مصر ..

وخلال ذلك كله ، كان القذافى دائبا على الدعوة لزعامته .. مؤتمرات متلاحقة فى ليبيا .. اتصالات بجماعات من شباب أوربا .. نشرات بجميع اللغات توزع فى جميع أنحاء العالم أن القذافى هو النبى الجديد .. وكان القذافى يستخدم فى أجهزة الاعلام الليبية كل العناصر المعادية للنظام فى مصر ، ومعظمهم ماركسيون . رغم تعارض ذلك مع رأيه فى الشيوعية والشيوعيين .. ووصفه لهم بأنهم عملاء .. ووجدت بعض أقلام بيروت فى أحلام القذافى ، فرصة للحصول على أمواله .. وصرف القذافى فعلا ملايين الجنيهات ، فى شراء أقلام وصحف .. وفى انشاء صحف جديدة فى لبنان تروج لآماله وأحلامه .. وتشوه سمعة النظام المصرى ..

ثم رأى أن الطريقة المثلى .. هى انتزاع الحكم فى مصر !

ومن هنا جاءت فكرة المسيرة الى مصر ، التى أعد لها خمسون ألف شاب ليبى يزحفون الى القاهرة ، ويشعلون النار فى ملاهى شارع الهرم .. وكان المفروض أن تنضم اليهم من الداخل عناصر متمردة .. أو هكذا توقعوا على الاقل . ثم يختلط الحابل بالنابل وتعلن الدولة الواحدة .. ويبعد أنور السادات ، أو يبقى ملكا لا يحكم !

وفشلت فكرة المسيرة ..

وعالجتها مصر بمنتهى الحكمة ..

ويجدر هنا أن أشير الى الجهود العاقلة التى بذلتها مصر، لتفويت أهداف هذه المسيرة بالحسنى .. وفى الوقت نفسه عدم الاساءة الى الى العلاقات بين الشعبين المصرى والليبى .. كانت مصر قد تلقت أنباء بالتدبير لهذه المسيرة .. واهدافها .. وأن هناك اموالا تصرف لاعدادها ..

ولكن مصر فضلت الانتظار ..

ثم بدأت الاذاعة الليبية الرسمية تؤدى دورها فى تهييج مشاعر الجماهير الليبية ، والدعوة الى المسيرة ، واستغلال اسم عبد الناصر ..

فأوفد الرئيس السادات الدكتور حافظ غانم — وقد كان فى دمشق — الى ليبيا ليعلن شكره الى الشعب الليبى على مشاعره الوحدوية .. ولكى يتفاهم مع السلطات الليبية على الأسلوب الذى يجعل المسيرة تحقق أغراضها .. دون اخلال بالامن ، أو اتاحة الفرصة لعناصر معادية أو مندسة ان تستغل هذه المسيرة ..

والتقى الدكتور غانم عند وصوله مع عدد من أعضاء مجلس الثورة هم : بشير هوارى — أبو بكر حمزة — عمر المحيشى — الخويلدى الحميدى — محمد نجم — عبد المنعم الهونى ..

وكانت أجابتهم جميعا ، بعد أن نقل اليهم رسالة السادات ، أنهم لا يعرفون شيئا وأنهم سمعوا عنها فى الصحف ، وأنهم **لا يملكون السيطرة عليها !!**

وابلغهم بمعلومات القاهرة عن المسيرة .. وان هناك عناصر معادية للوحدة والقومية العربية تستغل المسيرة ، ما دام لا رابط لها ولا ضابط وخاصة أن أعضاء مجلس الثورة يقولون أن المسيرة مفتوحة لليبيين وغير الليبيين ..

وكانت أجابتهم : الشعب الليبى واع ، ويعرف كيف يقدر الظروف .. واذا حصلت خسائر فى سبيل الهدف الاسمى وهو الوحدة .. فلا بأس .. وعلى أية حال فانهم غير مسئولين عن المسيرة !

وانتقل الدكتور غانم الى منزل القذافى ..

القذافى : أنت تعرف أننى مستقيل . ولما حضرت الى مصر كنت مستقيلا .. وانا غير مسئول . ولا أعلم شيئا ..

غانم : يجب أن تتحمل مسئولياتك أمام التاريخ ، لانك تريد الوحدة ..وهذا عمل يهدد الوحدة فعلا .. أننا نريد النظام لهذه المسيرة ، ووجودك ووجود سلطة مسئولة يحقق هذا ..

القذافى : لا .. أنا مصمم على الاستقالة . والاوضاع فى مصر لا تعجبنى . أنتم تنشرون صور الملك فيصل وأمراء الخليج وتهادنون الرجعية ..

مصطفى كمال : (عضو البعثة المصرية) : أننا نطبق قومية المعركة .. والاولوية فى كل شيء الآن للمعركة .. لمواجهه اسرائيل.

ثم احضر القذافى بروازا كبيرا ، مكتوبا بداخله ، قول لجمال عبد الناصر يهاجم فيه الملك فيصل .. وقرأ القول ثلاث مرات .. ثم قال : أن المرأة المصرية تدخن السجائر .. ولا توجد فى ليبيا الا سيدة واحدة تدخن بأمر الطبيب .. أنتم لا تريدون تطبيق الشريعة الاسلامية ..

غانم : هذا الكلام ناقشناه ورددنا عليه . وعلى كل ، فمن الممكن أن تصفى دولة واحدة كل هذه القضايا الخلافية .. ولكن المهم الآن ، أن نتجنب الاضرار التى يمكن أن تلحق بالشعبين من مسيرة غير منتظمة .

القذافى : ويجرى ايه ... لو وصلوا القاهرة وكسروا شارع الهرم يبقى كويس .

غانم : الا ترى أن المحافظة على القاهرة تمثل اعتبارا قوميا ، حتى يظل الشعب المصرى على ايمانه بالوحدة ..

ولم تنته المناقشات مع القذافى الى شيء . وطلب الدكتور غانم أن يلتقى بقادة المسيرة ..

القذافى : روح قابلهم فى الشارع .. أنا لا أعرف شيئا عنهم!

غانم : كيف نتناقش فى الشارع .

القذافى : نحضر لكم ميكروفونات .. ونطلع الحوار فى الاذاعة اذا أردتم ..

غانم : اننى متمسك بطلبى مقابلة المسئولين عن المسيرة ومناقشتهم

القذافى : اذا كان على اجراءات الامن .. يبقى وزراء الداخلية يتعاملوا مع بعض ..

غانم : هل تسمح أن وزير الداخلية الليبى يحضر الى القاهرة للتفاهم مع ممدوح سالم ..

الخويلدى (وزير الداخلية) : لا .. لن انزل الى القاهرة .. اذا كان وزير الداخلية المصرى يريد الحضور الى هنا .. يتفضل

غانم : مرة أخرى أطلب الى الأخ العقيد القذافى ان يتحمل مسئولياته التاريخية .. ويعود الى عمله ..

القذافى : أنا مستقيل .. وقيادات الجيش كلها معتصمة .. ولن أعود .

غانم : المفروض أن المسيرة تجىء اليك لتأخذك الى مكتبك .

وزير الداخلية : أنا أمنعكم ان تقولوا هذا الكلام للجماهير .. لقد جئتم هنا فى مهمة خاصة !

غانم : المسيرات ممنوعة فى مصر الا بتصريح ..

واستمرت المناقشات ٣ ساعات دون جدوى ..

وفى المساء اجتمع الدكتور غانم بـ ٤٨ شابا قيل له انهم قادة المسيرة .. وتلقى الدعوة الى الاجتماع من عبد الوهاب الزنتانى محافظ بنى غازى باعتباره قائد المسيرة ..

وفى هذا الاجتماع وجه الدكتور غانم كلماته الى الزنتانى قائلا :

ـ اننى اريد أن أجرى معك حوارا طويلا أمام هؤلاء الشباب . أنت تعرف أنك حرضت الطلبة فى مصر على المظاهرات . وكانت لك بهم صلات . وقد انسحبت من لجان الوحدة ، وسجلت أنك تنسحب احتجاجا على معاملة السلطات للطلبة ، وكتبت فى محضر اجتماع

التنظيمات السياسية كلاما جارحا للكرامة المصرية .. وقلت انك تنسحب احتجاجا على القبض على الطلبة الناصريين .. وجئت الى ليبيا وأنك تقول هنا أنك ممنوع من دخول مصر وهذا غير صحيح ..

وبدأت المناقشات .. ولاحظ الدكتور غانم أن الحاضرين لا يصفقون لاسم أنور السادات على عكس ما يفعلون عندما يرد اسم آخر ..

فصارحهم الدكتور غانم : أريد اجابة واضحة .. أنتم تقولون ان المسيرة هى لمبايعة السادات على رأس دولة الوحدة فكيف اذن لا تصفقون لاسمه .. فهل أنتم ذاهبون الى القاهرة لمبايعة السادات أم لا ..

ورد واحد منهم : والله سأقول لك بصراحة .. أننا لم نصفق لاسم السادات ، لأنه يريد منع تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية .

وبدأت المناقشات تكشف عن أن القذافى حشر عقول هؤلاء الشباب ، بمعلومات خاطئة عن الرئيس السادات .. بل ومعادية له ..

حتى أن احد قادة المسيرة وقف قائلا بعد أن استمعوا الى شرح الدكتور غانم لموقف الرئس السادات من الوحدة : والله .. وانا بدأت أشك فى العقيد القذافى ..

ولكن الغالبية من الشباب ، كانوا فى قمة الانفعال .. وأعلن بعضهم أنه لا يهم لو فنى منهم الف أو الفان فى سبيل الوحدة ..

فقال لهم الدكتور غانم : هل أنتم متوجهون الى القاهرة ، لمعركة يفنى فيها الآلاف ؟ ..

وانتهى الاجتماع .. ولم يتقرر شيء ..

وقال الدكتور غانم لقائد المسيرة : أنت مسئول شخصيا عن هذه المسيرة ، مادمت قائدا لها .. لأن هذا سيضر بأهداف الوحدة

وكان رأى القاهرة ، أنها ترحب باستضافة المسيرة .. فى

مؤتمر شعبى يعقد فى مرسى مطروح ، ولا يتعداها بأى حال ..
ثم يجرى حوار ترفع نتائجه الى القيادات فى البلدين ..

وعرف ان عبد السلام جلود هو الذى كان ينظم المسيرة ..

وتتابعت الاحداث .. وتوقفت المسيرة فعلا عند مطروح . وجاء وفد منها الى القاهرة للقاء الرئيس السادات .. وذهل هذا الوفد من موقف الرئيس الذى قال لهم .. انه يوافق فعلا على كل شعارات المسيرة .. ولكن المهم أن يوافق القذافى ..

وانتهت القصة ..

لقد أوردت هذا العرض السريع .. لكى أعطى صورة للاجواء التى كان يعمل فيها الرئيس أنور السادات . وهو يقترب يوما بعد يوم من ساعة الصفر .. ومع ذلك . فقد استطاع أن يتجاوز كل هذه العقبات التى كانت موجهه الى نظام الحكم مباشرة سواء فى مؤامرة الفتنة الطائفية .. أو فى أحداث الطلبة ، أو تحركات بعض الصحفيين وبياناتهم .. أو فى موقف معمر القذافى الذى نسى هدف المعركة تماما .. وتركز هدفه فى وحدة يتصور أنها طريقه الى أن يحكم مصر ..

واذا سجل التاريخ الحقيقة ، فانه سيذكر دائما أن صبر السادات ، وأعصابه وقوة احتماله .. استطاعت فعلا أن تتغلب على هذه العقبات .

واستمرت صحافة القذافى تهاجم مصر وسياستها ..

واستمرت تهاجم السعودية والمغرب ودول الخليج ..

واستمرت توحى أنه لن تكون هناك معركة ..

وجاء ٦ أكتوبر .. مفاجأة قاهرة للجميع ..

واذا بالقذافى يعلن فى خطاب شعبى ، أنه لا يقر استراتيجية هذه المعركة ، ولا يتوقع لها النجاح .. وانه برىء منها !

وحضر الى القاهرة .. واجتمع بالقيادات العسكرية ، واطلعوه على كل الحقائق ..

ولكنه عاد الى ليبيا ، ليستمر فى الهجوم بكل وسائل اعلامه .

بل ان التليفزيون الليبى أذاع خلال المعركة ، ان هناك انقلابا في القوات المسلحة المصرية ..!

ولم ترد صحافة القاهرة.. والتزمت أجهزة الاعلام بعدم الدخول في أى معركة جانبية .

وسافر القذافى الى فرنسا .. ودعا الى مؤتمر صحفى فى باريس : أعلن فيه أن مصر قد لحقت بها الهزيمة .. وانه يأسف انه لا يوجد الآن رجل شجاع في العالم العربى ، مثل عبد الناصر

الذى اعترف بالهزيمة فى ٦٧ ..

وقال ان الملك فيصل ليس الا تاجر زيت !

ولم يتحرك أنور السادات ..

لقد كان ٦ أكتوبر اقوى من كل شيء ..

وفجأة أيضا حضر القذافى الى القاهرة ، لكى يشترك فى تكريم مجلس الشعب ، لأبطال الجيش !

والحق أن موجة من الاحتجاج عمت مشاعر أعضاء مجلس الشعب عندما علموا بأن القذافي سيحضر .. وقد فكر بعضهم في منعه حضور الاجتماع ، بعد أن اهان الكرامة المصرية والكرامة العربية كلها فى مؤتمر عقده أمام صحافة العالم فى باريس ..
ولكن مصر السمحة المضيفة الكريمة .. هى دائما مصر ..

وأحسن أعضاء مجلس الشعب استقباله .. ولكن نائبة لم تستطع أن تسيطر على أعصابها ، عندما قال القذافى انه سوف يجتمع بأعضاء المجلس فى جلسة سرية .. للحوار ..

لقد صاحت النائبة فاطمة عنان : لا .. فى جلسة علنية .. كما تكلمت ضدنا فى باريس فى مؤتمر علنى أمام صحافة العالم ..

واشار اليها الرئيس السادات ان تهدأ ..

وقد قيل للقذافى فى القاهرة فى جلسة خاصة .. ان ما فعله في باريس ، لم يجرؤ اسرائيلى أن يفعله !

وسافر القذافى مع أنور السادات الى السعودية .. والتقى بالملك فيصل .. ثم اشترك فى المؤتمر الاسلامى بلاهور ، حيث اصطدم فى مناقشة عنيفةمع الرئيس هوارىبومدين ..ثم اعترض على اجتماع مؤتمر وزراء البترول العربى على أرض ليبيا .. حيث كان القرار السابق المتفق عليه ، هو وقف الحظر بالنسبة لأمريكا ، بعد أن تقدمت خطوات ايجابية فى اقرار السلام .. وقال القذافى أنه لن يدنس أرض ليبيا باتخاذ هذا القرار على أرضها ..

وصدر القرار ..

وتضاعفت حملات صحف ليبيا على موقف مصر ..

وتتضاعفت حملات صحف بيروت الممولة من معمر القذافى .. على موقف مصر ..

ولست أدرى ما هو مصير القذافى وأنا أكتب هذه السطور .. ولكننى أعرف أن انتصار ٦ أكتوبر ، أقوى من الافتعال ، المناورات والمزايدات .

وتعرضت قبل المعركة علاقات مصر والسودان الى فتور كبير ، وكان لمعمر القذافى دور فىتعميق هذا الفتور .. بل وايجاده .. ولكن الاتصالات الواعية بين قيادات البلدين على مختلف المستويات ، تجاوزتكل هذه الخلافات الطارئة .. وكان موقف الرئيس نميرى ، وشعب السودان ، منذ بدأت المعركة ، موقفا عربيا مشرفا .. موقف الاخ الشقيق .

أما العراق .. فقد كانت عرضت مشروعات للاتحاد الفيدرالى .. وجاء صدام حسينالى القاهرة ، والتقى بالرئيس السادات فى قاعدة جوية .. وتمالاتفاق على تعاون عسكرى فى نطاق محدود .. وأسهمت العراق بخمسة ملايين من الجنيهات .. واشترك عدد من طائراتها فى المعركة .. كما اشتركت قوة مدرعات ، فى جبهة الجولان ، أبلت بلاء حسنا .. ولكن منذ قرار وقف اطلاق النار ، عاد العراق الى موقفه الاول ..

الجزء الثالث

الوثائق العسكرية

●●● ((هذا الجزء من الكتاب يتناول الجانب العسكرى من ملحمة أكتوبر ، ويصف المعارك على السنة ابطالها يبدأ هـذا الجزء بحديثين هامين مع المشير أحمد اسماعيل اختص بهما المؤلف عن حياته العسكرية والحروب التى اشترك فيها حتى تسلم مسئولية وزارة الحربية والقيادة العامة . والحديث الثانى عن الاعداد العسكرى لحرب أكتوبر بكل ما فيه من أسرار ، حتى تحددت ساعة الصفر فى ٦ أكتوبر . ثم يعرض هذا الجزء لعملية العبور واقتحام بارليف .. ثم معارك خط بارليف على ألسـنة الاسرائيليين ونفس هـذه المعارك كما خاضها المصريون .. ويلى ذلك وصف شامل لمعارك الجيش الثانى .. ومعركة تحرير القنطرة وتدمير اللـواء ١٩٠ الاسرائيلى ومعارك الطالية التى انتهت بالثغرة .. ثم معارك الطيران والدفاع الجوى .. ثم فصل عن ملحمة السويس .. والفصـل الاخير يتنـاول حقائق المـوقف العسكرى من الدفرسوار حتى مؤتمر جنيف .. ويتحدث الفريق الجمسى لأول مرة ، ويكشـف الستار عن سر الخطة ((شامل)) التى وضعت لتصـفية الثغرة وتدمير القوات الاسرائيلية فى الغرب .

القصص العسكرية هنـا كلهـا ، على ألسنة أبطالها ، وفوق أرض المعركة ، ونشرها يتم لاول مرة ، بالحقائق التاريخية التى تكشف عنهـا كل معركة ●●●

الفصل الأول

البحث عن بدلة عسكرية !

●●● ((كيف اختار الرئيس أنور السادات، مدير المخابرات العامة اللواء أحمد اسماعيل وزيرا للحربية . ولماذا اختاره ؟ ماذا دار بينهما عن المعركة وامكانية القتال ، واحمد اسماعيل لايزال مديرا للمخابرات؟ ماهى الخطة التى كان يحتفظ بها أحمد اسماعيل وهو بعيد عن القوات المسلحة ؟ .. ماذا كان دوره العسكرى قبل هزيمة ٦٧ ، وأثناءها ، وبعدها ؟.. ما هى الخبرات التى اكتسبها فى الحروب السابقة ، وعرف منها خصائص العدو الاسرائيلى ؟.. ولماذا كان يبحث عن بدلة عسكرية ، بعد أن كلفه الرئيس بوزارة الحربية .. وطلب منه أن يظل هذا سرا لمدة يومين ؟)) ●●●

مكتب الرئيس أنور السادات برياسة الجمهورية . الفريق أحمد اسماعيل مدير ادارة المخابرات العامة ، يعرض على الرئيس عددا من التقارير الهامة .

الرئيس يطلب فجأة من مدير المخابرات ، ان ينحى جانبا كل هذه الاوراق ، ثم يوجه اليه سؤالا مباغتا :

ـ ما رأيك يا أحمد فى امكانيات دخولنا معركة عسكرية ناجحة .

قال مدير المخابرات :

ـ لست أرى يا سيادة الرئيس فائدة من عملية استنزاف عادية صحيح اننا نكبد العدو خسائر ، ولكننا أيضا نتكبد خسائر . وحتى لو كانت خسائر العدو أكبر من خسائرنا ، فهى محدودة ، ولن تكون مؤثرة .

كما اننى أرى أن التفكير فى عملية عسكرية ضخمة لتطهير سيناء كلها ، أمر ليس موضعه الآن ، لانه يتطلب وقتا أطول مما تطالبنا به الاوضاع الراهنة .. كما يتطلب اعداد أكثر قد لا يتوافر لنا .

وقال الرئيس :

ـ ما رأيك اذن ..

قال مدير المخابرات :

ـ أعتقد أن المناسب الآن ، الاعداد لعملية عسكرية متوسطة بين الاثنتين . ليست استنزافا ولو كان واسع النطاق . وليست عملية شاملة لسيناء كلها . هذا تفكيرى . تطهير سيناء على مراحل

واستمرت المناقشة بين القائد الاعلى ، ومدير المخابرات العامة وقتا طويلا ، وتناولت الجزئيات ، وكان الرئيس السادات يستزيد من هذه المناقشة التى كانت مفاجأة فعلا للواء أحمد اسماعيل .. ولكن موضوعها لم يكن جديدا على تفكيره ..

ان وضع خطة عسكرية لمواجهة العدو، كانت هي الشغل الشاغل لاحمد اسماعيل حتى بعد أن أعفى من منصبه كرئيس لاركان حرب القوات المسلحة في ١٢ سبتمبر عام ١٩٦٩ .

لقد قدر جمال عبد الناصر ، موقفا عسكريا لرئيس الاركان ، تقديرا بني على معلومات غير صحيحة .. فأعفاه من منصبه .

واستمر الرجل بعيدا عن الميدان العسكرى ، ولكن لم يبتعد أبدا بفكره . ان فترة اعفائه استمرت من ١٢ سبتمبر ١٩٦٩ ، حتى ليلة ١٤ مايو ١٩٧١ عندما استدعاه الرئيس أنور السادات من منزله في الساعة الحادية عشرة والربع مساء ، ليبلغه أنه قرر تعيينه مديرا لادارة المخابرات العامة ، وطلب اليه أن يتولى مهام منصبه على الفور !

ولكن أحمد اسماعيل لم يفقد صفته العسكرية ، وهواية مهنته خلال العشرين شهرا التي أمضاها في الاعفاء . لقد تصرف فقط في ملابسه العسكرية ، وترك بدلة واحدة كذكرى أمام أسرته وأبنائه ولكن كل قراءاته وتأملاته في هذا الفراغ الذى أكره عليه — ظلما — كانت عسكرية . قرأ مؤلفات عسكرية جديدة ، واستعاد قراءة أشياء كثيرة .. ولم يترك الخرائط . ولم يترك القلم الذى يسجل به خلاصة قراءاته .. ولكنه سجل به ما هو الهم . سجل في أربع صفحات خطة عسكرية لمواجهة العدو في سيناء وهي التي ناقشه فيها الرئيس السادات ، عندما سأله فجأة عن رأيه في المعركة ..

وانتهت تلك المناقشة .. وانصرف أحمد اسماعيل الى عمله كمدير لادارة المخابرات .. ولعله نسي المناقشة . ولكن الرئيس السادات .. كان قد سجلها في ذاكرته بكل تفصيلاتها ..

وفي يوم ٢٦ أكتوبر عام ١٩٧٢ ، فوجىء مدير المخابرات ، بدعوة عاجلة للقاء الرئيس .. وفي حديقة منزل الرئيس بالجيزة ، وحوالى الرابعة بعد الظهر ، كان يسير الى جوار الرئيس في جولة المشي اليومية التي اعتادها السادات ..

وصارحه الرئيس بأنه يريد أن يختار وزيرا جديدا للحربية ، بدلا من الفريق صادق . كان الرئيس قد انتهى الى قرار واضح ، بأن الفريق صادق غير مقتنع بصلاحية الامكانيات التي تملكها

القوات المسلحة ، لخوض معركة ناجحة ، وكانت فكرة القائدالاعلى ان المسئولية التاريخية تطالبنا بالقتـال ، فى حـدود ما نملك من أسلحة وعتاد . وأن تكون المعـركة على قدر هـذه الطاقة . واذا انتظرنا امكانيات كاملة لتحرير سـيناء كلها .. فسـوف يضيع الوقت ، وليس من السهل أن تتوافر لنا .. ومن ثم تنتهى فكرة المعركة . وتدفن قضية التحرير سياسيا ودوليا فى زوايا النسيان.

وسأله السـادات :

ـ ما هى الصفات التى تراها واجبة فيمن يتولى منصبى وزير الحربية والقائد العـام ..

وعبر احمد اسماعيل عن رأيه ، ولم يكن يدور بخلده أن الرئيس سوف يفاجئه بقرار تعيينه فى المنصبين !

وقال السادات :

ـ ان هذه الصفات تتوافر فى شخصك . استعد للمعركة وعلى بركة الله !

وذكره الرئيس بالمناقشة السابقة التى جرت منذ أكثر من نصف عام ! وطلب اليه أن يظل الامر سرا عسكريا وحتى يعلنه الرئيس .

واحتفظ مدير المخابرات ، بالسر . وكانت مشـكلة ، أن الحلة العسكرية التى أبقاها فى المنزل لا تصلح لان يرتديها . كما أن الرتبة العسكرية غير موجودة . وهو اذا ((فصل)) حلة عسـكرية .. فربما انكشف الامر . ولكنه استطاع أن يعالج هذه المشكلة بأسلوبه الحذر فى الكتمان ، حتى استدعى الى حلف اليمين بعد يومين !.

ومن هنا بدأت المهمة الشـاقة ..

الواقع أن المهمة الحقيقية بدأت قبل ذلك بكثير ..

لقد بدأت المهمة الحقيقية، لاحمد اسماعيل، فى الاعداد للمعركة منذ أن عين قائدا للجبهة فى أول يوليو ١٩٦٧ . أى بعد الهزيمـة المرة بثلاثة أسابيع فقط .

كان الموقف على الجبهة رهيبا .. ومثيرا للذعر !!

يقول المشير أحمد اسماعيل ، وهو يسترجع بذاكرته هذه الايام القاسية :

ـ كانت الجبهة عبارة عن جنود متفرقين على الشاطىء الغربى بلا وحدات تجمعهم . عدد من الدبابات من مختلف الانواع، بدون قيادات ، مبعثرة هنا وهناك . المعنويات هابطة بعد الانسحاب ، وبعد تفوق العدو الرابض على الضفة الشرقية بزهو الانتصار ، ولا يفصلنا عنه أكثر من مائتى متر .

كانت أمامى مهام كثيرة فى هذا الوقت :

* اعادة بناء القوات المسلحة .

* انشاء دفاعات على الجبهة ..

* اعادة الثقة للجنود فى أنفسهم وفى قادتهم .

* اعادة الضبط والربط .

* اعادة تدريب القوات وتنظيم الوحدات .

كانت مهمة شاقة فعلا ، ولكننى أشهد أن جميع القيادات عاونتنى بكل اخلاص وكفاءة وحماسة ووفاء .

وبدأت الاسلحة تصل تدريجيا من الاتحاد السوفيتى ، بعد ان حضر المارشال زخاروف ،وزار الجبهة ،وسجل تقريرا شاملا ،عن موقف القوات المسلحة ، وحاجتها الى الاسلحة والمعدات والتدريب

والغريب اننى منذ اليوم الاول لتولى مسئولية قيادة الجبهة ، اشتبكت فى معركة مع العدو ..

ـ وكيف ؟ ..

ـ الساعة ..٥ أول يوليو تسلمت القيادة من الفريق صلاح محسن .

ـ ماذا تقصد بالساعة ..٥

ـ الساعة ٥ صباحا . وفى الساعة الثامنة صباحا ، اى بعد ثلاث ساعات فقط ابلغت بأن قوات للعدو تتحرك من القنطرة فى اتجاه بور فؤاد . حركت على الفور قوات الصاعقة لبث الالغام لتعطيل تقدم العدو . وانفجرت الالغام ، ولم يتمكن العدو من التقدم . ولكنه حاول فى اليوم التالى الاستيلاء على بور فؤاد . تصدت قواتنا بالاسلحة الخفيفة . ودمرت عرباته المدرعة المتقدمة . وساعدنا على ذلك ضيق الطريق . وأضطر العدو أن يعود مذعورا ببعض عرباته المدرعة الى العريش لانه لم يكن ليتوقع هذا الهجوم، من جيش منسحب . بل اننا تمكنا من الاستيلاء على بعض أسلحته والحق أن هذه كانت أول مواجهة فعلية مع العدو . قوات الصاعقة بالاسلحة الخفيفة ، تواجه مدرعات .

قلت :

ـ لقد استخدم هذا الاسلوب فى حرب أكتوبر ..

قـال :

ـ هذا صحيح .. وربما كانت معركة رأس العش ، هى التى فتحت لنا آفاق هذا التفكير ..

وطورنا الاسلوب حتى نجح فى العبور واقتحام خط بارليف .
ثم يقول المشير أحمد اسماعيل :

ـ الحق أن معركة رأس العش تحتاج الى مؤلف خاص . ان فيها بطولات خارقة . لا أنكر اننا تكبدنا خسائر فى الافراد . ولكن رجالنا قاموا بأعمال خارقة فعلا . لقد عبروا القنال وعادوا بجثث القتلى . كما أنهم عاودوا الهجوم على العدو وحصلوا على بعض أسلحته ولاتزال هذه الاسلحة محتفظا بها فى المخابرات الحربية . كانت رأس العش ، أول شعاع أمل ، لانطلاق كبير استمر سنوات .. وحقق ملحمة ٦ أكتوبر . لقد بدأنا نؤمن منطقة بور فؤاد .ولم يستطع العدو منذ ذلك التاريخ أن يعبر شمالا عن منطقة رأس العش . وهذه المنطقة بالذات ، كانت مركز انطلاق قوى لنا على الشاطىء الشرقى فى معارك ٧٣ .

* * *

ويذكر المشير أحمد اسماعيل ، ان أنور السادات زاره فى مركز قيادته بالجبهة فى ٢١ نوفمبر ١٩٦٧ ، وشاهد كل ما تم من اعداد للبناء العسكرى ، وسأله عن مدى استعداد القوات المسلحة للصمود . . وذلك قبل أن يخطب جمال عبد الناصر فى مجلس الشعب يوم ٢٣ نوفمبر . . أى بعد ذلك بيومين . لقد تفقد أنور السادات (رئيس مجلس الامة) الجبهة مع قائدها ، واطلع على الخطط الموضوعة للصمود ، واطمأن الى قدرة القوات المصرية على الصمود فى هذه الفترة . . أى القدرة على رد أى اعتداء مفاجىء من العدو فى ذلك الوقت .

وكانت قوات الطيران المصرية قد دخلت معركة عنيفة قبل ذلك فى ١٥ يوليه . وكانت قوات البحرية ، قد أغرقت المدمرة الاسرائيلية ايلات . . فى ٢١ أكتوبر .

ــ كيف كانت معركة الطيران ؟ . .

ــ قائد الطيران حينئذ كان الفريق مدكور أبو العز . أطلقنا مدفعية عنيفة على طول الجبهة ، استمرت يومى ١٤ يوليو و ١٥ يوليو ، بعد اشتباكات مع العدو فى الجنوب فى اتجاه السويس والفردان . مهدنا بذلك لطلعة طيران قوية . خرجت القوات الجوية بأكملها . ضربت فى الجنوب . فتحول العدو بقواته الى الجنوب . وانطلق الطيران المصرى الى الشمال ، وكان العدو بغير غطاء . . ولقن القوات الاسرائيلية درسا لن ينسى .

ويضحك المشير أحمد اسماعيل :

ــ كانت هذه أول مرة يذوق فيها العدو ضرب الطيران المصرى .

وتكبد خسائر فادحة .

واتصل جمال عبد الناصر بقائد الجبهة ليقول له ، ان اسرائيل تطلب وقف اطلاق النار ، لاول مرة فى تاريخها ، من الامم المتحدة ، ((لقد كان معى أوثانت سكرتير عام الامم المتحدة على التليفون منذ لحظات ليبلغنى بالطلب الاسرائيلى)) . .

واستراحت نفس قائد الجبهة ، على الرغم من الجهد المضنى الذى بذله فى ذلك اليوم .. لم يترك خندق القيادة من الخامسة صباحا حتى الثامنة من المساء .

* * *

ثم كان تدمير المدمرة ايلات بعد ذلك .. فى ٢١ أكتوبر ٦٧ .

لقد تم تدميرها بمجرد ظهورها بالصواريخ البحرية التى استخدمت لاول مرة ، والتى أعادت اسرائيل بعدها ، أسلوب تسليح بحريتها .. وكانت ضربة ايلات بهذه الصواريخ حديث العالم كله ..

لقد استخدمنا نفس الاسلوب الاسرائيلى . تم تدميرها . ثم أبلغنا الامم المتحدة أن مدمرة مجهولة تقترب من مياهنا الاقليمية .. واذا دخلتها ، فاننا سنضربها . وبعد نصف ساعة أبلغنا الامم المتحدة ، انها دخلت مياهنا ودمرناها .

قلت المشير أحمد اسماعيل :

ـ هذه هى معلوماتى الصحفية عن قصة تدمير ايلات ..

اجاب المشير :

ـ ليس لى دخل بهذه المعلومات الصحفية . الذى أصرح به كقائد للجبهة حينئذ أننا دمرنا ايلات بعد أن اقتحمت المياه الاقليمية ، وتحدت تحذيرنا .

هذه العلامات الثلاث ..

معركة رأس العش .. ضربة الطيران المصرى . تدمير ايلات .. كانت منطلقا للامل فى معركة فاصلة مع العدو .. حتما سيجىء يومها .

* * *

واستمر أحمد اسماعيل يعمل بهذا الايمان . أنشأ الجيشين الثانى والثالث . تولى قيادتهما . ثم اقتصر على قيادة الجيش

الثانى . وتولى عبد القادر حسن قيادة الجيش الثالث . ثم انتقل رئيسا لهيئة العمليات فى القوات المسلحة . وأشرف على تخطيط عمليات الاستنزاف الرئيسية . فوجىء العدو بأول قصف عنيف المدفعية على طول الجبهة فى ٨ مارس ١٩٦٨ . وبدأت حرب الاستنزاف . وكان انتقام العدو بضرب الزيتية والسويس . ثم عين رئيسا لاركان القوات المسلحة فى ٩ مارس ١٩٦٩ بعد استشهاد الفريق عبد المنعم رياض ..

وهنا يقول : كان عبد المنعم رياض قائدا عسكريا ممتازا .

وفى ١٢ سبتمبر أعفى من منصبه .

ولعل الرئيس جمال عبد الناصر قد شعر ان قرار الاعفاء لم يكن فى موضعه .. ففاجأ أحمد اسماعيل ، فى منتصف فترة اعفائه بتقرير معاش وزير له ..

وسألت المشير أحمد اسماعيل : ارجو أن تجيبنى بكل صراحة .. هل كنت مقتنعا وأنت قائد للجبهة اننا سنحارب اسرائيل فعلا ان معلوماتى الصحفية ، ان الرئيس جمال عبد الناصر كان يعيد بناء القوات المسلحة فعلا ، ولكنه لم يكن مقتنعا بأن حربا أخرى سوف تحرر الارض .. وكان يخطط لان الحل السياسى هو السبيل الوحيد ..

وأجاب الرجل :

ـ اننى رجل عسكرى لا دخل لى بالسياسة . ولكننى أقول أن ايمانى الذى لم يتزعزع يوما ، بعد هزيمة ٦٧ ، هو أنه لا سبيل لتحرير الارض الا بالحرب . وبوحى هذا الايمان كنت أعمل بكل جهدى وطاقتى .

بل اننى فكرت وأنا معزول ، ان ارسل الخطة العسكرية التى وضعتها الى الرئيس جمال عبد الناصر . ولكننى خشيت أن يتصور أحد ، اننى استخدم هذا الاسلوب للتقرب ، بهدف أن أعود الى القوات المسلحة .. فآثرت الصمت ، حرصا على كرامتى ..

وسألت : وأين كان موقعك فى حرب ٦٧ ؟

وبدا لى كأن المشير لا يريد أن يتكلم .

من الصعب على المتحدث اليه ، أن يكتشف من قسمات وجهه حقيقة انطباعاته .. ان فى قسماته طبيعة صخرية . ولكنه يبدو انسانا آخر عندما يضحك ولكن بقدر .. ويبتسم .. ولكن فى حدود !

ولم أستطع أن أعرف أى نوع من الذكريات أثرت فى وجدانه .

ولكن كلماته كشفت عن طبيعة هذه الذكريات .. دون أن تتغير قسماته بأى تعبير وهو يروى المأساة .

قال المشير أحمد اسماعيل :

كنت حينئذ رئيسا لاركان القوات البرية .. كان يقودها الفريق أول عبد المحسن مرتجى .. لقد تألفت قيادة القوات البرية فى ١٧ مايو ١٩٦٧ ، لقيادة جبهة القتال فى سيناء . ولكنها أعطيت اختصاصات غير كاملة كقيادة . لقد كنا ٢٠ ضابطا فقط ، والمفروض أن تتكون القيادة السليمة من ١٥٠ ضابطا على الاقل ، وكانت المهام المحددة لنا ، هى السيطرة على القوات ، ونقل صورة كاملة للقيادة العليا فى القاهرة التى كان يتولاها المرحوم المشير عبد الحكيم عامر والفريق أول محمد فوزى .

وتحركنا الى جبل ((الميثان)) فى سيناء يوم ٢٩ مايو ١٩٦٧ .

قلت : أى قبل الحرب بسبعة أيام فقط ..

قال : نعم .. بسبعة أيام فقط .. وبدأنا عملنا ، وقد استدعينا بعد ذلك لكى نكون فى مطار تمادة فى الساعة التاسعة من صباح ٥ يونيو ، لاستقبال المشير عبد الحكيم عامر . وفوجئنا بضرب المطار وتدميره من العدو ونحن فيه .. فعدنا على الفور الى أماكن تمركزنا . وكانت هذه أول معلومات عن بدء المعركة ..

قلت : اذن لم يكن هناك أى اخطار لكم كقيادة لجبهة القتال ، أن تتوقعوا هجوما من العدو فى الخامس من يونيو ..

قال : لم يحدث ..

قلت : سمعت انه كانت هنـــاك خطة دفاعيـــة معدة للقوات المسلحة .. ثم وضعت فى الايام الاخـــيرة قبـــل ٥ يونيو خطة هجوميـــة ..

قال : الصحيح هو العكس .. كانت لدينـــا خطة هجومية .. ثم استبدلت فى الايام الاخيرة بخطة دفاعية .. ومضى وقت كنـــا لا نعرف فيه .. هل سنهاجم أم سندافع .. وقيل لنا أن نترك أمر هذا ، ليتقرر ونحن فى الجبهة ، طبقا لتطورات الظروف !!

قلت : وماذا جرى بعد مفاجأتكم بضرب المطار ..

قال : بدأنا نمارس اختصاصنا .. ولكننا اكتشفنا أن الاوامر كانت تصدر مباشرة من القيادة العليا فى القاهرة الى التشكيلات العسكرية فى الميدان ، دون أن تمر علينا ، ودون أن نعرف عنهـا شيئا !! وأذكر قبل ٥ يونيو أننى طلبت من الفريق أول عبد المحسن مرتجى أن يتوجه الى القيادة العليا فى القـــاهرة ، ليحدد الموقف العسكرى .. هل سنهاجم .. أم سندافع ! وكان علينا بطبيعة الحال أن ندافع بعد أن بدأ العدو الضربة الاولى .. لقد بدأت المعركة فى اتجاه رفح والعريش وكان من الطبيعى أن يحقق العدو كسبا ، لانه هو البادىء بالهجوم . ولكن كان من الممكن ايقـــاف التقدم بعد ذلك . كان لدينا من القوات ما يكفى للقتال .. ولا أقول للانتصار .. ولكننا فوجئنا بقرار الانسحاب بعد ٢٤ ساعة !

قلت : من أبلغكم بقرار الانسحاب ..

قال : لم يبلغنا أحد . لقد عرفناه بالصدفة من قائد الشرطة العسكرية الذى كان ينظم مرور قوات الانسحاب ، وفى اليـــوم الثانى للانسحاب .. أى فى ٧ يونيو !

لقد كان تصور القيادة العليا للمعركة ، تصورا خاطئا ، بسبب تضارب المعلومات ، وأصدرت الامر مباشرة لقائد الجيش الفريق صلاح محسن بالانسحاب فى خلال ٢٤ ساعة دون علمنا !

وكان الانسحاب قاسيا . فالقوات كثيرة العدد والعتاد ، وخاصة اعداد الدبابات وكان عليها أن تنسحب غرب القناة على ٣ محاور رئيسية فى منطقة المضايق ، تحت السيطرة الجوية الكاملة للعدو

كانت مخـاطرة ومجـازفة غير محسوبة . ولا شك أن عدم وضع التخطيط المناسب للانسحـاب ، أثر من ناحية حجم الخســائر وجسامتها .

قلت : ولعل هذا ابسط مايقال عن هزيمة ٦٧ ..

ولم يعلق المشير أحمد اسماعيل .. ولكنه انتقل سريعا الى عملية بناء القوات المسلحة من جديد ، كما شرحها من قبل !

***

القصـه فعـلا قاسـية ..

ان قصة هزيمة ٦٧ قاسيه فعلا على مقاتل ، بدأ مواجهة العدو منذ عام ١٩٤٨ على أرض فلسطين وعلى عسكرى ، تدرج فى المناصب العسكرية من أولهـا الى ارفعها .. وعلى قائد لم يصـل الى مسئولياته بغير اسلوب الدراسة العلمية العسكرية ..

ان شهادة تخرجه فى كلية أركان الحرب ، تقول عنه ، أنه أحد أحسن طالبين . ونص الشهادة يعوض عن أى تعبير ..

كما تعترف شهادة تخرجه فى الاكاديمية العسكرية فى عام ١٩٦٥ بتفوقه الرائع .

ان هذه الاكاديمية هى أول دراسة عسكرية على مستوى عـال فى تاريخ مصر . الدراسـة فيها على مستوى جيش ، ومجموعة جيوش ، وعلى المستوى الاستراتيجى . وأساتذتها خبراء سوفيت على أرقى درجة عسكرية . وقد أنشئت الاكاديمية فى مصر ، على نمط مثيلتها فى الاتحاد السوفيتى والدراسة فيهما واحدة .

نعم كان قاسيا على مثل هذا القائد العسكرى الجاد ، أن يواجه عبث ما جرى فى يونيو ٦٧ .. وهو الذى مارس مواجهة العـدو منذ قتال ١٩٤٨ !

لقد بدأت حرب ٤٨ وهو طالب فى كلية أركان حرب ، فأوقفت الدراسة ، واستدعى الجميع ، طلبة ومدرسون الى أرض فلسطين،

وليلة وصوله اشترك الرائد أحمد اسماعيل فى صد هجوم العدو فى اتجاه العريش . وقاد سرية فى قطاع غزة ..

وكان العدو يقاتل بالعصابات وكنا نقاتل بقوات جيش منظم ..

وماذا كان أول انطباع للضابط الشاب ، عنـــد أول مواجهـــة للعـــدو ؟؟ .

قال المشير أحمد اسماعيل :

ـ كان لدى العدو أسلحة حديثة .. وكان ماهرا فى استخدام السـلاح ..

كان أسلوبه هو الخداع .. يوهم بالهجوم من ناحية ، ويهاجم من ناحية أخرى .. أو يوهم بهجوم كبير .. ليغطى هجوما آخر

***

وبعد ٨ سنوات وفى عام ١٩٥٦ . كان العقيد أحمد اسماعيل قائدا للواء الثالث مشـــاة فى القنطرة شرق . وكانت مهمـة اللواء الدفاع عن بورسعيد . وكان قد أعدخطة لمقاومة أى انزال من العدو فى بورسعيد ، كما تصور خطة العدو .

وفى منتصف الليل . يوم ٢٩ أكتوبر أيقظـه المرحوم اللواء على عامر ، قائد الجبهة الشرقية ، ليخطره بأن قوات العدو نزلت فى ممر متـلا . وعليـه أن يتحـرك باللواء الى منتصـف سـيناء ودخل أحمد اسماعيل بلوائه الى « بير روض سالم » على الطـريق الاوسـط وكانت المهمة ستر تحرك الوحـدات المصرية المدرعـه فى سيناء .

وبدأ القتـــال .

ودخلت قوات العدو فى الحسنة ..

وصدر فى الليل أمر بالانســحاب الى الغــرب .. بعد أن ثبتت فيه القوات البريطانية فى الاسقاط على بورسعيد ..

وكان عليه أن يقوم بستر عملية الآنسحاب ..

ودخلت الى بورسعيد أول كتيبة مصرية انسحبت..واتخذت مواقعها قبل الانزال مباشرة . وكانت هى الكتيبة الرابعة مشـاة

وادى بقية اللواء مهمته فى الدفاع عن بورسعيد .. وقدتسلم المدينة بعد تحريرها ، ورفع العلم المصرى فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦

ـ ما هو اذن الانطباع الجديد للمشيراحمد اسماعيل بعد هذه المواجهة الثانية مع العدو .. عن أسلوب العدو فى القتال ؟ ..

قال المشير أحمد اسماعيل :

ـ القتال هذه المرة كان بين قوات مسلحه نظامية . وقد لاحظت أن العدو يستخدم المدفعية بمهارة ، ليغطى الضرب من الجو . كما أنه نهاز للفرصة اذا سنحت ، وبأسرع ما يمكن . يجيـــد اكتشاف نقط الضعف . يتهرب من القتال مواجهة . يلجأ الى تحسس الاجناب . لا يقاتل وهو مكشوف . يعتمد على المدرعات اعتمادا أساسيا فى قتاله ، ويحرص على تفوق طيرانه . يختار طريقا للهجوم ، يعرف أنك أسقطته من تقديرك ، لانه لا يصلح لسير المدرعات مثلا ، ولكنه يتقدم منه . الضابط اليهودى ذكى ومكير . يحاول دائما فى خططه الابتعاد عن مواقعالقوة فى قواتنا. يضع خطته على أساس توفير كل ضمانات النجاح .

ويضيف المشير احمد اسماعيل :

ـ كما لاحظت أن العدو يجيد اســتخدام العنصر النفسى فى تخويف من يقاتله . انه يدرب بعضالافراد المتخصصـ ينفىنوعيات قتالية محدودة ، تدريبا ممتازا ، وذلك لكىيستخدمهم فىالضربة الاولى .. وطبيعى أن يتحقق له النجاح .. ولكنه يهدف الى الايهام بأن كل قواته فى الخلف بمثل هـذه الكفاءة القتاليـة .. وهذا طبعا يثير عدم الثقة والزعزعة ..

مثلا .. يجيد اعداد دبابات ممتازة .. ويتقدم بها .

وفى العمليات الفدائية .. انه يختار عددامحدود من المتازين، ليقوموا بعملية .. وتنجح العملية .. فيوهم من يقـاتله أن كل

قواته على هذا المستوى .. وقد لاحظت بعد ذلك ، فى عمليات الاستنزاف بعد ٦٧ أن العدو يختار أحسن طياريه فى طلعـــات الاستنزاف .

ولكن العدو ينكشف بعد ذلك ، اذا دخل فى عمليات تحتاج الى مواجهة واسعة ..

وانتهت حرب ٥٦ .. وجاءت حرب اليمن . ولكن احمـد اسماعيل لم ينتقل من سيناء أيضا ! كان قائدا لجبهــة سـيناء أثناء حرب اليمن وكانت فرقته (الثانية مشاة) هى المسئولة عن تأمين سيناء . وسحبت منه قوات مدربة تدريبا عاليا .

وتدرجت به المناصب العسكرية بعد ذلك .. رئيس أركان القوات البرية فى ١٩٦٥ . ثم قائدا للمنطقة الشرقية .. ورئيسا لاركان القوات المسلحة ، الى أن فوجىء بقرار الاعفاء من الرئيس جمال عبد الناصر فى ١٢ سبتمبر ١٩٦٩ ..

ثم فوجىء بقرار اعادته من الرئيس أنور الســـادات مديرا للمخابرات العامه فى ١٤ مايو ١٩٧١ .

ثم فوجىء بقرار اختياره وزيرا للحربية فى ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢ .. وكانت المشكلة الاولى أن يبحث فى كتمــان عن بدلة عسكرية .. حتى يحتفظ بالسر الى موعد حلف اليمين .

وحلف اليمين بعد يومين .. وبدأ يواجه مسئوليات الاعداد لحرب أكتوبر ..

الفصل الثانى

٤٨ ساعة فى برج العرب

●●● « فى هذا الفصل يروى المشير أحمد اسماعيل للمؤلف تفصيلات الاحداث يوما بيوم، منذ أن تولى وزارة الحربية ، حتى ساعة الصفر فى ٦ أكتوبر .. ما هى المهام التى واجهها فى القوات المسلحة ؟.. ماذا كانت العقبات ؟ .. كيف وضعت الخطة ؟ .. ماذا دار فى اجتماع برج العرب الذى استمر يومين فى ضيافة الرئيس أنور السادات ؟.. وماذا دار فى الاجتماع مع الرئيس حافظ الاسد ؟.. سر اجتماع أغسطس فى الاسكندرية الذى حضرته القيادات السورية. ماذا كانت نتائج رحلات أحمد اسماعيل الى موسكو ؟.. وما هى الاسلحة التى ركز على طلبها . كيف أمضى القائد العام أيام ما قبل المعركة ؟ » ●●●

قالِ لى المشير أحمد اسماعيل :

فى السادس والعشرين من أكتوبر عام ١٩٧٢..وكنا فى رمضان استدعانى الرئيس أنور السادات ظهرا الى منزله فى الجيزة . استقبلنى فى الحديقة ، وكان ذلك فى الوقت الذى يخصصه للمشى . ذكرنى بما سبق أن قلته له بأننا يمكن أن نقوم بعمليات عسكرية ذات أثر فعال ضد أسرائيل . ناقشنى مرة أخرى فى هذا الرأى ؛ وبتفصيل أكثر من المرة السابقة . طلب منى أن أقترح عليه من يمكن أن يتولى هذه المهمة فى هذه الظروف . رشحت للرئيس أسماء من عسكريين حاليين وعسكريين سابقين. لاحظت أن الرئيس يعرف هذه الشخصيات معرفة وثيقة بكل مزاياها ، وبمختلف جوانبها . استمر نقاشنا حول هذا الاختيار أكثر من ساعة ونحن نجوب الحديقة سيرا هادئا .. كانت خلاصة المناقشات هى تحديد الصفات الواجب توافرها فيمن يتولى هذه المسئولية ..

وفجأة ألمح لى الرئيس .. انه يرغب فى أتولى أنا هذه المهمة .. لانه يرى توافر هذه الصفات فى شخصى ..

والحق اننى لم أتردد فى القبول . قلت للرئيس : اذا كان الامر تكليفا فاننى فى خدمة مصر وفى خدمة الرئيس فى أى مكان تضعنى فيه ..

ثم بدأ الرئيس يعطينى توجيهاته بالنسبة لما يجب ان يفعل من الآن . شرح لى تصوره السياسى والعسكرى . كان يرى أن العمل السياسى يجب أن يكون فى خدمة العمل العسكرى . وأن العمل العسكرى يجب أن يكون فى خدمة العمل السياسى . طرح لى جوانب سياسية عديدة على المسرح العربى والمسرح العالمى ، كانت خافية على . شعرت انه يتخذ قراراته بحسابات بالغة الدقة ، تقدر كل الاحتمالات المتوقعة ..

وسألت المشير :

وماذا كانت خلاصة آراء الرئيس ؟

المشـــير :

ـ كان الرئيس يرى أن الحل بالطرق السلمية أصبح مستحيلا .. واستبعد الرئيس أن يحدث هذا تماما . وكان يقينه أنه لا مفر من القتال ، وأن اسرائيل لن تتزحزح شبرا واحدا ، بغير أن تكره على ذلك بالحرب . وطلب منى الرئيس أن أبدأ عملى على الفور ، بهدف أن تكون القوات المسلحة المصرية جاهزة للقتال .

ثم قال الرئيس : ولكن احتفظ بكل ما قلناه سرا حتى تحلف اليمين بعد يومين ..

وترك المشير أحمد اسماعيل منزل الرئيس فى الجيزة قبيل الافطار بفترة وجيزة . وتوجه الى منزله ، ولكن ذهنه كان ينشط بالتفكير المتصل فى هذه المسئولية الخطيرة : تولى قيادة القوات المسلحة . والاستعداد للحرب .

وهو يقول :

ـ وكانت عندى بعض معلومات عن التطورات الموجودة فى المسلحة ، بحكم منصبى فى المخابرات العامة الذى توليته منذ ١٤ مايو . ولكنها طبعا لم تكن كافية . وبدأت أفكر فيما يجب أن يكون عليه التخطيط المقبل للقوات المسلحة . لم أشأ أن أضيع دقيقة واحدة . وكان السؤال الذى يجب أن أجيب عليه هو : كيف يمكن أن نعد القوات المسلحة ـ فى ظروفها الراهنة ـ الى أن تكون جاهزة للقتال فى أقرب وقت ممكن ؟ ..

والسؤال الثانى : كيف يكون هـذا الاعداد بحيث نضمن الانتصار على العدو ؟ ..

وتم حلف اليمين بعد يومين .. وتوجه القـائد الجديد الى مكتبه بوزارة الحربية ..

قال المشـــير :

ـ كانت أمامى مهام رئيسية عديدة ..

أولى هذه المهام ، هى دعم وايجاد ثقة الجنود والضباط والقادة فى أنفسهم وفى سلاحهم .

كانت هذه خطوة أولى واجبة .

* ثم كان على أن أدرس بدقة كاملة ، وتفصـــيل دقيق ، كل المشكلات والصعاب القائمة أمام القوات المسلحة وكيفيـــة التغلب عليها (أقصد المشاكل الخاصة بالقتال) .

* ثم تطوير القوات المسلحة، بالتسليح والتنظيم، بما يتناسب مع العمليـــات المقبلة .

* واعداد برنامج تدريب شاق متواصل ، على أرض تشـــابه أرض القتـــــال .

.. ثم مهمة اساسية جـــدا ..

* وهى تجهيز مسرح العمليات ، تحت ستار تحسين الدفاعات المتعمية على العدو ، وفى نفس الوقت اعداد مسرح العملياتللهجوم

ويستطرد المشير أحمد اسماعيل قائلا :

ـ ومع ذلك كله الارتفـــاع المستمر بمعنويات الجنود والضباط الذين ظلوا فى الخنادق ست سنوات متصلة .

وسألت المشـــير :

ـ لقد بدأت المهام الرئيسية بالحديث عن دعم وايجاد الثقة فى المقاتل وفى سلاحه .. هل كانت الصورة مزعجة بالنسبة للثقـــة فى القتال وفى الســـلاح ..

وأجاب المشـير :

ـ أرجو أن تحتفظ بهذا السؤال لنفسك . ليس من طبعى أن أتحدث عن سلبيات أى قائد قبلى تولى المسئولية . هذه شيمتى. واننى أقول دائما ان التطوير الذى حدث فى القوات المسلحة حتى حققت انتصـــارات أكتوبر ، لم يكن أبدا وليـــد عملى .. ولكنـــه

استمرار لتطوير بدأ منذ سنوات . وأنا قلت ان الفريق أول محمد فوزى أسهم فى هــذا التطوير ..

قلت :

ــ ولكن توليك وزارة الحربية والقيادة العامة ، أعقب اعفــاء الفريق صادق من المنصبين ؟ ..

قال : ليس من مهمتى أن أتحدث فى هذا الموضوع . وقد أعلن الرئيس أنور السادات أنه كان قد أمر الفريق صادق بمهام معينة ولم ينفذها . وليس من حقى أن أتحدث فى هذا الموضوع ..

* * *

واذا قطعت الاسترسال فى هذا الحديث، فأننى أسجل أن الموقف العسكرى عند اعفــاء الفريق صادق كان يستدعى فعلا ، عمــلا ايجابيا سريعا وحاســما .

كانت وجهة نظر الفريق صادق ، أن السلاح السوفيتى الذى نملكه متخلف عن السلاح الامريكى الذى يملكه الاسرائيليون . وأن الموجود لدينا من هذا السلاح لا يكفى لضمان نجاح معركة عسكرية وأن الامر يحتاج الى وقت طويل ، والى أسلحة جديدة متطورة ، لكى نكون مستعدين لمواجهة القوات الاسرائيلية . وكان الفــريق صادق يتحدث بذلك الى القادة فى القوات المسلحة . وكان يرى أن الاتحاد السوفيتى يمسك عن اعطائنا حاجتنا من السلاح ، وهو يعلم أننا مضطرون للقتال لتحرير الارض ، حتى ندخل فى معركة عسكرية نتجتها ضربة عسكرية قاصمة .. وبعــدها يحدث خراب داخلى ، يكون أرضا ممهدة للشيوعية .. كان هذا هو اقتناعه .. وكان مخلصا فى هذا الاقتناع مع نفسه ، ولكنه خلط فى هــذا بين المسئولية العسكرية والمسئولية السياسية . وشجعه على هــذه الآراء أصوات من خارج القوات المسلحة كان الفريق صادق يثق فى تفكيرها السياسى ، وصدق تصورها للتيارات العالمية . وقــد أشاع رأى الفريق صادق بين القوات المسلحة ، جوا من عــدم الثقة فى امكانية كسب معركة بالاسلحة القائمة .. وكان الضباط الذين يخالفون هذا الرأى ، يشك فى تأثرهم بالدعاية السوفيتية

.. مما أوجد موقفا خطيرا ، كان يجب مواجهته بحسم وبسرعة.

وقد فوجىء الرئيس أنور السادات ، بأن الفريق صادق لم ينفذ مهام قتالية أمر بها القائد الاعلى ، للاستعداد للمعركة ..

وانتهى الامر ، بقرار اعفاء الفريق صادق .

وقبل اصدار هذا القرار ، كان الرئيس قد تلقى تقريرا بما يثور بين عدد من القيادات من مناقشات حول امكانية أو عدم امكانية القتـــال ..

وكان من الممكن أن يتطور الامــر الى تسيب لا تتحمله القــوات المسلحة ، والقيادة العليا ، تعد للقتــال ..

وكان الفريق صادق قد أجرى بعض التنقلات فى المواقع العسكرية بمنطق فهمه السياسى .. وهنا كان التأخير فى تغيير القائد العــام يشــكل خطــورة ..

وقد استدعى الرئيس أنور السادات ، الفريق الشاذلى رئيس أركان الحرب حينئذ ، وأبلغه بالقــرار .. وأبلغه باختياره لوزير الحربيـــة الجديد .

* * *

وقد انطلقت اشاعات عديدة حول قرار اعفاء الفريق صادق ، وخاصة أنه صدر بعد عودة الدكتور عزيز صــدقى رئيس الوزراء من رحلته الثانية الى موسكو .. وأمكن وضع قاعدة جديدة لعلاقات حسنة مع الاتحاد السوفيتى .. ورددت الاشاعات أن الفريق صادق أبعد عن الجيش بناء على طلب الاتحاد السوفيتى ..

وهذا غير صحيح بطبيعة الحال جملة وتفصيلا .. على الرغم من أن أقوال الفريق صادق فى زياراته للقوات ، كانت تزعج الروس وتثير غضــبهم ..

ولكن الرئيس أنور السادات لم يكترث لهذه الاشاعات ..

وقال لى حينئذ : لقد كنت واثقا تماما ، أن اعفاء الفريق صادق ، سيستغل ضدنا .. وأنه سيقال انه تم بناء على طلب الاتحـــاد

السوفيتي .. ولكنني لم أهتم أبدا بما يمكن أن يقال . ان اهتمامي في المقام الاول ، هو بمو جوب اتخاذ القرار في توقيته المناسب ، وبدون أدنى تأخير .. أما الاشاعات فلا يمكن أن تتحكم في سياسة الدولة ».

* * *

أعود الى جلستي مع المشير أحمد اسماعيل ..

أكمل المشير استطراده في الحديث قائلا :

ـ وكان لابد اولا من اكمال كل نواحي النقص التكنولوجية .. فعدون متقدم .. وأمريكا تمده بأحدث الاجهزة التكنولوجية في مختلف الاسلحة . وقد كان تفكيري في التخطيط الجاد للعمليات ، على ثلاثة أسس :

أولا : دراسة كل امكانيات العدو دراسة تفصيلية كاملة .

ثانيا : التخطيط للعمليات بما يتناسب مع قدرات وامكانيات القوات المسلحة .

ثالثا : التنسيق المخلص الجاد الصادق مع القوات السورية .

وبالنسبة لهذا الاساس الثالث ، أحب أن أسجل ، أن هذا كان قراري منذ اللحظة الاولى التي توليت فيها المسئولية . يجب أن يكون التنسيق جادا وصادقا مع القوات السورية ، حتى نرغم العدو على القتال في جبهتين في وقت واحد لتشتيت جهوده . فالحقيقة التي يجب أن تعرف الآن أن التنسيق بين مصر وسوريا في حرب ٦٧ ، لم يكن صادقا من الطرفين . كانت سوريا تخفي عن مصر خططها الحقيقية وكانت مصر تخفي عن سوريا خططها الحقيقية . كان الشك متبادلا ولا يمكن أن يدخل جيشان في معركة واحدة ، بغير مكاشفة كاملة بكل الاسرار والخطط .. والتنسيق الكامل ، لكل تحرك من الجانبين .. وأحب أن أسجل ، أن تعاون القوات السورية معي ، كان تعاونا مشرفا وصادقا ، ولذلك كان التخطيط للمعركة موفقا ، ومدروسا دراسة كافية من الجانبين .

ثم قال المشير أحمد اسماعيل :

ـ وبدأت السفينة تسير ..

أمكن تذليل الصعوبات يوما بعد يوم ..

الدولة لم تبخل علينا بكل ما طلبناه من اعتمادات مالية ضخمة .

وكان الرئيس أنور السادات معنا فى كل أفكارنا ، خطوة بخطوة .. كنت أعرض عليه تطورات موقفنا أولا بأول ، وكان تشجيعه المستمر ، وايمانه بالقوات المسلحة وايمانه بالمعركة .. وقودا ملهبا لمضاعفة العمل بثقة وحماسة .

وأسجل أننى وجدت تعاونا كاملا من جميع أجهزة القوات المسلحة ربما لانه كان لى شرف أننى درست فى كلية أركان الحرب لغالبية القادة الموجودين .. ربما لزمالتى الموفقة للكثيرين من القادة .. ربما لاننى كنت قائدا للجبهة والجميع خدم معى وزاملونى فى أيام الصعاب .. مهما كانت الاسباب .. فقد أسعدنى هذا التعاون الايجابى الكامل .. وشعرت بأننى لست غريبا بين اسرتى التى اضطرتنى الظروف لتركها فترة غير قصيرة ..

وكان الجميع متلهفين على المعركة . ولكن كان ينقصهم الاجابة على السؤالين .. من أين نبدأ .. وكيف نتحرك ..

قلت :

ـ ولكن كيف أمكن تحقيق المهمة الاولى . وهى اعادة الثقة بالنفس . واعادة الثقة بالسلاح ؟ ..

قال المشير :

ـ تحقق ذلك بالزيارات لجميع الوحدات . والتأكيد الواثق الحقيقى بأن المعركة آتية لا ريب فيها . وبالتقدير الواقعى مع مختلف القادة ، للموقف عسكريا واستراتيجيا وتعبويا .

لقد وضعنا خطة عامة يجب أن نقوم بتنفيذها ، لتحقيق الاهداف السياسية والاستراتجية التى وضعها السيد الرئيس فى تكليفه الشفهى لى أولا .. ثم فى تكليفه الكتابى بوثيقة تاريخية ..

قلت : أين هذه الوثيقة ؟ ..

قال : انها من الاسرار . ولم يحن الوقت بعد لاذاعتها ..

قلت : الا يمكن أن أنشر جزءا منها ..

قال : مستحيل الآن .. ونعود الى موضوعنا ، دعم الثقة

بالنفس وبالسلاح . كان تخطيطى أنه لابد لكل من يقوم بعمل ما ، أن يكون مقتنعا به ، وأن يكون فى طاقته الشخصية وقدرات سلاحه لقد عملت تقديرا عاما للموقف . خرجت بخطة فى ذهنى . اتفق القادة الكبار عليها . القادة الاصغر فالاصغر على التوالى ، على كل منهم أن ينفذ جزءا من الخطة فى موقعه واختصاصه . بدأت أعقد الاجتماعات . تجرى المناقشات الحرة الصريحة . ما هى المهام التى يمكن أن يحققها كل منهم بالامكانيات التى فى يده ؟ .. ما هو تقديره الشخصى للموقف ؟ .. ما هى التعديلات التى يقترحها لامكانية التنفيذ ؟ .. ماذا ينقصه من سلاح ؟ .. ما هى الوسيلة لتعويض هذا النقص ؟ ..

وكثيرا ما كنت أقف على شاطىء القناه ، واستطلع مع القائد ، موقع العدو ، بما لدينا من معلومات .. ونناقش فى أدق التفصيلات ، هذا الموقع ، كيف يمكن الاستيلاء عليه . من الامام ؟ أو من الخلف ! أو من الاجناب ؟ .. ماذا يلزمه للاستيلاء عليه ؟ . ماذا ينقصه .. هل هناك فكرة أخرى ؟ .. ما هى الاحتمالات المتوقعة من العدو . الى آخر كل ذلك ، بحيث نصل الى اقتناع موحد ، بأمكانية التنفيذ ، بالقوات الموجودة ، وبالسلاح الذى فى يدنا .

وبعد أن اقتنع القادة أنهم قادرون بواسطة الاسلحة والقوات التى لديهم .. بدأ التخطيط التفصيلى للخطط يأخذ الطابع الرئيسى للعمل فى كل أجهزة القوات المسلحة . وبدأت تهيئة مسرح العمليات .. بكل ما يحتاج اليه التنفيذ .. وسرى الاطمئنان بين الجميع ، على قدرتهم على تحقيق الهدف الكبير .

قلت : ماذا كانت الخطوة الهامة فى تهيئة مسرح العمليات ؟ ..

قال المشير : لا أستطيع أن أذيع كل الاسرار . ولكن يكفى أن أقول اننا أنشأنا سدا عاليا ثانيا من المصاطب الترابية . خرجت قواتنا من الخنادق . استطعنا أن نرى العدو وأن نراقبه . وخططنا لاستخدام هذه المصاطب الاهرامية ، فى أغراض عسكرية عديدة ، لم يفطن اليها العدو أبدا حتى بدأنا القتال .

قلت : سمعت أن وجود الخبراء السوفيت ، كان يعنى أنهم يشتركون فى وضع الخطط العسكرية ..

قال : طبعا وجود خبراء كان يعنى أن يقدموا أفكارهم .. وآراءهم ولكن الخطة المصرية وضعت بعد خروج الخبراء السوفيت

وعلى أساس معرفتنا الكاملة بكل شبر فى أرضنا . فى سيناء وكانت تعدل جزئيا وفقا لظروف الواقع . لقد خدمت فى سيناء خمسة عشر عاما . أعرفها شبرا شبرا . لا أتصور شيئا ، لاننى عشته على الطبيعة فى مختلف مواقعى العسكرية . وكذلك عدد كبير من زملائى فى القوات المسلحة . الخطة العسكرية التى نفذت ، شىء مختلف تماما ، عن الافكار التخطيطية التى كنا نسمعها من الخبراء السوفيت . كانت هناك أفكار أن نعبر من موضع واحد ، ونكون رأس كوبرى واحد . وكانت هناك أفكار أن يكون هبوطنا فى الممرات .. أفكار عديدة .. ولكنها ليست خططا .

قلت : ولكن كيف تغلب على المصاعب الاخرى .. التسليح مثلا .. وهذا شىء هام ؟

قال : كان تفكيرى .. الذى كان الرئيس السادات مقتنعا به كل الاقتناع .. قبل أن يكلفنى بمسئولية الحرب ، هو أن يكون تخطيطنا للمعركة ، على قدر الاسلحة التى معنا اذا أمكنا أن نحصل على مزيد من السلاح ، فليكن ذلك لتحقيق هدف أكثر نجاحا وأكثر اتساعا . ولكن المهم أولا .. أن نعرف ما هو السلاح الذى نحتاجه؟ .. ان العدو متفوق علينا فى أنواع الطائرات ولديه قوات مدرعة مدربة . ولذلك كان تركيزى فى رحلتى الى الاتحاد السوفيتى فى مارس ١٩٧٣ ، هو الحصول على نوعين رئيسيين من السلاح ، هما الصواريخ المضادة للطائرات والصواريخ المضادة للدبابات . وكان مهما جدا بالنسبة لنا ، سرعة التوريد ، حتى يمكن تدريب الإفراد على هذه الاسلحة . الحق أننا كنا فى سباق رهيب مع الزمن . كان يجب الاعداد الكامل ، قبل الموعد المحدد للمعركة . والوقت يجرى . سباق رهيب بين تجهيز الاطقم التى ستدرب .. ثم التدريب .. ثم وصول المعدات فى الوقت المناسب .. واختيار مواقعها .. وتوزيعها .. وأحمد الله أن وفقنى فى رحلة مارس الى عقد صفقة كبيرة قيمتها مليار روبل .

قلت : الاستماع الآن يبدو سهلا .. ولكنكم قطعا واجهتم صعابا فنية عديدة فى الاعداد والتنفيذ ..

قال : الصعوبات الفنية كانت يومية .. وكنا نواجهها بتفكير هادىء . ولا شك أن رجالنا الذين درسوا الالكترونيات ..

ومهندسينا .. قاموا بأعمال خلاقة رائعة فى تطوير الاسلحة التى كنا نحصل عليها .. لقد أضيفت تحسينات وتطويرات عديدة .. وكنا نحصل على هذه التطويرات الجزئيـة من أسـواق أخرى فى أوروبا فهى مباحة للبيع لاستخدامات أخرى . ولكن العقل المصرى نفتق عن استخدامها مع الاسلحة التى لدينا .

قلت : سمعت أن القوات المسلحة انتهت من تجارب العبور فى مايو ١٩٧٣ ..

قال المشير : هذا صـحيح .. ولكن حتى هـذا التاريخ ، كان ينقصنا أسلحة معينة لم تكن قد وصلت بعد ..

قلت : الغريب أن بعض الاسلحة وصلت قبل يوم الهجوم بيومين .. أى فى ٤ أكتوبر ..

قال المشير : بل هناك أسلحة وصلت فى ٥ اكتوبر ..وفى ٦ أكتوبر .. لقد كنت أتابع وصول الاسلحة يوميا ، وكنت أخطر سـاعة بساعة ، بكمياتها ونوعياتها وقرارات توزيعها فى مختلف المواقع ..

قلت : .. ولكن متى تحدد فعلا أمر القتال من القـائد الاعلى أنور السـادات .

قال المشير : لقد تأكدت من السيد الرئيس أن المعركة تقترب جدا من موعدها ، فى لقـاء تم فى استراحة برج العـرب فى أبريل ١٩٧٣ . لقـد دعانى السيد الرئيس للسـفر الى برج العـرب ، وتمضية يومين معه .. وقال لى : علشان تستريح شوية . ولكننا أمضينا اليومين كاملين فى دراسات تفصيلية لكل ما يتصل بالمعركة عسكريا وسياسيا . وكانت مع الرئيس خريطة مجسمة لكل أرض القتال ، لم تكن تفارقه فى تلك الايام ، فى أى مكان ذهب اليـه للعمل أو الراحة ..وكان الرئيس فى معنويات مرتفعة سعيدة . ففى ذلك الوقت بدأ وصول شحنات صفقة الاسـلحة من الاتحـاد السوفيتى .وتناقشنا خلال اليومين ، فيما أمكن تذليله من صعاب وفيما علينا أن نواجهه من صعاب ، وكيفية تذليلها .. وعرضت على السيد الرئيس تفصيلات عديدة ، خاصة بكل نواحى الخطة .. وشرح لى الرئيس الموقف السياسى عالميا وعربيا ، وشعوره بأن

العمل السياسي يمهد فعلا الرأى العام العالمى لتقبل المعركة .. كما تناقشنا فى جوانب اشتراك سوريا فى المعركة ..

قلت : هل حدد الرئيس ساعة الصفر فى هذا الاجتماع الذى استمر يومين !

قال المشير : لا .. لم نتحدد ساعة الصفر . ولكن حديثه معى كان يعنى أن المعركة تقترب كثيرا .. وأن كل الظروف السياسية والعسكرية ، تؤكد انه لن يكون هناك تأجيل أو عدول ..

قلت : اذكر أننى تحدثت الى الرئيس فى ذلك الوقت .. وكنت قد شممت أخبار احتمال قرب المعركة .. وخشيت أن يكون واقعا تحت أى ضغط من الاصوات المزايدة .. ولكن الرئيس أكد لى أن المعركة لابد أن تقع قبل نهاية ١٩٧٣ .. وأننا اذا لم ندخلها قبل نهاية ذلك العام .. فلن ندخلها بعد ذلك ..

قال المشير : كانت التقديرات الاولى فعلا أن تكون قبل نهاية ١٩٧٣ ، لانه كانت لدينا معلومات تفصيلية عن عقود التسليح التى حصلت عليها اسرائيل . وعن الاسلحة ونوعياتها التى سوف تصلها فى عام ١٩٧٤ .. وكنا نرتب القتال ، على أساس ما نملكه فعلا من أسلحة .. وما تملكه اسرائيل .. وكان التأجيل الى ما بعد ١٩٧٣ يمكن أن يعرضنا لمفاجآت ، لانستطيع مواجهتها بالاسلوب المناسب .. أو تكبدنا جهدا أكبر ، وتكاليف أكثر .. نحن فى حاجة اليها .

قلت : وكيف تم الاتفاق النهائى على اشتراك سوريا فى المعركة ؟

قال المشير : كان ذلك فى برج العرب أيضا . لقد حضر الرئيس حافظ الاسد فى رحلة سرية خلال شهر يوليو ١٩٧٣ . واستدعانى السيد الرئيس وتم اجتماع استمر ٤ ساعات . جرت فيه مناقشة تفصيلية .. لوقف العدو .. وموقف القوات السورية .. وموقف القوات المصرية .. وضمانات الانتصار فى القتال .. والوقت المناسب للمعركة ، وكان الرئيس حافظ الاسد مقتنعا تماما ، بحتمية المعركة ، وكنا نتحدث بمفهوم واحد واقتناع واحد .وكنت قبل ذلك قد زرت سوريا أكثر من مرة فى رحلات سرية،واصطحبت معى بعض قادة الافرع الرئيسية للقوات المسلحة ، وزرت الجبهة، واجتمعت بالقيادة السورية ، وتدارسنا الخطط المشتركة .. وقد

كانت القوات السورية تبذل أقصى جهد مستطاع ، وعن اقتناع، فى الاعداد للقتال ، وكان عملهم العسكرى رائعا .

وانتهى هذا الاجتماع التاريخى ، وأصدر الى الرئيسان التوجيهات بالسير قدما فى الاعداد النهائى للمعركة ..

ثم يكمل المشير أحمد اسماعيل قصة التوقيت للمعركة قائلا :

ـ وصدر قرار جمهورى مصرى سورى بتشكيل المجلس الاعلى للقوات المسلحة المصرية السورية برياستى،وصدق على هذا القرار على أساس أن المعركة واحدة والمصير واحد .. وتمت الاتصالات. واجتمع هذا المجلس سرا فى الاسكندرية خلال شهر أغسطس ٧٣ ، وفى هذا الاجتماع تقرر التحديد التقريبى للمعركة خلال شهرين .

قلت : ولكن تحديد ساعة الصفر يوم عيد الغفران .. قيل عنه فى اسرائيل انه سهل استدعاء الاحتياطى لان الاسرائيليين فى هذا العيد يبقون فى بيوتهم أو يذهبون الى المعابد ..

قال : لم يكن عيد الغفران هو العامل الرئيسى فى تحديد ساعة الصفر . فى خلال سبتمبر وأكتوبر كانت هناك أعياد أخرى . وقد بحثنا كل أعياد اليهود على مدار سنة كاملة .. والذى حدث أن مجلس الوزراء الاسرائيلى لم يتمكن من الاجتماع فى وقت مناسب فى ذلك اليوم .

ولكن التحديد تحكمت فيه عوامل كثيرة .. منها أن يكون قبل حلول الشتاء فى سوريا حيث يظهر الثلج . أن يكون بعد وصول أنواع معينة من الاسلحة . ضوء القمر . المد والجزر فى مياه القناة ظروف سوريا . الى آخر مثل هذه العوامل التى درست بعناية شديدة . وأخيرا قررنا ساعة الصفر بالساعة الثانية بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر . ولم يكن يعرف هذا الموعد الا الرئيس أنور السادات والرئيس حافظ الاسد وأنا . وطبعا علم به القادة المتصلون اتصالا كاملا بالحرب ، مثل رئيس الاركان ورئيس العمليات . تم التحديد فى أوائل سبتمبر ، وبدأ العد التنازلى ابتداء من ٥ سبتمبر ولمدة ٣٠ يوما ..

قلت : ما معنى العد التنازلى ..

قال المشير : معناه أنه لا يمكن ايقاف العملية . وكان كل يوم يعنى تنفيذ جزء من الاستعداد . وقبل ساعة الصفر بعشرة أيام مثلا تحركت البحرية المصرية الى المواقع المحددة لها فى الخطة .

قلت : ما الذى كان يتم يوميا من اجراءات ..

قال : تنفيذ كل جزئية . ولكن الوحدات المقاتلة لم تكن لتعلم شيئا . لقد بدأنا منذ أول أكتوبر بتنفيذ مشروع استراتيجى تعبوى على مستوى القوات المسلحة كاملة .. وفى يوم ٣ أكتوبر زرت سوريا سرا ، للتأكيد على اللمسات النهائية للمعركة ، وقابلت القادة هناك ، وقابلت الرئيس الاسد الذى بارك بدء المعركة ..

قلت : ومتى عقد آخر اجتماع عسكرى شامل للقيادة المصرية ؟

قال المشير : عقد اجتماع استمر ١٠ ساعات كاملة ، هو اجتماع القائد الاعلى بالمجلس الاعلى للقوات المسلحة ، وهو اجتماع يحضره قادة الاسلحة وقادة الجيوش فقط . قمت بتقديم الخطة العامة ، وشرحت المشكلات وكيف ذللناها ، وكان شرحى للخطة على الجبهتين المصرية والسورية ، ثم قام كل قائد وشرح ما يقوم بتنفيذه ،وما يجب أن يستكمل فى هذه الساعات الاخيرة . وناقش القائد الاعلى كل القادة فيما عرضوه ، والحق أن كل قائد منهم كان يتحدث بثقة كاملة واقتناع تام ، وفى نهاية الاجتماع قال الرئيس السادات :

ـ أحمد الله أننا وصلنا الى هذه اللحظة ، لنضع اللمسات الاخيرة على العمل ، ونقول للعالم اننا أحياء ، ويسترد شعبنا ثقته فى نفسه وفيكم . وأنا واثق أن كل فرد فى قواتنا المسلحة سيؤدى واجبه كاملا باحساسه بمسئولياته تجاه وطنه وسأتحمل معكم المسئولية كاملة ، تاريخيا وماديا ومعنويا . وفى نفس الوقت أثق ثقة كاملة فيكم ، وأنكم ستنتصرون بكل ثقة واطمئنان وحرية .

ورد القائد العام على الرئيس بقوله :

ـ باسم القادة . وباسم القوات المسلحة ، نعدكم ، ونعاهد

شعبنا أن نبذل أقصى جهد يتحمله بشر لتحقيق النصر لبلدنا ، ولتثقوا سيادتكم فى أن كل القادة متفائلون ، وفى مقدورهم تحقيق مهامهم . وأننا نشترك معكم فى المسئولية ، فجميعنا مسئولون عن بلدنا معكم .

قلت للمشير : ومتى بدأت القوات تعرف ساعة الصفر ..

قال : جاء هذا بأسلوب تدريجى .. بحيث يعرف القادة والقوات التوقيت المناسب لتحقيق مهمتهم . ففى ٦ أكتوبر .. وعندما صدرت الاوامر للطيارين بالاقلاع مثلا .. كانوا يتساءلون .. هل سنقلع لنضرب .. أو انها المناورة التدريبية .. وصدرت لهم الاوامر بالضرب فى اللحظة الاخيرة فى الوقت المناسب .

قلت : ولكن خطة الخداع كانت ستتعرض للفشل .. قبل المعركة بيومين ..

قال المشير : متى ؟ ..

قلت : عندما بدأت السفارة السوفيتية ترحل العائلات السوفيتية على طائرات منذ الفجر . (١)

---

(١) صرح الرئيس انور السادات فى حديث له مع عبد الرحمن الشرقاوى بما يلى :

ان قرار الحرب اتخذ بدون علم القوتين الكبيرتين بل على الرغم منهما .. فنحن نذكر ان الاتحاد السوفيتى كان يعتنق الحل السلمى ولا يرى غيره حلا .. وأن امريكا كانت لا تبالى وكانت سياستها تقوم على ترك الامور كما هى عليه .. ونحن نعلم ان اسرائيل كانت قد جعلت خط بارليف هو خط حدودها الامنة . هكذا كان الامر قبل ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

وقال الرئيس :

×× كان المجلس الاعلى للقوات المسلحة المصرية السورية يعلم بالطبع ــ وهو يدرس الاحتمالات والتواريخ ــ أن هناك ثلاثة تواريخ مرشحة آخرهما اكتوبر سنة ١٩٧٣ . اما اليوم بالتحديد ، والساعة بالتحديد ، فقد كانا سرا . =

قال : هذا صحيح .. وعرفت اسرائيل طبعا .. ولكن بصيرتهم عميت .. ولم يستنتجوا أن هذا دليل على اقتراب ساعة الصفر .. بل أن السرية تعرضت لان تكشف من تصرف محلى فى مطار القاهرة يوم الخامس من أكتوبر ؟ ..

قلت : أى قبل المعركة بيوم واحد ..

قال : نعم .. يوم ٥ أكتوبر . اتخذ وزير الطيران المدنى قرارا بوقف رحلات الطيران فى مطار القاهرة . وكان هذا تصرفا شخصيا من الوزير ، لم يطلب منه . ولكن الذى حدث أن السيد الرئيس كان قد نبهه الى المحافظة على الطائرات المدنية فى مطار القاهرة ، عندما تجيء ساعة الصفر . وقد استنتج الوزير مما كان يجرى حوله .. وخاصة من ترحيل العائلات الروسية .. ان شيئا قريبا

= لم يكن فى مصر فى ذلك الوقت خبراء سوفيت . لم يكن هناك ما يستوجبه التشاور مع السوفيت . فلهم نظرتهم التى ترى الحل السلمى هو الحل الوحيد . ولنا نظرتنا التى لا تعتمد غير حرب التحرير الكبرى طريقا للتحرير . كانت مصر تدرك رأى القادة السوفيت بوضوح ، فلماذا تتصل بهم اذن وتستطلع رأيهم فى أمر نعرف مسبقا رأيهم فيه !

وانفقت مع الرئيس الاسد على الا يتسرب خبر موعد المعركة ، الذى تم تحديده فى أواخر اغسطس سنة ١٩٧٣ . ولم يتسرب الخبر بالفعل .

وفى يوم ٣ أكتوبر استدعيت السفير السوفيتى بالقاهرة (كان هذا يوم الاربعاء والموعد المحدد للمعركة هو السبت ٦ أكتوبر) وطلبت منه أن يستطلع رأى القادة السوفيت فيما عسى ان يكون عليه الموقف السوفيتى عندما تقوم مصر بتحرك عسكرى .. وأننى قد قررت هذا بالفعل .

وطبعا لم أصرح للسفير السوفيتى بموعد الحرب .. كل ما فى الامر هو استطلاع لموقف السوفيت عند التحرك .

وفى يوم ٤ أكتوبر استدعى الرئيس الاسد السفير السوفيتى ليخبره ايضا بقرار الحرب ، واذا بأول رد فعل بعد مقابلتى ، هو مجيء الطائرات السوفيتية لتنقل الرعايا السوفيت المقيمين فى مصر فى سرية تامة .. وكان هذا يوم الجمعة ٥ أكتوبر !

سيحدث .. فأمر بوقف رحلات الطيران .. وأذيع هذا طبعـا فى جميع مطارات العالم .. وكان يمكن أن يؤدى هـذا التصرف الى كارثة .. ولكننى طلبت منه على الفور أن يعلن الفاء قراره واعادة الطيران مع الاعتذار بأن الموقف كان لاسباب فنية أمكن اصلاحها .. ولكن ما جرى زاد فى الخداع بالنسبة للعدو .

قلت : وكيف أمضيت أيام ما قبل أكتوبر ..

قال المشير : منذ أول أكتوبر وأنا فى مركز العمليات ، أتابع كل ما يجرى .. الصدى اليومى على العـدو .. تحركات العدو .. وكنت أحس أنه لا يوجد أى صدى .. وكان عملنا يجرى بهدوء .. حتى حانت ساعة الصفر ..

الفصل الثالث

٦ عقبات أمام العبور

●●● « وعن عقبات ومصاعب العبور كان حديثى مع الفريق سعد الدين الشاذلى بعد المعركة بأيام . بدأ حديثه قائلا : كانت هناك ٦ عقبات ضخمة أمام تحقيق العبور . أمكن التغلب على كل هذه العقبات فى مايو ١٩٧٣ » ●●●

قلت للفريق الشاذلى : أريد أن أبدأ القصة من أولها (١) ..

---

(١) قال تقرير لجنة الكونجرس الامريكية العسكرية التى زارت ميادين القتال . فى شهر نوفمبر ١٩٧٣ للتعرف على حرب ٦ أكتوبر عن المعركة المصرية فى نواح متفرقة ، أقتطف منه هذه الفقرات :

« بالاضافة الى عملية العبور التى تعد فى حد ذاتها مظهرا أكيدا لتحسن القدرة القتالية المصرية ، فان عملية التمويه والخداع التى صاحبت الاستعداد المصرى للقتال ، والقدرة على كتمان هذه الاستعدادات لمدة طويلة من الزمن واخفائها عن أعين الاسرائيليين، هى التى تعتبر من وجهة نظر اللجنة موضع اهتمام كبير . ولم يدخل العسكريون المصريون فى تفاصيل كثيرة مع اللجنة أثناء مناقشاتهم فى وسائل الاخفاء التى لجأوا اليها فى استعداداتهم العسكرية ، لكنه كان من الواضح أن الحماس هو الذى كان يحركهم طوال هذه المدة .

وقد تنبهت المصادر الاسرائيلية الى وجود تحركات عسكرية مصرية كبيرة على الضفة الغربية من القناة . الا أن الاسرائيليين افترضوا أنها مجرد مناورات تدريبية عادية . وهكذا استطاع المصريون تحريك عدد يقرب من ٧٠ الى ٨٠ ألفا من قواتهم المسلحة بالاضافة الى اعداد هائلة من الدبابات والمعدات على ضفة القناة .

ومن العوامل التى ساعدت المصريين على نجاح عمليتهم ، تلك السواتر الرملية التى بنوها على امتداد ضفة القناة الغربية ، والتى لم تسمح للمصريين بمراقبة التحركات الاسرائيلية ونقاط نيرانهم فحسب ، بل استخدمت كسواتر لتغطية تحركات المعدات والأفراد المصريين . وقد تخللت هذه السواتر فتحات منخفضة استخدمت كنقاط للعبور وللاطلاق النارى .

وعند بدء عملية ٦ أكتوبر من جانب المصريين ذكر الاسرائيليون أن المصريين قاموا باسقاط العديد من قوات الكوماندوز بالباراشوت وراء الخطوط الاسرائيلية على الضفة الشرقية،واعترف الاسرائيليون بحيرتهم فى تفسير هذا الاجراء ، حيث أن هذا الانزال لم يستتبعه أى ربط مع أية قوات مصرية أخرى ، ولم تبذل أى جهود لتغطيته. الا أن العسكريين المصريين – عندما ناقشناهم فى هذا الامر =

... ...

= أشاروا بأن هذا الانزال كان جزءا من خطة التعمية المصاحبة لعملية العبور ، مستهدفا مواجهة الاسرائيليين « من كل الاتجاهات » لارباك خطوطهم ، وبهذا ـ على حد قول المصريين ـ يمكن شل استراتيجية الاسرائيليين وعدم تمكينهم من معرفة من أى الاتجاهات ستأتى الضربة الاكبر .

ودرجة الاستعداد العسكرية المصرية على امتداد جبهة القناة لاتوصف فمن القاهرة حتى قناة السويس ، شاهدت اللجنة مواقع لا حصر لها من الصواريخ والدبابات والمعدات وغيرها من الآليات العسكرية . لم يكن هناك كيلو متر واحد بين القاهرة والقناة لم تتم تقويته وتحصينه ، كذلك شاهدت اللجنة كميات كبيرة من المعدات المذكورة مبعثرة فى أماكن من الصحراء المجاورة لخط القتال . وقد حفرت إعداد هائلة من الخنادق فى الرمال شاهدتها اللجنة بوضوح .

ويعتقد المصريون أن الوقت فى صالحهم حيث أنهم يرون اسرائيل تواجه موقفا صعبا فى استمرارها الابقاء على قواتها المسلحة فى حالة استعداد خاصة أن الغالبية العظمى من تلك القوات قد استدعيت من الاحتياطى الذين يمارسون أعمالهم الانتاجية المدنية المؤثرة على الحياة الاقتصادية فى الدولة.

ان الاحساس بالفخر العربي بالانجاز الذى تم فى السادس من أكتوبر كبير ، ظاهرة لا يمكن تجاهلها لأى زائر لمصر فى الوقت الحالى . وقد انتبهت اللجنة الى ان القادة المصريين مدركون تماما للهزائم السابقة وللنظرة التى كان الرأى العام العالمى ينظر بها الى العسكرية المصرية . وقد كرر الرئيس السادات أكثر من مرة فكرة الاحساس « بالاهانة والتحقير » الذى عانى منه الجيش المصرى منذ حرب الايام الستة . ويشعر القادة العرب بأن قواتهم المسلحة قد استعادت ثقتها بنفسها بعد نجاحها فى هجومها فى السادس من أكتوبر ، ويشيرون الى الروح العالية التى تمتع بها الجنود والالتزام بالطاعة الذى ساد فى هذه الحرب بعكس الحال فى الماضى ويبدو أن القادة العرب ما كان من الممكن لهم أن يذهبوا الى أى مؤتمر للسلام دون أن يشعروا بأن قواتهم المسلحة قد استعادت شرفها فى ساحة القتال .

ويشعر المصريون بفخر شديد لنجاحهم فى الحصول على الكثير من المعدات الحربية الامريكية التى سلبوها من الاسرائيليين ، =

قال : ان عبور قناة السويس بواسطة جيش كبير بل بواسطة جيشين فى وقت واحد بكامل أسلحتهم وعتادهم وفى وجه مقاومة من العدو على الضفة الشرقية يعتبر مشكلة ضخمة بل كانت تبدو أحيانا كأنها عملية مستحيلة . ان عبور الموانع المائية بواسطة الجيوش كان دائما من العمليات الصعبة ولكنها لم تكن أبدا من العمليات المستحيلة فكم من جيوش عبرت موانع مائية فى الماضى البعيد والماضى القريب دون أن يشد ذلك انتباه العالم . لقد فقدت الموانع المائية قيمتها بعد تطور أسلحة القتال وادخال المركبات والدبابات البرمائية والدبابات التى تستطيع الغوص فى الماء والسير على قاع المانع المائى ضمن تنظيم القوات البرية . أما قناة السويس فانها تعتبر مانعا مائيا فريدا يختلف عن جميع الأنهار والتنوات للأسباب التالية

= وخلال زيارة اللجنة للقاهرة كانت بعض الدبابات والمعدات الأمريكية المستولى عليها تعرض فى بعض الميادين والحدائق حتى يراها المصريون وقيل لنا أن معرضا للغنائم الحربية سوف يفتتح للجمهور قريبا .

وقد ادعى الاسرائيليون أن التخطيط السوفييتى للعمليات المصرية لم يقتصر فقط على الاعداد العسكرى بل لقد ذهبوا أبعد من من ذلك باشتراك بعض العسكريين السوفييت فى الحرب . وقد نفى المصريون ذلك تماما ولم تر اللجنة أى دليل يثبت تواجد قوات سوفيتية أو أفراد منهم خلال زيارتها .

وعند مناقشة تنفيذ البند رقم ٢ من اتفاقية وقف اطلاق النار ، والذى ينص على انسحاب اسرائيل الى خطوط ٢٢ أكتوبر والذى يعتبر أكثر بنود الاتفاقية حساسية فى مباحثات الكيلو ١٠١ — أشار الفريق أول أحمد اسماعيل وزير الحربية المصرى الى أن القوات الاسرائيلية كانت تتقدم فى الثانى والعشرين من أكتوبر على الضفة الغربية للقناة متجهة جنوبا حتى منتصف البحيرات المرة . وأكد الوزير المصرى أن لديه صورا تؤكد تقدم القوات الاسرائيلية الى الامام فى يومى ٢٤ و ٢٥ من أكتوبر حتى مدينة السويس حتى صدرت اليها تعليمات التوقف .

ولم تحصل اللجنة على أية معلومات من المصريين فيما يتعلق بالامدادات السوفيتية بالعتاد العسكرى لمصر بعد ٦ أكتوبر .

١ ـ انحدار الشاطىء من الناحيتين وتدبيشه مما يعوق المركبات البرمائية من النزول الى المانع المائى أو الصعود منه الا بعد تجهيزات هندسية مسبقة . وهذه الصفة لا يشترك فيها مع قناة السويس سوى قناة بنما وعدد محدود من القنوات الصناعية .

٢ ـ قيام العدو بانشاء ساتر ترابى على الضفة الشرقية للقناة مباشرة بارتفاع ١٠ ـ ٢٠ مترا مما يجعل من المستحيل على أى مركبة برمائية العبور الا بعد ازالة هذا الساتر .

٣ ـ انشاء خط بارليف على طول الساحل الشرقى للضرب على أى قوات تحاول العبور . وقد انتخبت مواقع هذا الخط بعناية فائقة بحيث تتحكم فى جميع الاتجاهات وتستطيع أن تغمر بالنيران الجانبية أى قوات تعبر القناة وفى أى جزء منها .

٤ ـ وجود خزانات للمواد الملتهبة يسع كل واحد منها ٢٠٠ طن من المواد الملتهبة على مسافات متقاربة بحيث يمكن للعدو أن يدفعها فوق سطح المياه ثم يشعلها فيتحول سطح القناة الى حمم ملتهبة تحرق كل شىء فوق الماء بل وتشوى الأسماك فى عمق القناة وتلفح حرارتها الشخص الذى يبعد عنها بمسافة ٢٠٠ متر . ويستطيع العدو أن يتحكم فى استمرار هذه النيران باستمرار دفع المواد الملتهبة الى سطح الماء .

ومن هنا نجد أن قناة السويس ليست مجرد مانع مائى بل انه مانع فريد ليس له شبيه فى العالم وليس هناك خبرة سابقة فى التاريخ لعبور مثل هذا المانع . وكان من واجب القيادة العامة للقوات المسلحة وأجهزتها الفنية أن تحل جميع هذه المشاكل وقد تم بتجزئة مشكلة العبور الكبرى الى عدد من المشاكل الصغيرة . وبعد الكثير من المحاولات والتجارب نجحنا فى حل جميع هذه المشاكل .

وقد صرح قادة اسرائيل أكثر من مرة أننا لن نستطيع أن نعبر وان قواتنا ستدمر تدميرا كاملا قبل أن تصل الى الشاطىء الشرقى للقناة اذا نحن تجاسرنا وحاولنا العبور .

قلت : لكن .. كيف بدأ العبور ؟ وكيف تغلبتم على كل هذه المشاكل ؟ .

قال : كانت المشكلة الأولى التى يجب أن نتغلب عليها هى كيف نتغلب على النيران الملتهبة التى سوف تغطى سطح القناة عند بدء العبور . وقد اتجه التفكير أول الأمر الى اطفائها وتم عمل تجارب عملية على ذلك فى أماكن شبيهة بالقناة فاتضح لنا أن عملية الاطفاء تحتاج الى مجهودات ضخمة وأن النيران تبقى مشتعلة حوالى نصف ساعة اذا لم يتم تزويدها بكميات اضافية من المواد الملتهبة . ومن هنا اتجه تفكيرنا الى ضرورة ابطال استخدام هذه المواد قبل العبور واذا حدث أن أخفقنا فى ابطال استخدامها فى بعض الحالات فانه يجب علينا أن نمنع العدو من تغذية الحريق بكميات اضافية من المواد الملتهبة ، وذلك لاقلال فترة تعرض قواتنا للحريق الى أقل وقت ممكن . بدأنا العمل وصدرت أوامر القيادة العامة بالبدء فى استطلاع تجهيزات العدو الخاصة بهذا الموضوع واتضح أنه يضع هذه المواد فى خزانات كبيرة مدفونة تحت سطح الارض حتى يصعب تدميرها بواسطة المدفعية وكانت هذه الخزانات متصلة بمواسير تحت سطح المياه لتندفع منها السوائل الملتهبة الى سطح المياه . ومن الواضح أنه لو أمكن اغلاق هذه المواسير بأى وسيلة قبل بدء عملية العبور فان السوائل الملتهبة لن تصل الى سطح الماء ولن يحدث الحريق . وكانت خطة القيادة تتضمن أن يقوم بعض الأفراد المتسللين لاغلاق هذه المواسير بالاسمنت مع تكليف بعض أفراد من الصاعقة بسرعة الاستيلاء على هذه المستودعات ومنع استخدامها فى حالة الفشل فى اغلاق المواسير الموصلة الى المياه . وزيادة فى الحيطة تمت دراسة اتجاه التيار فى القناة على طول ساعات اليوم وتم انتخاب قطاعات الاختراق بحيث تعبر قواتنا فوق التيار وبذلك نتفادى النيران العائمة فوق سطح الماء .. وقد تمت العملية بنجاح تام ولم ينجح العدو فى اشعال حريق واحد فوق سطح القناة وتم الاستيلاء على مستودعات المواد الملتهبة سليمة بكل ما فيها بل وتم أسر الضابط المهندس الاسرائيلى الذى قام بتصميمها وقد أدلى فى أقواله بأنه حضر الى القناة فى اليوم السابق للقتال لكى يختبر هذه المستودعات .

* * *

وكانت المشكلة الثانية هى كيفية ازالة الساتر الترابى الذى أقامه العدو على الضفة الشرقية حتى يمكن أن نقيم المعديات والكبارى على القناة . ويمكننا أن نتصور ضخامة هذه العملية اذا

علمنا أن ثغرة واحدة فى الساتر الترابى بعرض حوالى ٧ أمتار تعنى ازالة ١٥٠٠ متر مكعب من الأتربة ؟ كانت احتياجاتنا تتطلب فتح ٦٠ ثغرة على طول القناة فى كل جانب ، أى ازالة حوالى ٩٠٠٠ر٩٠ متر مكعب من الأتربة من الساتر الترابى شرق القناة . فاذا علمنا أننا خلال السنوات الست الماضية كنا قد أقمنا أيضا ساترا ترابيا فى غرب القناة فاتضح لنا أن المشكلة أصبحت مضاعفة وأنه يتحتم علينا أن نفتح ثغرات مماثلة فى الساتر الترابى الغربى . اتجه تفكيرنا أول الأمر الى أن نفتح هذه الثغرات بواسطة التفجير واستمرت نظرية التفجير هى السائدة حتى منتصف عام ١٩٧١ الى أن اقترح أحد الضباط المهندسين الشبان نظرية التجريف وهى استخدام المياه المندفعة تحت ضغط عال فى ازالة هذه الرمال . قمنا بعمل التجارب وثبت نجاحها وأفضليتها على نظرية التفجير وأخذنا ندخل التحسينات بزيادة قوة الماكينات الى أن أصبح فى مقدورنا أن نفتح الثغرة الواحدة فى مدة تتراوح بين ٣ ـ ٥ ساعات .

ـ لم يكن فتح الثغرة فى الساتر الترابى هو نهاية المشكلة بل كان من الضرورى تهذيب أجناب القناة بالنسف والتسوية حتى يمكن تثبيت الكبارى أو تجهيز هذه الثغرات لتشغيل المعديات وعبور المركبات البرمائية .

ـ واذا جاز لنا أن نقدم كشف حساب عما قمنا به فاننا نقول ان المهندسين العسكريين قاموا بشق ٦٠ ثغرة فى الساتر الترابى وأقاموا عشرة كبارى وما يقرب من ٥٠ معدية عبر القناة ، كل ذلك خلال فترة ما بين ٦ ـ ٩ ساعات وقد تم التنفيذ طبقا لما كان مخططا تماما فيما عدا القطاع الجنوبى من القناة حيث كانت الأرض غير صالحة لعمليات التجريف ونتج عن ذلك بعض التأخير فى اقامة الكبارى والمعديات عما كان مخططا . وان هذه الاعمال الهندسية الباهرة سوف تكون دائما مثار فخر للمهندسين المصريين فى جميع أنحاء العالم .



كانت المشكلة الثالثة هى كيف نستطيع أن نقوم بهذه الأعمال الهندسية الضخمة تحت نيران العدو المسيطرة فى الضفة الشرقية؟

وكانت الاجابة هى ضرورة دفع المشاة عبر القناة لتأمين المهندسين وهو ما يطلق عليه التعبير العسكرى تأمين رؤوس الكبارى ٠

* * *

وكانت المشكلة الرابعة هي كيف تستطيع المشاة أن تعبر القناة وتؤمن رؤوس الكبارى الى أن تتدفق الدبابات والمدافع والأسلحة الثقيلة عبر المعديات والكبارى التى أقامها المهندسون ؟ وكيف تصمد المشاة أمام هجمات العدو المضادة بواسطة الدبابات لمدة تتراوح بين ١٢ ـ ٢٤ ساعة الى أن يكتمل عبور الدبابات والأسلحة الثقيلة . وقامت القيادة العامة بحل هذه المشكلة على الاسس التالية :

١ ـ المشاة التى تكلف بالعبور تحمل معها أقل ما يمكن من التعيين والمياه وأكثر ما يمكن حمله من سلاح وذخيرة وكان اجمالى ما يحمله كل جندى حوالى ٢٥ كيلو جراما وكان يصل أحيانا مع بعض الجنود الى حوالى ٣٥ كيلو جراما ٠

٢ ـ ابتكار عربات جر صغيرة يضع فيها المشاة مالا يستطيعون حمله ويجرونه بأيديهم عبر الساتر الترابى وعند تحركهم شرق القناة ٠

٣ ـ تسليح المشاة بأسلحة مضادة للدبابات ولا سيما الصواريخ الخفيفة التى يمكن حملها بواسطة الافراد وذلك لصد هجمات العدو المضادة بواسطة مدرعاته ٠

٤ ـ تسليح المشاة بالأسلحة المضادة للطائرات وخاصة الصواريخ الخفيفة التى يمكن حملها بواسطة الأفراد وذلك لصد هجمات العدو الجوية ضد قواتنا أثناء وبعد العبور ٠

٥ ـ تجهيز المشاة بسلالم لمساعدتهم فى تسلق الساتر الترابى وجر أسلحتهم وذخائرهم المحملة فى عربات الجر ٠

٦ ـ تنظيم عبور المشاة فى قوارب تنظيما تفصيليا بحيث يعلم

كل جندى مكانه فى القارب ومكان العبــور ووقته وواجبه أثناء العبور · الخ ·

٧ ـ التسلل خلال خط بارليف وعدم مهاجمة النقط القوية لهذا الخط الا بعد استكمال عملية العبور واكمال حصارها ·

* * *

وكانت المشكلة الخامسة هى كيف يمكن للمشاة أن تعبر هذا المانع بنجاح ما لم تقم بتدمير واسكات الرشاشــات والمدافع التى تطل من فتحات خط بارليف وتغمر القنـــاة بطولها ـ وقد قامت المدفعية بحل هذه المشكلة على أحسن وجه · وكان نتيجة لنيرانها المؤثرة ، أن تمكنت مشاتنا من عبور القناة بخسائر طفيفة جدا ·

* * *

وكانت المشكلة السادسة هى كيف يتم اعادة تنظيم قواتنا على الشاطىء الشرقى وكيف تصل الدبابات والمدافع والذخـــيرة الى وحدات المشاة التى ســبق عبورها ·· وكيف يتم كل ذلك ليلا وتحت ضغط العدو وكيف تميز هذه الدبابات والاسلحة طريقها وتتعرف على وحداتها · ويمكننا أن نتصور هذه المشكلة اذا تخيلنا أن آلاف الدبابات والمركبات والمدافع الثقيلة كان يتحتم عبـورها لتنضم الى وحدات المشاة التى عبرت لتزيد من قدرتها على التمسك بالأرض وصد هجمات العدو المتكررة ·· وقد قامت ادارة الاشارة وادارة الشرطة العسكرية بواجبها على الوجه الأكمل فقد أمكن مد كوابل الاشارة عبر القناة منذ اللحظات الأولى للعبور وتم تحديد الطرق والمدقات التى تســلكها الدبابات والعــربات وتم تمييزها بالألوان المختلفة بحيث كان يعلم الســائق انه يتبع اللون الأحمر مثلا فى رأس الكوبرى بينما يتبع سائق آخر اللون الأخضر وهكذا· وقد تم تنفيذ كل ذلك أثناء المعركة بكفاءة تامة ·

قلت : سمعت أن غارات طيران العدو المكثفة ، قد فشــلت فى اصابة الكبارى ··

قال كنت أحب أن توجه هذا السؤال للســيد قائد الدفــاع

الجوي فهو أعلم منى بالاجـــابة عليه ، ولكننى أضيف فأقول : ان عملية العبور لم تكن تنجح لولا الدفاع الجوى والصــواريخ التي كانت تغطي المنطقة ٠٠ ان مظلة الدفاع الجوى كانت هي الواقية لكل ما بذله المشاة والمدفعية ، والمهندسون من جهد ٠٠ لقد كانت هجمات العدو الجوية شديدة متتابعــة .. وذلك بالاضـــافة الى ما قامت به القوات الجوية من ضرب تجمعات العدو التى فى العمق والتى كانت خارج مدى الصواريخ المضادة للطائرات ٠

قلت : ولكن غارات العدو لم تصب الكبارى ؟

قال : لقد أصابت طبعـــا بعض الكبارى ٠٠ ولكننا كنا نقوم باصلاحها فور اصابتها حيث أنه كما تعلم أن الكبارى العسكرية مصنوعة من قطع متصلة ببعضها البعض فاذا أصيبت احـــداها بالتلف أمكن تغييرها بقطعة أخرى ٠٠ وعملية اصـــلاح الكوبرى كانت تستغرق من نصف ساعة الى ساعة فى بعض الحالات ٠٠

قلت : لقد روى لى شاهد عيان ، ان معظم قنابل طائرات العدو ٠٠ كانت تقع بعيدا فى المـــاء ٠٠

قال : هذا صحيح ٠٠ ان بعضها كان يقع على بعـــد كيلو متر كامل ٠٠

قلت : ولمـــاذا ٠٠ رغم قدرتهم الجوية ؟

قال : كنا نتبع معهم أساليب ايجابية وسلبية فى نفس الوقت وعلى سبيل المثال كنا نقوم بتحريك أماكن الكبارى باستمرار من مكان لآخر ٠ وحيث أن الطيار عنـــدما يكلف بضرب كوبرى فان قيادته تحدد له مكان هذا الكوبرى بناء على استطلاع سابق فانه اذا ذهب الى هذا المكان ولم يجده فمعنى ذلك انه فشل فى تحقيق مهمته ونجحنا نحن فى خداعه ولو افترضنا أنه استطاع أن يصل الى الكوبرى قبل أن نقوم بتغيير مكانه فأننا نقوم بتوليد ســتارة كثيفة من الدخان تجعل الرؤية متعذرة بالنســبة اليه وبالتـــالى لا يستطيع اصـــابة الهدف ٠ كل هذه اجراءات ســـلبية ٠ أما الاجراءات الايجابية فهى حراسة هذه الكبارى بالأسلحة المضــادة للطائرات واستقبال الطائرة المغيرة بستارة كثيفة من نيران الاسلحة الصغيرة والصواريخ ٠ وقد تم اسقاط العديد من الطائرات المغيرة٠

قلت : لقد سبق أن صرح موشى ديان أن عملية عبور القـوات المسلحة المصرية مقضى عليها فى يوم واحد ، وهو قد غامر فى هذا التصريح بسمعته العسكرية فعلى أى أساس بنى هذا التصريح ٠

قال : لقد أعلن موشى ديان ذلك عن حســـاب وقد كان هــذا الحساب يعتمد فيما أعتقد على التقديرات الآتية :

١ ــ ضرورة فشل المصريين فى العبور نتيجة النيران الكاسحة التى يمكن أن تطلق عليهم من حصون خط بارليف وكذلك السوائل الملتهبة التى كان يأمل أن تغطى القناة ٠ وبذلك فليس هنـاك أى أمل فى وصولنا الى الشاطىء الشرقى ٠

٢ ــ عدم قدرة المهندسين على ازالة الساتر الترابى وانشـــاء الكبارى والمعديات دون تأمين الجـانب الشرقى وانه بفرض نجاح المصريين فى اقتحام جزء من القناة فاننا سوف نحتاج الى حوالى ٢٤ ساعة لانشاء هذه الكبارى وبالتالى فان الدبابات والأسلحة الثقيلة لن يتم عبورها قبل حوالى ٤٨ ساعة من بدء الهجوم ٠ وكان هذا الوقت يكفى لجلب احتياطات مدرعة من العمق تقوم بتصفية القوات التى نجحت فى انشاء رؤوس كبارى فى الشرق ٠

وقد أخطأ ديان الحساب عند تقديره لامكانيات قواتنا المسلحة فى العبور خاصة فى النقط الرئيسية التالية :

١ ــ قدرة المشاة المترجلة على صد الدبابات والطائرات المغيرة التى على ارتفاع منخفض والتشبث بالارض وحدها ودون اى اسلحة ثقيلة لمـدة طويلة ٠

٢ ــ كفاءة سلاح المهندسين وقدرته فى اقامة الكبارى والمعديات على هذا المانع فى مدة تتراوح بين ٦ ــ ٩ ساعات ٠

٣ ــ التنظيم الجيد للعبور والذى وصل الى أن كل ضـــابط وجندى فى القوات التى تقوم بالعبور أو تقوم بتقديم الدعم له كان يعلم جيدا دوره بالتفصيل والوقت الذى ينفذ فيه هــذا الدور بالدقيقة الى الحد الذى جعل عملية العبور تعتبر سيمفونية رائعة يشترك فيها عشرات الألوف من البشر فى وقت واحد ٠

٤ ــ المفاجأة التى حققتها قواتنا والتى ظهرت نتائجهـا بوضوح

فى الايام الاولى للمعركة حيث كانت جميع تصرفات العدو تتسم بعدم التنسيق والارتجال لمدة يومين على الاقل .

٥ - العقيدة والاصرار اللذان يقاتل بهما جنودنا البواسل فقد كان كل ضابط وجندى يعلم جيدا انه يدافع عن شرف مصر وشرف العروبة الذى لطخته أحداث ٥ يونيو ١٩٦٧ ظلما بالتراب · كان يحاول ان يسترد ارضه ويستعيد كرامته وعزته بينما كان الجندى **الاسرائيلى يقاتل دون هدف واضح مقنع · هل وضع ديان فى حسابه الأثر المعنوى الذى يحدثه عشرات الألوف وهى تعبر القناة وتصيح فى وقت واحد الله أكبر الله أكبر ؟؟ لا أعتقد أنه أدخل ذلك فى حساباته ·**

قلت : ومعارك المدرعات التى جرت بعد ذلك ·· ووصفت بأنها أكبر معارك التاريخ ؟

قال : كانت معارك ضخمة فعلا .. واشتركت فيها اعداد كبيرة من الدبابات من الجانبين . قد تدهش اذا عرفت ان اسرائيل بدأت القتال ولديها اكثر من ١٧٠٠ دبابة وهو عدد يفوق ما تملكه انجلترا بل ومعظم بلاد العالم . ومن النادر فعلا ان تقع معارك بمثل هذه الاعداد .. وعلى مساحات واسعة .. وفى يوم واحد اشتركت ١٠٠٠ دبابة من الطرفين فى معارك ضارية على طول القناة .

ثم أضاف : قبل أن ننهى هذا الحديث أود أن أؤكد لك أن نجاح معركة العبور هو حصيلة مشتركة لجميع الجهود وليس سلاح المهندسين فقط . ولقد كانت توجيهات الرئيس المؤمن انور السادات ومشاركته الدائمة فى مناقشة المشاكل وايجاد الحلول لها خير موجة للقيادة العامة للقوات المسلحة وهى ترسم وتحسب **كل الاحتمالات · كما كان السيد الوزير الفريق اول أحمد اسماعيل** والقائد العام للقوات المسلحة على قمة جهاز القيادة يوجه ويناقش ويستمع ويتخذ القرارات · وكان كل ضابط وجندى يشارك بقدر طاقته ومسئوليته فى التجهيز **والاعداد والتنفيذ حتى استطعنا فى** النهاية ان نحقق ٦ اكتوبر نجاحا شهد به العالم اجمع وسوف **يبقى هذا اليوم دائما يوم فخار لمصر** ولقواتها المسلحة ·



الساعات الأخيرة .. لخط بارليف

●●● « الكتاب الذى أصدرته صحيفة « السنداى تايمز » البريطانية عن حرب أكتوبر، يتضمن فصلا ممتعا ..

أنه تفريغ لشريط تسجيل ، كان دائرا منذ أن بدأ الهجوم المصرى على أحد حصون خط بارليف ، حتى انتهى الأمر ، بهرب الاسرائيلين من هذا الحصن ..

كان أحد الجنود يحتفظ بآلة تسجيل .. واستمر يديرها من الدقيقة الأولى .. حتى الأخيرة طوال يومين ..

ولا أعتقد أن كل ما نشر ، وقيل أنه منقول تماما عن شريط التسجيل ، هو الصحيح .. ولاشك أن عمليات مونتاج عديدة ، أجريت في تفريغ الشريط .. ولا أشك أيضا أن حقائق كثيرة عن الهجوم المصرى ، أغفلها النشر .. ومع ذلك ، فان مانشر من هذا التسجيل كفيل بالاقتناع ، بأن الهجوم المصرى كان كاسحا .. وأن الاسرائيليين عجزوا عن حماية هذا الحصن أو الدفاع عنه ..

ربما قدم هـذا الشريط نصف الحقيقة ..
ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا الا أن يعترفوا بالانتصار المصرى . ولا يمكن أن اتجاهل أن الاسرائيليين قدموا الى الصحفى الذى كتب هذا الفصل ، صورة ذكية ، توافر فيها الجانب الانسانى الذى يجعلك تصدق كل شيء . فهناك الجندى اليائس . وهناك الذى يفكر فى زوجته .. وهناك الشجاع المغوار الذى لا يهمه الا القتال ..

وقد رأيت أن أقدم هذا الفصل ، كما هو ، وكما نشر دون أى حذف أو تعديل فى عبارة واحدة ..

ثم قدمت بعده تعليقا من أحد كبار العسكريين المصريين الذين قادوا المعركة وهو اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى حينئذ ، الذى يقع هذا الحصن فى قطاعه أمام الاسماعيلية ..

وبعد ذلك نشرت قصة سقوط هذا الحصن، على لسان قائد القوة المصرية التى هاجمته حتى استولت عليه .. وذلك فى لقاء طويل معه .. وبعد أن شاهدت الحصن على الطبيعة »●●●

« قصة الســاعات الأخيرة لخط بارليف »

بقلم : بول ايدى

جريدة السنداى تايمز ٣ فبراير ١٩٧٤

ليس من المعتاد أن يحصل المرء على صورة واقعية للحرب كما رآها جندى لطلقات الرصاص فى الخط الأمامى ٠٠ فمثل هــذا الجندى يكون عادة مهتما بمسألة البقاء على قيد الحياة بصورة تجعله غير قادر على تحليل تربتــه ٠٠ أما بالنســـبة للمخبر الصــحفى فانه اذا ذهب الى هنــاك فانه يكون مشغولا للغاية فى محاولة استنتاج ما يحدث وسط الاضطراب الذى تثيره المعركة ٠٠ غير أن « آفى يافى » وهو جندى احتياط يبلغ من العمر ٣٣ عاما حصل خلال الحرب العربية الاسرائيلية على تسجيل فريد للحرب ٠٠ ذلك أن « آفى » الذى يعمل فى الحياة المدنية مهندس صوت أخذ معه جهاز تسجيل للترفيه عن زملائه الجنود فى حصنهم على خط بارليف الذى كان يحرس قناة السويس ٠

* * *

وعندما شن المصريون هجومهم عبر قناة السويس ، أدار «آفى» جهازه الذى استطاع أن يسجل على امتداد الستين ساعة الرهيبــة التاليه مسار ووقائع الحرب كما جرت بالضبط .. كان الحصن الذى ـ يرابط فيه «آفي» ـ قد قصف بالمدفعية الثقيلة وبالطائرات وحاصرته القوات المصرية ٠٠ ومع ذلك فان هذه الوحدة الاسرائيلية الصغيرة نجت بأعجوبة وأخذت معها جهاز تسجيل آخر مسجلاعليه لحظات الهروب المثــيرة ٠٠ وكانت نتيجة ذلك وثيقة غــير عادية تنتل لنا ـ بصــورة أكبر مما يمكن الحصـــول عليه من روايات الجنرالات ـ الفوضى والرعب اللذين يصاحبان الحرب الحديثة٠٠ وقد قام « بول ايدى » باعادة صياغة التسجيلات وقضى ســاعات كثيرة مع « آفى » لملء الثغرات كى يقدم صورة مسلســـلة لمــا حــدث ٠٠



كان « آفى يافى » قد خرج لتوه من تحت الدش وكان يقوم بنشر ملابسه على الأسلاك الشائكة لكى تجف عندما بدأت القذائف فى الانطلاق ٠٠ وكانت طائرة الميج تزمجر فوق رأسة وبدأت قنابل الدخان تنطلق من جانبى القناة لتطلق سحب الدخان الأخضر الداكن ٠٠ ولقد كان ممكنا من خلال ســتار الدخان مشــاهدة قوارب الكوماندوز وهى تنطلق الى المياه من الضفة الغربية ٠٠ وعاد «آفى» بسرعة الى خندق القيادة حيث يحتفظ بمعدات الراديو الخاصة به (وجهاز تسجيله) وكانت احدى وحدات الهجوم الرئيسية للجيش المصرى تتقدم على صفحة المياه فى اتجاه الحصن ٠٠

وقد كانت وحدة « آفى » التى يقع حصنها فى القطاع الأوسط أمام الاسماعيلية تقريبا تدرك قبل خمسة أيام من الهجوم أن نشاطا غير عادى على الضفة المصرية ، ولــكن جنــود الملاحظة فى المواقع الأمامية التابعة لحصن « آفى » لم يشهدوا الا حوالى ظهر يوم السبت السادس من أكتوبر دلائل خطيرة على قرب حدوث متاعب ٠٠ فقد انسحب جنود الملاحظة المصريون من مواقعهم وأسدل ســتار من الصمت المريب على الضفة الغربيــة ٠ وفى حــوالى الظهر ، تلقى رئيس « آفى » الذى كان يعرف بين رجاله باسم ميرك (اســمه الحقيقى مائير) من مقر قيادة الجيش أمر باخــلاء حصنين اصغر حجما يقعان ناحية الجنوب ٠٠ وقد تم نقل هؤلاء الرجال فى حاملة جنود مدرعة وصلت الى الحصن قبل الساعة الثانية مباشرة ، الامر الذى رفع عدد جنود الحصن الى ٣٢ ٠٠ وبعد ذلك بدقائق بدأت القذائف الاولى فى الانفجار .. وعندما بدأ الهجــوم المصرى فتح « آفى » ميكروفونين وأدار جهاز التسجيل ..

وفى أول الامر كانت هناك سلسلة طويلة من التقارير من الرجال الذين يرابطون فى مراكز الملاحظة الأمامية الى ميرك فى خنــدق القيادة ٠

« المصريون ينزلون قوارب كوماندوز فى المياه المواجهة لنــا مباشرة ٠ انهم يعبرون الآن ٠٠ القوارب مليئة بجموع المشاة ٠٠ انهم يهبطون الآن بصواريخ مضادة للدبابات على الضفة الشرقية ٠٠ عدد قليل من دباباتنا يندفع نحو المصريين ٠٠ مدفعية العدو تطلق نيرانها ٠٠ القذائف تسقط قريبة منا ٠٠ تقترب أكثر ٠٠ النيران تقترب ٠٠ حاملات الجنود المدرعة تعبر ٠٠ الكثــير من

الجنود يقفز على الضفة وينطلق بسرعة حاملا الصواريخ ٠٠ ست طائرات هليوكبتر مليئة بالكوماندوز تحلق فوق رؤوسنا »٠٠

* * *

كان من الواضح أن الجنود الاسرائيليين في الحصن فى حالة من الذهول الشديد من جراء الهجوم ، لدرجة أنهم حتى لم يطلقوا نيرانهم على طائرات الهيلوكبتر ، ولكن هذه الطائرات أسقطت بعد عودتها فارغة ، بطلقات المدافع الأوتوماتيكية ٠

* * *

« دبابة ت ـ ٥٤ تواجهنا ٠٠ تطلق نيرانها نحونا ٠٠ يعبر الآن مزيد من القوارب ، موجة بعد أخرى ٠٠ الجنود ينتشرون فى منطقتنا ٠٠ انهم يرفعون علم الكوماندوز على ضفتنا ٠٠ يقيم المصريون الآن جسرا ٠٠ تقوم رافعة آلية بانزال عوامات ٠٠ قافلة ضخمة ٠٠ اعداد كثيرة من المدرعات ٠٠ دبابات ٠٠عربات نصف مجنزرة ٠٠ عربات محملة بالصواريخ ، صفوف من عربات الجيب وبطاريات المدفعية » ٠

* * *

كانت توجد مدرعات مصرية كثيرة تنتظر عبور الجسر العائم ، لدرجة أن زحمة مواصلات ضخمة قد حدثت على الضفة الغربية٠٠ وكان جنود الملاحظة فى المواقع المتقدمة يشكون متسائلين ، لماذا لم يتدخل سلاح الطيران الاسرائيلى ؟ ! فالطائرات تستطيع أن تحول كل هذه المدرعات الى حطام وبعد ذلك أطلقت مدافع هاون مصرية مختفية فى غابة عبر القناة طلقات من نيرانها وأصبحت ساحة التدريب بالحصن مليئة بالفجوات والحفر٠٠وقد رد الاسرائيليون بكافة أنواع الأسلحة ٠٠ المدافع الأوتوماتيكية والبازوكا ومدافع الهاون عيار ٨١ مم ٠٠

وأطلق الاسرائيليون نيرانهم على الجسر المصرى وجنودالكوماندوز الذين يعبرون القناة وبطاريات المدفعية على الجانب الآخر وطبقا لما ذكره جنود الملاحظة فى المواقع الأمامية فانهم وجهوا ضربات قوية ٠٠ قوية للغاية ٠٠ وبعد ساعتين من القتال ، أطلق المصريون

قذائف انفجرت فى الحصن وملأته بدخان أصفر خانق ٠٠ وشعر الجنود بالرعب ولكن طبيب الحصن (الذى كان فى حياته المدنية يعمل طبيبا متمرنا حديث العهد فى أحد المستشفيات) أكد لهم أنه ليس غازا ساما ، وانما مجرد ستار من الدخان ٠٠ والآن وبعد أن أصبح المصريون يحاصرونهم من كل ناحية بدأ الرجال يستعدون للدفاع عن حصنهم وللقتال بالأيدى ٠

غير أن الهجوم على الحصن لم يقع ٠٠ وأصبحت القذائف الآن تنفجر فى أماكن أعمق داخل صحراء سيناء خلف الحصن ٠٠ وكان الكوماندوز المصريون والدبابات والعربات نصف جنزير واللوريات المحملة بالصواريخ تنطلق بسرعة عبر الحصن دون أن تطلق طلقة واحدة ٠٠ وفى الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر ، أى بعد ثلاث ساعات ونصف الساعة من بدء الهجوم توقف القصف من الضفة الغربية ٠٠ وعندما بدأ الغسق فى القاء ظلاله ٠٠ أدرك الاسرائيليون أنهم أصبحوا خلف خطوط العدو وأنهم معزولون تماما ٠٠

٩

وفى خندق القيادة كان « آفي وميرك » يستمعان للراديو ،بينما كانت القوات المدرعة الاسرائيلية الضئيلة فى المنطقة تحاول وقف الهجوم المصرى ٠٠ على مسافة ميل من الحصن على طريق يسير بحذاء القناة توجد وحدة دبابات اسرائيلية وفى مكان ما بالمنطقة وحدة مدفعية متنقلة٠ وكان قائد المدفعية يريد ضم قواته للدبابات للقيام بهجوم مشترك على رأس الجسر المصرى عبر القناة ٠٠ غير أنه قبل أن يحدث ذلك كان العدو يهاجم وقد تسلح المصريون بالصواريخ القاتلة المضادة للدبابات من طراز ساجر وأرسل قائد المدفعية تحذيرا سريعا الى الدبابات :

« حذار أن تصابو ٠٠ أريد توفير كل قوتكم للقيام بهجوم مضاد » ٠

وتفتح المدفعية نيرانها على الدبابات المصرية ولكنها أيضا تعرضت للهجوم بالصواريخ .. وقد استطاع يهوشيا الشهير باسم شوكى وهو نائب ميرك ٠٠ استطاع أن يرى من موقعه المتقدم المعركة وهى دائرة وبعث بتقرير يقول ان الدبابات لن تكون الآن قادرة على المجىء لمساعدة الحصن ٠٠ وقال انها فى حالة

فوضى شاملة .. واتصل قائد الدبابات بالحصن يسأل ميرك عما اذا كان يريد شرذمة من المشاة المدرعة ..

ميرك : مشاة مدرعة ؟ هل أنت واثق ؟

غير أنه بعد فترة توقف بسيطة غير قائد الدبابات رأيه ..

قائد الدبابات : آسف .. المشاة المدرعة لا تستطيع أن تفعل أى شيء هناك . اذ يوجد ضباب لايمكن تصوره . لا أستطيع أن أرى أى شيء

وأبلغ الحصن ان دباباته ومدفعيته المتحركة قد انسحبت لكى تعيد تجميع نفسها .. وانضم ميرك الى شوكى فى الموقع المتقدم حيث كانا يستطيعان رؤية الدبابات على الطريق على مسافة ميل .

ميرك : هل هى دبابات مصرية تلك التى تبدو هناك ؟

شوكى : نعم .. ولكنها لا تطلق نيرانها علينا فى الوقت الحاضر (وبصق بصوت مسموع على الخط) .

ميرك شوكى .. ابحث عن قطعة خشب بسرعة .. والمسها ..

وعن طريق الراديو علم الحصن ان المصريين اسقطوا قوات مظلات من طائرات نقل على مسافة عشرة أميال داخل سيناء .. وفيما وراء الحصن وعلى ضوء القمر كانت المعركة مستمرة مع زحف الليل .

* * *

ومع تحول ليلة السبت الى صباح الاحد ، تعرض الحصن للهجوم مرة واحدة .. وانفجرت القذائف وأصيب أحد جنود الملاحظة يعرف باسم « مارشيانو » فى العنق بشظية .. لم يكن الجرح خطيرا وقد وصل الى خندق القيادة دون مساعدة من أحد لكى يتلقى العلاج من الطبيب .. غير أنه جاءت أنباء عبر الراديو بأن الحصن التالى الذى يقع على مسافة خمسة أميال الى الشمال قد أصيب ضابط القيادة فيه اصابة خطيرة وقتل رجلان .. وظل

الحصن يوجه نداءات الاغاثة لاخلاء الجرحى.. وكان مقر القيادة الاسرائيلي الرئيسي في ((طاسا)) يعاني أيضا من المتاعب .. فقد قصفت طائرات الميج المعسكر وقتل من جراء ذلك عدد من الجنود وسكرتيرة القائد .. وشنت عملية انقاذ لنجدة الحصن الشمالي ولكن الكوماندوز المصريين الذين نقلوا بالهيليوكبتر أوقعوا النجدة في كمين وأرغموه على التراجع ..

وفي تلك اللحظة كان كل ما يستطيع الاسرائيليون أن يفعلوه لمساعدة الحصون هو توجيه قصف مدفعي ضد المصريين .. وتدخل قائد المدفعية المتحركة .. في راديو « آفي » لكي يسأل عما اذا كانت القذائف تصيب أهدافها ..

شوكي : القصف سلبي .. المدى ٢٠٠ ياردة ناحية الجنوب.

ثم اتصل مقر القيادة ..

مقر القيادة : ما هو الجديد لديكم ؟

شوكي (بصوت هادىء لا ارتعاش فيه) لا شيء معينا هنا . توجد نيران حولنا وشاهدنا قاربا آخر يعبر القناة .. وباستثناء ذلك يوجد مصريون من حولنا .

مقر القيادة : هل طلبتم مدفعية ؟

شوكي : نعم طلبنا ذلك .

وكان تماسك شوكي وتقليله من شأن أمور أكثر مما يستطيع الطبيب أن يتحمله .

الطبيب : انها جهنم دموية..لا تتركوا شوكي يبعث بالتقارير عن الوضع .. فكل شيء على ما يرام بالنسبة له حتى عندمايعبرون - أي المصريون - القناة .

آفي : (الى مقر القيادة) هناك اعداد كبيرة من المصريين من حولنا .

مبيرك : (الى مقر القيادة) لا أعرف ما يحدث عندكم .. فمدافعكم تضرب بعيدة عن الهدف .. أنتم تضربون منطقة جرداء ..لا أستطيع الرؤية ولكن الضرب بعيد عن الهدف ..

وحاول مقر القيادة مع وحدة المدفعية أن يصحح المدى ولكن بدون نجاح كبير ٠٠ مازال ميرك لا يستطيع رؤية أية اصابات ويقوم بابلاغهم بذلك ٠٠ وكان الحصن الشمالى لايزال يطلب النجدة ٠٠

آفى : (وهو يقدم زمزمية مياه للطبيب) تناول بعض الماء ٠٠ تناولت ثلاث رشفات لتعويض ما فقدته من العرق ٠٠ وسوف أقتفى أثرك ٠٠ يا الله ٠٠ كل هذه الحرب ٠٠ من اخترعها ؟

الطبيب : جنون ! القتال ! التعرض للقتل ٠٠

آفى : وماذا نحصل من كل هذه العملية ؟ فبدلا من الحصول على اجازة سوف يتعين أن نبقى هنا حتى نهاية جولتنا ٠٠

جندى القسم الطبى بعد الحرب سوف يتركونك تعود الى منزلك ٠

آفى : (ساخرا) بعد انتهاء هذه العملية سيكون حصننا فى الخطوط الخلفية ٠٠ هذا واضح ٠٠ سوف نجلس هنا سيكون أولادنا فى القاهرة ٠٠ مضبوط ؟

جندى القسم الطبى : انك تسخر الآن ولكن جيشنا سيكون خلال أيام قليلة عبر القناة ٠

آفى : اننى لم أمر بمثل هذا الموقف من قبل (آفى محارب قديم اشترك في حرب الأيام الستة) لقد كان الموقف دائما ان العدو على مسافة كيلومتر ، أو على مسافة ٢٠٠ متر أو أمامى مباشرة ٠٠ ولكن ان يكون العدو من حولك من جميع الجهات !! بالمناسبة سوف نتمكن قريبا من الاتصال بمنازلنا ٠٠ فى أى يوم نحن ؟ الاحد ؟ (قبل الحرب اتم الاسرائيليون اقامة شبكة تليفونية في معظم خطوط الجبهة تسمح للجنود بالاتصال بأسرهم بطريقة دورية) ٠

آفى : نستطيع أن نتصل بمنازلنا من الساعة الثالثة حتى الرابعة صباحا ٠٠ اننى اتشوق لطلب منزلى ٠٠ اننى أريد مكالمة واحدة مع منزلى ٠٠ سوف تبعث هذه المكالمة الدفء فى اسرتى وسط هذا الجو من التوتر ٠٠ انهم لا يعرفون ما يجرى هنا ٠٠

جندى القسم الطبى انهم أكثر قلقا مما نحن عليه ٠

آفى : أنى لست قلقا بصورة كبيرة على نفسى قـدر قلقى على أسرنى ٠

وعلى مسافة بضع مئات من الياردات من الحصن أصيبتدبابة اسرائيلية تقف بمفردها بقذيفة٠٠واتصل قائد الدبابة بالحصن٠

قائد الدبابة : لقد أصبت .. سوف أهبط لتقدير الاصابة لقد تلقينا أن قوات المظلات المصرية موجودة فى هذه المنطقة ٠٠ انظر الى اليسار قليلا من دباباتهم ٠٠ يوجد مظليون هناك الآن ٠

آفى : حسنا ٠٠ مظليون مصريون ٠٠ هذا أمر جديد ٠

جندى القسم الطبى وأين قوات المظلات التابعة لنا ؟

* * *

لم تستطع الدبابة التى كانت على اتصال بالحصن التحركوقد أحاط بها المصريون ٠٠ استسلم ثلاثة من طاقم الدبابة ٠

وفى نفس الوقت جرت محاولة ثانية لنجدة الحصن الشمالى قامت وحدة اسرائيلية للعربات المدرعة نصف جنزير ٠

وحدة النصف جنزير (من خلال الراديو)) توجـــد ثلاث دبابات معادية عند مدخل الحصن الشمالى ٠٠ لقد أصبناها وهى تحترق الآن كلها ٠

قائد المدفعية الثقيلة : خذو حذركم .، أنهم يطلقون الصواريخ عليكم غيروا مواقعكم ٠٠ وراقبوا الموقف طول الوقت ٠٠

وقد أرغمت الوحدة نصف جنزير على الانسحاب فى النهاية لاعادة التزود بالوقود ، والحصول على مزيد من الذخيرة ٠٠ ويواصل الحصن الشمالى فى طلب النجدة ٠٠ وأخذت حالة القائد الجريح فى التدهور ٠ ولكن مقر القيادة لا يزال غـير قادر على تزويد الحصـون الا بمساندة المدفعية ٠٠ وكانوا لا يزالون يواجهون المشاكل ٠٠

مقر القيادة : هالو ٠٠ أبلغونا كيف تسير نيران مدفعيتنا ؟ هل تحتاج الى تصحيح ؟

ميرك : لا أرى أية اصابات (موجها حديثه الى آفى) لعلهم لا يطلقون مدافعهم على الاطلاق ··

مقر القيادة : ماذا تقول ؟ هل توجهونهم (رجال المدفعية) الى أهدافهم ؟

ميرك : نوجههم ؟ هذا ليس عملنا على الاطلاق ·· اننى لا أرى أية اصابات ·· ينبغى عليكم أن تصوبوا الى مسافة أبعد ناحية الغرب ·· أليس كذلك ؟

آفى : (يوجه حديثه عن طريق تليفون الحصن الى شوكى الذى يقف فى أحد المواقع الامامية) : من الذى يطلق النار الآن ؟

شوكى : المصريون ·

آفى : على من ؟

شوكى : علينا على ما أعتقد ·· لقد توقفوا لتوهم ·

ميرك : أعطنى شوكى ·· شوكى هل تسمع صوت مدرعات ··

شوكى : هكذا يقول مارشيانو ·

* * *

وكان يمكن سماع ضوضاء عنيفة تزداد ارتفاعا ·· انها صوت زمجرة آلات قادمة من المدرعات المصرية خلف الحصن ·· وكانت الجبهة كلها قد استيقظت ·

* * *

آفى : (متحدثا من خلال ميكرفون جهاز التسجيل الخاص به) الساعة الخامسة الا الثلث صباح الاحد ·· سوف تكون هناك بالتأكيد معركة خطيرة فى الصباح ·· التوتر يسود الجو ··

ويعلق آفى صور زوجته وأولاده الثلاثة فوق الراديو ·· ويبحث الطبيب فى محفظته عن صور ابنته ··

آفى : هل تعرف أنها تبدو شبهك ·

الطبيب : يقولون انها أكثر شبها بزوجتى ٠

آفى : ما نوع الافلام التى تستخدمها ؟

الطبيب : كوداك ٠

آفى : الالوان جيدة ٠

ويستطيع الرجال في الحصن أن يسمعوا من خلال الراديو وحدتين من الدبابات الاسرائيلية كانتا قد وصلتا الى الطريق الذى يبعد مسافة ميل ولكنهما الآن تواجهان المتاعب ٠ ويتصل القائد بمقر القيادة عن طريق الراديو ٠

قائد الدبابات : المشاة المصريون يحوطوننا من جميع الجهات ٠٠

أرسلوا تعزيزات وساعدوا على تخليصنا ٠

❋ ❋ ❋

وفى هذه اللحظة انفجرت القنابل فوق الحصن وحوله ٠ وقد أصابت احداها خندق القائد اصابة مباشرة ٠٠ وينهار السقف المقام بالحديد المموج وانهارت الارض والاحجار على الرجال الذين بالداخل وملأت الجو بالتراب الخانق ٠٠

آفى : الآن تبدأ المعركة ٠

الطبيب : أيقظ كل شخص فى الخندق ٠

مارشيانو : (عن طريق التليفون من موقع أمامى) أستطيع أن أرى طائراتنا تحلق فوقنا ٠

لقد بعث مقر القيادة بالقاذفات المقاتلة من طراز فانتوم لمساندة وحدات الدبابات والحصن ٠ وبعث قائد الدبابات بتحذير متأخر الى الحصن ٠

❋❋❋

قائد الدبابات : خذوا حذركم ٠٠ لقد بعثنا بالطائرات الى هـــذه المنطقة ٠

ميبرك : لحظة ٠٠ يوجد الى الشمال منا هدف ٠٠ يوجد بيننا وبين المعبر المصرى على مسافة تتراوح بين ٧٠٠ و ١٠٠٠ متر مشاة مصريون يرابطون فى خنادق معدة جيدا ٠

قائد الدبابات : أرى سحابة صفراء ضخمة على شكل عش غراب فوق موقعكم ٠٠ هل هناك ثمة خطر ؟

آفى : (يعيد تكرار حديث قائد الدبابات على مسمع من ميبرك) توجد سحابتان ضخمتان لونهما أصفر على شكل عش غراب فوق موقعنا هل هناك خطر ؟

ميبرك : لا ٠٠ انها ستار من الدخان ٠٠

قائد الدبابات : هل تستطيع رؤية الجسر عبر القناة ؟

ميبرك : لا ٠٠ ما زال هناك بعض الضباب (دخان أصفر) ٠

قائد الدبابات : حاول وابحث عنه ٠٠ وخذ حذرك ٠٠

موقع أمامى : المصريون يطلقون نيرانا كثيفة مضادة للطائرات ناحية الطائرات التى كانت تقصفنا ٠٠

جندى : الدلائل تشير الى أنها طائراتنا ٠٠ أليس كذلك ؟

مارشيانو : (من موقعـــه الامامى) : طائراتنـا تمطـر المصريين بالصواريخ ٠

آفى : رائع ٠٠ انك حبيبى يا مارشيانو ٠

ميبرك : آفى ٠٠ أبلغ المدفعية أننا لا نرى أية اصابات تلحق بالمشاة

وينقل آفى الرسالة ولكن الرد لم يكن مشجعا ٠

قائد المدفعية : مقر القيادة يقول على التليفون أن عليكم أن تنتظروا ٠٠ اذ أنهم فى الحسبان ٠٠

ميبرك : (بنفاد صبر) : أريد أن أعرف لماذا لا أحصل على نيران ضد المشاة المصريين ٠٠ أريد أن أرى اصابة واحدة ٠٠



وظلوا ينتظرون نيران المدفعية بلا جدوى غير أنه على حين غرة زمجرت فوقهم طائرتا فانتوم أخريان والقتا بقنابلهما على المصريين الذين يرابطون فى خنادق غرب الحصن على ضفة القناة ٠٠ ويقع جزء من حمولة القنابل على القيادة وتغمر موجة ضخمة من المياه الحصن ويهرع الرجال فى المواقع الامامية الى الخنادق وملابسهم مبللة بالمياه ٠٠ ولكنهم يتصايحون بسرور ٠

وعند هذه المرحلة أصبح الحصن ذا أهمية تكتيكية حيوية للاسرائيليين ٠٠ فقد كان آخر وحدة رصد متبقية لضربات المدفعية والقصف الجوى على مرمى البصر من رؤوس الكبارى المصرية عبر القناة ٠٠ ولم تكن وحدة ميرك تتوقع أن يتم انقاذها على عجل ٠٠ فقد كان من الواضح أنها ذات قيمة كبيرة للقائد الجديد للقطاع الاوسط فى سيناء ميجور جنرال (اريك) شارون الذى كان قد وصل فى هذه اللحظة الى مقر القيادة فى « طاسا » لمحاولة تفهم الامور ٠٠

ومن مركز قيادته المتقدم أمسك بتليفونه الميدانى وطلب ميرك للحصول على بعض المعلومات من مصادرها الاصلية ٠

***

ميرك : (يقدم تقريرا لشارون) لدى قوة هنا ٠٠ ليست فقط قوتى وانما جميع أصناف العاملين وأناس حوصروا هنا ٠٠ لا يوجد جرحى بيننا حمدا لله باستثناء اصابات بالشظايا ٠٠ ولكنها ليست خطيرة ٠٠

شارون : هل أصيب موقعك ؟

ميرك : ليس اصابة مباشرة حتى هذه اللحظة ٠٠ ولكنهم ينظمون أنفسهم من حولنا وهناك وحدتان من المشاة خلفنا ٠ ونستطيع أن نرى ناقلات جنود مدرعة تصل وربما دبابات أيضا ٠

شارون : قل لى ٠٠ هل توجد حركة كبيرة على طريق القناة ٠

ميروك : ليست كبيرة ٠٠ قبل ذلك كانوا يتحركون عليه ٠٠ ووصل عدد من ناقلات الجنود المدرعة حتى موقعنا ٠٠ وقد بدأنا فى ضربهم ومن ثم فقد ابتعدوا ٠٠ تركوا جنودا ٠٠ مجموعات قليلة منهم

.. وحتى هـذه اللحظة ، لا أستطيع أن أفهم منطق بعشرة الجنود على طول الطريق .. لقد عادت ناقلات الجنود ناحية الشمال الغربى الى المنطقة التى توجد بها كافة دباباتهم .. الدبابات التى تلقت ضربات من سلاحنا الجوى قبل ذلك ..

شارون هل كانت هناك بعض الاصابات الجسيمة ؟

ميرك : كانت هناك بعض الاصابات الجسيمة .

شارون : من أى منطقة أنت ؟

ميرك : من هالاميد ـ هيه (وهى كوبوتز بالقرب من القدس حيث كان يعيش ميرك) .

شارون : ورجالك هل هم أيضا من القدس ؟

ميرك : نعم من القدس .

شارون : هل اشتعلت النيران فى دبابات العدو أم ماذا ؟

ميرك : (برضا واضح) نعم .. لقد اشتعلت فيها النيران .. لا أعرف كم عددها ..

شارون : عندما لا يكون المصريون يهاجمونكم هل يقومون بعمل شىء آخر ؟

ميرك : لا شىء على قدر ما أستطيع أن أرى والوضع الآن هو أن الدبابات وناقلات الجنود قد اقتربت حتى مسافة ٧٠٠ أو ٨٠٠ متر منا .. ولديهم مشاة فى الخنادق . وعندما يرفعون رؤوسهم نطلق النار عليهم كما أننا نوجه اليهم ضربات بمدافع الهاون عيار ٨١ مم .

شارون : هل لديك ذخيرة كافية ؟

ميرك : ذخيرة ؟ .. نعم .. فاننا نحاول ألا نبددها وقد بدأت أبخل بذخيرة المدفع ٨١ مم .

شارون : هل توجد فى مواجهتكم ناحية الشمال وبالقرب من نقطة العبور أى قوات للعدو ؟

ميرك : لقد ذهبت الى موقع أمامي منذ حوالى خمس دقائق ولم تكن هناك أية قوات فى ذلك الوقت ·· لحظة واحدة ·· سوف أرى اذا كان نائبى يستطيع أن يرى أى شىء ·· شوكى ·· شوكى ·· كلم (ويتم وصل شوكى فى الموقع الامامى بشارون) ·

شارون : السلام عليكم ·· قل لى ··

شوكى : السلام والبركة ·

شارون : كم عدد الدبابات التى تراها هناك ؟

شوكى : حوالى أربعين الى ٤٥ دبابة ·

شارون : فى أى تشكيل ؟ متجمعة ؟

شوكى : بعضها متجمع والآخر يقف فى صفوف ··

شارون : هل احترقت أية دبابات ؟

شوكى : لم تحترق وانما أصيبت دون أن تحترق · لقد هبط كل الرجال منها ·· وهم حولنا الآن ·· هناك خنادق ·· وهم على قمتها ·· فى تلك المنطقة ··

وأخذ شارون يستجوب شوكى حول مكان العدو بالضبط ولكن يحدث بعض الاضطراب ويتدخل ميرك ··

ميرك : أريك ، أرجو أن تفهمنى ·· انهم يسيطرون على منطقة مستوية ·· هل تسمعنى أنها منطقة مستوية طولها بضع مئات من الامتار وعرضها بضع مئات من الامتار وهم يتخذون مواقع تواجه الاتجاه الذى يبدو ان مدرعاتنا تسد الطريق عليهم منه ·· يوجد عدد كبير من المشاة خلف الدبابات ومع عربات نقل الامدادات ·· وكل ما يحتلونه منطقة يبلغ طولها حوالى الكيلو متر ·

شارون : أيها الرفاق ··لقد وصلنا لتونا الى هنا ·· واننى أخطط لبذل كل جهد لتخليصكم ·· سوف نتصل بكم فيما بعد لابلاغكم بما يمكن أن تفعلوه ··

وسأل شارون عن وسائل النقل فى الحصن وقال أنه سيتصل بالمدفعية لتزويدهم بمزيد من التعليمات حول رصد الاهداف ·

***

شارون : ســوف أشرح لــكم فيما بعد الطريقــة التى آمل بها أن أخرجكم من هــذا الوضع ٠٠ وما أريده منكم فى هــذه الاثناء هو أن توفروا ذخيرتكم وأن تأخذوا حذركم فى المواقع العالية عندما يطلقون النار عليكم ٠٠ فهذه الاماكن هى التى يمكن أن تقع لكم فيها خسائر كبيرة ٠٠ وسوف نبذل كل ما فى وسعنا لتخليصكم وكل شىء سيكون على ما يرام ٠٠ لا تقلقوا واصمدوا ٠٠

***

وعقب انتهاء محادثة شارون التليفونية ، عاد المصريون الى قصف الحصن ٠٠ وكان من الواضح أنه سيكون أعنف هجوم ٠٠

***

ميرك : شبوكى ٠٠ اقفز الى الموقع رقم ٣ واتصل بى عندما تصل الى هناك ٠ جندى الاشارة شلومر (مساعد آفى) سيذهب معك ٠٠ انتظر لحظة ٠٠ أريد أحدا فى الموقع الامامى الشمالى ٠٠ فمن المحتمل أنهم سيهاجموننا من ناحية الشمال ٠٠ اعطنى الموقع رقم ٤ ٠٠

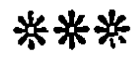
آفى : انك على اتصال به الآن ٠

ميرك : هالو ٠٠ آفى ٠٠ انهم لا يردون ٠٠

***

آفى : (من خلال مكبر الصوت) الموقع رقم ٤ ارفع التليفون ١٤٦

ميرك : على التليفون من هناك ، دوبيــــك ؟ ـ اسم الشهرة لجندى ملاحظة اسمه موردخاى ايكباروم ـ فليباركك الرب . كيف حالك ـ صوت انفجار قوى ـ ماذا أصاب هذا الانفجار فى الخندق ؟ .. ولكن عليك من آن لاخر أن ترفع رأسك وتنظر الى الخارج لانهم قد يأتون من ناحية الشمال .. هل تفهم ؟ .. ويجب أن أعرف ما يجرى .. وسوف نرى بسرعة .. لا أعرف من أين يوجهون الينا الضربات ..



وبدأت قذائف ثقيلة من هاونات عيار ١٦٠ مم فى التساقط على الحصن .

***

آفى : يقدم تقريرا لميرك ـ يقولون أن القذائف تسقط عند بوابة الحصن ..

ميبرك : موجها حديثه الى موقع البوابة ـ خذوا حذركم طول الوقت .. انبطحوا أرضا ، ولكن عليكم أن ترفعوا رءوسكم فى أقرب فرصة بعد القصف وتراقبوا البوابة .. أوكى ؟

وتنفجر قذيفتان فوق خندق القيادة مباشرة .

آفى : شوكى لا يرد ..

ميبرك : يخطف السماعة ـ شوكى ـ شوكى ـ لا رد .. يوجه حديثه الى آفى ـ لعله ذهب الى الموقع رقم ٣ .

***

جندى فى الموقع رقم ٤ انة فى طريقة الى هناك .. ربما تعطل فى الطريق بسبب القذائف

***

ويتصاعد القصف وتسقط الآن كل قذيفة تقريبا على هدف ، وأخذت الممرات ـ التى تصل الخنادق ببعضها ـ فى الانهيار وتحطم هوائى الراديو ، وقطعت بعض خطوط التليفونات بين خندق القيادة والمواقع الأمامية .. وخرج « آفى » و « شالومى » جنديا الاشارة معرضين نفسيهما للنيران ، لكى يستبدلان .. وأخذت القذائف تنهمر ..

مبيرك : اعطنى مقر القيادة .. هلو .. بنجال ـ عامل التليفون بمقر القيادة ـ اصغ الى .. انهم يقصفوننا بشدة فصفا مدفعيا وربما بالدبابات ايضا .. القذائف تسقط على مباشرة .. لاأعرف

أين تسقط .. أعتقد أن الدبابات تطلق النار علينا من مربض الدبابات (على الجانب الآخر من القناة) ولكن مدفعيتهم هى التى توجة لى أعنف الضربات .

مقر القيادة : هل المدفعية على الجانب التابع لنا ؟

ميبرك : لست متأكدا .. لاأستطيع أن أحدد ولكن هناك قذيفة تسقط كل دقيقة (موجها حديثه الى آفى) اعطنى شوكى .. أين شوكى ؟

جندى فى الموقع رقم ٤ : شوكى موجود فى الخندق التابع للموقع رقم ٤

ميبرك : هل انت متأكد ؟ حسن .. هل تواصل ملاحظة ذلك الجانب ؟ أوكى .

***

ويسقط مزيد من القذائف وقنابل الهاون محققة اصابات مباشرة .

جندى فى الموقع رقم ٤ : شوكى موجود فى الخندق . الممر المؤدى للموقعين رقم ٢ ورقم ٣ مسدود .

شوكى : (من خلال مكبر الصوت) الممرات المؤدية الى ٢ و ٣ سدت .

ميبرك : موجها كلامه اليهما معا : ستبقيان فى الموقع رقم ٤ أوكى ؟

***

ويدخل جندى برتبة سيرجانت ، يدعى باروخ خندق القيادة مترنحا ينزف دما من رأسه .. لقد مزقت احدى الشظايا خوذته، ومازالت فى جانب من رأسه .. وقد قطعت اذنه وكانت تنزف .

باروخ : ساعدونى يا أولاد .. ساعدونى .. ويهب جندى الشئون الطبية والطبيب لمساعدته ويتم انتزاع الشظية وتعطى

له حقنة مسكنة .. ويستغرق باروخ فى النوم فى سرير الطبيب . ويستمر القصف ..

آفى : يجب أن نشرح للقيادة أن الامور تزداد خطورة .

جندى : أبلغهم بأن لدينا اصابات .

ميبرك : وماذا اذا كانت هناك اصابات ؟

جندى : يجب أن يسرعوا .

ميبرك : (الى مقر القيادة) : انهم يقصفوننا .. لا أعرف من أين .

آفى : لا تجعل الامور تبدو بسيطة بهذا الشكل أمامهم ..

ميبرك : وماذا يتعين على أ ن أفعله ؟ لقد قلت أنهم يقصفوننا . ثم ماذا ؟

آفى : بالغ فى الامر بعض الشىء .. وبث بعض الحـــرارة فى الموقف ..

ميبرك : لقد بالغت فى الامر (الى مقر القيادة) يجب أن أعرف من أين يقصفوننا .. انهم يطلقون قذائفهم علينا .. وهذا هو كل ما لدى (موجها حديثه الى آفى) اعطنى شوكى الخندق رقم ٤ ..

آفى : اعتقد أن الخط قطع .

شلومو : (من خلال مكبر صوت) شوكى .. ارفع سماعة التليفون .

شوكى : (من خلال مكبر صوت) : تحدث الى عن طريق مكبر الصوت .

شلومو : (من خلال مكبر صوت) ان لديك تليفونا .. حاول أن تلتقط سماعته .

ميبرك : (الى آفى) اعطنى مقر القيادة من جديد . (ويقطع المكالمة الحديث مع الخندق رقم ٤) شوكى أين أنت ؟ أريدك فى الموقع رقم ٤ ..

شوكى : من المستحيل الخـــروج .. فكل شيء ينفجر فى الخارج ..

ميرك : ولكن لابد أن يقفز أحد الى هناك لكى يرى ما يحدث فى الشمال .. أوكى ؟(موجها حديثه الى آفى) والان أعطنى مقر القيـــادة .

آفى : مقر القيادة لا يرد .. اننى أحاول طوال الوقت . انهم يعتقدون ان لديهم الوقت الذى فى العالم كله .. أولئك الرجال الذين فى مقر القيادة .

مقر القيادة : هالو .. هالو .

آفى : أيوه .. لحظة .. يا للعنة .. لقد قطع الاتصال مرة أخـــرى . مقر القيادة : أيوه .. هالو .

آفى : هالو .. هالو (القذائف تنفجر كل بضع ثوان وأصبح من المستحيل سماع شيء .. ويصيح) ميرك .. تكلم .

ميرك : (الى مقر القيادة) هل تسمعنى .. اننـــا نتعرض للقصف الشديد ..

يقع انفجار ضخم آخر .
شوكى : (من خلال مكبر الصوت) الخندق رقم ٤ عزل تماما . لقد حوصرت هنا .. هل استطيع العودة .. يجب أن يذهب أحد بالقرب من البوابة .

ميرك : (الى مقر القيادة) والان اصغ لحظة .. بيجال .. بيجال ..

مقر القيادة : سوف تحصل عليها حالا .

ميرك : ماذا ؟

مقر القيادة : المدفعيـــة .

ميرك : على ماذا ؟ سأقول لك على ماذا يجب أن يطلقـــوا نيران المدفعية .. على مربض الدبابات ..

وفجأة تسمع أصوات المدافع الاتوماتيكية .

***

جندى (بالحاح) أنهم يطلقون نيرانهم ·· انهم يطلقون نيرانهم من جهة الشمال ·

آفى : شوكى ·· ماذا يجرى ؟

شوكى : ماذا يحدث ؟ انهم يواصلون القصف ·· لقد غادرت الخندق ·· اننى فى الموقع رقم ٤ فى هذه اللحظة مدفون تماما وأحاول الخروج ·· ربما ينجح شيء ··

ميرك : شوكى ·· قل لى هل ترى أى شيء من ناحية الشمال ؟ ·· وما هذا القصف ؟

شوكى : انها هادئة الآن ··

***

ويهز الحصن انفجار ضخم ·

***

ميرك : ما هذا ؟

شوكى : انه السقف يسقط فوقى ··

ميرك : أين أصابت القذيفة ؟

شوكى : لا أستطيع الرؤية الآن ·· أعتقد أنها فى وسط الحصن ·· ولقد أصيب أيضا الممر فى الموقع رقم ٤ ·· وقد انهار كل شيء على السقف فوقى ·

***

ويطلب شوكى ايفاد أحد لتطهير المدخل الى الخندق رقم ٤ ولكنه يستطيع الخروج قبل أن يتم ذلك ··

***

شلومو : الموقع رقم ١ يقول انهم يسمعون صوت مدرعات ولكنهم لا يعرفون من أين تتقدم ٠٠ وهناك عربات نصف جنزير ، على طريق القناة المواجه لنا ٠٠

ميرك : أعطنى مقر القيادة ٠٠ مقر القيادة ٠٠ أصغ ٠٠ الحصن مرة أخرى ٠٠ نستطيع أن نرى أضواء على طريق القناة ٠٠ ونحن نتعرض للقصف بشدة ٠٠

مقر القيادة : بدلا من الكلام حدد لى أهدافا ٠

ميرك : (وسط مزيد من الانفجارات).. سأحدد لكم أهدافا .. بادىء ذى بدء طريق القناة ٠٠ الطريق كله ٠٠ تسير عليه عربات نصف جنزير ٠ والسؤال هو هل هى تابعة لنا أم لهم ؟ ٠٠ لا أعرف ولا أستطيع أن أرى فى الظلام ٠٠ اضربوا طريق القناة بأسره على طول المنطقة المواجهة لحصنى ٠٠ ثانى شيء ٠٠ أعتقد أن لديكم مدفعية كثيرة .. فاذا كان فى امكانهم ، ابدأوا الضرب فورا . هل تسمعوننى ؟ لانهم يمحوننا هنا تماما ٠٠ عن طريق القصف ٠٠ مواقعنا الرئيسية ٠٠ لا نستطيع أن نصل اليها لانها قد سدت ٠٠ ولذا أريد الآتى : اقضوا على نقطة التجمع (ج) ـ اشارة الى خريطة رمزية ـ وبعد ذلك أريد نيرانا بالقرب من الكنيسة فى الاسماعيلية ٠٠ يوجد موقع مدفعية هناك ٠٠ ثم على مربض الدبابات ٠٠ وكذلك ناحية الشمال ٠٠ على مسافة ٢٠٠ متر الى الشمال الشرقى ٠٠ والسؤال الآن هل تستطيعون ٠٠

***

ويحدث انفجار رهيب ٠

***

ميرك : أوه ٠٠ كل الخنادق تنهار ٠٠ توجد أعداد من الهليوكبتر هنا ٠٠ أريد نيرانا سريعة الآن أبلغونى متى يمكنكم بدء القصف ٠٠

جندى : هل من المستحيل عليهم ارسال تعزيزات ؟

ميرك : الى أين ؟ هنـا ؟ اننـا لا نحتـاج لتعزيزات اننا نحتاج للاخلاء ٠٠ فما مبرر الاحتفاظ بالحصن هنا ؟

***

جندى : ألا يستطيعون ارسال أى نوع من المركبات الى هنا لاخذنا ؟

ميرك : سوف نقتل فى الخارج ٠٠ واذا بعثوا دبابات فانها ستعطب خلال القصف ٠

***

ويرن جرس تليفون فى الخندق ٠٠ كان أحد رجال المدفعية في الموقع رقم ١ ٠

* * *

شارلى : اننى شارلى ٠٠ ماذا هناك ؟

ميرك : شارلى ..هل تسمعنى ؟ أريدك أن تطلق ضوءا ساطعا، فى اتجاه الطريق الى الشرق اطلق الضوء فورا ٠٠

ويقع انفجار هائل آخر ٠

شوكى : (يتحدث تليفونيا من انقاض الخندق رقم ٤) ٠٠ لقد أصبنا الآن أصابة كبيرة ٠٠ اننا مدفونون تماما تحت الرمال ٠

ميرك : هل ترى أى شىء من طريق القناة ؟

شوكى : لا ٠٠ لا أرى شيئا ٠٠

ميرك : نعم بالتأكيد٠أبلغونى أنهم سيضربون الشمال وكذلك مربض الدبابات ، ونقطة التجمع (جـ) ولكن ذلك سـيستغرق بعض الوقت (مزيد من الانفجارات) أين أصابت الآن ؟

شوكى : لقد سقطت على رقم ٤ ٠٠ سقطت عليه مباشرة ٠٠ ووقع السقف كله فوقنا ٠٠ أرجو أن نكون على ما يرام ٠٠ هل أنت على ما يرام ؟

ميبرك : (وصوته يختنق من التراب) لا نســـتطيع رؤية أى شى ٠٠ هل تسمع ٠ اننا نختنق هنا ٠٠ لقد كسر جهاز التهوية ٠٠

* * *

كانت الصدمة التى وقعت من جراء القذيفة الأخيرة قد كسرت جهاز ضخ التهوية فى خندق القيادة ٠٠ وأرسل جندى شاب ، على شفا الفزع ، لتشغيل الجهاز باليد وكان الطبيب يغمس قطعا من القماش فى المياه ويعطيها للجنود ليضعوها على أفواههم ٠٠

غير أنه لم يكن هناك مزيد من القذائف ٠٠ فقد توقف القصف فجأة كما بدأ ٠٠ وبقى بعض الرجال فى مواقعهم متيقظين وعـاد البعض الآخر الى خندق القيادة للراحة ٠٠ وبدأ فى تسجيل رسالة خاصة الى زوجته ٠٠

* * *

آفى : داس هل تسمعيننى .. أشعر اننى أريد الحديث اليك .

ويقطع التسجيل بيأس فانه يخشى انها قد لا تســمع الشريط على الاطلاق ٠٠

وفى الساعة العاشرة والربع ، من صباح اليوم التالى ـ الاثنين ـ كان الطبيب ومساعده الطبى مشغولين ٠٠ وكان السيرجانت باروخ الذى جرح فى اليوم السابق يتجـــول الآن حاملا حقيبة الحقن ٠٠ وكان الجنود الذين يشعرون بآلام فى الظهر يحضرون الى خندق القيادة ٠٠ انهم لم يتبولوا منذ يومين وقد صدرت اليهم أوامر بأن يشربوا كميات كبيرة من المياه ٠٠

ودارت مناقشة خفيفة بين آفى والطبيب حـــول الوقت الذى ستتصل فيه القوة الجوية الاسرائيلية ٠٠ قال الطبيب السـاعة العاشرة و ٢٠ دقيقة وقال آفى العاشرة والنصف ..



ميرك : (فجأة) ناقلات الجنود المدرعة تتحرك نحونا

الطبيب : (من خلال مكبرات الصوت) عودوا الى مواقعكم ·· عودوا الى مواقعكم ··

ميرك : انهم يتقدمون نحونا ·· هل تفهمون ؟

شوكى : ماذا جرى لمدفعنا الهاون والبازوكا ؟

ميرك : هاون ·· أى هاون ···· أى بازوكا ؟

دعهم يضربون بالمدفعية ·· (موجها حديثه الى آفى) أبلغ المدفعية انهم يتقدمون نحونا ويدخلون الموقعين (أ) و (ب) ··

آفى يبلغ مقر القيادة ··

مقر القيادة : لحظة واحدة ··

آفى يالهذه اللحظة الواحدة التى يرددونها ··

ميرك : (بنفاد صبر الى مقر القيادة) ثمانى ناقلات جنود مدرعة تطلق النيران علينا ·· (زئير طائرة ·· قنبلة تنفجر ·· اضطراب صيحات الفرح) ··

الطبيب : رائع ·

ميرك : طائرة ·· الطائرات تتقدم ·

ميرك القيادة : هل ناقلات الجنود ما زالت تهاجمكم ؟

ميرك : (مؤكدا) نعم ·· ولكن الطائرة تقصف ·· وتنفجر قنبلة بالقرب من الحصن ··

* * *

وبنتهى الابتهاج فجأة عندما بدأ الاسرائيليون يدركون أن الطائرة ليست تابعة لهم ··

* * *

الطبيب : لم يطلق المصريون النار على الطائرة اطلاقا ··

ميرك : لم يطلقوا النار لأنها طائرتهم ·

* * *

وأصبح المصريون على مسافة ٢٠٠ ياردة من مدخل الحصن٠٠ وخرج ٨٠ جنديا من ناقلات الجنود وشرعوا فى التقدم ٠٠وفتحت المدافع الأتوماتيكية الاسرائيلية فى الموقعين رقم ١ و ٢ نيرانها٠٠ وفى خندق القيادة يسحب الرجال اسلحتهم ويستعدون للقتال بالايدى ٠٠

* * *

المساعد الطبى : آفى ٠٠ هل هذا مدفعك الاوزى الرشاش ٠٠

آفى لا أعرف ٠٠

الطبيب : أنه مدفعى ٠

ويرن جرس التليفون ٠٠

مقر القيادة ما هى مشكلتكم ؟

ميرك ما هى مشكلتنا ٠٠ ان عشر ناقلات جنود مدرعة تواجهنا ٠٠ الجنود ينتشرون ويتقدمون نحونا وفضلا عن ذلك فان سلاحهم الجوى كان يلقى بقنابله علينا ٠٠ وانتم تسألون ما هى مشكلتنا ؟

مقر القيادة أيها الابطال ٠٠ استمروا فى ضربهم بأعنف ما تستطيعون

ميرك : اننا نطلق النار عليهم ٠٠ ولكن أين مدفعيتكم ؟
مقر القيادة : سوف تأتى المدفعية حالا .. يستغرق الامر بعض الوقت للحصول عليها ٠٠

ميرك : ولكن ابدأوا فورا لاننى أطلبها منذ فترة طويلة ٠

مقر القيادة : أوكى ٠٠ لقد بعثت بها بالفعل ٠٠

ميرك : أيوه ٠٠ أيوه ٠٠ فى الحال ٠٠

* * *

مقر القيادة : هل حققنا أية اصابات ؟

ميرك : انكم حتى لم تطلقوا النار ٠٠

مقر القيادة : يا لجهنم ٠٠ أصغ ٠٠ سوف تكون هناك بعض المدفعية حالا ٠٠ اننا مقصرون قليلا ٠٠ اصبروا يا رجال وسيكون كل شيء على ما يرام ٠٠

ميبرك : (بسخرية) مؤكد ٠٠ مؤكد ٠٠ سنتحلى بالصبر ٠٠

مقر القيادة : هل أنتم من القدس ؟ برافوا (وبعد دقائق) ما هو الموقف الآن ؟ ٠٠ على ما يرام ؟

ميبرك : يا الهى ٠٠ ما هو الذى يجب أن يكون على ما يرام ؟ ان ناقلات الجنود المدرعة التى كانت على الطريق ، دارت الى الخلف وانزلت رجالا وتركت علامات تشير الى الاتجاه الذى يجب الهجوم منه ٠٠ ويبدو انهم يدبرون لهجوم آخر فى المساء أو الليل ٠٠ والآن ذهبوا فى اتجاه الشمال ٠٠ وهناك شيء آخر أريد أن أعرفه: ماذا تفعلون بالجسر الجديد الذى أقامه العدو ؟ انهم يرسلون قوات عبر القناة بلا توقف ٠٠

مقر القيادة : أين الجسر ؟ هل هو بعد النصب (نصب تذكارى للجندى البريطانى المجهول على الضفة الغربية بالقرب من الاسماعيلية)

ميبرك : لقد أبلغتكم أين يوجد ٠٠ بجانب النصب بالضبط٠٠

مقر القيادة : سأقول للفرقة ٠٠ وسيهتمون به ٠٠ (ويهدأ

القتال ويذهب احد الجنود الى بقايا غرفة طعام الحصن بحثا عن سجائر ٠٠ ويقوم آخرون بترتيب خندق القيادة وتنظيف ارضيته .

مقر القيادة : انتبه الحصن ٠٠ سوف نطلق كميات ضخمة من المدفعية فى اتجاهكم ٠٠ سوف ترون اصابات كثيرة ٠٠ ابلغونا بالاصابات . . اذا لم تكن على ما يرام فنصحح الضرب . . اننا نطلق النيران الآن (توقف) هالو ياحصن ٠٠ هل رصدتم أية اصابات؟

ميبرك : لم نر أى شيء ٠٠

مقر القيادة : لم تروا أية اصابات ؟

ميرك : لا ..

مقر القيادة : ابق على الخط ..

الطبيب (ساخرا) : ياله من عمل هذا الذى يقوم به رجـــال المدفعية .. أنه مرعب .

* * *

وفى النهاية يصل الضرب المدفعى الموعود ، منـذ فترة طويلة ويسقط على الهدف ، حيث كان المشـــاة المصريون يرابطون فى الخنادق خلف الحصن .. وبعـد انتظــار طويل ، اســـتحق الاسرائيليون المديح لدقتهم . ولم يستمر القصف طويلا .. كان الحصن الشمالى فى متاعب ضخمة . ان جميع الحصون متصلة سويا بالراديو ، وكان الرجال فى خندق القيادة يسمعون صرخات طلب النجدة ..

* * *

الحصن الشمالى: انهم يواصلوان قصفنا ..نحتاج الى مدفعية نرجوكم ارسال طائرات .. تلك الدبابات ليست تابعة لنا .. انتباه .. اننا محاطون بالمعنى الحرفى للكلمة بعشرات الدبابات وهناك الجنود الذين يتقدمون نحونا .. لابد أن نحصـــل على طائرات لتدميرهم .

* * *

مقر القيادة : (الى الحصن الشمالى) .. كبداية .. نقـــدم الآن تعزيزا بالمدفعية وسوف نستمر فى القصف طول الوقت .

(يواصل الحصن الشمالى الصمود) .

آفى : ما يقلقنى هو القميص الذى تركته بالخارج يوم السبت سوف آخذه معى فى نهاية الحرب لأقدمه هدية .

الطبيب : هل تأمل فى ذلك ؟

آفى : توقف عن مسألة ((آمل .. آمل)) هذه .

الطبيب : وهو كذلك ·· أنني أثق فى قواتنا الجوية ·· سوف يرسلون طائرات ومقاتلات وسوف يدمرون المنطقة كلها ·· وبعد ذلك سوف يقومون بعملية انزال لقوات المظلات ·· وسيكون هذا نهاية المطاف ··

بضعة جنود من قوات المظلات سوف يقومون بالعمل

جندى ماذا عن الحصن الشمالى ؟

آفى : لم يسقط بعد ·· اننى آسف لحالهم ·· فانهم يتعرضون لضغط مريع ·

الحصن الشمالى : (لمقر القيادة) انهم يطلقون نيران المدفعية علينا ·· نطلب مساندة جوية ·· المدفعية على مسافة ٧٠٠ متر الى الجنوب · انها مركزة ـ ٧٠٠ متر الى الجنوب ·· اطلقوا النيران ·· اطلقوا النيران ··

مقر القيادة : (الى الحصن الشمالى) اننا نقوم بارسال المدفعية لكم ·

الحصن الشمالى أطلقوا النيران ·· اطلقوا النيران

* * *

ويبدأ مارشيانو فى الغناء لكسر التوتر الذى يسود خندق القيادة ، ويغنى بصوت أجش ((انتظر قليلا ·· وبرهة أخرى قصيرة)) وينضم اليه الطبيب ··

* * *

الحصن الشمالى توجد قوة ضخمة من هاونات العدو الى الجنوب الغربى منى ·· والآن توجد قوة ناحية الشرق ·· أنهم يتقدمون من الجنوب ·· أحضروا الطائرات ··

تفوق طاغ علينا .. هذا طلب اغاثة عاجلة ..

وبدأ أحد الجنود الشبان فى خندق القيادة فى الانهيار تحت ضغط الموقف ·· ويشرع مارشيانو فى الغناء من جديد ··

* * *

آني : هذا هو الحل يا أولاد ·· دعونا نغنى لنحتفظ بروحنا المعنوية ·· انظر أيها الجندى ·· اننى أيضا متزوج وعندى ثلاثة أطفال ··

الطبيب : كل فرد هنا عنده أولاد ·· انظر ·· سأريك صور ابنتى ··

الحصن الشمالى : حشود ضخمة للغاية لقوات العدو ناحية الجنوب · دبابات ناقلات جنود مدرعة ومشاة ·· ابعثوا بالمدفعية ·· أرسلوا طائرات ·· بسرعة ·· حالا ·· أطلب اهتماما سريعا وفوريا لطلبنا ·· الرجال هنا يتعرضون لضغط كبير ·· لسنا قوة كبيرة هنا ··

الطبيب : ان الامر كما اعتقدنا ·· الموقف سيىء فى الشمال··

جندى : انهم يواصلون طلب النجدة ··

ويغنى مارشيانو « هافا ناجيلا » دعونا نحتفل وندخل البهجة للقلوب ·· ولكن العلاج هذه المرة لا ينجح ··

الطبيب : (الى الجنود) ·· لماذا تشعرون بالقلق ؟ ·· اننا لم نفقد أحدا بعد ·· لم نفقد أليس كذلك ؟ بلى ! ولم يكتسحوا الحصن ·· أليس كذلك ؟ بلى ·· وعلينا أن نحافظ على روحنا المعنوية عالية ··

الحصن الشمالى : توجد حشود ضخمة على مسافة كيلو متر ونصف الى الجنوب ·· مزقوها ·· دمروها بشدة ··

وفى تلك اللحظة يهتز خندق القيادة بفعل انفجارات ضخمة وبدأت المعركة من جديد .. ويسمع الرجال عبر مكبرات الصوت قائد حصن آخر على مسافة خمسة أميال الى الجنوب وهو يعلن ان موقعه يتعرض للهجوم من جانب المشاة والدبابات المصرية ··

انهم لايستطيعون الصمود أكثر من ذلك كذلك فان الحصن الشمالى كان يتعرض للهجوم الى جانب الدبابات المزودة بقاذفات اللهب •• ويسمع الرجال أصوات صراخ أثناء استخدام هذه الاسلحة الرهيبة ضد الخنادق •• ثم يخيم السكون •• ويستمر مقر القيادة فى توجيه ندائه للحصن الشمالى بلا مجيب ••

وعندما يخيم ظلام ليلة الاثنين كان يمكن مشاهدة المصريين وهم يحتشدون على الطريق الواقع خلف الحصن ، استعدادا لهجوم جديد •• واستطاع رجال ميبرك أن يروا الدبابات المزودة بقاذفات اللهب وتوقعوا مصيرهم •• وفى الساعة الثامنة انطلقت احدى ناقلات الجنود المدرعة للعدو ناحية الحصن •• ويضع جنديان عربيان مصابيح على جانبى البوابة ثم تنسحب الناقلة ••

ميبرك : أيها الاولاد •• سوف نغادر الحصن الليلة ! ولكن علينا أن نطلب تصريحا رسميا •• فعلى أية حال هذا ليس ماخورا ••

مقر القيادة • (بعد أن قدم ميبرك طلبه : سوف تسير الأمور على مايرام اذا بقيتم ••

ميبرك : لا أريد أى وعود جديدة •• أريد ردا فى غضون عشر دقائق •

* * *

ويحصل على الرد من ميجور جنرال شارون شخصياً ..

* * *

شارون : ليس أمامكم فرصة كبيرة .. ونحن لا نستطيع أن نحضر لمساعدتكم ..

ميبرك : سوف نغادر على أية حال ..

شارون : حسنا اذا كنت تعتقد أن ذلك سينجح ، نفذه .. اعتنوا بأنفسكم .. وحظا سعيدا ..



ويستعد الرجال الذين قضوا الستين ساعة الاخيرة بدون نوم .. ويملأون زمزمياتهم بالمياه ويرتدون جاكتاب واقية ثقيلة .. ويجمعون أسلحتهم .. مدفع أوزى وقنبلتان يدويتان لكل فرد .. ومدفع بازوكا وستة مدافع أوتوماتيكية بالاضافة الى ذخيرة وطلقات اضاءة ..

* * *

ميرك : هدفنا الرجوع سالمين بأدنى قدر من الخسائر .. والشيء الرئيسي هو الاستمرار في التحرك الى الامام وعدم التأخير ، فاذا أطلق علينا النار ، حاولوا القتال ، أرهقوا العدو وتحركوا الى الامام بسرعة ..

وفى الساعة الثانية والنصف من صباح الثلاثاء وبينما كان القمر قد بدأ فى المغيب تسلل الرجال الثلاثة والثلاثون من الحصن وشرعوا فى المسير وسط الظلام الدامس .. وفى الخارج انقسموا الى قسمين .. ميرك وآفى يتقدمان أحدهما وشوكى وشلومى يتقدمان الآخر .. ويسيران منفصلين ولكن فى نفس الاتجاه العام : ثلاثة كيلو مترات الى الجنوب بمحاذاة ضفة القناة ثم الاستدارة ناحية الشرق وعبور طريق القناة وبعد ذلك السير ١٣ كيلو مترا ناحية الشمال الشرقى عبر الكثبان الرملية ..

* * *

وفى الساعة الخامسة والنصف يبزغ الفجر ويدرك ميرك أن جماعته ضلت الطريق .. ويغير الاتجاه ناحية الشمس الآخذة فى الشروق . ويخلعون جاكتاتهم الثقيلة ويدفنونها فى الرمال .. وفجأة تقترب منهم الدبابات بسرعة فائقة من جميع الجهات .. وقد أحصوا ٣٠ دبابة نصفها اسرائيلى . لقد حوصروا وسط قوتين متعارضتين فيما يبدو فى معركة كبيرة من معارك الدبابات.

* * *

ويسرعون الى الاختباء فى مكان داخل الكثبان الرملية بينما كانت القذائف تنفجر من حولهم من جميع الجهات وطائرات الميج والفانتوم تتصارع فى السماء فوق رؤوسهم .. ويتم اسقاط

طائرتى ميج ويهبط قائداهما بالمظلات فى الصحراء الغريبة .. وتناقش الرجال فيما اذا كان يتعين عليهم أخذهما أسرى ولكنهم يقررون عدم تعقيد الامور .. ومع شروق الشمس يرصدون المجموعة الاخرى من الرجال على مسافة كيلومتر .. انها مجموعة شوكى وينضمون لبعضهما البعض ويتبادلون التجارب التى مرت بهم أثناء الليل ..

ويكتشف آفى أن أحد الجنود قد انقذ، رغم التعليمات الصارمة جهاز تسجيل صغير يعمل بالبطارية من الحصن . . ويشعر بالضيق من الجندى لعدم اطاعته الاوامر وحمله ثقلا اضافيا ولكنه يستغل الفرصة ويفتح الجهاز لتسجيل المناقشة . وبعد مناقشة قصيرة يتابعون السير ويطلق المصريون عليهم طلقاتهم ويتعرضون لنيران الدبابات ثم ترسل القيادة اليهم دبابة لانقاذهم ..

اما بقية القصة فهى عملية الانقاذ التقليدية المعروفة . . ولكن المصريين يرصدون الدبابة بعد أن صعدوا عليها ويوجهون اليها كل أنواع الاسلحة بما فيها الطائرات ولكنها لا تصيبها ويصل الرجال فى النهاية الى مقر القيادة فى « كاسا » سالمين .. ويستقبلونهم هناك استقبال الابطال ويسمحون لهم بالاتصال بعائلاتهم ثم يمنحون أجازة أسبوع وكانوا على مسافة ٧٠ . . ميل من وطنهم ولا توجد أية وسيلة للمواصلات يمكن الاستغناء عنها .. ولم يكن أمامهم من خيار سوى العمل على ايقاف السيارات فى الطريق ولم يكن لدى آفى القوة لذلك .. ويرى آفى طائرة هليوكبتر تابعة للميجور جنرال شمويل جونين الذى كان القائد المسئول عن الجبهة الجنوبية ويرجوه السماح له بالسفر معه

جونين : أوه .. انك أحد الرجال الذين انقذناهم من الحصن .

آفى : لا : اننى احد الرجال الذين انقذوا انفسهم ..

وبعد انقضاء اجازاتهم قضى رجال ميرك بقية الحرب فى أريحا ينتظرون هجوما من جانب الاردنيين وهو هجوم لم يقع على الاطلاق ..وعندما تم وقف اطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر كان الحصن الذى قضوا فيه ٦٠ ساعة مروعة ، وبالتالى جهاز التسجيل الآخر الخاص بآفى تحت سيطرة المصريين المحكمة ..

●●● « ماذا يقول .. اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى فى ذلك الوقت .. عن قصة سقوط هذا الحصن ، كما نشرها كاتب السنداى تايمز ؟.. ان تطابق اللواء سعد مأمون يكشف شيئا هاما . ان هذه القصة تعترف لاول مرة بأن الجنرال « ايريل شارون » كان يتولى قيادة قوات العدو على المحور الاوسط فى اتجاه الاسماعيلية منذ اللحظة الاولى من الحرب (جنوب وشمال الاسماعيلية) . وان سقوط خط بارليف فى هذا المحور تم على يد الجنرال شارون نفسه » ●●●

البطولة .. فى الانسحاب!

تعليق اللواء سعد مأمون

قال اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى خلال المعركة .

من المحتمل أن تكون هذه القصة حقيقية وقد تكون خيالية أو مزيجا بين الاثنين بهدف محاولة اثبات أن هناك قوة اسرائيلية تعدادها لم يزد عن ٣٢ فرداصمدوا ثم انسحبوا بالكامل من أحد المواقع الحصينة لخط بارليف فى منطقة الاسماعيلية فى قطاع الجيش الثانى ..

ومن الواضح أن مزج جـــزء من الحقيقـة بالكثير من الدعـاية الخبيثة وسردها بطريقة انسانية بسيطة هى الطريقة المثلى الآن لتشويق القارىء ، فمن من القراء يسمع عن تسجيل حى حقيقى لما دار خلال الستين ساعة الاولى لحرب أكتوبر من أحد الحصون الامامية لخط بارليف فى جهاز تسجيل يصف أحداث الستين ساعة الاولى من الحرب ويسجل اصوات المدافع والطائرات والدبابات كما يسجل ما دار من أحاديث بين الرجال ويصف مشاعرهم علاوة على ما سجله من نقاش وحوار دار بين الجنرال أريل شارون من مركز قيادته فى سيناء فى الايام الاولى للحرب وبين قائد هـــذا الحصن .. من يمكن الا تشده هذه القصة . ويقرأها ويصدق كل ما فيهـا .. ومن خـلال القصة المشـوقة ، لا مانع من دس السم فى العسل !

ومع هذا سأفترض أن القصة وحوارها صحيحان ١٠٠ ٪ ، ان كل سطر من سطورها يروى فخرا للمقاتل المصرى وعلى النقيض فان الفخر الاسرائيلى فى هـذه القصة هو كيفيـة انسحاب قوة اسرائيلية من حصن من حصون بارليف . وجدير بالذكر بل جدير بالفخر أن أذكر هنا جزءا من حـديث ايجال آلون الذى ظهر فى

جريدة « الاخبـار » يوم الخميس ٢٥ ابريل ١٩٧٤ والذى قال فيه «ان أمر الانسحاب قد انتهى من القاموس العسكرى المصرى» وشتان بين حالين فمقارنة بسيطة بين قوة هـذا الحصن والقوة المصرية التى دافعت وصمدت أكثر من ١٢٠ يوما فى كبريت ولم تستسلم قط للعدو تبين الفرق بين المقاتل المصرى والمقاتل الاسرائيلى

وسأحاول فى السطور التالية أن ألقى بعض الضوء على ما جاء فى هذه القصة :

١ ـ من الواضح أن هناك ارتباكا فى التفكير الاسرائيلى ، هل من الافضل لهم أن يعترفوا بأنهم فوجئوا ، أم الافضل أن يؤكدوا أن الشواهد كانت تدل على أن شيئا ما سيحدث على جبهة قناة السويس ، وانهم كانوا يعلمون وتوقعوا الحرب على الاقل وطبقا لتقديراتهم كانوا متأكدين من أن الحرب واقعة لا محالة وبصـفة خاصة خلال الـ ٢٤ ساعة الاخيرة قبل السادس من اكتوبر .

وظاهر من القصة أن القادة المحليين بل القيادة فى سيناء كانت تدرك قبل خمسة أيام من الهجوم أن هناك نشاطا غير عادى على الضفة المصرية ، ومع هذا شل التفكير الاسرائيلى فى اتخاذ الاجراءات المناسبة لمجابهة الموقف حتى آخر دقيقة .

٢ ـ يتصـور الاسرائيليون أن الموجات الاولى التى اقتحمت القناة هى من الكوماندوز المصريين .. ظهر كل ذلك فى سياق القصة وفى جميع حلقاتها .. متصورين أن من قام بهذه الاعمال البطولية أمام القوات المقتحمة لابد أن يتصف بصفات خاصة .. لهذا فهم كوماندوز ، والواقع أن الكوماندوز قامت أجزاء منها بالعبور فى الموجات الاولى وكان لها أهداف خاصة .. أما كل ماذكر فى هذه القصة عن الكوماندوز الذين تقدموا صفوف المشاة ، فانهم فى الواقع أفراد عاديون من المشاة كانت لهم أهدافهم .. وما البطولات التى قاموا بها الا بطولات من افراد عاديين أسوة بعشرات الالاف من المقاتلين الاخرين .. ولكنه اعتراف ضمنى بأن قواتنا المسلحة كلها فى حرب اكتوبر ما هى الا كوماندوز وعملت بروح الكوماندوز .

٣ ـ ما هو رد الفعل من القوات الاسرائيلية فى حصون خط بارليف ضد الهجوم المصرى ؟ ..

طبقا لما جاء بهذه القصة .. ارتباك واضح فى كل شيء .. شلل فى التفكير .. سلبية فى الاجراءات على كافة المستويات .. القاء اللوم كل على الاخر .. فقدان الثقة فى القيادة .. ضعف غريب فى التدريب الاسرائيلي وكفاءة اسلحتهم .. هل هذا التعليق او التحليل من عندى ؟ .. أبدا انه من سياق القصة .. ماذا قيل فيها ؟ .. يكفى اعادة ذكر بعض منه :

ـ كان من الواضح أن الجنود الاسرائيليين فى الحصن فى حالة من الذهول الشديد من جراء الهجوم لدرجة أنهم حتى لم يطلقوا نيرانهم على الطائرات الهليوكوبتر .

ـ كان جنود الملاحظة فى المواقع المتقدمة يشكون متسائلين : لماذا لم يتدخل سلاح الطيران الاسرائيلى ، فالطائرات تستطيع أن تحول كل هذه المدرعات الى حطام ..

ـ واستطاع نائب ميرك (قائد الحصن) أن يرى من موقعه المتقدم المعركة وبعث بتقرير يقول ان الدبابات لن تكون الان قادرة على المجيء لمساعدة الحصن .. وقال انها فى حالة فوضى شاملة ..

ـ وفى تلك اللحظة كان كل مايستطيع الاسرائيليون ان يفعلوه لمساعدة الحصون هو توجيه قصف مدفعى ضد المصريين .. ومع هذا كان القصف سلبيا بعيدا عن الاهداف المحددة .

٤ ـ ظهر للعدو فى هذه المرة أنه أمام حرب حقيقية (جهنم دموية) كما ظهر تماما أن الاسرائيلى اذا لم يحارب فى ظروف مواتية وفى تفوق عظيم على خصمه ، ينهار تماما ويكون كل هدفه هو الانسحاب من هذا الموقف .. وليس أدل على ذلك مما ذكر على لسان بطل القصة من انه لم يمر بمثل هذا الموقف من قبل .. لقد كان الموقف دائما أن العدو على مسافة كيلومتر وعلى مسافة ٢٠٠ متر وامامه مباشرة .. ولكن أن يكون العدو من حوله من جميع الجهات فهذا شيء آخر .

ـ كما أن هناك شيئا آخر وضح تماما باعترافهم وهو ان المصريين كان لهم ـ طبقا للتخطيط ـ أهداف معينة لا يحيدون عنها .. فمثلا كن هدفهم فى هذا القطاع هو الوصول بأسرع ما يمكن بقواتهم الى خلف العدو .. خلف خط بارليف .. وحصار المواقع التى لا تشكل تهديدا مباشرا للخطة .. على أن تصفى الحصون

المتبقية فى توقيتات تالية .. ولم تحـد القـــوات المصرية عن أهدافها أبدا ..

٦ ـ اتضح أن الجنرال اريل شارون كان يتولى قيادة قوات العدو على المحور الاوسط فى أتجاه الاسماعيلية (جنوبها وشمالها) منـــذ اللحظة الاولى من الحرب .. هـــذا الجنرال الذى حاولت اسرائيل اظهاره بأنه أحد عباقرة الحرب ..

ومع هذا فان الشيء الوحيد المؤكد وبصفة خاصة خلال المراحل الاولى من الحرب أن أعظم نجاح للقوات المسلحة المصرية كان فى هذا القطاع (جنوب وشمال الاسماعيلية) وتكسرت جميع موجات الهجوم المضاد والمحاولات الاسرائيلية لتدمير قواتنا فى هذا الاتجاه والتى بلغت ما لا يقل عن ٣٦ محاولة باءت جميعها بالفشل .. أى أن سقوط خط بارليف جنوب وشمال الاسماعيلية كان على يد الجنرال شارون نفسه ..

والغريب فى الامر أن كل هدف الجنرال شارون كان هو تخليص القوة من المأزق الذى كانت فيه وليس تدمير القوات المصرية التى تقوم بالهجوم على خط بارليف .

٧ ـ ظهرت كفاءة المقاتل المصرى فى القتال ضـــد مدرعات ومجنزرات العدو . فلقد باءت جميع محاولات العدو الاسرائيلى فى فك الحصار حول هذا الحصن حتى فيما يدعى أنه ماهر فيـه وهو القتال بالمدرعات والوحدات المجنزرة . فواضح من القصـة أن الوحدة نصف جنزير اضطرت الى الانسحاب فى النهاية . كمـا يواصل الحصن الشمالى (فى منطقة الفردان) فى طلب النجدة .

٨ ـ كان العدو دائما يفتخر بمدفعيته وفى جميع سطور القصة كان العتـــاب بل السب لاينقطع عن ضعف مدفعيته فى اصـــابة المصريين .

ولقد جاء اليوم الذى يعترف فيه العدو ـ بل يعترف العالم اجمع ـ بكفاءة المقاتل المصرى فى العمل ضد مدرعات العدو . .
ففى كل معركة سواء كانت بين المشاة أو المدرعات المصرية ومدرعات العدو لم تذكر القصـــة معركة واحـــدة نجحت فيها المدرعات الاسرائيلية . ومع أن هذا الحصن كان له أهمية كبيرة لدى القيادة

الاسرائيلية ، فان الاسرائيليين لم يتمسكوا به .. اسوة بباقى حصون خط بارليف ».

٩ ــ وعندما نتوغل فى الجزء الاخير من القصة تثبت لنا كفاءة نيران مدفعيتنا ودباباتنا . لقد وصفت القصة مدى دقة قصف حصون العدو والحالة النفسية التى كان عليها جنود العدو . وكيف تهدمت المواقع والحصون على من فيها . ولقد كان الاختباء خلف وتحت التحصينات هو كل مايهم الاسرائيليين فى هذا الحصن .ولم يكن القتال والدفاع عن الحصن نفسه . بل كان اهتمام بعض الجنود فى أن يبالغ القائد فى وصف سوء الموقف حتى تضطر القيادة الى العمل بسرعة لانقاذ القوة . لقد كان العدو يعيش فى ضباب . لا معلومات .. لا تقدير حسن للموقف .. كل شيء غامض .. لاثقة للمرؤسين فى الرؤساء .. بل لاثقة للمرءوسين فى أنفسهم .. ماذا كانت عليه الروح المعنوية للعدو حقيقة ؟ . . هل كانوا يريدون القتال ؟ .. أبدا ..

ولنكرر مرة أخرى بعض ماجاء على لسان أبطال القصة :

ــ اننا لا نحتاج الى تعزيزات .. اننا نحتاج للاخلاء .. فما هو المبرر للاحتفاظ بالحصن هنا ؟.

ــ سوف نقتل فى الخارج .. واذا بعثوا دبابات فستعطب خلال القصف .

ويشمل الحوار وصفا يبين كيف اطبقت قواتنا المسلحة المصرية بالدبابات والمشاة الميكانيكية والمشاة على حصون خط بارليف . والوصف بلسانهم يدل على مدى احكام الحصار المصرى على أحد حصون خط بارليف الاخرى وهو موقع الفردان شمال الاسماعيلية .

لقد كان كل هدف القيادة الاسرائيلية هو بث الطمأنينة فى قواتها فى خط بارليف وان يتحلوا بالصبر بوعدهم بمساعدات سواء من الطائرات أو من المدفعية .. ولكن دون جدوى .

١٠ ــ وأخيرا نقرأ ان القوة الاسرائيلية نجحت فى الانسحاب .. بطولة فى الانسحاب ! .. ولذلك فقد استقبلت عند عودتها فى مركز القيادة استقبال الابطال !

ولكننا نريد ن نتساءل هنا .. هل تمكنت القوة ــ وعددها ٣٢

أو ٣٣ فردا ــ جميعها من الانسحاب .. أم أنه نصف هذا العدد أو ربعه .. أو لعله بطل القصة فقط ؟ .. الله أعلم ! ..

وعندما نقرأ وصفهم لكيفية سقوط حصون بارليف الواحد تلو الاخر فى يد قواتنا المسلحة .. نفهم من سياق القصة أن الذى سقط هو حصون الفردان شمال الاسماعيلية وحصون الدفرسوار جنوب الاسماعيلية وان البطولة انحصرت فى كيفية هروب ابطال هذه القصة من يد القوات المسلحة المصرية .. وياله من فخر !

ويثور السؤال .. متى بدأ التفكير الجدى فى الهرب من الحصن ؟ .. والجواب عندى أن الهرب بدأ عندما أحست قوات الحصن أن الدور قد جاء عليها وان القوات المصرية قد قررت بشكل لا لبس فيه ــ طبقا للتخطيط ــ الهجوم على هذا الموقع الحصين ورتبت أمورها ..

وكان الواجب القتالى يقتضى الدفاع عن الحصن لاخر طلقة ولاخر رجل .. هذا مايتعلمه العسكريون ــ الف باء العسكرية .. ولكن لا .. لقد أصبحت البطولة الاسرائيلية فى الانسحاب .

ومن المخجل أن الجنرال شارون كان يريد من هذه القوة البقاء فى مواقعها والقتال ، وان الموقف سوف يسير على مايرام اذا مابقيت فى مكانها .. ولكن كان الحاح قائد الحصن على الانسحاب وضغطه على قيادته سببا فى موافقته على الانسحاب . ولكن هل كان الجنرال شارون مقتنعا حقيقة بقراره للقوة ببقائها فى موقعها للقتال ؟ .. الجواب بالنفى ، ويتضح ذلك من رد شارون على قائد الحصن عند طلبه الانسحاب واصراره عليه .. قل شارون : (ليس أمامكم فرصة كبيرة ... ونحن لانستطيع ان نحضر لمساعدتكم .. واعتنوا بأنفسكم) .. الى آخر ما قاله ، وجاء فى القصة على السنتهم ..

١١ ــ ثم ملاحظة واحدة .. لقد جاء على لسان بطل القصة ان طائرات الفانتوم والميج كانت تتصارع فى السماء بينما معركة دبابات من الطرفين كانت تدور رحاها أمامهم وزعم انه تم اسقاط طائرتين من طائرات الميج وهبط قائداها بالمظلات فى الصحراء القريبة وتناقش الرجال فيما اذا كان يتعين عليهم اخذهما أسرى

ولكنهم يقررون عدم تعقيد الامور !.. يا لها من ايجابية فى العمل .. وشجاعة فى القتال !..

١٢ ـ وفى النهاية اريد ان اؤكد حقيقة واقعية بصفتى قائدا للجيش الثانى الميدانى فى ذلك الوقت .. وهو أننا اقتحمنا هـذا الموقع وكان به الاسرائيليون بين قتلى وجرحى وأسرى . وان كان قد هرب جزء منهم ـ ولعل هذا ايضا غير صحيح ـ فقد لا يزيد ذلك عن أصابع اليد الواحدة . وكان اجمالى قتلى العدو لهـذا الموقع هو ٢٣ قتيلا وتم أسر خمسة إسرائيليين ـ أى ان الذين هربوا لم يزيدوا عن خمسة .

ومرة أخرى أكرر .. انه حتى ولو كانت هذه القصة حقيقية ١٠٠٪ فانها فخر للمقاتل المصرى سواء بين ثنايا القصة أو فى مدلولها العـــام .

أمامى ٢٥٠ قتيلاً .. ياشارون !

لم تكن صرخات الاسرائيليين فى هذا الحصن .. هى صرخات الفزع الوحيدة وطلب النجدة اليائسة التى سمعها ايريل شارون قائد القطاع الاوسط الاسرائيلى ، الذى وصل الى مقر قيادته فجر يوم الاحد ٧ أكتوبر كما تعترف التسجيلات .. لقد تلقى شارون صرخات باكية أخرى على مدى أيام القتال الشرس .. التقطتها أجهزة الاستماع المصرية .. وهذه واحدة منها ، كانت الصرخة فى اشارة تليفونية فى الساعة السادسة من صباح الاربعاء ١٠ أكتوبر . كان المتحدث هو قائد طائرة هليوكبتر جاء لنقل جرحى وقتلى معركة مشهورة لن ينساها الاسرائيليون ، وقعت بعد ١٧ كيلو مترا شرق الحصن الذى نشرنا تسجيلاته . اسمها معركة (المثلثات المائة) .. وهى باسم تبة ارتفاعها مائة متر ، قررت القوة المصرية فى القطاع الاوسط أن تستولى عليها لتسيطر على المنطقة كلها وهى متقدمة الى الشرق .

وكان قائد الهليوكبتر الاسرائيلى يبكى وهو يتحدث الى شارون .. والتسجيل موجود فى ادارة المخابرات العسكرية المصرية .. وبصوته المختلط بالدموع كان يقول : ((الموقف خطير .. امامى ٢٥٠ قتيلا غير الجرحى . أرسلوا بسرعة طائرات هليوكبتر لتساعد فى نقل الضحايا)) .

وأقفل التليفون ..

ولا اريد أن استطرد الان فى رواية تفصيلات هذه المعركة المشهورة التى يعرفها شارون جيدا ..

ولكننى ابدأ القصة من أولها .. لاروى على لسان أبطالنا ، قصة هذا الحصن الذى سجلوا بأصواتهم أحداث انهياره ، وان

زعموا فى نهاية المطاف أنهم جميعا (٣٣) تمكنوا من الهرب حتى وصلوا الى مقر القيادة فى الطاسة فجر الثلاثاء ٩ أكتوبر .

لقد قرأ العقيد المصرى قائد اللواء منساة ، الذى كان على عاتقة مجهود ضخم فى الخطة الموضوعة للهجوم على المحور الاوسط فى سيناء أمام الاسماعيلية.. قرأ القصة كما نشرتها السنداى تايمز. وابتسم بهدوء وقال بصوت خفيض : الحمد لله أنهم يعترفون ، ولكن لعلهم حتى الآن لا يعرفون ..

لقد استمالنى هذا الرجل بوجهه الجاد .. وكلماته المحددة.. وعباراته المختصرة وبساطة تعبيره ، وهو يروى بكل ثقة ، حقائق ما جرى .. وبعضا مما سجله فى يوميات المعركة .. ونحن نتجول معا .. يصاحبنا بعض الابطال ، على أرض المعركة .

ـ هذا هو الحصن الذى يتحدثون عنه .. لقد أصبح حطاما . ونتوغل فى الصحراء .. هذا موقع القيادة . لقد رأينا ألا ندمره للذكرى . بناء رهيب فى بطن الجبل . ثلاثون حجرة .

ولكننى لا أريد أن أسبق الاحداث فى الوصف ..

نعم الاحداث مثيرة .. مثيرة جدا . لا تحتاج من الصحفى الى جهد فى التعبير لانها تتحدث عن نفسها ..

كان امام هذا اللواء على الضفة الشرقية ٥ نقاط حصينة .

٣ نقاط متقاربة ومتصلة (التى تحدث عنها تسجيل السنداى تايمز) .. ويسميها العسكريون المصريون (نمرة ٦) .. لانها تقع امام المعبر السادس . ثم نقطتان عند كوبرى الفردان ..

وامام اللواء ايضا .. ومن مهامه الاستيلاء عليه ، مركز قيادة القطاع الاوسط ، فى (تبة الشجرة) على المحور الاوسط .. وعلى عمق ٨ كيلو مترات .

والخطة المصرية موضوعة على اساس التقديرات التالية :

العدو له احتياطى قريب خلف نقاط بارليف الحصينة عمقها فى الشرق وهو مكون من كتيبة دبابات (٣٦ دبابة) ، وسرية مشاة ميكانيكية عند تبه الشجرة .

ثم له احتياطى قوى ، وهو اللواء ١٤ مدرع فى الطاسة (١١٠ دبابات) ويسمى احتياطى تعبوى . وهو يشكل جزءا من مجموعة عمليات شارون .

الهدف المصرى أولا ، هو تدمير هذه الاحتياطيات فى الساعات الاولى للقتال ، وقبل أن تعبر الدبابات المصرية .. أى بالاسلحة الخفيفة وقوات المشاة الحاملة للاسلحة المضادة للدبابات .

هدف طموح ..

ولكى يتحقق ، لا داعى لتضييع أى جهد فى ضرب نقاط بارليف أولا . يكفى محاصرتها وشغلها بالمدفعية .. لاننا اذا منعنا الاحتياطى من أن يتقدم للدفاع عنها ، أصبحت مشلولة تماما .. وهى فى قبضة يدنا . وهذا يفسر دهشة الاسرائيليين فى هذه الحصون (نمرة ٦) من أن القوات المصرية ، تحاصرهم ، ولا تتقدم للقضاء عليهم .. كما أن قوات أخرى تتركهم وتتقدم الى الشرق ، وتعطى (نمرة ٦) ظهرها !

وكان المقدر أن يتم تدمير الاحتياطيات فى أربعة أيام ..

أما بالنسبة للنقطتين الحصينتين عند كوبرى الفردان ، فقد كان من المقرر تصفيتهما منذ الساعات الاولى للقتال ، نظرا لخطورة سيطرة العدو على كوبرى الفردان .. واذا استطاعت امدادات من العدو أن تصل الى هاتين النقطتين .. فقد كان من الممكن المرور الى كوبرى الفردان .. ثم الى الاسماعيلية .

وكان المفروض أن تتم مرحلة التدمير الاولى بعد ساعتين من العبور . لتأكل الاحتياطى القريب من تبة الشجرة .. (٣٦ دبابة وسرية مشاة ميكانيكية) ثم تأتى المرحلة التالية ..

التقدم الى الشرق ، لتدمير اللواء ١٤ مدرع .. عند قيادة

شارون فى الطاسة وهو رابض على بعد ٣٠ كيلو مترا .. وبقوات المشاة ، دون استخدام الدبابات ..

الم أقل أنها خطة طموح ..

ولكنى أترك الشرح العسكرى للقائد العقيد المصرى .. وهو يمثل المقاتل المصرى فعلا :

ـ فى الساعة الثانية . ساعة الصفر . وبعد طلعة الطيران . ثم جهنم المدفعية المصرية ..دفعت بقوات أمامية ،وهى سرايا مشاة، متفادية النقاط القوية .. وقامت على الفور بالاستيلاء على خط القتال الثانى الذى كان يجهزه العدو وراء النقاط بحوالى كيلومتر ونصف متر ..

وفى نفس الوقت كانت سرايا برمائية تعبر بحيرة التمساح .. وتتقدم لحصار النقاط القوية الثلاث (نمرة ٦) ..

وعند بدء الحصار ، وكنت لا ازال فى مركز القيادة المتقدم (غرب القناة) فوق المصطبة الترابية .. رأيت قوات العدو فى النقطة رقم ١ ، وفى النقطة رقم ٢ .. تنسحبان ، وتتضمان الى النقطة رقم ٣ .. تماما كما ذكرت تسجيلات الاسرائيليين . ولكننا ضربناهم بقصف المدفعية . أصيب عدد منهم . بعضهم هرب شرقا . وانضم الباقون الى الحصن الثالث كان هذا المشهد واضحا أمامى ، وأنا أرقبه بالتلسكوب . وخلال هذا .. كانت قوات اللواء الرئيسية ، تعبر باعداد هائلة وتقوم بالاستيلاء على مواقع مختلفة فى الضفة الشرقية .. ومنها ما هو مكلف بحصار النقاط .. ومنها ما هو مكلف بالتقدم لتدمير احتياطيات العدو ..

وعند الساعة الرابعة .. وطبقا للخطة .. انتقل القائد وعبر الى الضفة الشرقية .. وأعاد بسرعة تجميع قواته .. وبدأت القوات تتقدم شرقا دفع العدو احتياطيه القريب ..

على الفور تم تدمير ١٣ دبابة وانسحبت ٢٠ دبابة الى الشرق فى العمق .. واستمرت القوة المصرية تتقدم شرقا ..

واختار العقيد المصرى موقع قيادته شرق (مجموعة نقاط نمرة ٦) .. وأدار المعركة ..

لقد جمع العدو احتياطيه مرة أخرى .. وقام بهجوم مضـاد حوالى السادسة من المساء .. وفشل الهجوم .. وانسحب العدو للمرة الثانية شرقا ..

فى هذا الوقت .. كان الحصار قد استكمل تماما حول نقاط (نمرة ٦) .. وتقدمت كتيبة لمهاجمة موقع الفردان .. النقطة الاولى تم حصارها . والنقطة الثانية بدأ الهجوم عليها .

العقيد المصرى يتابع تقدم قوات المشاة الى الشرق . تصل القوات الى عمق ٦ كيلو مترات . يأمر بالتجهيز الهندسى . حفر الخنادق . تمهيد الخنادق بشكائر الرمال . فتح الاسلحة الخفيفة (م.د) المضادة للدبابات على الخطوط التى سيتم منها تدمير العدو .. تم التجهيز . بلغت الساعة العاشرة من المساء . كان المتوقع

أن يبدأ هجوم العدو باحتياطيه قبل ذلك .

ولكن العدو لم يقم بالهجمة المضادة ! .

والسؤال : لماذا ؟..

والجواب : عم الارتباك قوات العدو لم يستطع أن يقدر الموقف تقديرا سليما . عملية العبور على نطاق واسع ، لم يتبين أهدافها تماما . اسقاط قوات خاصة فى الاعماق أثارت بلبلة تقديراته .

ـ ومتى قام بالهجوم المضاد ؟..

ـ فى الساعة الثانية من الصباح . وهذا التأخير أعطى فرصة لمزيد من التجهيز والاستعداد عندنا . كشفت لنا أجهزة الرؤية الليليه ان طلائع اللواء المدرع الاسرائيلى بدأت فى الوصول لكى تحدد أوضاع قواتنا . اننى اعرف هدف استطلاعهم دائما ، وهو اختيار النقطة الضعيفة لكى يركزوا عليها الضرب .

أجرينا عمليات خداعية ، حتى لا يتمكن العـدو من تحديد أوضاع قواتنا بدقة . دفعنا عددا من الكمائن أمام الخط الذى يحتله لواء العدو . أفراد مشاة عاديين يحملون أسلحة مضادة

للدبابات قصيرة وطويلة المدى . هذه الكمائن مهمتها أن تترك العدو يتقدم ، ثم تهاجمه من كل اتجاه .. دمرت كل عناصر العدو المتقدمة وكانت ١٠ دبابات .

فى هذا الوقت كانت كبارى العبور قد احتلت مواقعها طبقا للخطة الموضوعة .

الساعة الرابعة صباحا .. كنت جاهزا تماما ..

بدأ العدو فى الخامسة والنصف هجوم عناصره الرئيسية التى كانت تقف على بعد ٥ كيلو مترات منا .. أى خارج مرمى أسلحتنا (٣ كيلو مترات) .

واستطعنا أن ندمر حوالى ٣٠ دبابة للعدو .. وانسحب باقى لواء العدو شرقا الى منطقة (الطاسة) ليعيد تجميع نفسه ..

استمرت هذه المعركةحتى العاشرة والنصف منصباح ٧ أكتوبر واستخدم فيها العدو كل حيله . الهجوم من الجنب . ثم الانتقال الى الجنب الآخر لشغلنا ، حتى يتيح لنفسه فرصة أن يضربنا فى الوسط . ولكن لعبته كانت مكشوفة ومعروفة مقدما .

وتوقعت أن يعيد العدو الهجوم فى نفس اليوم ..

لا وقت للضياع أو الراحة فى هذه الساعات الفاصلة .

أعدت تنظيم مواقعى مرة أخرى ، استعدادا للضربة المضادة القادمة ، التى بدأها العدو فى الساعة الرابعة بعد الظهر (٧ أكتوبر) بالعناصر المتبقية من لوائه وكانت حوالى ٣٦ دبابة ..

استمرت المعركة حتى السابعة من المساء .. واضطر العدو ان ينسحب بعد أن فقد جزءا كبيرا من عناصره ..

الى هنا .. كنا قد أنهينا الجزء الاكبر من مهمتنا الرئيسية ، وهى تدمير الاحتياطى القريب للعدو والاحتياطى التعبوى لمجموعة عمليات شارون . ولا أبالغ اذا سجلت أن هذا تم طبقا للتوقيت

الذى وضعناه فى خطتنا تماما .. وتدربنا عليه مئات المرات قبل ٦ أكتوبر .

قواتنا لا تزال تحكم الحصار على نقاط (نمرة ٦) .. ولا تزال تهاجم نقطة الفردان بهدف تدميرها ..

وكان علينا فى الصباح (٨ أكتوبر) أن نبدأ تنفيذ المهمة الثانية. تطوير الهجوم شرقا ، للاستيلاء على مركز قيادة العدو فى الطريق الاوسط .. اننا الآن على بعد ٦ كيلو مترات من شاطىء القناة (خلفنا) . علينا أن نتقدم ٩ كيلو مترات .

ولكننى تلقيت أن العدو قام بوضع لواء آخر ، حركة من بير سبع ، هو اللواء ١٩٠ مدرع (الذى عرف بعد ذلك ان قائده هو عساف ياجورى) .. فى اتجاه محور الفردان .

نقطة الفردان الحصينة لم تقع بعد . كان يريد الوصول اليها . ومن ثم يسيطر على كوبرى الفردان ومنه يدخل الى الاسماعيلية .

لقد أفشلنا هجومه المضاد بلوائه رقم ١٤ على المحور الاوسط.. واكتشف نقطة ضعف عند الفردان .. الذى يقع على جانبنا الايسر .. فأسرعت بتأمين جانبى الايسر بعدد من الدبابات .

وانتهت قصة اللواء ١٩٠ كما هو معروف . نقطة الضعف التى تصورها العدو خالية من المدرعات .. كانت قد امتلأت ، بعد عبور الدبابات .. وأبيد اللواء عن آخره بعد أن دخل فى مصيدة الموت فعلا . ووقع قائده أسيرا ..

وكانت أخبارا سارة لنا ..

وقررت فى المساء مع هيئة القيادة تنفيذ تطوير هجومنا الى الشرق للاستيلاء على مركز قيادة العدو فى تبة الشجرة .. وفى الوقت نفسه أصدرت الامر بتصفية النقطة الحصينة (نمرة ٦) .. وهذا يفسر صيحات الاسرائيلى داخل هذا الحصن المسجلة باعترافهم (المصريون يستعدون للهجوم) ..

وفى هذه الليلة تمت فعلا تصفية هذا الحصن ، وتم الاستيلاء عليه تماما .. ولم تقابل الكتيبة المكلفة بهذه المهمة بقيادة العقيد شفيق أية صعوبة تذكر . العدو كان مرهقا للغاية كما تدل على ذلك اعترافاتهم . بعضهم هرب خلال عملية الحصار . وكل من بقى فى الحصن قضى عليه . ٢٣ قتلوا و ٥ أسروا .. ومن قبل كنا دمرنا دبابة فى اليوم الاول وأسرنا ٣ أفراد منها .

ويروى القائد قصة ، تفسر عجز الاسرائيليين فى هذا الحصن عن فهم ما كان يدور فى اللحظات السابقة للعبور .

عندما كان العقيد المصرى فى مقر قيادته فى الغرب قبيل ساعة الصفر بحوالى عشر دقائق . ظهرت أمامه على الضفة الشرقية ، وعند التحصينات (نمرة ٦) مجنزرة اسرائيلية ، هى التى كانت تقوم بنقل الجنود الاسرائيليين من الموقعين الاول والثانى الى الموقع الثالث ..

لم يكن العبور قد بدأ .

وتلهف رجال المدفعية المصرية لتدمير هذه المجنزرة .. ولكن العقيد المصرى أصدر أمرا بعدم التعرض لها اطلاقا. ان ضربها كان يعنى تنبيه الاسرائيليين الى أن هناك حربا وشيكة . وكان هذا سيقتضى من الاسرائيليين أن يحركوا احتياطى الدبابات القريب خلف الحصون (حوالى ٨٠٠ متر) .. ليظهر على الشاطىء .. وكان من الممكن أن يضرب الجنود المصريين عند عبورهم .

وكان عدم ضرب هذه المجنزرة أو التعرض لها .. تأكيدا للتعمية ..

ان الاسرائيليين يشاهدون حركة غير عادية فى الضفة الغربية .. ولكنهم لا يعرفون لها تفسيرا . تلقوا الامر بالتجمع فى حصن واحد ، من باب الاحتياط لمفاجأة يشكون فى فهم طبيعتها . لم يتعرض أحد لهم ، وهم يتجمعون ..

وفجأة انطلقت المدفعية المصرية لحماية العبور .. وهنا انهالت عليهم القذائف ..

ومن قبل المدفعية كانت طلعة الطيران .. التى مرت فوق الحصون ، ولم يفهم الاسرائيليون شيئا ..

وخلاف ضربات المدفعية كانت هذه المجنزرة .. قد دمرت تماما ولكن قوات المشاة المصرية كانت قد عبرت .. وكانت قد دمرت الاحتياطى القريب من دبابات العدو .. وكانت قد بدأت أحكام حصارها حول حصن (نمرة ٦) .. وبدأت تدميره .. وقوات العقيد المصرى تتقدم شرقا للاستيلاء على مقر قيادة العدو !

بدأ تقدمنا للاستيلاء على مركز القيادة فى العاشرة من مساء ٨ أكتوبر . وتم تنفيذ المهمة .

كان هجوما واثقا وعنيفا . وكان العدو لا يزال فى مراحل فزعه .. كل هجماته المضادة ضدنا فشلت . لواء الـ ١٩٠ تدمر وأسر قائده . ومع ذلك فقد دهشنا لان كل هيئة القيادة الاسرائيلية قد هربت وتركت الموقع ، ولم تدافع عنه !

لقد رأيناهم يركبون دبابتين فوق الاسطح مثل قطارات الصعيد .. وتجرى الدبابتان باقصى سرعة .. وبكل أسف لم نتمكن من اللحاق بهما .. فقد كان موقع القيادة كله بين يدينا .

هذا الموقع منحوت فى قلب التبة على ارتفاع ٧٤ مترا .. وهو ضخم ، مبنى بالخرسانة والحديد . دوران بهمان ثلاثون غرفة !.. والارتفاع يعطيه السيطرة ، ولكن اعصابهم فقدت كل سيطرة !.. وله طريقان مسفلتان يصعدان اليه .

كانت الغنيمة دسمة فعلا ..

أكلة شهية جدا ..

قبل أن ندخل الى الموقع .. أمامنا ٤ دبابات سليمة لا تزال دائرة !.. ثم سيارة جيب امريكية رشيقة سليمة ، ودائرة أيضا .. انها تخص القائد .. وقد انتقلت ملكيتها الى القائد المصرى العقيد المصرى ولا يزال يستخدمها حتى الآن !

ثم ندخل الى الموقع ..

ـ جميع تجهيزات ومعدات مركز القيادة موجودة فى أماكنها . وكان من الممكن أن ينسفوها قبل الهرب .. ولكن الذعـر تملكهم فتركوا كل شيء ..

ـ حتى الصناديق الملأى بالخرائط والوثائق التى تبين جميـع مواقع العدو فى سيناء .. تركوها دون أن يحرقوا خريطة واحدة ! (نقلت على الفور الى المخابرات الحربية المصرية) ..

ـ أجهزة المراقبة البصرية .. ومنها تلسكوبات تستكشف حتى بعد ٣٠ كيلو متراً ..

ـ مقطورة كبيرة ملأى بقطع غيار الدبابات والمجنزرات .

ـ مقطورة كبيرة بها كل معدات اللحام .

ـ جميـــع مهماتهم الشخصـــية .. محافظ .. نظارات .. ساعات .. أجهزة تسجيل . ملابس ..

التليفونات (١٠ خطوط) ، والاجهزة اللاسلكية (٥) .

ـ الغرف الثلاثون التى يتكون منها المبنى . . كاملة بالاسرة والدواليب والملابس على الشماعات !

ـ المطبخ الحديث بكل معـــداته . أجهزة التكييف . مكتب القائد . ومكاتب معاونيه .

ألم أقل نها غنيمة دسمة وأكلة شهية ؟ ..

ولذلك لم ندمرها .

تركناها للذكرى . وزارها الرئيس أنور السادت يوم ٥ يونيو .. سنة ١٩٧٤ .

ولم يكن لدى العقيد المصرى وقت للفرحة .. وان كان المشهد مفرحاً ، وخاصة ان زينات الاحتفال بعيد الغفران كانت لا تزال فى موضعها .. وأطبـــاق الفاكهـــة وزجاجات الويسكى التى لم يهنأوا بها .. منذ يومين !

كان عليه أن يستعد لمحاولة مؤكدة من العدو أن يسترد هــذا الكنز الثمين ..

غارات طيران العدو لم تتوقف ..

الضرب بالمدفعية كان مركزا بشدة ..

وبدأ الهجوم المضاد بالمدرعات فى الساعة الخامسة والنصف من فجـر ٩ أكتوبر .

وكان الهجوم بكتيبة دبابات (٣٦) من اتجاه المحور الاوسط ، تدمر منها ١٠ دبابات وانسحب العدو شرقا !

أصبح الانسحاب عادة يومية !

***

وبدأنا نستعد للمهمة الاخيرة للواء .

التقدم شرقا لتدمير باقى عناصر العدو . التمركز فى خط المهمة النهائى ، وفقا للخطة ، وهو على مسافة ١٦ كيلومترا .

هناك نقطة التقاطع رقم ٢ ـ وكتيب أبو كثيرة ـ ونقطة المثلثات ١٠٠ . هذه هى النقاط التى تحكم خط المهمة الاخيرة .

وبدأنا نتقدم فى الساعة التاسعة من مساء ٩ اكتوبر .

لم نصادف مقاومة تذكر .

وصلت القوات فى الساعة الثالثة من صباح ١٠ اكتوبر .

كانت مفاجأة للعـدو .

كان يتصور اننـا سنتمركز فى مركز القيـادة الحصين الذى استولينا عليه ، ولم تتوقف غاراته الجوية لضربنا فيه .

وبدأ العدو يستكشف مواقعنا الجديدة . بنفس الاسلوب .. محاولة العثور على نقطة الضعف ، ليقتحم منها ..

ولكن وضح أن من كانوا يقومون بالاستكشاف . كانوا يعانون من الارتباك . ولذلك تجنبوا الاشتباك الفعلى . ودمرنا عـددا من دباباتهم ومجنزراتهم قبل أن تهرب !

ولعـلهم عادوا من الاستكشاف بفـكرة أن الضعف فى جانبنا الايسر ..

فعند الظهر (١٠ أكتوبر) .. هاجم العدو من اليسار بحوالى ٣٦ دبابة .. وفشل الهجوم .

ان نقطة المثلثات ١٠٠ (وارتفاعها ١٠٠ متر) تسيطر على المنطقة الجديدة التى وصلنا اليها .. كما أن هذا الجنب يطل على محور الفردان الذى تم تدمير اللواء ١٩٠ فيه .. واحتلال العدو له واجلاؤنا عنه . كان يعتبر بالنسبة له كسبا كبيرا من ناحيتين :

الوصول الى موقع مسيطر يستطيع أن يوجه منه هجمات مضادة ناجحة .

محاولة الوصول مرة أخرى الى محور الفردان .

١١ أكتوبر :

كرر العدو هجماته طول النهار .. على نفس المكان . وفشل .
فى الساعة ١١ مساء . اجتمعت هيئة القيادة . العقيد المصرى. رئيس العمليات . قادة الوحدات المشاة وقائد كتائب الدبابات. تمت دراسة الموقف . قدروا أن العدو سيهاجم عند أول ضوء . وسيكون الهجوم انتقاميا كبيرا . تم توزيع القوات طوال الليل ، فى مواقع مستعدة لمواجهة الهجوم .

١٢ أكتوبر :

ـ المقاتل محرم فى الخط الامامى يبلغ العقيد المصرى فى الساعة ٥ صباحا ، أن العدو بدأ ينقل وحدات كوماندوز بالهليوكبتر ، ويقوم بانزالها أمام الموقع المصرى بمسافة ٣ كيلومترات . وفى الوقت نفسه قام بتجميع ٥٥ دبابة على مسافة ٥ كيلومترات . الهليوكبتر انزل ١٩ عربة مجنزرة ، على كل عربة ٢٠ مقاتلا .

ـ العقيد المصرى يطلب من القيادة المعاونة بمجهود جوى لتدمير هذه الدبابات .

ـ سرب من طائرات الميج ١٧ والسوخوى ، يظهر . يقصف تجمع الدبابات بشراسة . الغارة تستمر ١٥ دقيقة . خسائر العدو

جسيمة . تم تدمير حوالى ٢٥ دبابة ..

ـ العدو يقرر ضربة يائسة . هاجم الموقع المصرى بـ ١٩ عربة مجنزرة ، ووحدة كوماندوز ومعها ١٠ دبابات فقط .

الملاحظ أن هذه وحدات جديدة ، استدعيت ولا تعرف تماما ماذا ألم بوحدات العدو السابقة . ولذلك فهى أكثر ثباتا .

ـ كانت معركة فاصلة . الكتيبة المشاة بقيادة المقاتل محرم . كتيبة الدبابات بقيادة المقاتل عادل . مدفعية اللواء بقيادة المقاتل الحماحمى . التصدى . تم تنسيق رائع . تدمرت قوات العدو عن آخرها . القتلى ٢٥٠ .. غير الجرحى! .. قتل قائد الكوماندوز وضابط ملازم .

ـ جاءت طائرة هليوكبتر لنقل القتلى ..

ـ قائد الطائرة تحدث باكيا فى التليفون الى شارون . التقطنا الحديث بصوته الباكى . (الموقف خطير يا شارون . أمامى ٢٥٠ قتيلا غير الجرحى . أرسلوا بسرعة طائرات هليوكبتر لتساعد فى نقل الضحايا) .. واقفل التليفون !

***

ومنذ تلك الليلة .. لم يهاجم العـــدو هذا الموقع ، حتى تم وقف النار . وبقى جنودنا يروون الذكريات .

لا أحد ينسى هجوم العدو المضاد عنـــد الفجر فى التاسع من اكتوبر . كان أحد جنود اقتناص الدبابات نائما بجوار زميله فى الخندق ، بعد جهد شاق . ايقظه زميلة ـ اصحى يا واد .. اصحى . فيه ٥ دبابات للعدو جايين .

واستيقظ الجندى .. وتقدم الى الدبابات الخمس ، ودمرها بخمسة صواريخ .. صاروخا .. وراء صاروخ .

وبعد .. هكذا يبدو ان معركة سقوط حصن (نمرة ٦) .. كانت أصغر المعارك ، اذا قورنت بكل ما جرى فى هذا القطاع ..

ومع ذلك .. فان الذعر الذى أثبته الاسرائيليون على أنفسهم فى شريط مسجل ، يصورها وكأنها أخطر المعارك .

ترى .. ماذا كانت ستقول آلات تسجيلهم . لو كانت دائرة طوال هذه الايام ؟

ومع ذلك .. فتكفى مكالمة قائد الهليوكبتر التليفونية .. مع شارون .

اننا نحتفظ بتسجيلها .

الفصل الخامس

قائد .. لا ينام !

●●● ((كيف جرت المعركة الجبارة على طول قطاع الجيش الثانى فى مواجهة تمتد الى ١٠٠ كيلو متر ؟ .. كيف ادار اللواء سعد مأمون قائد هذا الجيش حينئذ ، هذه المعركة الضخمة ؟ .. كيف تلقى الاخبار السيئة ..
وكيف تلقى الاخبار السارة ؟ .. لماذا استمر بلا نوم .. حتى وقع فى مقر قيادته يوم ١٤ أكتوبر ولم يشعر بنفسه الا وهو على سرير مستشفى وحوله الاطباء)) ●●●

اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى فى موقع قيـــادته على جبهة القتال ..

● **الوقت الساعة ١١ من مساء ٦ أكتوبر :**

اللواء سعد مأمون يتصل بالعميد فؤاد عزيز غالى قائد الفرقة ١٨ المكلفة بتطهير مدينـــة القنطرة شرق . الرد ان قائد الفرقه غير موجود . قائد الجيش الثانى يتابع الاتصال مرة اخرى .. ثم مرات . الرد ايضا غير موجود ! .. عاود ســـعد مأمون الاتصـــال برئيس اركان الفرقة وقادة اللواءات .. اطمأن على الموقف بشكل عام . ولكنه شعر بقلق كبـــير .. ان تغيب فؤاد عزيز غالى عن قيادته يعنى أن هناك مشكلة ما . لابد أن تكون مشكلة كبيرة . دار فى مخيلته ما دار .
عند منتصف الليـــل تماما ، اتصل العميد فؤاد غالى بقائد الجيش .

سعد مأمون : يا فؤاد قطعا كان عندك موقف عسير .

فؤاد غالى : فعلا يا أفندم . ولكننا تغلبنا عليه .

سعد مأمون : لماذا لم تتصل بى على الفور ..

فؤاد غالى : ان من عادتى عنـــدما أواجه موقفا مفاجئا ، الا أثقل على قائدى . ولذلك لم أرد يا أفندم حتى أنتهى من مواجهة الموقف على أحسن وجه .

سعد مأمون : هـــذا خطأ ..

فؤاد غالى : ولكنى كنت متابعا لكل اتصالاتك يا أفنـــدم ، وســـامع قراراتك ومشورتك .. وكنت أعمل بها .. وبغيرها من واقع ما أراه على الطبيعة .. وكل هدفى الا أزعجك .. فأنا أعرف مسئولياتك مع مواجهة ممتدة ١٠٠ كيلومتر .

سعد مأمون : أكرر أن هذا خطأ . لاننى عنـــدما لا أسمع

صوت أحد قادتى لمدة ساعة وهو موقف حرج لابد ان أقلق . لو ضاع منك نصف راس الشاطىء لا أقلق ، لاننا نتصدى معا لاى موقف . ولكن عدم ردك اقلقنى جدا . لا تفعل هـذا مرة اخـرى . هذه آخر مرة .

فؤاد غالى : حاضر يا أفندم .

● **الوقت الساعة ١٠ من صباح ٨ أكتوبر :**

العميد فؤاد غالى يتصـل باللواء سعد مأمون قائد الجيش الثـانى ..

ـ اننى فى مأزق . لواء مدرع للعدو فى طريقه الى مهاجمتى من الجنب الايسر . ارجو حمايتى بالطيران والمدفعية ..

سعد مأمون : سأفترض اننى لم أسـمع . سأقفل الخط ، وأرد عليك بعد ساعة !

فؤاد غالى (ضاحكا) : لا .. فى عرضك ! ..

سعد مأمون : هل عرفت الان معنى عدم ردك على لمدة ساعة.

فؤاد غالى : عرفت . ولن تحدث مرة أخرى . ارجوك . اطلب الحماية السريعة ..

سعد مأمون : حرمت ! ..

فؤاد غالى : تبت !

وضحك قائد الجيش وقائد الفرقة .. وتم على الفور اتخاذ الاجراءات اللازمة لوقف تقدم اللواء المدرع الاسرائيلى ..

. . . .

ان التكوين العسكرى للقواد ، شىء مذهل حقا !

وسط الدماء والقصف والنيران ، والمواقف الحرجة .. هناك ايضا (الهزار) .. وتبادل النكت !

وسط الاخبار المزعجة التى تعنى الحياة او الموت .. هنــاك دائما الابتسامة !

ولكن قائد الجيش الثانى يتلقى أخبارا سعيدة كثيرة .. رغم أن العدو قام بـ ٣٦ هجمة مضادة ضد فرق الجيش الثانى حتى مساء ١٣ أكتوبر . ومنها ٧ هجمات بقوات للعدو من ١٠٠ الى ١٥٠ مدرعة باعتراف اسرائيل بعد ذلك .

. . . .

أول خبر مفرح تلقاه كان من العميد عبد رب النبى حافظ قائد الفــرقة ١٦ .

كان ذلك بعد حوالى نصف ساعة من بدء الهجوم .

ـ أفندم . عبرنا بالبرمائيات من بحـيرة التمساح ، فى المكان المحدد ، طبقا للخطة الجديدة المصدق عليها فى أول اكتوبر .عبرت جميع البرمائيات ما عدا ٢ فقط غرقتا فى الماء . عبرت بكل القوات مع سيطرة كاملة على القوات طبقا للمخطط .

* ثم توالت بلاغات قواد الفرق فى اليوم الاول بنفس المعنى . ولكنها لم تكن نزهة .

قال لى اللواء سعد مأمون :

● أول خبر مقلق تلقيته كان عن نجاح العدو فى شمال جزيرة البلاح ، فى الوصول من الخلف الى الساتر الترابى الذى نفذنا منه . تقدم العدو بـ ١٠ دبابات رغم الخسائر الفادحة التى تكبدها .. استطاع أن يطلق النار على معدات العبور المحدودة التى لدينا ـ دمر نصف كوبرى . دمر حوالى ٤٥٪ من المعــديات .. كان ذلك بعد الغروب مباشرة يوم ٦ اكتوبر .

واجهنا الموقف الخطــير ، بتعاون كامل بين كافة الاسلحة ، وأمكننا تدمير قوات العدو وتراجع . ولو أن ذلك عطل عمليــة العبور فى توقيتها المحدد فى هذا القطاع بالنسبة للدبابات .

* وفى الساعة السابعة والنصف من مساء ٦ اكتوبر ، اى بعد ٥ ساعات و ٣٠ دقيقة من بدء المعركة كان المتحدث الى قائد الجيش الثانى ، هو العميد حسن أبو سعده قائد الفرقة الثانية.

– استطلاعى يقول أن هناك حوالى من ٣٠ الى ٤٠ دبابة للعدو تتقدم فى اتجاه لواء العقيد المصرى . المتوقع أن يصطدموا بالمصرى بعد حوالى ١٥ دقيقة ..

سعد مأمون : كنت أتصل الان منذ دقيقة واحدة فقط برئيس أركان الفرقه . أول دبابة فى القوات المسلحة المصرية تعبر الان على الكوبرى ، فى قطاع العقيد المصرى ، ووراءها كل كتيبة الدبابات. أدخلها فورا فى قطاع المصرى بصرف النظر عن عدم تبعية هـذه الكتيبة له ..

... كان الخبر مذهلا .

... حسن أبو سـعده لم يكن يتوقع أن الدبابات ستعبر فى هذا التوقيت .

... كان قلقا من استمرار مواجهة دبابات العـدو بالمشاة فقط ..

...ولذلك علا صوته مجلجلا وهو يقول للواء سعد مأمون :

– مش معقول يا أفندم .. هذا الكوبرى بالذات أمامه أكبر ساتر ترابى للعدو ارتفاعه ٣٢ مترا . دى أعلى حتة .

سعد مأمون : حظك كده يا أبو على .. يا دناصور (هكذا كان يلقبه) . أعلى حتة فتحت فى أسرع وقت . الدبابات الان تعبر . مبروك .

– أنا مش مصدق نفسى !

– وفقك الله . اطمئن . كل شىء يسير فى طريقه المرسوم .
وتقدمت كتيبة الدبابات المصرية الى اتجاه العقيد المصرى .. وفوجىء العدو الذى كان يتصور أنه لا يمكن لدبابة مصرية أن تعبر القناة فى أقل من ٢٤ ساعة . فوجىء العـدو بحوالى ٣٠ دبابة تدخل المعركة معه مدعمة لاعمال المشاة . وتدمرت هجمات العدو، وأرتفعت الثقة بين القوات المصرية الى قمتها ..

. . . .

ان اللواء سعد مأمون الذى يشغل منصب مساعد وزير الحربية ، قائد من نوع فريد يبدو لك أنه قصير القامة ، ولكنه اذا تكلم ارتفعت قامته عنك . لو خلع رداءه العسكرى وارتدى حلة مدنية كنت تقسم أنه محام يترافع ، أو أديب يروى لك قصة . شيء واحد يربط كلماته بالروح العسكرية أنها متدفقة سريعة مثل طلقات الرصاص . دهاؤه يسبق ذكاءه . صريح عندما يريد ، وحذر عندما يريد . يعرف كيف يتحدث الى العسكرى والسياسى والوزير والصحفى ، كل بلقبه . يخفى كل الاسرار ويهيأ لك أنه يعطيك كل الاسرار !

خلال عام ١٩٦٧ ، كان مديرا للعمليات الحربية فى اليمن .
ثم استدعى بعد الهزيمة ، وكلف فى يوليو ١٩٦٧ باعادة انشاء القوات المدرعة المصرية ، فأشرف على تدريب أطقم المستجدين ، وأرسلهم الى الجبهة فى سرعة لافتة للنظر . نفذ المهمة فى ثلاثة أشهر فقط !

ثم تولى قيادة الفرقة ٢١ مدرعة فى نوفمبر ١٩٦٧ .

ثم أصبح رئيسا لهيئة عمليات القوات المسلحة من سبتمبر ١٩٦٩ واستمر حتى مايو ١٩٧١ . وكان ذلك خلال مرحلة الاستنزاف التى اشترك فيها بكل عملياتها .

ثم تولى منصبها مساعد رئيس اركان حرب القوات المسلحة من مايو ١٩٧١ حتى ديسمبر من نفس العام .

وابتداء من أول يناير ١٩٧٢ عين قائد للجيش الثانى الميدانى .

. . . .

سألته : هل كانت حرب الاستنزاف مفيدة ؟ .. هل كانت توازى الخسائر التى تكبدناها ؟ .. وماذا أثمرت ؟ .. العدو لم ينسحب . ثم جدد قواه . فماذا استفدنا ؟ .

قال : لا شك أن الاستنزاف كان مرحلة ناجحة للغاية ، فى تكبيد العدو أكبر الخسائر ، واقناعه أن الحرب لم تنته ، وأنه لا سلام الا اذا أقدم العدو على الانسحاب . ودليل ذلك أن

امريكا واسرائيل كانتا متلهفتين على وقف النار ، وانتج ذلك مبادرة روجرز .

قلت : ولكننا تكبدنا خسائر ..

قال : هذا صحيح . ولكن خسائرهم فى الاستنزاف أزعجتهم تماما ، بعد أن كانوا مطمئنين الى أننـــا لن نرفع رأسنا بعد الهزيمة .. وقد حطمنا المشروع الاول لخط بارليف .

قلت : كان جمال عبد الناصر متحفظا فى اعلان ذلك .. وأذكر انه أعلن أنه أبلغ بذلك من الفريق محمد فوزى .

قال : لقد حطمناه فعلا .. ولكنه لم يكن بالقوة والتحصين ، كما أعيد بعد وقف الاستنزاف وحتى ٦ أكتوبر ، وصرفوا عليه مئات الملايين .. لقد تمكن العدومن بناء خط بارليف بكل حصونه التى عرفناها ، فى فترة وقف النار .

وهو يقول أن حرب الاستنزاف بدأت بقناصـــة يعبرون من الضفة الغربية .. وضرب بنيران المدفعية .. ثم تطورت الى عبور كتائب كاملة تهاجم النقطة الحصينة . والهجوم على لسان بور توفيق وقتل كل من فيه وهذا معروف .

كان السؤال دائما : هل من الافضل أن ادمر كل شىء يقيمه العـــدو ؟ .. أو أن اتركه يكمل مايريد اقامته .. حتى أدمره فى الهجوم الشامل ؟ ..

وكان الاستنزاف هو الحل . فلم تكن قواتنا قادرة على هجوم شامل فى ذلك الوقت .. كما كنا نؤكد للعدو كل يوم أننا لن نقبل الاستسلام . ولا شك أن عمليات العبور اثناء الاستنزاف أعطتنا خبرة .. وثقة بالنفس . لاول مرة كان جنودنا يعبرون ويقتلون أفرادا للعدو ويعودون بأسرى ..

لقد كانت فرحتنا لا تقدر بأول جندى مصرى عبر فى حرب الاستنزاف .

لقد كوفىء بوسام عسكرى .

. . . .

وبدأت المهمة الكبرى لقائد الجيش الثانى فى أول يناير ١٩٧٢ . مهمة الاعداد للقتال ، على الرغم من أن الاجواء العامة فى ذلك الوقت كانت توحى بأن اقدامنا على المعركة يحتمل الشكوك .. وعلى الرغم من أن وزير الحربية والقائد العام فى ذلك الوقت (الفريق صادق) كان يصارح القادة وفى اجتماعات عامة بأنه لا يمكن أن يدخل المعـــركة ، اذا لم يستكمل التسليح الحديث القادر على المعركة .

ولكن اللواء سعد مأمون لم يتأثر بهذا المنطق . . وكان له منطق آخر .

منطق يقول : لا شيء مؤكد مائة فى المائة . ولكننى سأفترض بنسبة ١٪ فقط احتمال دخول المعركة . اذن يجب أن أستعد بكل ما أملك . ليست الســـياسة عملى . اننى قائد عسكرى وأمامى مهمة . حتى لو كان احتمال القتال ١٪ . . يجب أن أستعد ، ولا أنتظر المفاجأة وانا غـــير مستعد لاننى اشتغلت بالفلسفة السياسية .. وهذه ليست عملى .

وبدأ قائد الجيش الثانى مهمته منذ اللحظة الاولى فى أول يناير ١٩٧٢ . الاعداد . والتدريب .

يقول : أعددنا خطة . بدأنا اعـداد مسرح العمليات . ولكن كل شيء كان يتعثر . كان ينقصنى الشيء الكثـــير . تحسين منطقة الهجوم هندسيا اعداد طرق . اعداد منازل كثيرة للكبارى والمعديات والدبابات . ثم كانت فكرة انشاء المصاطب الترابيـــة على طول امتداد الجبهة . وكل هذا يحتاج الى ملايين الجنيهات .. ولكن الاهم هو اقتناع قيادتى .. واعطاء دفعة قوية الى العمـــل ..

وهنا يسجل اللواء سعد مأمون ، أن صاحب فكرة المصاطب الترابية التى كان لها فضل فى نجاح ستر خطتنا العسكرية ، ثم نجاح العبور هو العميد حسن أبو سعده قائد الفرقة الثانية .

لم يجد حسن أبو سعده أحدا يقتنع بفكرته . ثم أقام هو بنفسه وعلى مسئوليته ساترا ترابيا ولكن بأسلوب بدائى .. وكان يصرخ : يا ناس .. لازم أشوف العدو .. أنا مكشوف أمامه . أنا فى الخنـــدق ، وهو يرى كل شيء . ولكن قائد

الجيش الثانى ــ قبل سعد مأمون ــ لم يقتنع بالفكرة أبدا ! .. وقال لحسن ابو سعده : انت رجل خيالى .. يعنى عاوزنا نعمل أهرامات على طول الجبهة .

أبو سعده : وماله ..

القائد : لا داعى لهذا الخيال ..

وعندما تولى سعد مأمون قيادة الجيش الثانى اقتنع بالفكرة تماما .. ودعا الى اجتماعات فنية حضرها مهندسون متخصصون لتطويرها ، واستخدامها فى أغراض عسكرية عديدة لم يفطن اليها العـــدو ..

وتولى الفريق احمد اسماعيل وزارة الحربيـــة والقيـــادة العامة .. وزار وحدات الجبهة .

ووافق على الفكرة المجنونة .. وعممت فى الجيشين الثـــانى والثـــالث ! ..

وبدأ العمل .. وتكلف ملايين الجنيهات .. ولكنها كانت فى موضعها ، واقيمت فى نطاق جبهة الجيش الثانى ٥٦ مصطبة ترابيـــة ..

أعطى الفريق أحمد اسماعيل دفعة قوية للاستعداد العسكرى.

تعددت الاجتماعات لدراسة كل احتمال .

كان الاحتمال البالغ الاهمية الذى استغرق دراسةمستفيضة متصلة . ما هو العمل لو ضربت اسرائيـــل فى العمق ؟ .. لو اختارت أن تدمر القاهرة مثـــلا أو الاسكندرية أو أى مدينـــة كبـــيرة ؟ ..
المعروف لدينا أن اسرائيل تملك هذه اليد الطويلة .

والواقع يقول ان القوات المسلحة المصرية لم تحصل على هذه اليد الطويلة ..

ولذلك كان تقدير اسرائيل أن مصر لن تجازف بدخول الحرب .. ولعل هـــذا هو السبب فى انهم تجاهلوا كل التقارير التى تلقوها عن الاستعداد العسكرى المصرى للحـــرب .. درست القيادات المصرية الجديدة هذا الوضع . ووضـــع فى التخطيط احتمال قيام العدو بضرب العمق . دخل ذلك فى الحسابات والتقديرات العسكرية . وكانت هناك مخاطر ومحاذير أخـــرى دخلت فى الدراسة أيضا . ولكن موازنة القرار المصرى كله .. وموازنة الخطة كلها .. انتهت بأن مثل هذا الخطر لا يمنـــع الحـــرب .

. . . .

والسؤال : هل حصلنا على طائرات حديثة تصل الى عمق اسرائيـــل ؟

الجواب : لا ..

السؤال : كيف اذن جازفنا ..

الجواب : لقد درسنا كل شيء . والدليل أن اسرائيـــل لم تجازف بالضرب فى العمق .

السؤال : هل كان هنـــاك ضمان سياسى بأن اسرائيل لن تضرب فى العمق .

الجواب : بالقطـــع لا ..

السؤال : اذن ماذا كان الضمان ..

الجواب : هذا سر عسكرى على الاقل حتى الان ..

السؤال : اسرائيل تقول ان لدينا صواريخ عابرة .

الجواب : لا أؤيد ذلك أو أنفيه ..

السؤال : الرئيس أعلن عن الصاروخ الظافر .

الجواب : هذا صحيح ..

السؤال : اذن هذا شيء آخر غير الذى تحدثت عنه اسرائيل.

الجواب : لا أؤيد ذلك أو أنفيه .. وأرجو الرجـــوع الى تصريحات السيد الرئيس السادات .. العمق بالعمق ..

السؤال : اذن لماذا بنى الفريق صادق رأيه فى تعذر الحرب ، على ان اسرائيل سوف تضرب فى العمق ..

الجواب : لقد وضع هذا طبعا فى الحسابات .. وانتهينا الى انه لا يمنع الحرب . والدليل مرة اخرى ان اسرائيل لم تجاوز بالضرب فى العمق ..

واعتمدت خطتنا العسكرية أيضا ، على معرفتنا الكاملة بكل الاسلحة التى فى حوزة العدو . وأسلوب استخدامه لها .. واستفدنا فى ذلك من طلعات الاستطلاع خلال حرب الاستنزاف.. ومن مراقبة العدو من الشاطىء الاخر . ومن الاشتباك خلال الاستنزاف . ومن مناورات العدو بالطيران وتجاربه معنا فى الكمائن ، فان الاصطدام الجوى لم يتوقف أبدا حتى بعد وقف النار . كنا ندخل فى كمائن العدو ، لكى نعرف أسرارها .

● ومن معلوماتى الصحفية ..

●● اننا كنا نعرف الكثير عن خصائص تسليح العدو .. ولكن العدو هو الذى فوجىء ببعض اسلحتنا . لقد فوجىء العدو بكفاءة استخدام الصواريخ المضادة للطائرات . كما فوجىء بكفاءة استخدامنا للصواريخ المضادة للدبابات .. وهذه فقرة من مؤلفهم العسكرى عن حرب عيد الغفران . الذى كتبه مقاتلون اسرائيليون ومراسلون عسكريون .. تقول على لسان احد المقاتلين الاسرائيليين فى سيناء واسمه باروخ :

ـ بالقرب من البحيرة المرة الصغرى ، وغير بعيد عن المكان الذى تتصل منه البحيرة بالقناة ، توقفت دبابة باروخ ، وبدأت فى فتح نيرانها . كان الهدف على الارض المواجهة لها ، هو المشاة المصريين ، وليس الدبابات . وأحس باروخ بالدهشة أكثر مما أحس بالارتياح .

وسأل قائده : (هل يحاولون القيام بعمليةانتحارية أم ماذا ؟ .. لقد علمونا فى مدرسة المدرعات أن مشكلتنا الاولى هى دبابة العـــدو ..

وأن مشكلتنا الثانية هى المدافع المضادة للدبابات وبعد ذلك فقط ، يمكن أن نلتفت الى المشاة) .

ويمضى الكتاب الاسرائيلى واصفا :

●● وكلما فرغت أشرطة الرصاص فى المدافع الرشاشة ، انطرح الجنود المصريون خلف كثبان الرمال . وقد عجزتالكتيبة الاسرائيلية عن احتواء الهجوم ، فقد كان العدو يجىء بأعـداد كبيرة . وألقى باروخ أغلفة القذائف الفارغة خارج الدبابات ، وعند ذلك رأى النار تخرج من مدفعه . وفى نفس اللحظة . شعر بحروق رهيبة فى ذراعيه . واستطاع أن يقفز على الارض. ويقول باروخ :

ـ كانت دبابتى تشتعل وقد تفحم ما فيها . وقد ألقيت نظرة حولى فرأيت كرات من النار تتراقص فى الهواء وتندفع نحـــو المدرعات . ولقد أدركت فيما بعد أن هذه هى الصواريخ . لقد سمعت الحديث عنها ، ولكنها بكل تأكيد لم تكن واردة فى قائمة الاشياء التى نوليها الاولوية فى اهتمامنا . وقضينا طوال النهار نختبىء من كرات النار التى كانت تنطلق فى الصحراء .

وأضاف باروخ :

((لقد كنا فى غاية الارهاق ، فاختبأنا خلف احـــد كثبان الرمال ، ورحت طوال الوقت أفكر فى هذه الصواريخ . كنت أجهل اسمها ، ولكنى كنت أعرف انها عندما تدخل المدرعة فانها ترفع درجة الحرارة الى ألف درجة مئوية . وهذه هى فعالية هذه الصواريخ . ان بقيـــة الدبابات لم يكن لديها الوقت ولا الحظ الذى أتيح لنا ، والى ما وراء الكثبان رأينا النار مشتعلة فيها وكان الذين بداخلها هم زملاءنا)) .

ولكن هذه الاسلحة لم تكن لتصل بسهولة .

ويمكن الان أن نذيع سرا كبيرا . ان الصواريخ المحمولة المضادة للدبابات التى كان لها فضل التصدى لمدرعات العدو مع باقى الاسلحة المضادة للدبابات قبل أن تعبر الدبابات المصرية الى الشرق .. لم تكن لدينا بالاعداد الكافية كما تصور العدو بعد

***

المعركة . بل لعلها كانت باعداد محدودة .. وجزء منها وصل فى الايام الاخيرة .

ولكن وجود أطقم مدربة عليها . ومستعدة لاستعمالها بمجرد

وصولها .. خفف العبء كثيرا . ولو كانت لدينا الاعداد التى كنا نريدها فعلا من هذه الصواريخ ، لكنا حققنا نتائج ايجابية أكثر فى معارك المدرعات الرهيبة التى وقعت فى الايام الاخيرة قبل وقف النار ..

ولم يكن السوفيت على ثقة أبدا ، من أننا سنستطيع العبور .. والخطط التى شاركونا فى وضعها قبل الحرب ، كانت تدريبية اكثر منها خطط كاملة لعبور أو لمعركة شاملة .

والخطة المصرية الشاملة التى وضعت بعد خروج الخبراء السوفيت ، وعدلت عشرات المرات طبقا لآراء القادة المحليين فى مواقعهم . وطبقا لتقديرهم الشخصى .. لا يعرف عنها السوفيت شيئا . بل كان لا يمكن أن يتخيلوها بعد خروجهم ، طبقا لخبراتهم السابقة معنا خلال وجودهم ، وأثناء التدريبات المحددة التى حضروها .. فانهم – أى – الخبراء السوفيت ، كانوا يلاحظون عدم ثقة المقاتل المصرى ببعض السلاح السوفيتى ، واقتناعه بأن الاسرائيليين يملكون أسلحة أحدث وأكثر فاعلية .

وقد حدث أن حضر كبير الخبراء السوفيت الجنرال لاشنكوف الى مصر ، لدراسة مطلبنا من بعض الاسلحة فى أبريل ١٩٧٣ .. وزار بعض مواقع الجيش الثانى فى الجبهة . ولعله كان مثل كل السوفيت مقتنعا بأننا لن نحارب ، وأننا نطالب بأسلحة ، لكى نتعلل برفض السوفيت مدنا بما نريد ..

وقد أخطر اللواء سعد مأمون ، من القائد العام ، أن يستقبل الجنرال لاشنكوف ..

وبدأ الجنرال السوفيتى مناقشة طويلة مع قائد الجيش الثانى ، كان يريد منها أن يستشف مدى اقتناعه بالحرب ، وبقدرة قواته على القتال .. ودار بينهما حوار هام يحسن تسجيله :

ــ كيف ترى الكفاءة القتالية لقواتك ؟

ــ ممتازة .. ممتازة جدا ..

ــ وما تقديرك للكفاءة الفنية للاسلحة ؟ ..

ــ مائة فى المـــائة ..

ثم نظر الجنرال السوفيتى الى المصاطب الترابية المرتفعــة ، التى أنشئت بعد خروج الخبراء السوفيت .. وسأل عن الهدف من اقامتها .. وشرح له سعد مأمون ، فكرتها بصفة عامة دون أن يتحدث عن تفصيلات المهام التى تستخدم فيها هذه المصاطب ..

ثم وجه الجنرال السوفيتى بصره الى الضفة الشرقية .. حيث تقوم السواتر الترابية للعدو .. وسأل قائد الجيش الثانى :

ــ ماهو تصورك .. كيف يمكن أن تعبر قواتك مع وجود هــذا الساتر المرتفع ٢٠ مترا ؟ ..

وقال سعد مأمون انه يقدر أن الدبابات تستطيع أن تعبر فى ٣ ساعات (وهذا طبعا غير صحيح لان تقدير خططنا ٨ ساعات) .. وقال أنه سيفجر هذا الساتر بالديناميت والمتفجرات (وهذا غير صحيح ، لان المنفجرات فشلت فى التجارب وابتكرنا استخدام الماء المندفع) ..

فقال الجنرال السوفيتى :

ــ أنتم تفكرون فى الحرب بأساليب عام ١٩١٤ ، قبل أن تخترع الدبابات . هل تتصور يا جنرال أن المقاتل الفرد فى الحرب الحديثة يمكن أن يتصدى لدبابة ؟ ..

ان دبابات اسرائيل أمامكم .. فكيف يمكن مقاومتها بغير الدبابات ؟

وعلق اللواء سعد مأمون بمنتهى الخبث :

ــ وماذا نستطيع أن نفعل .. هل لديكم فى الاتحاد السوفيتى شىء نقاوم به هذه السواتر الترابية .. لقد وصلتم الى القمر .. ولابد أن لديكم شيئا حديثا يمكن أن يفيدنا ..

الجنرال لاشنكوف : آسف .. آسف جدا .. اننا لم نواجه مثل هذا المانع من قبل ..

اللواء سعد مأمون : أرجو الله أن يعطينى العمر ياجنرال .. واتمكن من العبور بأساليب ١٩١٤ ، وتحضر لزيارتنا بعد القتال ، وأستمع الى رأيك فى حرب ١٤ أمام حرب ٧٣ ..

. . . .

وقد حدث . انتهت الحرب . وجاء الجنرال السوفيتى لاشنكوف وزار الجبهة ، فقال له اللواء سعد مأمون :

ــ هل تذكر حديثنا يا جنرال ؟

وقال لاشنكوف : نعم .. أذكر حديثنا جيدا . لا يمكن أن أنساه . انه عمل بارع بلا مناقشة ..

ثم انتقل بسرعة الى حديث آخر ..

. . . .

خطة المعركة وضعت حسابا دقيقا لكل الاحتمالات ..

احتمال هام كان يحذر منه القائد الأعلى أنور السادات فى كل الاجتماعات العسكرية .. وهو الحذر من خديعة للعدو بالنسبة لبعض القطاعات مثل بورسعيد أو بورفؤاد . وكان السادات يتصور الخديعة فى أن العدو يهاجم فى اتجاه رئيسى ، فننشغل بهذا الهجوم .. ويكون العدو فى نفس الوقت قد أعد شيئا آخر لكى يستولى على بور فؤاد وبورسعيد على سبيل المثال ..

احتمـــال آخــــر ..

أن يبدأ العبور . فيتقدم العدو على الفور بكل دباباته الى حافة الشاطىء الشرقى ، ويضرب قواتنا العابرة فى أضعف أوقاتها وهى فى الماء . وللعدو موقع ضرب نار لدباباته لكل ١٥٠ مترا على امتداد الشاطىء وبطول ١٧٢ كيلو مترا ! .. ثم كان يستطيع أن يحدث خسائر فى منطقة الهجوم ، حتى عمق الموقع الاول غرب القناة ..

وقد حوسب الجنرال جونين قائد الجبهـة الاسرائيلية ، بعـد الحرب ، على أنه لم يفعل ذلك ، ولكن الخطة المصرية وضعت فى اعتبارها هذا الاحتمال . وكان معدا لكل دبابة للعدو ثلاثة مدافع تضرب فى وقت واحد .. لتحقق التدمير .

. . . .

وكانت الخطة المصرية تضع ثقلا كبيرا على ضرورة احتلال القنطرة وكان الرئيس السادات يردد للقادة العسـكريين : القنطرة لازم تسقط . انها ثانى مدن سيناء . والعدو يحصنها بأقوى ما عنده. والاستيلاء عليها سيكون له أهمية خاصة ، سـواء بالنسبة لمصر انتصارا ، أو لاسرائيل هزيمة .

وقد عدل اللواء سعد مأمون خطة الاستيلاء على القنطرة أكثر من مرة . وأعطى لها قوات أكثر وعناية أكبر ..

. . . .

. . . .

ولكن السؤال .. بعد كل ذلك .

هل انتصرنا فى معارك اكتوبر لاننـا كما يزعم الاسرائيليون فى مؤلفـاتهم ، وفيما أدلوا به للجنـة الكونجرس الامريكيـة ، نملك أسلحة أكثر ، وبكثافة تصل نسبتها الى ما يملكه الاسرائيليون ٣ الى ١ أو ٤ الى واحد ؟ ..

ثار هذا السؤال وأنا استرجع مع اللواء سعد مأمون ، حوارا صاحكا أجراه معه الرئيس ذات يوم وهو يزور مواقع القتال . سأله الرئيس عن قواته وأسلحته . وأجاب سعد مأمون . فعلق الرئيس ضاحكا :

ـ أنت عندك قوات أكثر من مونتجمرى .. اللى اجتاح بها شمال أفريقيا .

عارف يا سعد لو ماتجحتش .. !!

ويقول سعد مأمون ردا على سؤالى :

ـ لا شك أننا متميزون عن العدو في الكثافة البشرية . والعدو يعرف هذا . وقد قاوم ذلك ، بحصوله على نوعيات غالية الثمن جدا من الاسلحة . وبحرصه على تأمين قواته . اننا لم نشاهد جنديا اسرائيليا واحدا يسير على قدميه . وكان علينا أن نستفيد من التفوق العددى . وكان هذا له أثره في دعم الثقة في جنودنا . كنت أقول لهم . احنا أكثر وأشجع ولازم نكسب . ولكن كثافة الاسلحة لا تقاس بعددها . كثافة الاسلحة تقاس بكمية النيران التى تقدمها هذه الأسلحة . وفى الطائرات تقاس بمدى طيرانها ، ووزن حمولتها . وفى هذا لا يستطيع العدو أن يزعم أننى كنت أملك أكثر مما يملك . هناك نقط قوة وضعف عندنا . الامر كذلك بالنسبة له . وكسب المعركة يتوقف على اجادة استثمار كل منا لنقط قوته والاستفادة من نقط ضعف الآخر .

• • • • • • •

ولنعد الى الايام الحاسمة قبل ساعة الصفر ..

ان مهمة الجيش الثانى قاسية . انه يمثل القطاع الرئيسى .. تتبعه ثلاث فرق . الفرقة ١٦ بقيادة العميد عبد رب النبى حافظ . الفرقة الثانية بقيادة العميد حسن أبو سعده . الفرقة ١٨ بقيادة العميد فؤاد عزيز غالى ..

ثم قوات أخرى .. ولا تزال الاسرار العسكرية تحول دون الكشف عنها ..

الجبهة متسعة من بورفؤاد شرقا الى منتصف البحيرات المرة .
آخر مؤتمر عقده اللواء سعد مأمون للقادة كان فى صباح ٣ أكتوبر فى مركز القيادة المتقدم . لم يخطرهم بساعة الصفر . ولكن تقرر اجراء آخرتحركات للهجوم تحت ستر المشروع التدريبى ولكن القادة أحسوا انها مسألة يومين او ثلاثة . كان المهم مراقبة جميع تصرفات العدو على الشاطىء الآخر ، بكل اليقظة . ان هذه المراقبة يمكن أن تكشف اذا كان العدو قد عرف شيئا . اللواء سعد مأمون يخطر لو أن جنديا اسرائيليا فى نقطة ملاحظة خلع خوذته . ان هذا يعنى أن العدو غيرمتأهب لقتال مفاجىء. اذا خرج جندى من مخبأ . الى أين ؟ .. ومتى عاد ؟ .. كان القائد فى هذه الساعات يقوم بتحليل أى تحرك للعدو مهما كان تافها . عربة مجنزرة . دبابة . سيارة جيب . أي شيء يمكن أن يوحى بأشياء .

ووضح أن خطة الخداع المصرية ناجحة مائة فى المائة ..

. . . .

والغريب أن اللواء سعد مأمون أذاع فى هذا اليوم ـ ٣ أكتوبر ـ نداء مكتوبا ، الى جميع الضباط والجنود . طبعت منه عشرة الآف نسخة . قرىء بالميكروفونات فى جميع الوحدات ، النداء يطالب الجنود بالاستشهاد فى سبيل كرامة الوطن . يحثهم على القتال الشجاع . النداء يقول ان المعركة قريبة جدا .

ولا شك ان أجهزة التصنت الاسرائيلية التقطت هذا النداء الذى أذيع على أوسع نطاق .

ولا شك أيضا أنهم تصوروا أنها تمثيلية مصرية ! ..

لقد كان القرار الاسرائيلى كما اتضح بعد ذلك ، من التحقيقات الرسمية فى تل أبيب ، أن مصر لن تقدم على الحرب !

وكان ايبان وزير الخارجية الاسرائيلى فى فندق ((بلازا)) بنيويورك . أعطى نفسه اجازة يوم عيد الغفران . طلب من الفندق الا يتصل به أحد بالتليفون . وحاول موظف القنصلية الاسرائيلية الذى تلقى تقريرا عاجلا بأن القتال قد بدأ ان يتصل بأبا ايبان لابلاغ

رسالة من الوزير الاسرائيلى جاليلي الى الدكتور كيسنجر . لم يرد أبا ايبان .. دقوا على بابه ربع ساعة كاملة حتى استيقظ . ارتبك الوزير عندما قرأ الرسالة . لقد ترك اسرائيل فى ٢٥ سبتمبر ولم يكن هناك ما يوحى بأى بادرة حرب . كما ان المخابرات الاسرائيلية أخطرت المخابرات الامريكية يوم ٢٤ أكتوبر بكل تطورات الموقف ، وأكدت أن الحرب لن تقع فى المستقبل القريب (من كتاب عبد الغفران بقلم « كتاب اسرائيليين ») .

. . . .

حتى هذا النداء المعلن الى الجنود .. لم يفطن الاسرائيليون الى حقيقته ..

وهذا النداء قرأه الرئيس أنور السادات ، عندما قدمه اليه اللواء سعد مأمون فى جلسة المجلس الاعلى للقوات المسلحة فى أول أكتوبر التى استمرت ١٠ ساعات . وفى هذا الاجتماع التاريخى دار حوار هام مع الرئيس .

قال الرئيس لسعد مأمون : أراك تتحدث بثقة . هل أنت متأكد من نجاح مهمتك .

سعد مأمون : متأكد يا أفندم . اننى أعطى تمام .. اننى مسئول عن دخول الحرب وقادر على تنفيذ المهمة .

الرئيس : بتتكلم بثقة مطلقة ليه ؟

سعد مأمون : لسببين يا أفندم . الاول .. احنا تعبنا جدا جدا فى اعداد القوات ووضع الخطط والتدريب، من أكبر قائد الى أصغر جندى . وأتصور أن النتيجة ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

والسبب الثانى أننى متأكد من أن معنويات ضباطى وجنودى عالية جدا . وهم والقون ان مهمتهم هى الدفاع عن كرامة مصر . وبعد عبورهم سيكون العدو أمامهم والبحر خلفهم . وكرامة مصر هى مسئوليتهم . أهم من الموت .. أقوى من أى خوف .

وقدم سعد مأمون للقائد الاعلى نداء القتال الذى أعده .

٥ أكتــــوبر :

الفريق أحمد أسماعيل القائد العام يتصل بقائد الجيش الثانى
ـ « عدت من سوريا . وكل شيء تمام » .. على بركة الله . تأكد يا أفندم أن كل شيء هنا تمام .

٦ ــ أكتوبر :

كل القوات علمت بساعة الصفر . الاستعداد الاخير .

ساعة الصفر :

حرج سعد مأمون فوق الارض ، لكى يشـــاهد على الطبيعة ، ما سيجرى : مشــــهد التاريخ المثير . النـــار . اللهب . العبـــور العظيم ، نداء الله اكبر يهز الفضاء .

وبدات العجــلة .

. . . .

سر عسكرى اذيعه لاول مرة . كان من الممكن أن يتغير كل شيء قبل ساعة الصفر يوم ٦ اكتوبر بسبع دقائق فقط .

دبابة مصرية فى أحد القطاعات ، أطلقت النار بغير تعليمات على دبابة للعدو على الشاطىء الآخر وأصابتها .

مفاجأة !

أن هذا يمكن أن ينبه العدو فى آخر الدقائق الى بداية معــركة شاملة .

ان هذا كان يمكن أن يدفع العدو الى تحريك دباباته على الفور الى حافة الشـــاطىء .

ان هذا كان يمكن أن يدفع دبابة مصرية أخرى، أن تطلق النيران لمجرد الحماس .. أو للشعور خطأ أن المعركة قد بدأت .

ان هذا يمكن أن يحدث فى الحروب .

ان الاعصاب يمكن أن تتوتر عند بعض المقاتلين . أن الاصابع يمكن أن يفلت زمامها على الزناد .

وهنا تصرف اللواء سعد مأمون أمام هذه المفاجأة .. بكل برود الاعصاب لم يعلق بشيء ..

لم يرسل أى اشارة ليسأل .. من أطلق النار .. ولماذا ..

ان مجرد السؤال سيحدث ارتباكا . وسيشغل كل مسئول فى موقعه عن مهامه الخطيرة فى هذه الدقائق الحاسمة ..

ومرت الدقائق السبع ..

وجاء ساعة الصفر ..

وبدأت المعركة ..

وانتهت المعركة .. ولم يسأل اللواء سعد مأمون حتى الآن من اطلق النار ..

ـ لماذا ؟ ..

ـ هذا شيء يمكن أن يحدث فى الحروب . المهم كيف يعالج !

....

ماذا كان الهدف من حرب ٦ أكتوبر ؟ ..

لماذا لم نتقدم فى مواقعنا الى خطوه أخرى .. وكان الانتصار معنا ؟ ..

واذا كان الهدف محددا من قبل .. فلماذا طورنا الهجوم يوم ١٤ أكتوبر ؟ .. لماذا ليس قبله .. ولماذا ليس بعده ..

....

أسئلة لا تزال تتردد ..

ـ الهدف من حرب أكتوبر سياسيا . هدم نظرية الامن الاسرائيلية التى تعتمد على الحدود الآمنة واثبات فشلها .

ـ والهدف عسكريا .. هزيمة التجمع الرئيسى للعدو فى سيناء، والاستيلاء على مناطق ذات أهمية استراتيجية تهيىء الظروف المناسبة لاستكمال تحرير الاراضى المحتلة بالقوة المسلحة ، لعرض الحل السياسى العادل للمشكلة .

لمــاذا طورنا الهجوم عسكريا يوم ١٤ أكتوبر ؟ .. (١)

ما يمكن أن أقوله من تحرياتى الصحفية فى الاوساط العسكرية والسياسية ، ان قرار تطوير الهجوم ، فرضــته طبيعة القتــال فى سوريا فى هذا الوقت بالذات ، وعلاوة على اكتساب مزيد من الارض لصـــالح المعـــركة .

....

اشتد الضغط على القوات السورية .

تجاوزت القوات الاسرائيلية خطوط ١٩٦٧ .

كان لابد من جذب القوات المقــاتلة فى الجولان .. الى ســيناء لتخفيف الضغط المركز على ســوريا ، واعطــاء القوات السورية فرصة لاعادة تنظيم هجــوم مضــاد .

وحقق قرار تطوير الهجوم هذا الهدف .

وكانت معــارك التطوير قاســية .. وتطورت واصبحت دموية رهيبة . وصــفها موشى ديان فى مســاء ١٤ أكتوبر بقوله : « ان اسرائيل تخوض الآن حربا صعبة . معارك الدبابات فيها قاسية . ومعارك الجو مــريرة .

انها حرب ثقيلة بأيامها وثقيلة بدمائها » .

....

....

ويجب أن نعترف بأننا تكبدنا خسائر كبيرة فى المدرعات فى هذه المعارك .. ولكننا كبدنا العدو خسـائر أفدح . كان القتال رهيبا حقا

---

(١) راجع الفصل الحادى عشر عن حقائق الثغرة كما يرويهــا الفريق الجمسى .

دمويا حقا . والمواجهة بين المدرعات قريبة جدا ، لم تشهدها حروب من قبل .

....

وحدتت مفاجأة مؤسفة صباح يوم ١٤ أكتوبر . يوم تطوير الهجوم

لقد سقط اللواء سعد مأمون في مقر قيادته وفقد وعيه تماما .

اصابت قلبه أزمة مفاجئة .. كان الجميع يتوقعونها الا هو . بل انه في الساعة ١١ من مساء ١٣ أكتوبر ، اتصل به القائد العام المشير أحمد اسماعيل وقال له : حتى الآن لم تنم يا سعد . وده مش كويس . يجب أن تستريح .

وقال سعد : حاضر يا أفندم .. لكن مش قادر أنام .. مهام التطوير شاقة جدا .

القائد العام : يجب أن تستريح ، حتى تستطيع أن تعمل .

كان اللواء سعد مأمون في يقظة غريبة منذ ٥ أكتوبر .

لم ينم ليلا أو نهارا . مجموع ساعات نومه في ثمانية أيام ، حتى سقط مغمى عليه ، لم يزد على ثلاث ساعات !

لقد سلبته أجواء المعركة ، الشعور الطبيعي بالحاجة الى النوم .

وكان ذهنه صافيا . وكان خفيف الحركة . كان يتابع المعركة على الطبيعة ، ويتفقد المواقع في أقصى الشرق كل يوم . مرة ومرتين وثلاث مرات ابتداء من الثامن من أكتوبر . وفي اليوم الاخير قبل اصابة قلبه (١٣ أكتوبر) كان في قطاع الفرقة ١٦ مع العميد عبد رب النبي .. ووصل حتى ٥٠٠ متر من الحد الامامي للقتال ولم يشعر أنه مجهد . في اليوم الاسبق كان في قطاع الفرقة ١٦ ، والفرقة ١٨ . ولم يشعر أحد بأي تغير في قسماته . وهذا خدعه. اعتاد أن يدخن ٣ سجائر يوميا فكان يدخن ٦٠ سيجارة . كان يشرب فنجانين من القهوه .. أصبحا ٢٠ فنجانا .

وفي صباح ١٤ أكتوبر لاحظ أركان حربه ان الارهاق يغطي وجهه .. سأله : أنت شاعر بحاجة يا أفندم ..

ولم يجب القائد .

ســـقط فجـأة !

ولم يشعر بشيء الا بعد ثلاثة أيام وهو فى المستشفى .

قلت : لقد أخذ عليك هذا العيب .. انك لم تكن تنام . والقـائد يجب أن يسـتريح .

واجاب : وقيل ان الجنرال مونتجمرى ، دخل الى حجرته لينام بمجرد بدء الهجوم وقال لاركان حربه .. أيقظنى عندما ينتهى الهجوم

قلت : أنا لا أصدق أن مونتجمرى فعل هذا .. ولكننى لا أتصور أنك تبقى ٨ أيام بلا نوم ..

قال : قد يكون هذا خطأ .. ولكننى لم أستطع النوم فعلا أمام الشعور بالمسئولية من يوم ٦ أكتوبر . كنت أشعر أن العدو سيركز هجماته على قطاع الجيش الثانى ، بعد أن أصـبح لدى فى الشرق قبل منتصف ليلة ٦ أكتوبر ٥٠ ألف مقـاتل ، بما فيهم الوحـدات المدرعة والمدفعية .. وفى الصباح التالى مئـات الدبابات . وكانت دبابات الجيش الثالث لم تعبر بعد . ثم بدأ العـدو يركز هجومه بالطيران والمدفعية والمدرعات فى جنوب الاسماعيلية على الفرقة ١٦ وشمال الاسماعيلية على الفرقة الثانية . كنت مصمما على الا يحقق العدو هدفه وهو تدمير القوة الرئيسـية للجيش الثانى بدليل أنه قام ب ٣٦ هجمة مضادة بكل أسلحته . ومنها ٧ هجمات استخدم فيها من ١٠٠ الى ١٥٠ دبابة .

هذا هو الموقف .. واستمر هذا القتال الضارى ليل نهار حتى مســاء يوم ١٣ أكتوبر .

ولذلك لم أنم ..

....

تولى رئيس أركان الجيش الثانى القيادة بعد اللواء سعد مأمون ثم تولاها قائد آخـر .

وخاصة أن تسلل العدو يوم ١٦ أكتوبر الى الغرب .. كان قـد بدأ يشـكل خطـرا ..

ونجحت قوات العدو فى العبور بعد معارك دامية رهيبة ، وبعد خســائر خيـالية .

ويسجل الضابط الاسرائيلي آموس قائد رأس الجسر فى خطاب الى زوجتـه ليلة ١٨ أكتوبر :

- « اذا كانت قد كتبت لى النجاة هذه الليلة ، فانها معجزة . فلم تكف قذائف الكاتيوشا عن السقوط على رؤوسنا . وكان الجنود يغادرون سياراتهم دون أن يسعفهم الوقت بايقاف المحرك. لقد كانت أكثر الامور رعبا هي عمليات القصف التى تلتها هجمات الطائرات ، وبالنسبة للقصف المدفعى فهذا أمر تعودنا عليه ، ولكن عندما تشترك الطائرات فان ذلك لم يكن بالامر المحتمل . ان أفضل شيء هو أن يظل الانسان فى مخبئه وأن ينتظر وهو يصلى . لقد كان المصريون مصرين على تصفية رأس الجسر . أنه الجحيم بعينه . لقد كانت الصواريخ والقنابل والنابالم تنهال ، وكان علينا أن نصلح باستمرار ما يعطب » ..

وقال الجنرال برن : لقدعبرنا القناةفى الساعة العاشرة مساء.. ولم تكد ثلاث من دباباتنا تعبر القناة حتى أعطب أحد الجسرين .. وبينما كنا نقوم بتركيزقواتنا على الشاطىء الغربى تعرضت لقصف شديد لم نشهد له مثيلا فى حياتنا .

كل هذه الاقوال وردت فى المؤلف الاسرائيلى « عيد الغفران » .. وقد سجل المؤلفون أن الجزء الاكبر من القوة الاسرائيلية لم يستطع أن يعبر يوم ١٧ اكتوبر ، لان المصريين شنوا هجوما مضادا كاد يسحق رأس الجسر .

....

وفى اليوم التاسع والعشرين من أكتوبر عين اللواء سعد مأمون مساعدا لوزير الحربية .

وفى أوائل ديسمبر صدر قرار بتعيينه مندوبا عن القائد العام، لقواتنا المسلحة غرب القناة ، وكلف بتنفيذ خطة لمواجهة الوجود الاسرائيلى فى الغرب .

وفى ٢٤ ديسمبر تم وضع الخطة « شامل »، وصدق عليها القائد الاعلى الرئيس أنور السادات فى اجتماع خاص تم بالقناطر الخيرية (١) .

وكان من الممكن أن يكون قدر سعد مأمون ، قيادة القواتالمصرية لتطهير الغرب من القوات الاسرائيلية .

ولكن الاسرائيليين أدركوا أن مصلحتهم الاولى هى فى الانسحاب وتم الانسحاب .

---

(١) تفصيل الخطة « شامل » فى الفصل الاخير من هذا الكتاب .

عملتها .. يا بابا !

●●● ((العسكرية هى هوايته .. وطفله الاصغر شريف (١٢ سنة) أمضى معه فى الجبهة طوال أشهر عطلة الصيف حتى أول أكتوبر .. وكان يدرب طفله على استخدام كل أنواع الاسلحة ! .. أمله أن يراه مقاتلا .. وكان الطفل يقول لوالده العميد فؤاد عزيز غالى ((امتى بقى ، تنزلوا علم اسرائيل ؟))

وبعد أن تحقق الانتصار ، وفى أول اتصال تليفونى للاب مع أسرته صاح شريف فى التليفون ضاحكا ((عملتها يا بابا برافو عليك)) !

وكانت هذه التحية أول وسام يحصل عليه قائد معركة القنطرة !)) ●●●

اشترك فى معارك فلسطين عام ١٩٤٨ وهو ملازم .. فى شمال غزة ، فى بيت جالون فى جباليا . وفى رفح . كان يعمل تحت قيادة الضابط المشهور السيد طه الذى أطلقت عليه الصحافة حينئذ لقب « الضبع الاسود » ..

ثم اشترك فى حرب اليمن ثلاثة وثلاثون شهرا و١٧ يوما .. بدأها فى ٣ فبراير ١٩٦٣ ، قائدا لمجموعة قتـــال .. ثم قائدا للكتيبة .. فى مناطق مختلفة .

ومنذ نوفمبر عام ١٩٦٧ ومواقع عمله فى الضفة الغربية .. جنوب الاسماعيلية .. وشملها حتى أصبح قائدا للفرقة ١٨ مشاة وقائدا للمحور الساحلى العريش ــ قنطرة ــ غزة ..

ومنذ أن أصبح المشير أحمد اسماعيل وزيرا للحربية وقائدا عاما .. كانت كلمته له ، التى لم تتغير .. « مسئوليتك تحرير القنطرة شرق .. هذا قدرك مع الحرب . ومعى » !

وفى ســـاعة الصفر .. فى السادس من أكتوبر .. بدأ فؤاد عزيز غالى لقاءه مع قدره . وتحررت القنطرة شرق بعد قتال مرير عنيف .. ثم أصدر القائد الاعلى قرار فى ١٢ ديســـمبر ١٩٧٣ بتعيينه قائدا للجيش الثانى ..

هو اذن نموذج للمقاتل المصرى ، الذى لمس فى صـــدر حياته العسكرية ، الخيانة العربية فى حرب ٤٨ .. وكان الفشل .. ثم عرك حرب اليمن التى تكبدنا فيها خســائر كثيرة .. ولكننا ــ على حد قوله ــ خرجنا منهـــا بخبرات عسكرية كثيرة .. الاعتماد على النفس .. حرب الجبال .. خبرات لتخصصات مختلفة .. حرية التصرف للقادة المحليين .. الضبط والربط . ثم واجه مرارات المقاتل المصرى بعد هزيمة ٦٧ التى ابتلعت معارك عسكرية قاتل فيهـا الجنـدى المصرى بكفاءة وبسالة .. ولكن التاريخ اغفلها ... واحس بالمهانة تأكل قلبــه . وكان لا يرتدى حلته العسكرية ، عندما ينزل الى المدينة . فالجماهير كانت كافرة بجيشها . والجيش كافرا بالقيـادات الكبرى التى حرمتــه من

اثبات وجوده وقدراته .. وهكذا أمضى وقته بعد ذلك . ينتظر ساعة صفر جديدة ، يستعيد فيها كرامته ..

كان يحاول خلال حرب الاستنزاف أن ينتقم لمهانة ٦٧ . قام بأكثر من عملية عبور .. ضرب ودمر .. وعاد بالاسرى بين الكاب والتينة .. ومره اخرى فى منطقة الجيش الثالث . ومرات بعد ذلك

وهاجم منطقة شمال البلاح من قبل ثلاث مرات .. نجح فى فى هجوم عام ٦٩ .. فشل فى الهجوم الثانى فى نهاية عام ٦٩ . استخدم فى الهجوم الثالث عام ١٩٧٠ أسلوبا مختلفا ..

وفى أبريل عام ١٩٧٠ .. قام فؤاد غالى مع مجموعة قتالية بعبور .. وهاجم أحد المواقع بعنف شديد . وكان قتالا عنيفا . انسحب بعده واختبأ فى موقع قدر أن القوة الاسرائيلية ستعود منه، واستمر مختبأ أكثر من ٩ ساعات .. وتحقق تقديره .. وفاجأ القوة الاسرائيلية بنيران لا ترحم ، التهمت ٤٨ من جنود العدو . وكانت مجموعته من ١٣ مقاتلا .

وصمم الاسرائيليون فى اليوم التالى على الانتقام من هذه الضربة المرد ..

والقوا فى غاراتهم الانتقامية بقنابل ثقيلة ، تعادل فى مجموعها ، ما القى فى حرب الايام الستة كما أعلن ذلك قادتهم ..

وكان هذا حقيقياً . لقد بلغ مجموع الحفر التى أحدثتها قنابل العدو من زنة رطل والفى رطل فى موقع دفاعى مساحته ٦٠٠ متر × ٨٠٠ متر .. بلغ عدد حفر القنابل ٤٨٠ حفرة !

وقد ذهل ضابط اجنبى كبير زار هذا الموقع .. عندما سمع فؤاد غالى يطلب من الجنود أن يظهروا من مخبئهم ..

قال الضابط الاجنبى الكبير :

ــ وهل يوجد موضع لهم هنا .. بعد ان أصبح موقعهم هدفا معروفا ..

وكان رد فؤاد غالى :

ـ بالعكس .. كان يجب أن أستمر فى استخدام هذا الموقع ، لانه من وجهة نظر العدو قد تدمر تماما .. ولن يكون فيه موضع لقدم .. كانت كل جزيئات ارض القنطرة شرق .. مرتسمة فى ذهنه كصورة فوتوغرافية كاملة .. المعلومات اليومية التى يحصل عليها من نقط الاستطلاع . والمراقبة الجوية .. المراقبة بالنظر .

عاش خمس سنوات وثمانية أشهر .. يدرس الارض والتحصينات .. ويحلم بالتهامها .. العسكرية هوايته..وطفله الاصعر شريف عمره ١٢ سنة .. أمضى معه فى الجبهة طوال اشهر عطلة المدرسة حتى أول أكتوبر . وكان يدرب طفله على استخدام كل أنواع الاسلحة !.. أمله أن يراه مقاتلا .. وكان الطفل يقول له : « امتى بقى .. ننزلوا علم اسرائيل » !
وبعد أن تحقق الانتصار .. وفى أول اتصال تليفونى للاب مع أسرته صاح شريف فى التليفون ضاحكا : عملتها يابابا ...برافو عليك
وسألت الرجل : ألم تفكر فى أسرتك ، ليلة الهجوم ..

ـ مطلقـــا ..

ـ حتى مع هذه العاطفة التتالية التى تربطك بطفلك شريف..

ـ مطلقـــا ..

ـ وكيف أمضيت الليل بعد أن عقدت الاجتماع الاخير مع قيادتك .. وسلمتهم مظروفات ساعة الصفر ..

ـ لم أنم . كنت فى تفكير هادىء متصـل . كانت أمامى كل الاحتمالات .. وكنت اراجع اساليب تصرفنا أمام هذه الاحتمالات

ـ هل كان منها توقع ضربة مفاجئة من العدو ..

ـ طبعا .. كان هذا الاحتمال محسوبا وخاصـــة فى الايام الاخيرة ..

ـ وبماذا تعلل هدوء اعصابك وأنت مقدم على تجربة الحياة والموت ..

— لم تكن بالنسبة لى تجربة حياة أو موت .. لقد اخذتها من جانب الموت فقط .. كان شعارها الذى غمر أيضا كل قلوب الجنود .. « يا قاتل .. يا مقتول » .. اما أن نحرر الارض .. أو أن نموت عليها حتى آخر رجل .. هذا امر ليس موضوع مناقشة أو تردد .. المستحيل هو أن اعود من القنطرة شرق حيا .. واتركها للعدو ..

وكانت كلمات الرئيس السادات فى آخر اجتماع شهده ، هى التى تسيطر عليه تماما :

— « يا أولادى .. هذه هى امكانياتنا .. ليس فى مقدورنا أن نحصل على مزيد من السلاح .. هذا أقصى ما استطعنا أن نوفره . وانتم عارفين كل حاجة .. وانا مطلعكم على التفاصيل أولا بأول .. تقولوا اسلحة دفاعية .. أسلحة هجومية .. سموها زى ما انتم عايزين .. لكن ده اللى عندنا .. هنقدر نحارب والا لأ ؟ .. ده السؤال . احنا مؤمنين بأن تحرير الارض هو قدرنا .. أم لأ ؟ .. ده هو السؤال . نموت أحرار .. أشرف ألف مرة من حياة المذلة .. والعدو قدام عيننا .. وواقفين عاجزين .. أذلاء » .

وهذا فى رأيى أقوى بطولات معركة ٦ اكتوبر .

القتال بالامكانيات التى بين أيدينا ، والى الحد الذى تستطيع هذه الامكانيات أن تحققه مع التخطيط الجيد ، والاستعداد الكامل ، والاقتحام المتفانى ..

كما أن التخطيط للمعركة لم يفرض من « فوق » ..

لقد اعطيت لكل القيادات الميدانية .. حرية الحركة والتصرف .. وكل قائد فرقة ابدى ملاحظاته على الخطة .. بعد استشارة القيادات التى تتبعه .. ونوقشت كل الملاحظات مع القيادة الاعلى وهكذا .. حتى آخر سلسلة قيادية ..

ومن هنا كان كل قائد مقتنعا بخطة معركته ..

وعندما قام المشير أحمد اسماعيل بآخر زيارة لهلجبهة القتال .. فى الايام السابقة على ساعة الصفر .. وبالتحديد قبلها بسبعة أيام ..

ناقش المشير قائد بورسعيد فىخطته .. ثم اتجه الى فؤادغالى:

وانت كيف ستستولى على هذه النقط .. (من حصون بارليف) ..

واجاب باعتزاز :

— هادوس على زرار يا افندم .. وبعدها ستسقط جميع النقط القوية فى القنطرة شرق !

ولم يظهر على وجه المشير أحمد اسماعيل أى تعبير ، يمكن أن يوحى بأن هذه الاجابة أعجبته أو لم تقنعه ..

وانتظر لحظات ثم قال : لا .. اشرح لى خطتك الاخيرة ..

وشرح قائد الفرقة ١٨ كل التفصيلات ..

واقرها القائد العام فى شكلها النهائى ..

* * *

وحانت ساعة الصفر ..
بدات هجمات طائراتنا على العدو ..
بدات نيران المدفعية تحمى العبور ..
وعبرت قوات الفرقة ١٨ .. وعبر قائدها ..
وبدا تنفيذ الخطة على الفور ..

صعوبة القنطرة شرق .. ان العدو يعرف انسقوطها له معنى سياسى كبير ، لانها المدينة الثانية فى سيناء بعد العريش .. ولذلك فان تركيز العدو عليها أمر مفترض ..

والصعوبة الثانية .. أن ارض القتال فيها تتوسطها مبانى المدينة .. وهذا عائق قتالى فى وسط المعركة ..

* * *

ولم تكن معركة سهلة ..

ويجب أن نعرف أن القوات الاسرائيلية ، قاتلت بشراسة واستماتة ، ودافعت عن مواقعها بكل امكانياتها ..

اننى أكتب هذا .. لان الكثيرين فى مصر .. تصوروا أن العبور والاستيلاء على حصون بارليف .. والتقدم فى العمق .. مر هكذا سهلا وكأن نزهة .. وكأن الاسرائيليين هربوا منذ الدقائق الاولى وانتهى الامر !

لقد اخذتهم المفاجأة فعلا فى الساعات الاولى من المعركة . ولكنهم قاتلوا بكل احتياطياتهم القريبة ، وراء بارليف على ثلاثة خطوط ..

ولما أفاقوا من المفاجأة .. استخدموا كل امكانياتهم .. حتى تحطموا فعلا .. لولا الانقاذ الامريكى الذى بدأ فى اليوم الرابع للقتال .. واستمر وبدأ يظهر منذ الحادى عشر من أكتوبر .. وكانت معارك الدبابات رهيبة فعلا . ولم تكن الدفرسوار هى الثغرة الوحيدة التى حاول العدو أن ينفذ منها . الدفرسوار كانت واحدة من المحاولات . حاولوا عندالفردان واستطاعت دبابة اسرائيلية أن تصل الى قرب كيلو متر واحد من كوبرى الفردان ولكن لواءهم الـ ١٩٠ تدمر تماما . وحاولوا مرة ثانية وفشلت المحاولة .. معركة دبابات رهيبة سميت معركة (الطالية) .. وثالثة .. ورابعة .. ان كل الهجمات المضادة الاسرائيلية طوال أيامالقتال كانتمحاولاتلاختراق قواتناللوصول الىالضفةالغربية وسيجىء تفصيل ذلك ، فى موضع آخر من هذا الكتاب ..

* * *

كانت المعركة صعبة فى القنطرة شرق .. لاسباب عديده .. منها أن موقع الهجوم المصرى فى الضفة الغربية .. منخفض

(أرض زراعية) .. وموقع العدو مرتفع فى الشرق .. كما أن أرض المعركة ليست جافة .. معظمها (سبخ) لا تصلح للسير ولا تيسر التحرك العسكرى شرقا أو غربا . كما أن تحصينات العدو فى الشرق (خط بارليف) كانت من أكبر تحصيناته .

ومن اختار القائد المصرى أن يهاجم تحصينات بارليف فى معظم نقاطها .. ومن الامام لا من الخلف .. اختار المواجهة وهى المهمة الصعبة .. وفى التحصينات البعيدة هاجمها من الخلف والاجناب .

كما أنه بنى خطته على مواجهة سريعة جدا ، بكل القوه الضاربة دفعة واحدة .. مع محاصرة المدينة بنفس السرعة باندفاع قوى بقوته الرئيسية .

كانت أمامه ٧ نقاط لخط بارليف . وكانت مسافة المواجهة ٣٧ كيلو مترا فاختار أولا : أن يركز قواته وهجومه على امتداد ١٨ كيلو متر فقط أمام النقاط الرئيسية وهى أربع . واقتصر ضربة على النقاط المتطرفة شمالا ويمينا بالضرب بالنيران . واختار أولا أن يهاجم النقطة الاولى والنقطة الرابعة .. وأن يحيطهما بدرع من قواته خلفهما ، حتى يكون فى وضع يتصدى فيه لاحتياطيات العدو الخلفية عند تقدمها .. وجعل لدرعه أعماقا متتالية .. من الصعب اختراقها ..

* * *

تم احتلاله للنقطة الاولى والنقطة الرابعة بعد ٢٥ دقيقة من العبور بالمشاة والاسلحة الخفيفة . ورفعت القوات المصرية الاعلام عليها . وبدأ حصار المدينة بعد ٣٥ دقيقة ..

ثم هاجم النقطة الثانية واحتلها ..

ثم سقطت النقطة الثالثة التى قاومت بشدة حتى الساعة الثامنة من المساء ..

ان الجانب الايمن الذى بدات منه عملية الحصار . هو منطقة شمال البلاح ..

والجانب الايسر هو منطقة الحرش ..

وقد بدأ الهجوم الاسرائيلى حوالى الساعة الثالثة الا الربع ..

واستمرت هجماته المضادة .. وحتى الغروب فى السادسة مساء .. فشلت هذه الهجمات المضادة أمام مقاومة المشاة المصريين بالاسلحة الخفيفة ..

وكان العدو يهاجم من اليمين واليسار .. وفى المنتصف بهدف فك الحصار على قواته داخل مدينة القنطرة ..
وفى الساعة السادسة والربع من المساء .. ركز العدو ضربة شديدة على الجانب الايمن .. واخترق الحصار المصرى فعلا .. وتخلت القوة عن مسافة تتراوح بين كيلو مترين ونصف وثلاثة كيلومترات .. الى الوراء .. وركز القائد المصرى مواقعة الدفاعية بسرعة .. وعلى أعماق متتالية .. ومن هنا أطمأن الى أن العدو ، لو انه اخترق هذه الدفاعات ، فانه سيكون فى مصيدة نيران من جميع الجهات ..

وكانت مساحة هذه العمليات بعرض من ٦ الى ٨ كيلومترات.
واستمرت المعارك طوال الليل .. وكانت الدبابات المصرية قد عبرت (على معديات ــ لا كوبرى) ..

وكان يمكن أن تؤدى نجاح هجمات العدو الى نتائج خطيرة ..

لانها أولا عطلت قدرتنا على عبور الدبابات .. وبعد تركيز الضرب على المعديات .. ثم قوة الهجوم الاسرائيلى على الجانب الايمن .. لم نتمكن الا من عبور عدد بسيط من الدبابات فقط كل ساعة ..

ولكن الاختراق من الجانب الايمن لم يفلح ..

لقد استعاد العدو الموقع الحصين شمال البلاح .. ثم استعدناه .. واستمر الموقع طوال الليل ، مناصفة بين قواتنا وقوات العدو .. ولكن الجندى المصرى لم يخرج منه أبدا ..

وفى الساعة السادسة من الصباح قام فؤاد غالى بهجمة مضادة عنيفة .. واستعادت قواتنا الموقع تماما .. وتقدمت ٣ كيلومترات جنوبا ..

وقد قاتل الاسرائيليون بعناد واصرار ..

وتحطم لهم فى هذه الهجمات ٣٧ دبابة .. ولم يبق للعدو الا أربع دبابات .. ومع ذلك تقـــدم بها ، يريد أن يكمـــل رأس حـــربة ..

وقضينا على هذه الدبابات الاربع .
وخلال هذه المعركة القاسية .. لم يتوقف العدو عن الهجوم من اتجاهات أخـــرى .. وجـــه ضربات للجانب الايمن للقوات المصرية من اتجاه حوض أبو سمارة جنوب رمانة .

وفى ٧ أكتوبر نجح العدو فى اختراق جزء من مواقعنا ..

ولكن قواتنا اســـتعادت مواقعها بمعونة الدبابات التى عبرت خلال الليـــل ..

***

وفى اليوم التالى ـ ٨ أكتوبر .. قرر العدو أن يوجه ضربة عنيفة بلواء مدرع تقدم من رمانة فى اتجاه القنطرة .. ووجه ضربته فى خطين ..

وتمكنت وسائل استطلاعنا من استكشاف الموقف .

واتصل اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى ، بقائد قواتنا فى القنطرة .. وحذره :

ـ لواء مدرع اسرائيلى يتقدم اليك مع أول ضوء لضربك .
وبنى فؤاد غالى خطته .. على انتظار العدو عند نقطة معينة بحيث يفاجئه بقصف بنيران عنيفة .

لقد اختار القائد المصرى موقع قيادته فى مكان مرتفع يطل منه على الجبهة كلهـــا .. ويستطيع أن يراقب الموقف ، ويقـــدر المسافات ..

ان المعركة الناجحة فى رأيه تقدير مسافة أولاً .. مع تقدير وقت ..

فوجئت القوات المهاجمة بالقصف الشديد .. فوقع الارتباك بين صفوفها .. وهنا .. كان الطيران المصرى ، قد ظهر فى الوقت المناسب المحدد له ، ليضرب بعنف .

وباعترف أحد الاسرى أن ٧٠٪ من الكتيبة الميكانيكية لهذا اللواء المدرع الاسرائيلى ، قد ابيدت تماما ..

ويقول فؤاد غالى :

ـ كان مشهد الطيران المصرى ، مثيرا وممتعا حقا . ولم يكتف طيار واحد بضربة واحدة .. كان بعضهم يدور ثلاث دورات ويضرب ويضرب ويضرب ..

وانتهى هجوم العدو بالفشل ..

انا الآن فى الثامن من اكتوبر ..

فشل هجوم العدو على الجانب الايمن .

ولكنه كان يهاجم فى الوقت نفسه الجانب الايسر من قوات هجومنا على القنطرة .. ونجح فى تحقيق اختراق جزئى بها ..

وطهرت قواتنا هذا الاختراق الجزئى فى ٤٥ دقيقة ..

وبعد هذا يئس العدو فعلا .. من محاولات استعادة القنطرة .

وسألت فؤاد غالى : ولماذا لم ينجح طيران العدو فى حماية اللواء المدرع المهاجم .

قـال :

ـ الملاحظة العامة أن طيرانه كان (مهزوزا) .. فى هذه المراحل الاولى من القتال ، بعد ان سقط منه الكثير ..

***

ولكن العدو لم ييأس ..

بدأ تجميع قواته .. وأعد لهجوم مدرع آخر على شمال الاسماعيلية . وكانت هذه مهمة عساف ياجورى قائد اللواء مدرع ١٩٠ اسرائيلى ..

وتصدت الفرقة الثانية بقيادة أبو سعده لهذا الهجوم ، كما شرحنا فى فصل آخر .

.. فى هجوم للقوات المدرعة الاسرائيلية على قوات الجيش الثانى شمال شرق الاسماعيلية .. تقدم بقوات الى اليمين .. واخرى الى اليسار . واخترق من الوسط .. وحقق نتوءا فى الوسط .. أمام كوبرى الفردان .. وتمكنت احدى دباباته من أن تصل الى بعد أقل من كيلومتر من الكوبرى .

وهذه هى الثغرة التى فشل فى صنعها .. ليصل الى الضفة الغربية .. وليستولى على مدينة الاسماعيلية .

هنا وجد اللواء سعد مأون قائد الجيش الثانى ، الموقف بالغ الخطورة ! ..

وتصرف بهدوء ..

***

دفع بقوات جديدة من الغرب ، عبرت الى الشرق . لكى تعاون فى التصدى من الوسط ..

وفى الوقت نفسه .. طلب من قوات القنطرة بقيادة فؤاد غالى .. التقدم وتوجيه ضربة الى جنب وظهر دبابات العدو التى تقوم بالهجوم على الجنب الايسر للفرقة الثانية .

وتم كل ذلك بنجاح ..

ولكن المعركة الرهيبة استمرت ثلاثة أيام ..

وقد ذهبت الى موقع هذه المعركة ..

ومن تبة بالمنظار المكبر .. رأيت آثار المعركة ، فى الدبابات الاسرائيلية المحترقة ..

وفى يوم ١١ اكتوبر قام العدو بمحاولة أخرى .

كان يريد أن يصل الى مفترق الطرق .. الذى يمكن أن تنفذ منه قواتنا الى الطريق الساحلى اذا تقدمت شرقا ..

وقام العدو بهذه المحاولة مستخدما طريقين ..

وحقق نجاحا جزئيا .. ثم تدمر هجومه تماما ..

***

وخلال ذلك .. بدأت معركة دبابات أخـــرى فى التاسع من أكتـــوبر ..

يسمونها معركة (الطاليا) .. وهى التى استشهد فيها قائد اللواء الذى منح نجمة سيناء ..

وتصدت فى هذه المعركة .. الفرقة ١٦ بقيادة اللواء عبد رب النبى حافظ (مما سيجىء تفصيله فى فصل آخر) .

كانت على مساحة شاسعة من ارض الصحراء ..

ولم تتوقف هذه المعركة التى كانت تتجدد كل يوم ، حتى يوم ٢٢ أكتوبر !

وقد زرت أرض هذه المعـــركة . . وهى تواجه مدينـــة الاسماعيلية ..

وفى هذه الارض ، ظهر عبـــد العاطى المشهور ، الذى دمر وجماعته ٢٤ دبابة اسرائيلية بصواريخ اليد !

والمشهد رهيب حقا ..

على امتداد الافق دبابات محترقة ، نراها من بعيد كأنها علب كبريت صغيرة سوداء .. ويقربها الينا المنظار الكبير .. وهى منتشرة فى الصحراء ، صفوفا وراء صفوف .. هذا عدا الدبابات التى تمكن الاسرائيليـــون من رفعهـــا .. ونقترب من الدبابات المحترقة .. بسيارة صلبة تخترق طريقها فى الرمال .. ويأخذنا المنظر المخيف .. اطنان من الصلب المحترق .وعلى بعضها علامات

(×) بالطباشير الابيض أن هـــذا يعنى أن الاسرائيليين أخرجوا الجثث منها ..

***

وبعد .. انى أعتبر عرضى السابق لمعركة تحرير القنطرة .. عرضـــا جافا .. ولاننى اغفلت فيه ، وأنا أحـــدد الخطوات العسكرية ، الجانب الاهم والاخطر .. وهو الجانب الانسانى ..

الانسان المصرى الذى واجه هذه الحرب المريرة ..

انسان معجزة ٦ اكتوبر ..

الانسان يتمثل فى القائد أولا .. الذى كانت القنطرة بالنسبة له .. (يا قاتل . يا .. مقتول) .

كانت هذه الخطة الاولى .. أن نحرر القنطرة .. أو نبقى فيهـــا ..

ولكن جثثا .. حتى آخر رجل .. اذا عجزنا عن التحرير .

هذا هو الوقود الاول للمعركة .. الذى ملأ قلب كل مقاتل فى هذه المعركة .

ولذلك لم يكن غريبا أن نرى الجنـــود المصابين فى المعـــركة القنطرة ، وهم عائدون فى القوارب الى الغرب ، لكى ينقلوا الى المستشفيات .. بعضهم فقد أصابع قدمه .. دمه يسيل . . وهو لايشـــعر .. انه يغنى ؟ . ويصفق ! .. وكأنه راجـــع من رحـــلة ! .

وهذا معنى الانتصـــار !

وهنا نسمع من فؤاد غالى .. انه يعتز بالمقاتل الفلاح !

وعند تعويض خسائره فى عمليات اعادة تنظيم القوات ، وكان الفريق أول محمد فوزى ، وزير الحربية .. طلب فؤاد غالى ، جنودا من الفلاحين .. وكان الاتجاه حينئذ أن يعاد تكوين القوات المسلحة .. بالشباب المؤهل فى الجامعات .. واستدعاه محمد

فوزى وسأله :: هل تريد أن توجد تنظيما خاصا لك .. يختلف عن التنظيم العام للقوات المسلحة .. ؟

وكانت وجهة نظر فؤاد غالى ، التى احترمها وزير الحربية ، ان المقاتل الفلاح اذا درب تدريبا حسنا ، فان ذكاءه فى التنفيذ خارق .. وان قدرته على الاحتمال تصل الى حد الاعجاز .. وهذا يعنى عدم الاحتياج الى نسبة كبيرة من المؤهلات .

لقد خبرها فى حرب الاستنزاف .

انه لاينسى مروره على قواته بعد ١٥ يوما من الضرب المتواصل بقنابل العـــدو من طائراته .. الضرب الذى لم يتوقف ليــــلا أو نهـــارا ..

ـ الواحد منهم واقف زى السبع فى موقعه .. وأسأله .. أنت مش خايف يا فلان .. وأسمع رده : العمر واحد والرب واحد يا أفندم ..

***

هذا المقاتل المصرى .. هو الذى اندفع الى حقول الالغام .. دون أن يفكر فى حياته لحظة .. وهو يصرخ (الله أكبر) ..

ان المجموعة الاولى التى هاجمت نقاط بارليف .. كان من بينها جنود ، رقدوا على الاسلاك الشائكة بأجسادهم ، لكى يعبر فوقهم زملاؤهم ! .. لقد استشهدت هذه المجموعة ، وبقى منها جندى واحد على قيد الحيـــاة .

ضابط شاب بطل حصل على نجمة سيناء .. تفخر به قوات القنطرة . كانت مهمة هـــذا الضابط اقتحام النقطة الاولى من حصون بارليف .. ونجح . ولكن زملاءه الذين اقتحموا النقطة الثانية لم يستطيعوا الوصول اليها ، لان الطـــيران الاسرائيلى طاردهم .. فتأخروا . واذا بالضابط الاول .. يقتحم النقطة الثانية أيضا .. بنفس قوة أفراده التى اقتحم بها النقطة الاولى !

قلت للواء فؤاد عزيز غالى :

ـ اذاعت اسرائيل انها دمرت موقع قيادتك فى القنطرة . . هل هذا صحيح ؟ ..

ـ نعم .. هذا صحيح .. ومع ذلك رفضت تعييره ، ولو ان هذا خطأ عسكرى ولكننى قدرت أن وجودى فى موقعى رغم ضربه ، له أثر طيب على معنويات المقاتلين معى .. ولذلك لم أغــيره ..

***

لقد تعرض للموت ثلاث مرات ..

المرة الاولى فى أول ايام القتال .. فى ٦ أكتوبر .. لقد قصفوا الموقع بقنابل الف رطل .. رمى نفسه فى حفرة بدون غطاء ، على بعد ٧ أمتار من الضرب . ونجا . ولن ينسى أن الجنــود ارتموا فوقه لانقاذه . ارادوا أن يفتدوه !

وكان المرة الثانية فى ١٧ اكتوبر .. والثالثة فى ٢١ اكتوبر ، لم يكن بمركز القيادة فى المرة الثانية . كان يقود مفرزة تقدم بها بعد حدوده الامامية .. ومعه طقم صواريخ ..

وكان هذا أحد واجباته .. التى كان يكلف بها نفسه . . ومن الممكن أن يؤديها ضابط برتبة صغيرة .. ولكن قيام القائد بهذه العملية الاستطلاعية .. كان يؤكد لكل مقاتل معه . أنه معهم جميعا على خط النار والاستشهاد ..

وفى احدى هذه الجولات الاستطلاعية الخطيرة لاحظ تقــدم مجموعتين من دبابات العدو .. الى يساره .. وفى مواجهته .. وبدأ طقم الصواريخ بمجموعة اليسار .. فأصاب الدبابة الاولى. ثم الثانية .. وبقيت الثالثة .. وقبــل أن يصوبوا نحوها .. كانت الدبابات المواجهة تقصفهم .. ونجوا بأعجوبة !

***

وكانت هذه الجولات الاستطلاعية تسمى رحــلات اقتناص الدبابات خارج الحدود . وفى احداها تمكنوا من الاستيلاء على أحدث دبابة أمريكية . سليمة تماما .

ولا ينسى القائد يوما تقدم اليه ضابط برتبة ملازم ، يعمل فى الشئون الادارية للفرقة ..

قال الضابط الصغير : اننى أشعر يا أفندم .. أننى لا أحارب .. أريد أن أشترك فى عمل قتالى .. فوق الشئون الادارية ..

واشترك هذا الضابط فى كمين ليلى لدبابات العدو خارج رأس الكوبرى .. وعـــاد الى عمله فى الشئون الادارية ، مستريح الضـــمير ..

ان خسارة العدو فى الدبابات أمام رأس الكوبرى تصل الى ٥٨ دبابة ..

وخسائره فى الداخل فى مواقع التحصينات .. وفى هجمات الاحتياطى المضادة .. تصل الى ٦٧ دبابة .

أما الارواح .. فالتقدير يتراوح بين ٣٠٠ ، ٤٠٠ قتيل فى حصون بارليف ، وعلى أرض المعارك ..

وكانت خسائر قواتنا فى الافراد فى معارك تحرير القنطرة .. هى بنسبة الخمس ، اذا قيست بمتوسط خسائرنا فى جبهات القتال الاخرى ..

ولم نفقد أسيرا واحدا ، حتى ٢٢ اكتوبر ..

***

وفى يوم ١٣ اكتوبر كان واضحا فى كل جبهات جيوشنا شرق القناة ، أن الجيش الاسرائيلى قد واجه انهيارا كاملا ..

وبدأت تظهر فى اليـــوم الحادى عشر .. طلائع الامدادات الامريكية بالدبابات والطائرات والصـــواريخ الحديثـــة التى لم تستخدم فى فيتنام .

وفى ١٦ أكتوبر بدأت محاولة العدو .. فى التسلل الى الغرب عن طريق الدفرسوار ..

وبدأت معارك رهيبة ..

وهذه قصـــة أخـــرى ..

الفصل السابع

العميد.. فى شهر العسل!

●●● ((كان فى أول أيام شهر العسل ،
عندما تلقى الاستدعاء التليفونى الى الجبهة ..!
واستطاع أن يقدم الى حبيبته الاولى مصر ..
أروع هدية .. دمر اللواء الاسرائيلى المدرع
١٩٠ ، وأسر قائده عساف باجورى ..

واوقف اطلاق النار .. وعاد الى عروسه
برتبة اللواء على كتفيه ..

قصته .. هى قصة الحب والحرب))●●●

فى الحادية عشرة من مساء ٥ اكتوبر ١٩٧٣ ، اجتمع قائد الفرقة الثانية فى الجيش الثانى ، بجميع قيادات فرقته .. وابلغهم ساعة الصفر . الساعة الثانية بعد ظهر اليوم التالى ..

وتسلموا منه مظروف ساعة الصفر عند منتصف الليل ،لابلاغه الى وحداتهم فى الصباح . وقرأوا الفاتحة معا ..

وكان قسمهم على القرآن معا .. أن ننتصر أو لا نعود .
ثم انصرف القادة الى وحداتهم .. للاستعداد لاخر اللمسات..
وجميعهم يعتز بشعار هـــذه الفرقة ((المبـــاداة ـ المفـــاجأة ـ الخـــداع)) ..

أما قائد الفرقة العميد حسن ابو سعده ، فقد توجه الى لقاء قائد الجيش الثانى اللواء محمد سعد الدين مأمون .. واستكمل معه بعض المعدات الاساسية الناقصة من مخازن الاحتياطى . .
ثم عاد الى مقر قيادته ..
ولم ينم ..

ان جبهته تمتد من الاسماعيلية الى الفـــردان ، على مسافة حوالى ٣٠ كيلومترا . وهم يطلقون عليها (صرة) الجبهة .. لان العدو لو نفذ اليها ، استطاع أن يستولى على الاسماعيلية . .
وانتهى الامـــر !

والعدو له على الضفة الشرقيـــة المقابلة ٥ نقاط حصينة .. تدعم ظهرها ٥٠ دبابة قريبة .. وكتيبة مشاة ميكانيكية .. وفى الخط الثانى للعدو يوجـد لواء مدرع قد يصـــل الى مائة دبابة او اكثـــر ..

وفى الاجتماع الاخير للقيادات على مستوى الفرق الذى تم ذات يوم من شهر سبتمبر .. احتدمت المناقشات حول كل احتمال .. واستكملت القيادات كل مطالبها الناقصة ، فى حدود ما هو ممكن . ووضع احتمال أن يقوم العدو بضربة (اجهاض مفاجئة)

.. وتم الاستعداد لذلك . وكان العميد أبو سعده يتوقع أن يقوم بها العدو فى الثالث من اكتوبر . وقد انتظر متوثبا للمفاجأة فى ذلك اليوم .. ولكن العدو لم يقم بالضربة .. وعرف بعد ذلك أن رئيس اركان العدو لم يزر جبهة القتال منذ ثلاثة أشهر .. وان الضباط المهندسين المختصين بأنابيب النابالم التى كان مخططا لها أن تحول مياه القناه الى جهنم عند وقوع أى هجوم .. عرف أن هؤلاء المختصين لم يتفقدوا هذه الانابيب منذ شهرين ! .. وقد أسر مهندس كان يتفقدها يوم الهجوم فقط .. فى ٦ أكتوبر !

وأشرق فجر ٦ اكتوبر ..

واطمأن القائد على اللمسات الاخيرة ..

ثم سجل خطاب الهجوم، الذى كان مقررا أن يذاع بالميكروفونات على الجنود مع أول طلقة ..

ثم صلى آخر ركعتين .. واتجه الى السماء ولسانه يردد : اللهم أنت تشهد أننى بذلت أقصى جهدى من علمى وأخلاصى ..

وكان ذلك فى الساعة السادسة والربع من الصباح ..

وغمرت نفسه سكينة صافية ..

وبدأ يشرف على تنفيذ كل التفصيلات ..

لحظات المخاطرة الرهيبة تقترب ..

ولا يستطيع المحارب حتى فى أحرج اللحظات الا أن يفكر فى زوجته .. أنه عريس لم يستمتع بأجازة شهر العسل الا يوما واحدا .. لقد عقد قرانه فى يوليو ٧٣ .. وأجل الاجازة التى بدأت فى ٢٦ سبتمبر .

ولكنه تلقى اشارة تليفونية فى صباح اليوم التالى .. بالعودة الى موقعه على الفور ..

وفهمت زوجته كل شيء ، عندما كتب لها شيكا بكل ما يقتصده فى البنك ..

وتماسكت . ودعت له بالتوفيق .

وتذكرت كلماته عندما اتفقا على الزواج ..

قال لها : لا أريد أن اخدعك .. اننا مقدمون على الحرب ..

وقالت : الاعمار بيد الله .. وفخرى أن زوجى سيكون من الابطال ..

قالَ : أرجو ان تفكرى مرتين ..

قالت : أنت تطعننى فى مصريتى ..

***

وجاءت لحظة الصفر ..

ودوت المدفعية المصرية .. وانطلقت الصواريخ .. وانطلقت الطائرات ..

وبدأ العبور العظيم ..

وخطواته متفق عليها ، بالدقيقة والثانية ..

عبور بالقوارب والاسلحة الخفيفة على ظهر الجنود وفى أيديهم ..

اختراقَ السواتر الترابية الضخمة التى أقامها العدو ..

اقامة الكبارى ..

خلال ذلك الاستيلاء على مواقع بارليف وتدميرها .

التصدى بالمشاة فقط لدبابات العدو .. واحتياطى دباباته ..

التمسك بالارض .. حتى تعبر دباباتنا فوق الكبارى ..

التصدى للواء مدرع للعدو فى (المليز) .. خلف مواقع بارليف ..

والساتر الترابى المواجه فى هذه المنطقة رهيب .. ان ارتفاعه هنا يصل الى ٣٢ مترا ..

وكان الرئيس أنور السادات قد زار هذا الموقع .. ورأى من الضفة الغربية ، ضخامة هذا الساتر .. وكان سؤاله :

ـ هل استعددتم لضخامة هذا الساتر .. ؟

وهـــذا الساتر . سبق أن رآه جنرال سوفيتي .. وكان معه اللواء ســـعد مأمون .. وقال الجنرال يومهـــا أن العبـــور مستحيل ..

وسأل القائد العام أحمد اسماعيل .. قائد الفرقة الثانيـــة أمام الرئيس .. كان ذلك فى شهر مايو ١٩٧٣ .

ـ هل تستطيع أن تعبر بقواتك غدا .. ؟
وكانت الاجابة : أنا جاهز الليلة يا أفندم ..
القائد العام ـ هل تعنى ما تقول .. ؟
ـ اننى أعنى ما أقول تماما ..
وشد الرئيس على يده ..

ثم تفقد الرئيس (المصطبة) المقامة على الضفة الغربيـــة .. والمواجهة لمواقع العدو .. هذه المصاطب فكرة مصرية مائة فى المائة .. وصفها (بوفر) القئد الفرنسي بأنها أهرامات .. وضعت فوقها للتعمية نقط مراقبة مكشوفة .. ولكنها كانت تخفى كل أنواع الاسلحة (من مدفعية وصواريخ ، ودبابت بمدفعية ..)، وبحجم من ١٥٠ ألفا الى ٢٠٠ ألف متر مكعب للواحدة وتكلفت ملايين الجنيهات .. وتصوير العدو لها لم يكن مجديا فى معرفة أسرار استخدامها ..

وسأل الرئيس أنور السادات فى ذلك اليوم عن مهمة الهجوم ، والارض المفروض الاستيلاء عليها ..

ثم قال : هل تستطيع الاستيلاء عليها فى ليلة واحدة .. ؟

واجاب : ممكن يا أفندم .. لو فتحت الكبارى فى الوقت المحدد تمـــاما ..

ودارت مناقشة حول التوقيت .. وهو أهم واخطر عامل فى معركة العبور .. لان المشاة كانوا سيواجهون وحـــدهم دبابات العدو ، لعدة ساعات ، جتى تصل مدرعاتنا ..

وفى ذلك اليوم .. قدم قائد الفرقة الثانية الى الرئيس عــلم الفرقة وقال له :

((أرجو أن تحتفظ بهذا العلم يا سيادة القائد الاعلى ، حتى تضعه أمامك على مكتبك عندما يصلك البشير بأن الفرقة الثانية.. نفذت مهمتها .. وحققت النصر)) .

***

اقتربت لحظة الصفر ..

وكل هذه الرؤى لا تفارق مخيلة قائد الفرقة الثانية .. وهو يشرف على آخر لمسات المخاطره الكبرى ..

انه يفترض فى تقديره أن العدو سيفاجئنا .. رغم كان عمليات الخداع ، وعلى هذا الاساس كان تخطيطه لكل تحرك .. ولذلك كان مستعدا لكل احتمال ..

ان امامه ٥ نقاط حصينة للعدو .. علاوة على السواتر .. محاطة بكل أنواع الوقاية .. حقول الغام .. أسلاك شائكة . . سيارات ميكانيكية .. عـــدا ثلاثة خطوط احتياطية من الدبابات خلفهـــا ..

وبدأ العبور بالقوارب المطاط ..

وتم تسلق الضباط والجنود للسواتر .. والتقدم كيلو مترين .. فى عشر دقائق فقط .. وكان الوقت المقـــدر من ٣٠ الى ٤٠ دقيقة !

وظهرت دبابات العدو بعد وصـــولهم بعشر دقائق .. وبدأت تضرب ولكن القوات المصرية فى نشوة خالدة .. لقد ارتفع العــلم

المصرى على الارض المحتلة . وأصاب الالاف بهزة فرح خارقة وانطلقت اصواتهم كالرعد .. الله أكبر .. الله أكبر .. كانوا يصرخون فى وقت واحد .. وعلت أصـــواتهم على دوى المدفعية والصواريخ .. انطلقوا كالمارد ..

وكان القائد يرتب كل شيء على الضفة الغربية .. حتى حان الوقت المحدد لعبوره . بعد ساعة ونصف . وكانت أعصابه هادئة .. بل انه دخن سيجاره فى القارب اثناء عبورة القناة . واستقبله الجنـــود على الشاطىء الشرقى بالهتـــاف والتصفيق .. وعلت صيحاتهم .. ((ايوه يا وحش)) .. وانتشر نبأ وصوله بين وحدات الفرقة .. وكان لهذا أثره فى مضاعفة معنويات المقاتلين .. القائد بين ضباطه وجنوده معا .. لتحرير الارض ..

وتسلق العميد حسن أبو سعده الساتر الترابى ، على قدميه .. ولم يستخدم سلم الحبال بل انه وجد ان جهازا لاسلكيا يحمله أحد الجنود ، ثقيلا على كتف الجندى .. فحمله هو بدلا عنه ..

وهو يعبر عن نفسه فى هذه اللحظات : وعندما رأيت علم مصر .. شعرت كأننى أرى مصر لاول مرة . وجه انسانه عزيزة غالية أعرفها منذ سنوات طويلة .. وحولها وجوه كل من حاربوا من أجل مصر .. واستشهدوا من أجل مصر ..

وتم تركيب كل أجهزة الاتصال السلكية واللاسلكية ..

واتصل باللواء سعد مأمون قائد الجيش الثـــانى .. وأعطى ((تمـــام)) .

***

أول انتصار كن عند موقع العدو أمام بحيرة التمساح ..

كان العبور الى هـــذا الموقع مفاجأة فعـــلا للعدو .. لان كل التقديرات أن بحيرة التمســاح غير قابلة للعبور .. ما دام العدو لا يتصور ان العبور ممكن منها .. فلا بد ان نعبر منها وعبرت كتيبة .. وقابلها حقل الغام عمقه ٣٠٠ متر .. فتحت فيـــه ثغـــرة ..

ثم تقدمت قوة لمحاصرة موقع العدو .

ورأى العدو ان المقاومة غير مجدية .. والتقطت القيادة المصرية رسالة لاسلكية من هذا الموقع الى قيـــادته بأنه سينسحب بعد آخـــر ضوء ..

وتم على الفور اعداد كمين مصرى على مسافة كيلومتر ونصف .. بعد ان تحـــدد الطريق الذى يمكن أن يسلكه .. وأبيـــدت قوة العدو المنسحبة ..

***

وقبل أن استطرد فى رواية معارك الفرقة الثانيـــة (للجيش الثانى) .. احب أن اوضح هذه الصورة ..

السؤال هو .. ان مواقع خط بارليف ، أقيمت بحيث لا يؤثر فيها أى ضرب بمدفعية أو صـــواريخ .. فاذا كان الجنـــدى الاسرائيلى مطمئنا بداخلها الى انها لن تتهدم فوق راسه .. فلماذا يهرب ؟ .. ثم ما هو السبيل الى اجباره على التسليم ؟ ..

والجواب أن المقاتل الاسرائيلى .. أولا .. يحرص على تأمين حيـــاته . هذا عنصر اساسى فى طبيعته القتالية . وكان الهجوم على أى موقع ، قد تم التدريب عليه مئات المرات . هل يكون من الامام .. أو من الخلف .. أو من الجانبين . وكانت الخطة . احداث ثغرة .. للدخول الى الموقع . ثم القتال وجها لوجه ..

وقد اثبتت الاشارة الملتقطة .. واثبت التسجيل الذى نشرته (السنداى تايمز) من أحد المواقع .. أن الجنود الاسرائيليين داخل هذه المواقع ، كانوا يطلبون نجدتهم بالمدرعات أو ضرب المدفعية .. أو ضرب الطيران .. وكانوا يرون القوات المصرية تحيط بهم من كل جانب .. ثم جاءت المدرعـــات المصرية ..

وكانت القياده الاسرائيلية تعدهم .. وتعدهم .. ولم يتحقق الوعد .. ففكر الجنود داخل المواقع فى الانسحاب .. أو التسليم .. وفريق منهم أضطر أن يقاتل أمام موقعه . وكان قتـــالهم شرســـا ..

وفى موقع لسان بور توفيق مثلا .. قاتلوا من داخل الموقع الى أكبر وقت ممكن .. ثم لم يجدوا مفرا من طلب التسليم تحت علم الصليب الاحمر ..

***

وفى معارك الفرقة الثانية أكثر من قصة عن سقوط المواقع الاسرائيلية .

نقطة جنوب الفردان مثلا ..

لم يستطيع الملازم المصرى قائد الهجوم على الموقع من الامام مع جنوده فهاجم الى اليسار .. ولكن ضربات مدفعية العدو والطيران .. لم تهيىء له النفاذ الى الموقع ..

فتسلل ضابط آخر ومعه جنديان من وسط الالغام والاسلاك الشائكة .. وتسلقوا دشمة .. وكان خارج الموقع جنديان احدهما معه مدفع رشاش .. قفزوا عليهما .. قتلوا الاول بخنجر .. استولوا على مدفعه ووجهوه الى الثانى .. فتقدمت نحوهم سيارة مدرعة للعدو .. وكان طيرانهم يهاجم أيضا .. فأصاب الاسرائيليين .. فخرج أفراد قوة العدو من داخل الموقع . . وجرى قتال متلاحم حتى سقط الموقع صباح ٨ أكتوبر ..

وفى الليلة الاولى .. تقدمت ٨ دبابات للعدو لحماية هذا الموقع .. وتصدى لها الجنود المصريون .. فنسفوا أربعا منها بالصواريخ .. وكان قائد المفرزة المصرية (نقيب) قد أصيب فى بطنه .. ولم يتراجع ولم يتخل عن موقعه .. وأصر الجنود على ملاحقة الدبابات الاربع الاخرى المنسحبة ودمروها .

وهكذا لم يكن القتال سهلا .. وكانت المعارك دموية قبل عبور المدرعات المصرية .. وبعد وصولها . المقاتلون المصريون متعطشون للارض .. وبمعنويات قتالية ملتهبة ، وخاصة بعد أن نجح العبور .. والاسرائيليون يحاولون تأمين انفسهم ، لحماية مواقعهم .. ولكن القتال يجرفهم الى المواجهة .

وكان صراع الزمن هو المحك الصعب .

هل تصل دبابات العدو الاحتياطية فى خطوطه الخلفية ، لنجدة المواقع الاسرائيلية . أولا .. أم ان القوات المدرعة المصرية سوف تصل من الغرب قبلها ..

وقد حسبت القيادات المصرية هذا التوقيت .. على أساس استطلاعهم لمواقع دبابات العدو فى الخطوط الخلفية .. والمدى الزمنى الذى يستغرقه وصـولها .. وحساب توقيت تركيب الكبارى .. وعبور الدبابات ..

***

وكان السؤال الخطير فى أحـد الاجتماعات العسكرية التى حضرها الرئيس .. وما هو الموقف .. لو وصلت مدرعات العدو الرئيسية قبل مدرعاتنا ..

وكان جواب اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى : لا حل الا موقف واحد .. الرجولة والتشبث بالارض .. وصـد دبابات العدو مهما كانت التضحيات ..

***

ومفاجأة عبور الدبابات ليست بالامر الهين ..

ان تعطل دبابة واحدة فجأة فوق الكوبرى .. استدعى رفعها بونش .. واعادتها .. لمرور باقى الدبابات . عملية صعبة فى ظل القصف الجوى للعدو .. ومع سباق الزمن .. الدقيقـة الواحـدة لها أثرها فى توجيه المعركة ..

وقد كانت التعمية حتى فى تركيب الكبارى وعبـور الدبابات عليها .. وأضرب لذلك مثلا .

فى هذه المنطقة بين الاسماعيلية والفردان .. هناك موقع على القناة ، يفتح على طريق مسفلت فى الضفة الشرقية .. والضفة الغربية أيضا . وهذا الموقع أيضا ، قريب من الطريق الاوسط فى سيناء .

وكان من الطبيعى أن يتصـور العـدو أن القوات المصرية ، ستقيم كوبريا ضخما فى هذه المنطقة .

وفكرت القيادة المصرية ، أن هذا سيكون تصور العدو ..

فأوحت فعلا بأعمال معينة على الضفة الغربية . .انها تستعد لاقامة الكوبرى .

وكان قائد الفرقة الثانية ، يخرج فى الايام الاخيرة .. ومعه ضباط .. وخرائط .. ويظهر أمام قوات العدو على الجانب الآخر .. وكأنه يعد فعلا ، لاقامة كوبرى فى هذه المنطقة ..

وفعلا فى يوم العبور .. تم انزال قطع كوبرى (غير حقيقى) .. وأنزلت عليه هياكل خشبية لدبابات ..

وانشغل العدو بضربه بالطيران أكثر من مرة ..

وكان القائد يأمر باصلاحه بعد كل ضرب ..

وكان العدو يعاود الضرب ..

وكان كل ذلك تعمية ، لحماية الكبارى الاخرى الحقيقية .. وتخفيف وطأة طيران العدو عليها .. واستمرت هذه العملية طوال الليل .. وقد عاش هذا الكوبرى أربعة أيام يؤدى مهمته مهمته بنجاح حتى أغرق !

***

وقد تم انشاء الكوبرى الحقيقى الاول فى الساعة الثامنة وعشرين دقيقة من مساء ٦ أكتوبر وبدأ عبور الدبابات ..

وتم انشاء الكوبرى الثانى بعده بثلاثين دقيقة .. وعاشا الى ما بعد انتهاء المعركة .

قلت ان الصراع الزمنى الرهيب كان هو العامل الاول .

ولذلك فان قائد الفرقة الثانية ، بعد أن عبر .. وبعد أن أكمل تحديد موقع قيادته ، وتم تركيب وسائل اتصاله السلكى واللاسلكى .. بقواته .. وبقيادته فى الجيش الثانى .. كان يعد الدقائق .. لوصول أول دبابة مصرية ..

لقد وصلت أول كتيبة من دبابات العدو من خطوطه الخلفية فى الساعة الثامنة والنصف تماما .

كان العدو يتقدم مجزءا .. تقدم بكتيبة .. وتم ابادتها بقوات المشاة .. ثم تقدم بالكتيبة الثانية ..

وتحرج الموقف ..

وفجأة تلقى القائد الاشارة بالشفره :

((هالو .. هنا كيتوكو ٣١٧ . تم العبور)) ..

وصرخ القائد من فرحته وهو يرسل اشارته ..

— انطق بالعربى ..

وجاء الرد — تم عبور الكوبرى .

وبدأت معارك الدبابات الرهيبة ..

* * *

لقد وجد العدو .. أن الجزء الوحيد من الجبهة الذى عبرت اليه الدبابات ، هو فى هذه المنطقة ، وهى التى تؤدى الى الطريق الاوسط فى سيناء .. أهم الطرق ..

فركز مجهوده الرئيسى عليها ..

وبدأ الصراع الجبار ..

* * *

يوم ٧ أكتوبر :

العدو يضاعف ضربات الطيران ..

العدو يضاعف الضرب على الكبارى ..

العدو يضاعف تحدياته للدفاع الجوى المصرى ..

وعند أول ضوء .. كانت معنويات المقاتلين المصريين فى قمتها .

أول شمس تطلع عليهم .. وهم على أرض سيناء ..

وكان الجنود يضحكون .. وهم يسمونها « الصباحية » ..

بدأ الاحتياطى الكبير لقوات العدو المدرعة .. يصل الى أرض القتال فى الساعة السابعة من مساء ٧ اكتوبر ..

وبدأ العدو يتصرف بخطة ..

كان تصرفه فى النهار الاول .. والليلة الاولى .. والنهار الثانى .. تصرف الرد على فعل قواتنا وهجومنا والمفاجأةالسريعة

كان تصرفه رد فعل ..

الآن تصرف العدو .. هو فعل .. مبادرة منه بخطةموضوعة

***

الساعة الثامنة من مساء ٧ أكتوبر صدر أمر قيادة العدو الى اللواء ١٩٠ مدرعات بالتحرك من بير سبع على الطريق الساحلى .. على أن يلحق به جزء من اللواء متمركز من قبل . فى العريش.

وكانت المهمة هى تدمير القوات المصرية فى الفردان .. ثم العبور الى الضفة الغربية ــ كما عرف بعد ذلك ..

وبدأت مدرعات العدو تظهر فى الساعة ١١ من صباح ٨ أكتوبر

ظهرت سرية من ١٠ دبابات هاجمت الجانب الايسر من قوات الفرقة الثانية .. وتم تدميرها بالكامل .. واستشهد فى هذه المعركة العقيد فطين ... الذى منح نجمة سيناء ..

ثم هاجمت سرية ثانية . دمرنا منها ٦ دبابات ..

ثم هاجمت سرية ثالثة ..

وكان هذا يعنى أن هذه الهجمات المتتالية فى ثلاثة مواقع من الجانب الايسر لقواتنا .. تعنى أن وراء هذه الهجمات شيئا كبيرا .. وخطة ..

وطلب العميد حسن أبو سعدة قائد الفرقة الثانية ، من دوريات الاستطلاع ، أن تبحث عما يختفى وراء هذه القوات المدرعة التى هاجمت ثلاث مرات ..

وكانت نتيجة الاستطلاع أن قوات مدرعة بأعداد كبيرة..على مسافة من ١٠ الى ١٥ كيلومترا من مواقعنا فى طريق العريش ..

وقدرت دوريات الاستطلاع عدد دبابات العدو من ٧٠ الى ٨٠

دبابة .. وأن موتوراتها ، دائرة.. وتقف متأهبة .. وأن مدافعها في اتجاه الفردان .. أى فى اتجاه قوات الفرقة الثانية ..

وتتابعت تقارير الاستطلاع ، بما يؤكد أن معركة كبيرة تقترب.

ثم التقطنا اشارة لاسلكى تعطى بلاغا من قائد هـــذه القوات المستعدة أنه سيبدأ هجوما بعد عشرين دقيقة وبأقصى سرعة ..

كانت الاشارة باللغة العبرية طبعا .. وترجمت وارسلت للقائد المصرى .. واستغرق هذا حوالى ١٠ دقائق .. ومعنى ذلك انه لم يتبق أمامه الا ١٠ دقائق للتصرف ، فى كيفية مواجهة الهجوم .

وقواتنا على مسافة ٥ كيلو مترات من القناة . وهى التى تشكل راس الكوبرى ، عند نقطة العبور ..

وكان السؤال امام القائد المصرى ..

هل يصد القوات المهاجمة عند حد قواته الامامى .. ومعنى ذلك أن تتجمع قواته ومدرعاته على الفور عنـــد الحد الامامى لصد الهجوم ..

أم أن يترك القوات المهاجمة تتقدم .. وتدور المعركة فى الداخل؟

وكان يجب أن يتخذ القرار على مسئوليته .

ولا يكفى أن يصد القوات فقط .. لان الصد يمكن أن يوقف الهجوم بعض الوقت .. ثم يتابع العدو الهجوم للمرة الثانية..

وفكر القـــائد لحظات ..

ان اى معركة على حدود القوات ، لن تمنع العدو من الاختراق .. واذا ركز كل جهده وقواته على الحد الامامى .. فمن الممكن أن يتطور الموقف الى أسوأ .. بعد أن يخترق العدو ..

وكان الاهم أن يحدد القائد المصرى ، استنتاجا ، المكان الذى يستهدفه العدو بعد هذا الهجوم ..

كانت هناك نقطة للعدو فى الجانب الايسر ـ على خط بارليف ـ لاتزال تقاوم .. ولم تقع .. ولم تستسلم .

وكان من الطبيعى أن يهاجم العدو بالمدرعات ليصل الى هـذه النقطة .. ومنها يحاول العبور الى الضفة الغربية .

واستطاع القائد المصرى أن يحدد الخط الذى سيسير فيـه العدو فى هجومه ..

***

وكان هجوم العدو وبتشكيل دباباته على هيئة رأس سهم .. فى قوات متتابعة ..

وكان يؤمن هجومه .. بغارات طيران مستمرة ..

وأصدر القائد المصرى أمره الى قائد الكتيبةالواقعة علىحدود قواتنا ..

ـــ العدو سيخترق فى اتجاهك..دعه يمر .. قبلت الاختراق .. سيتم ضربه فى الداخل ..

وكان المشهد رهيبا .. أصوات المـــدرعات المخيفة .. زئير غارات الطيران .. زوبعة مريعة مفزعة من الرمال ..

وكان صعبا على قائد الكتيبة المصرية المقدم «الشهيد» ابراهيم زيدان .. أن يترك دبابات العدو تخترق بدون مقـاومة .. لانه كما يلقبونه أستاذ القتال المتلاحم فى المدرعات ..

ولكنه امتثالا لامر القائد .. نزل فى الحفر مع رجاله ..

وسارت دبابات العدو فوق الحفر ..

وفى الوقت نفسه كانت الكتيبة المصريةتضرب على جانبىطريق دبابات العدو بالطلقات حتى تأمن عدم تفرقها الى عدة طرق ..

وكانت مدرعات العدو تجرى بسرعة عالية جدا وهى ٤٠ كيلو مترا .. والسرعة العادية للمدرعات من ١٥ الى ٢٠ كيلو مترا..

ولكن العدو شاء أن يكون اختراقه سريعا ومفزعا ..

ان مدى مدفعية الدبابة يصل الى كيلو مترين .. ويجب أن تتدمر دبابته قبل أن تصل الى عمق رأس الكوبرى المتمركز ..

دخلت مدرعات العدو ٥٠٠ متر ..

واصلت التقدم ٥٠٠ متر أخرى ..

ثم بدأ اطلاق النار عليها من جميع الجهات .. من اليمين واليسار وأمامها .. وحتى كتيبة زيدان التى تركت دبابات العدو تخترق .. بدأت تضربها من الخلف .. وكانت هذه الخطة هى مصيدة الموت .

فوجئت قوة العدو انها فى كمين ((أرض قتـــل)) كما يقول العسكريون ..

كانوا يهاجمون باثنتين وسبعين دبابة ..

وكان ترتيب وقوف قواتنا انتظارا لتطويقهم ، بحيث تصوب أكثر من ٦ مدافع من أنواع مختلفة على كل دبابة ..

ولم يكن ليستطيع الانسحاب .. لان قوة ابراهيم زيدان .. تقدمت خلفه .. وكانت تضربه فى المؤخرة وعلى مسافة ٥٠ مترا! وبعض الجنود المصريين . هاجموا وهم جرحى .. وبعضـــهم هاجم ويده اليسرى مقطوعة !

وانتهت هذه المعركة الخيالية فى دقائق !

ان معركة لواء فى العلم العسكرى ، تستغرق من ساعتين الى ثلاث ساعات .. ولكن ما حدث .. كان حدثا فعلا !!

ولم يشأ القائد أن ينتظر لكى يتفقد المعركة ..

لقد أمر على الفور ، بمجرد احتراق دبابات العدو . وتعطلها .. وتدميرها .. بتطوير هجوم قواته الى الجانب الايمن ..

فاستولى على مركز قيادة العـدو فى « تبـة الشجرة » .. وهرب منه جنوده ..

ثم اندفع بقوات أخرى الى الموقع الذى كان لم يستسلم بعد .. وكان ينتظر وصول لواء المدرعات اليه .. وسقط هذا الموقع فى الساعة الرابعة مساء ، أى بعد أربع ساعات ..

اما قواته على جانبه الايسر الذى تم منه الاختراق .. فقـد تقدمت الى اليسار لتحسين أوضاعها ..

وبقيت دبابة للعدو لم تدمر .. وتحـاول الافلات من رأس الكوبرى ..

تصدت لها دبابة مصرية .. ضربتهـا مبـاشرة فى مقتـل .. تحت برجها مبـاشرة ..

قفز من دبابة العدو المحترقة أربعة .. جرواوسط الرمال .. واختبأوا فى حفرة انضم اليهم أربعة آخرون من عربة مدرعة للعدو وأصبحوا كلهم فى الحفرة الواحدة ..

دفعنا اليهم سيارة مجنزرة حتى لا يهربوا ..

طوقتهم ..

تقدم اليهم المقاتل فتحي نجيب ومعه عـدد من الجنود .. خرجوا من الحفرة .. رموا السلاح .. رفعوا الايدى ..

قال واحد منهم بلغة عربية ركيكة : أنا قائد اللواء الاسرائيلى .. عاوز أقابل القائد المصرى .

الملازم : اثبت هـذا ..

أخرج الطبنجة .. وبطاقة تحقيق شخصية ..

كان يرتدى حلة عسكرية بلا رتب عليها ..

وغمى وجهه . وأوثقت يداه من الخلف . طبقا لمعاهدة جنيف.

* * *

وتم الاتصال بالقائد المصرى .. العميد حسن أبو سعده ..

كان القائد منشغلا .. باكمال تطوير الهجوم ..

طلب ان يرسل اليه فى الصباح .

تم اللقاء . قال ان اسمه الكولونيل عساف ياجورى .

ـ وظيفتك ..

ـ قائد لواء مدرع ١٩٠ (قالها بالانجليزية) .

ـ أنت ضابط احتياطى ..

ـ نعم

ـ وما هو عملك المدنى ..

ـ مدير فندق فى تل أبيب .

* * *

وفى اليوم الثامن من أكتوبر أصدر الفريق أول احمد اسماعيل القائد العام ، هذا النداء .

نــــــداء

من القــائد العــام للقوات المسلحة

الى جميع افرع وتشكيلات القوات المسلحة

يسعدنى ان أبلغكم أن الفرقة الثانية المشاة . قد دمرت اللواء ۱۹۰ مدرع الاسرائيلى بالكامل صباح اليوم . وأسرت قائده العقيد عساف ياجورى ، وقد بلغ ما تم تدميره من قوات العدو المدرعة فى القطاع الاوسط صباح اليوم ۱٥۰ دبابة .

وانى باسمكم جميعا أحيى العميد أ.ح. حسن أبو سعده قائد الفرقة الثانية المشاة ، وضباطه وجنوده وأشد على يدهم فردا فــردا ..

كما أقدم شكرى لكم من رجال قواتنا المسلحة فى البر والبحر والجو ، على كل ما بذلوه ويبذلونه فى أداء واجبهم ..

ان عدركم اليوم قد عرف من هو الجندى المصرى ، ومن هو القائد المصرى ، عرف المقاتل المصرى الذى اتيحت له الظروف المتكافئه ليثبت قوته وقدرته وعزمه .

ان عدوكم اليوم فى ذهول من هذا النوع الجديد من جنود مصر

فعلى بركة الله .. تقدموا ايها الابطال .

وعلى بركة الله حققوا النصر لمصر .

فريق أول أحمد اسماعيل على

القــائد العــام للقوات المسلحة

* * *

ونعود الى الوراء مرة أخرى . الى السادس من اكتوبر الساعة السادسة والنصف من المساء ..

انتهت المهام الاولى المكلفة بها قواتنا فى الفرقة الثانية .. وهى

تدمير الاهداف القريبة .. محاصرة النقط القوية .. وقد تم الاستيلاء على نقطة منها . وتم عزل ٣ نقط وحصارها ..

ولم يتوقف القتال ..

بدأ لواء مدرعات العدو .. الرابض خلف مواقعه ويسمى لواء « المليز » الهجوم بأكثر من ٣٥ دبابة .. تتقدم بأصوات رهيبة .. وكشافاتها مضاءة ..

دباباتنا لم تصل بعد ..

أمر القائد ، بأن تهاجم هذه المدرعات بـ « أطقم » اقتناص الدبابات . وسألت محدثي .. ما معنى « أطقم » ..

قال ـ انها مجموعات من ٣ أو ٤ أفراد .. تقترب من الدبابة على بعد ..! متر وتضربها بصواريخ محمولة بالايدى ! .. وقد تدربوا على هذه العملية آلاف المرات خلال السنوات الماضية .

وكان هؤلاء المقاتلون يختارون بمواصفات خاصة .. حتى يكون التعاون بينهم كاملا ! ..

تقدمت مجموعات المشاه ..

ضربت كشافات الدبابات أولا .

دمر جزء منها ..

أطفأ العدو باقي كشافاته .. واعتمد على الاشعة تحت الحمراء .. وهى محدودة المدى .. تقدمت « الاطقم » نحوها ..

هاجمت بعدد كبير .. دمر منها ١٢ دبابة ..

حدث الارتباك . اختلطت الدبابات . فقدت اتجاهها . بعضها ضرب بعضه !

كانت هذه المعركة من اولى مفاجآت ضرب المدرعات .. بالمشاة .. بالنسبة للعدو .. الفكرة فيها بسيطة ..

مشهد الدبابة مخيف . حجم كبير . صوت مفزع . مجهـــزة بمدفعية . أبسط أسلوب للهجوم .. عليها .. ان تقترب منها جدا .. وتكون فى حماية من ضربها ((لكى تهاجم الفيل البد تحت ودنه)) كما يقول المثل العامى . وكان هذا المثل هو التطبيــق العلمى لحرب المشـــاة للدبابات .

انها عملية انتحارية .. تحتاج الى شجاعة . حســن رماية . لياقة بدنية .

وقد ساعد فى معركة لواء المليز .. ان احدى دباباته انفجرت وظلت مشتعلة طوال الليل .. ما سهل لرجالنـــــا مهمة الضرب بالصواريخ .

بعد الضربات الاولى ..

تقدمت كتيبة دبابات اخرى للعدو .. وهاجمت من اليمين .. ودخلت وسط قواتنا . لم يبق منها الا دبابة واحدة . كلها تدمر !! وهربت الدبابة الوحيدة .. وســـارت على غير هدى .. الى أن ضربت .. وتوقفت .

وتم أسر طاقمها .

وسط كل هذه النيران .. لم ينس القائد عروسه .. لم ينس انه استمتع بيوم واحد فقط من شهر العسل !..

وعندما أتيح الاتصال التليفونى من أرض المعركة .. كان أول صوت يسمعه هو صوتها !

كانت تبكى من الفــرح ..

وكان يضحك من الفرح ..

ان الزوجة لا تنتظر الآن عريسها .. انها تنتظر البطل !

وعاد البطل بعد وقف النار .. ورتبة اللواء على كتفيه !

الفصل الثامن

وحوش ونيران ودماء

● ● ● « القصــة الكاملة لمعــارك الدبابات الرهيبة التى لم تشهد مثلها الحــرب العالميــة الثانية . لم تهــدأ النيران الا لكى تتجدد أكثر التهابا . لم تصمت المدافع أبدا . كل الاسلحة اشتركت فى هذه المعارك الدموية الوحشية . الدبابات وجها لوجه . المقاتلون وجها لوجه . أروع قصص البطولة والاستشهاد . والمدرعات تحولت الى علب كبريت . الصــــواريخ تمــلأ الصحراء . انها قصة الرعب والموت » ● ● ●

ماذا لو لم تنجح خطة الخداع التى برعت فى كتمان كل الاسرار حتى الطلقة الاولى فى ساعة الصفر يوم ٦ أكتوبر ؟ ..

هذا السؤال كان موضع دراسة دقيقة مستفيضة من قيادات القوات المسلحة على مختلف المستويات .

كان المتوقع ، اذا انكشف السر ، أن يقوم العدو بما يسمى ضربة اجهاض . أن يسبق فى الهجوم . أن يقضى على كل الخطة .. أو على الاقل يعطلها وبخسائر فادحة من جانبنا .

ولكن هذا الاحتمال ، درس ، بأكثر مما درست تفصيلات خطة العبور وما تلاها من خطط . درس فى وقت أطول .. وبدخول الى كل الاحتمالات .

كان من الممكن أن يضرب العدو من مواقعه على الضفة الشرقية بنيران المدفعية ، وأن يهاجم بنيران الطيران ..

وكان من الممكن أيضا أن يقوم العدو بعملية عبور من الشرق الى الغرب .. ويهاجم قواتنا المستعدة فى الايام الاخيرة ، لتنفيذ مهامها فى ساعة الصفر ..

واذا نجح العدو ، فى ضربة اجهاض شاملة .. فقد كان هذا يعنى نكسة أخرى .. بل هزيمة أشد قسوة من هزيمة ٦٧ ويعلم الله متى كنا نستطيع أن نجمع قواتنا لحرب جديدة !

ولذلك درس هذا الاحتمال بعناية شديدة .. وضعت الخطة المضادة لضربة الاجهاض المتوقعة ..

كان التفكير المصرى .. ان العدو قد يوجه ضربة اجهاض جزئية اذا لم يسعفه الوقت ، وكان اكتشافه لنوايا الهجوم المصرى فى وقت متأخر . أو أن يوجه ضربة اجهاض كاملة .. اذا كان عنصر الزمن فى صالحه ، واكتشف نوايانا فى وقت مبكر . ووضعت الخطة المصرية المقابلة للاحتمالين ..

وتم التدريب على الخطة تدريبا قاسيا ،وصل الى أدق الجزئيات بما كثر مما تم التدريب على العبور والاقتحام ..

وكانت الايام الثلاثة الاخيرة قبل ساعة الصفر .. هى الايام الفاصلة . هل يسبق العدو بالضرب ؟ .. هذا هو السؤال الذى شغل ذهن كل قائد فى جيشنا على امتداد الجبهة .. وكانت كل العيون والآذان مفتوحة .. لاى تحرك مشبوه من العدو ..

وكانت خطواتنا المضادة لضربة الاجهاض،تتركز فى ثلاثة اجراءات

١ ــ ايقاف الضربة ..

٢ ــ تم تدميرها ..

٣ ــ ثم تنفيذ العبور الى الضفة الشرقية ..

ولم يسمح لى القادة الذين تحدثت اليهم ، بأكثر من هذه الخطوط العامة .

* * *

ومع ذلك .. وفى تقديرى .. ان أية ضربة اجهاض من العدو ، مهما نجحنا فى استصاصها كان سيكون لها أسوأ الآثار .. على الاقل فى ارتفاع خسائرنا قبل العبور .. وفى « الفركشة » التى كان يمكن ان تحدثها ، الضربة .. وفى تبريد الحماس المعنوى الملتهب الذى ملأ قلوب جنودنا ، وهم يعبرون بنجاح ، بنداء « الله أكبر » .. الذى كان يدوى بأقوى من أصوات الصواريخ ..

وقد ثبت فيما بعد ، ومن الوثائق العسكرية للعدو التى استولت عليها قواتنا ، ان العدو كانت له خطة اجهاض فعلا ..

* * *

لقد نجحت خطة الخداع المصرية . ولم يتأكد العدو من أن هجوما مصريا سيقع الا فى الساعة الرابعة من صباح ٦ أكتوبر . وعلى الرغم من ان المعلومات التى حصل عليها العدو ، هى أن الهجوم المصرى كان سيبدأ فى الساعة السادسة من المساء .. أى أنه كانت

أمامه ١٤ ساعة لتنفيذ خطة الاجهاض أو الاحباط .. فانه لم يتخذ قراره ..

وقيل بعد ذلك أن جولدا مائير رفضت اتخاذ القرار السياسي بالمبادرة بالهجوم ، بحجة أنها لا تستطيع أن تقنع العالم ، بعدالة الهجوم .. وأنها تفضل أن يهاجم العرب ، حتى تكسب التأييد الدولى ..

ولكن الحقيقة غير هذا . لان اسرائيل لم تكن يوما ، تهتم بالرأى العام العالمى اذا كانت تتصور أنها معرضة فعلا لخطر من هجوم مصرى .

لقد تراجعت اسرائيل عن خطة ضربة الاجهاض، لعدة أسباب.. أهمها انهم كانوا يتصورون ، حتى بعد تأكدهم من معلومات الهجوم أن مصر ستخسر المعركة فيما لا يزيد على اليومين .. وأن اسرائيل ستتمكن من الابادة الشاملة للقوات المصرية .. فلماذا تبدأ اسرائيل بهجوم ، وهى واثقة من الانتصار المكتسح السريع ؟ ..

وقد ثبت فيما بعد ، مما أذاعته اسرائيل ، ان موشى ديان وزير الدفاع ، رفض أيضا ضربة الاجهاض . وعندما بدأ الهجوم المصرى ،

قال تصريحه المشهور ، الذى يعنى أنه سيمسح القوات المصرية من الوجـــود ..

وكانت لدى ديان أسباب عسكرية فنية أخرى ..

فلم يكن متيسرا أن يقوم بضربة الاجهاض أو الاحبـــاط ، على اتساع كافة خط المواجهة .. واذا فعل ، فستكون الضربة ضعيفة .. ولو كانت المعلومات عن الهجوم المصرى ، قد تأكدت لديهم قبل ثلاثة أو أربعة أيام .. لكان يمكن أن يكون الوضع مختلفا ..

* * *

قال لى اللواء عبد رب النبى حافظ (سكرتير عام وزارة الحربية الآن) قائد الفرقة ١٦ التى كانت مكلفة بأشق مهام القتال فى خطة ٦ اكتوبر .. فقد كانت مسئولة عن التقدم فى القطاع الاوسط للجبهة ،

المتجه الى انعوجة والقسيمة .. وكان القائد الاسرائيلى الذى يواجهه هو اريل شارون الذى تسلم القيادة بعد أن استدعوه من مزارعه فى بير سبع ، وقطع ٢٢٠ كيلو مترا حتى وصل الى مقر قيادته فى الطاسة ..

قال لى اللواء عبد ربه (هكذا ينادونه) :

ـ لقد وضعنا توقيتات عديدة لاحتمالات ضربة الاحباط من العدو .. وخاصة فى الايام الثلاثة الاخيرة .. وقبل كل توقيت ، كنا نستعد بكل أعصابنا وقواتنا .. لتنفيذ الخطة المضادة . حتى جاءت الساعة السادسة من صباح يوم ٦ أكتوبر .. ولم يهاجم العدو . فلم تبق أمامه الا فرصة واحدة .. كان تقديرنا أن تكون الساعة العاشرة من الصباح .. وتجاوز عقرب الساعة رقم ١٠ .. فامتلأ قلبى بالتفاؤل . ليس أمام العدو فرصة أخرى .. ومن هنا تركت موقع قيادتى .. ومررت على القوات .. وأطمأننت الى أن كل شيء معد تماما لساعة الصفر ..

القوات فى أوضاع الهجوم .. بعد أن تمت اعادة تجميعها ، فى المواقع التى ستثب منها الى مهامها .. كل معدات العبور فى مرابضها .. كل قيادة صغيرة تعرف مهامها بدقيقة ..

ان خط المواجهة فى هذا القطاع الاوسط يمتد ٤٠ كيلو مترا ، من منتصف بحيرة التمساح شمالا ، الى منتصف البحيرات المرة جنوبا . العدو على الضفة الشرقية له نقطتان فى الدفرسوار ونقطة ثالثة فى تل سلام على البحيرات المرة ، تؤمن نقطتى الدفرسوار . ومركز قيادة العدو المجهز فى منطقة الطالية (تم الاستيلاء عليه مساء ٨ أكتوبر) ..

التخطيط هو التقدم .. والتعاون مع الفرقة الثانية شمال الاسماعيلية ، لتشكيل رأس شاطيء للجيش الثانى ..

هجمات العدو متوقعة . الدراسات الدقيقة لتوزيع قوة العدو ، وخطوط احتياطيه ، أوحت باحتمالات هجماته التى وصلت فى المعركة الى ١٨ هجمة دموية . عمليات الاستطلاع التى استمرت سنوات ، أعطت صورة دقيقة شاملة ، لمسرح العمليات أمامنا .

الاستطلاع بالنظر من الابراج . تقارير عملائنا وسط صفوف العدو التصوير الجوى. حتى أننا وضعنا « ماكيتات » لحصون العدو من الخارج والداخل .. وكأننا كنا نعيش بداخلها !

* * *

وأرجو أن أتمكن من تسجيل معارك القطاع الاوسط .. يوما بيوم .. كما سمعتها من قادة هذه المعارك ، حتى يعيش القارىء معارك الدبابات الكبرى ، التى كانت أضخم بكثير من أكبر معارك الدبابات فى الحرب العالمية الثانية .. ولم يكن موشى ديان ليتوقع أن تصل هذه المعارك ، الى هذه الدرجة من الضراوة والدموية عندما وعد بسحق عظام المصريين . فقد عاد فى رابع أيام القتال ليقول ان معارك بهذه الدموية وبهذه الخسائر الفادحة لا يمكن أن تستمر طويلا . وهذا حق فقد اشترك فيها من الجانبين أكثر من ألف وخمسمائة مدرعة .. وكان القتال يجرى فى كثير من الاحيان مواجهة بين عشرات المدرعات التى لا يفصل بينها أكثر من مائةمتر! .. ويسجل التاريخ بالفخار للجندى المصرى ، أنه لم توجد دبابة مصرية محترقة على أرض المعارك ، الا وكانت فوهة مدفعها (الماسورة) فى مواجهة العدو .. وقد رأى شهود العيان ، دبابات اسرائيل المحترقة ، وعدد كبير منها متجه الى الشرق تسللا من رهبة المعركة ..

وكاتب هذه السطور من هؤلاء الشهود .

٦ أكتوبر ١٩٧٣ :

حانت ساعة الصفر . العميد عبد رب النبى فى موقع الملاحظة على الضفة الغربية الذى يبعد ٩٠٠ متر فقط من الشاطىء ، وفى مكان مرتفع يرى منه كل شىء . الساعة الثانية ودقيقتان .. انطلقت الطائرات المصرية على ارتفاع منخفض جدا ، وكأنها زاحفة فوق الرؤوس .. (على ارتفاع ١٥ مترا) .. اتجهت الى جميع مواقع مطارات العدو ومراكزه المؤثرة ..

شعور شامل بالارتياح والامل ..

بدأ التاريخ يكتب أول سطور الملحمة ..

القوات الامامية للعدو أذهلتها المفاجأة . لم تفتح نيرانها ! سمعنا أصوات اشتباك الطيران فى العمق .. أول بشرى لنجاح أول ضربات الخطة .

الساعة الثانية و ٥ دقائق . المدفعية المصرية تصب نيران جهنم على امتداد الجبهة . بطاريات مدافع العدو بدأت التدخل . أسكتناها .

الساعة الثانية و ٢٠ دقيقة عادت الطائرات المصرية ..

التهب الحماس ..

أطقم اقتناص الدبابات تنزل الى الماء .. بدأ العبور . صرخة الايمان المدوية « الله أكبر » تهز الاجواء .

الموجات تتدفق . العدو يتدخل بالمدفعية . اسكتناها . الطيران الاسرائيلى لم يظهر بعد . معابر الاقتحام يتم تركيبها . معابر الناقلات البرمائية تظهر على الشاطىء ، وتمتد سريعا الى وسط الماء . المعديات يحملها مئات الرجال . قطع الكبارى تظهر من مكامنها .. المهندسون الابطال يتحركون بأسرع من الطلقات .

عالم جديد .. ولد فى لحظات .. ولا دقيقة للضياع . الكل يعرف واجبه .. الكل يعرف أنه معرض للضرب بكل أنواع الصواريخ . لا شىء يهم . المهم فقط أن نعبر . هذا هو اقتحام الموت كما لا يستطيع أن يسجله خيال الكتاب . مصر تبدأ الميلاد الجديد .

عشرات من الرجال يصلون الى الشاطىء الآخر . اصبحوا مئات . أصبحوا آلافا . أعلام مصرية ترفع . رجال يبكون . الكل يقبل التراب والرمال والطين . لا تهمه طلقات الرصاص حوله أو أمامه . كأنها ناموسة بجوار أذنه . الكل يؤدى مهامه . ويأخذ مواقعه . جنود مشاة بأسلحة خفيفة وصواريخ الكتف قاتلة الدبابات

الساعة الخامسة . فرقة المشاة كلها على الشاطىء الآخر . وكتيبة برمائية عبرت من منتصف بحيرة التمساح . وكانت هذه هى المفاجأة . ان هذه البحيرة مشطوب عليها من العسكريين فى أية

خطة . الماء ضحل . ولا يصلح لاى عبور . ولكننا أخذنا المواقع والاساليب التى لا يتوقعها العدو . استفدنا تماما من الدورس السابقة ..

وكان قائد الفرقة قد عبر .

وهذا هو المبدأ الذى التزمت به ملحمة ٦ أكتوبر . القائد فى الصف الامامى وسط الجنود يدير المعركة معتمدا على الرؤية الشخصية فى قلب اللهيب والنار . وقد نتج عن هذا نسبة خسائر كبيرة فى القيادات . ولكنها سطور فخار .

استولى الجنود على المصاطب الترابية فى الشرق .. تسلقوا بأسرع من لمح البصر .. القائد فى موقع قيادته الجديد ..

الاقتحام الاول بدأ بعد ٤٥ دقيقة من العبور .

المشاة المصريون أمام دبابات العدو التى بدأت تهاجم من الجانبين بالاحتياطى القريب . اشارات عديدة تصل الى القائد . « ظهرت دبابات اننى قادر على تدميرها » .. الاجابة على الفور « تصدق . دمرها » .. فشلت الهجمات المضادة . القائد يصدر أوامر التقدم شرقا لتنفيذ المهمة الثانية . الكل يجب أن يكون فى موقعه على الخط الجديد على أبعاد تتراوح بين ٤ و ٦ كيلو مترات شرقا . الكل يستعد الضرب انتظارا لوصول مدرعات العدو .

هذه أحرج الاوقات .

الوقت المحدد لعبور الدبابات ووصولها الى المواقع الشرقية هو التاسعة مساء و ٢٠ دقيقة . على أحسن تقدير .

المشاة ستظل وحدها تقاوم هجمات المدرعات .

ماذا لو نجحت هجمات العدو ، قبل أن تعبر الدبابات ؟ ستستطيع دبابات العدو أن تصل الى الشاطىء . ستوجه نيرانها على المعابر والكبارى وتعوق العبور . لقد دمرنا الاحتياطى الاول . بقى أمامنا الاحتياطى الثانى من مدرعات العدو . لحظات فاصلة . سنقاتل بشراسه مهما كلفنا الامر . هذه هى الحماية الحقيقية للعبور .. بل لكسب المعركة كلها .. قد قدرنا أن تنجح هذه المفاجأة التكتيكيه . وهى تواجد تسليح مدرب على الضفة الشرقية ، فى

توقيت لا يتوقعه العدو .. وفى أمكنة تفاجىء هجماته المضادة .. كان المكان الذى تم منه العبور مفاجأ . استخدام البرمائيات (عربات مدرعة برمائية ذات تسليح خاص) .. كان مفاجأة ..

الانتشار السريع فى أماكن تتجاوز مواقع العدو الحصينة .. كان مفاجأة أخرى . المشاة تواجه المدرعات .. مفاجأة رابعة . حدث الارتباك العظيم .

ولكن هذا لا يمنع ان عبور الدبابات كان هو المقياس الفاصل للنجاح ..

القائد يواجه موقفا رهيبا . قواته من المشاة فى الشرق .. وأسلحته فى الغرب .. وبينهما القناة ! .. أى اختلال فى التوقيت يهدم الخطة كلها .

وبدأت الدبابة الاولى تعبر فى الساعة التاسعة و ٢٠ دقيقة من المساء .

كان صوتها المزعج .. هو أحلى أغنية سمعها القائد !

ولكن كل ما حضر له منذ ٦ سنوات ، وبتدريبات يومية تعرض أيضا للمفاجآت ! .

العبور لم يكن نزهة . طائرات العدو تغير . مدفعيته تضرب . ضوء القمر النصفى لا يسعف . قذائف الانوار تنطلق ولكن للحظات خاطفة .

دبابتان برمائيتان غرقتا فى الماء . ليس هذا أمرا سهلا. الكوبرى الاول تعطل . المرساة لم تكن مضبوطة تماما . غرست دبابة عند وصولها . وراءها مئات الدبابات واقفة. ضربةمن العدو من الممكن أن تحطم العبور كله . ونش يجب أن يصل الى الضفة الشرقية . ينتشل الدبابة . المهندسون الابطال يصلحون مرساة الكوبرى . الدبابات الواقفة تتقدم. الدقيقة لها ثمن،هو الانتصار أو الانكسار الكوبرى الثانى ضرب . لابد من ابدال الوصلة من احتياطى قطع الكبارى المخبأعلى الشاطىء . اقتضى الامربعد ذلك تحويل الدبابات كلها الى كوبرى واحد . والفاصل بين الكوبرى رقم ١ والكوبرى رقم ٢ يزيد على ٥ كيلو مترات !

ان تحويل المرور من كوبرى الزمالك الى كوبرى قصر النيل ، يربك شوارع القاهرة كلها . فلتتصور تحويل عبور الدبابات من كوبرى الى كوبرى .. والنيران تغطى السماء ! .. والقائد فى الشرق يستعد لتطوير الهجوم .. ليواجه هجوما اسرائيليا مضادا ولكن المراسلين الاجانب شهدوا بأن مرور العبور بالدبابات كان أكثر تنظيما من مرور السيارات فى القاهرة ! ..

القوات تتدفق . كل وحدة لها نور خاص ملون حتى تعرف مواقعها . ولها دليل يقودها الى الموقع . ومن الممكن أن نتخيل الصورة فى الظلام .. والعابرون وصلوا فى النهاية الى أكثر من ٥٠ الف مقاتل فى الجيش الثانى فقط وحتى صباح ٧ أكتوبر ، وعلى اتساع هذه الجبهة العريضة .. وبمختلف الاسلحة التى تعرفها الحروب الحديثة .. وبكل الاجهزة الدقيقة ! العدو يزداد ارتباكه. العدو يطلق النيران فى كل اتجاه .. تاهت دبابتان للعدو وسط قواتنا . وجدناهما على الطريق . تم تدميرهما على الفور . تراشق النيران مستمر . العبور البالغ السرعة أفقد العدو القدرة على القيام برد فعل . لا هجوم الليلة على مواقع بارليف القوية . المهم محاصرتها واسكات نيرانها ، لمنعها من الانسحاب . . ولحجب وصول أى امدادات اليها . كل الجهود الرئيسية مركزة الآن فى مواجهة الخطر الكبير من الهجمات المضادة المتوقعة من احتياطيات العدو فى العمق ..

أول هجمة مضادة فى العاشرة من المساء من احتياطى العدو .

تم تدمير الهجوم .

نقط الملاحظة تتقدم. التصنت على الاصوات. استراق اشارات العدو اللاسلكية .. المعلومات تتجمع .. القائد مع مجموعة القيادة ، يستعد للمعارك المقبلة .

الحرب فى ليلتها الاولى لاتعرف النوم !

٧ أكتوبر :

القائد منذ الفجر يتفقد كل مواقع القوات . الاوامر مستمرة لتعديل المواقع ، وحل المشكلات المفاجئة . عبور الدبابات مستمر العدو يبدأ هجوما كبيرا فى الثامنة والنصف صباحا فى الجانب

الايمن للقوات من اتجاه حبيطة . قوه الهجوم ٥٠ دبابة ووحدة مشاة ميكانيكية ، أمكن صدها وتحقق تدمير ٢٠ دبابة . المعركة على بعد ٣ كيلو مترات فقط من مركز القيادة . مسرح العمليات أمامه يراقبه ويوجهه بالعين المجردة . المعركة دائرة وطيران العدو يركز ضرباته منذ أول ضوء على جميع مناطق العبور . حائط الصواريخ فى الضفة الغربية يؤدى مهمته بنجاح ساحق . قوات من الدفاع الجوى كانت قد انتقلت شرق القناة . المعارك بكل أنواع الاسلحة . القوات الجوية تنطلق فى طلعات اعتراض . الملاحظ اننا تمكنا من كسر موجات هجمات العدو بالطيران . كانت على ارتفاع منخفض . كل موجة من ٨ طائرات الى ١٢ طائرة . وكل مجموعة ٤ طائرات . الاخبار سارة . الضرب على المعابر غير مؤثر بسبب كفاءة الدفاع الجوى . الغرور الاسرائيلى هيأ لهم أنهم قادرون ، على ما فشلت فيه قوات الطيران الامريكى فى فيتنام . (قالت البعثة العسكرية الامريكية التى جاءت الى المنطقة لدراسة حرب أكتوبر ، ان اسرائيل لم تأخذ العبرة من درس فيتنام) .. كل هذه الطلعات لم تحدث اصابة مباشرة الا فى كوبرى واحد . صاروخ أصاب أحد البراطيم . فك البرطوم .. أبدل بآخر من الاحتياطى المجهز على الشاطىء الغربى ..

هجوم ثان من العدو بالمدرعات عند الظهر . من نفس قطاع الهجوم الاول . قوة الهجوم ٥٠ دبابة . دمرنا ١٥ . تراجع العدو. استمرت المعركة أكثر من ساعتين .

قواتنا مستمرة فى التقدم . الهدف الوصول الى منطقة « الطالية » وتطويقها . التعبير العسكرى أن الطالية . تبة متحكمة بسبب ارتفاعها — ٣٤ مترا — تسيطر على الارض حتى القنال . كانت هذه هى المهمة الاولى ابتداء من بعد العبور مباشرة .

أمكن تحقيق الجزء الاكبر من المهمة ..

لابد بعد ذلك من السيطرة على ثلاثة مواقع تحيط بالطالية .

* أبو طربوش .. وارتفاعها ١٠٩ أمتار .

* الخيل .. وارتفاعها ١٢٣ مترا ..
* أبو وقفة . وارتفاعها ١٠٣ أمتار .
* بير حبيطة .. وارتفاعها ٨٧ مترا ..

على يسارنا .. قوات الفرقة الثانية من الجيش الثانى ..

هنـــاك فاصـــل ..

التقدم يعنى أيضا الالتحام مع قوات الفرقة الثانية وتكوين رأس كوبرى موحد .. اسمه العسكرى .. رأس كوبرى جيش ..

استمر الليل هادئا من المعارك حتى الصباح .

تراشقات بسيطة بالنيران .

العدو يستعد لهجوم جـديد .

قواتنا تستعد للتقدم ومواجهة الهجوم .

الساعة الثالثة صباحا . من حق القـائد أن يستريح سـاعة واحـدة فقط .

٨ أكتوبر :

العدو يهاجم الجانب الأيسر للقوات مرة ثانية ، فى الثامنة صباحا نفس الاتجـــاه .

بدأ الهجوم بـ ٥٠ دبابة . لم ينجح .

العـدو يعاود الهجوم .. فى نفس الاتجاه فى السـاعة العاشرة والنصف صباحا . قوة الهجوم ٥٠ دبابة .

المعركة تستمر ثلاثة ساعات ..

. . . .

قواتنا تستغل هذا النجاح ، لتحقيق المهمة النهائية . الاستيلاء على مواقع الخيل ، وأبو طربوش ، وأبو وقفه .

أوامر اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى بتطوير الهجوم وذلك بالتعاون مع الفرقة الثانية وفى نفس الوقت !..

القوات تتقدم فى ثلاثة اتجاهات كما تتقدم الفرقة الثانية من ثلاثة اتجاهات أخرى .

. . . .

الساعة الرابعة مساء . العدو يعاود الهجوم على يسار قواتنا ، لكى يمنع الاتصال مع قوات الفرقة الثانية . الهجوم بالغ العنف هذه المرة .

عند آخر ضوء .. أمكن التحام قوات الفرقتين . تم انشاء رأس كوبرى الجيش الثانى . تجهيز المواقع الجديدة . القادة يتبادلون التهانى . تم اخلاء الجرحى .. والشهداء . اصلاح الدبابات التى أصيبت ولا تزال قابلة للعمل . حفر الخنادق طوال الليل . مشاورات بين قادة مختلف الاسلحة لتعديل المواقع . وحدات الاستطلاع تقدم المعلومات . اشارات من القيادة فى القاهرة بما التقط من اتصالات العدو .

استخدام العدو حوالى ١٥٠ دبابة . تركيز متتابع على الجنب الايسر . قائد لواء اليسار العقيد عادل يسرى يدير المعركة من الحد الامامى .. القائد البطل يصاب فى ساقه اليسرى بطلقة دبابة . الاصابة شديدة . الدم ينهمر . القائد يرفض أن تقدم له معونة من أى فرد ، بعد أن فشل رباط الميدان فى وقف النزيف . المقاتل الشامخ يغفل الجرح برمال سيناء ! .. لم يكن مجرد جرح .. لقد فقد ساقه بأكملها . طارت الساق من عنف الاصابة . استمر يقاوم نزيف بساق واحدة .. وهو يصدر امرا لا يقبل المناقشة .. « استمروا فى القتال » . القذائف تدوى . زوابع الرمال تغطى المكان كله . صرخات انتصار . وصرخات موت .. صرخات حياة .. وصرخات هزائم .. دبابات تحترق . أحياء يتحولون الى فحم فى دقائق . القتال لا يتوقف وأخيرا وبعد أكثر من أربع ساعات .. قدر العدو أن تقدمه مستحيل . بدأ يتراجع .. قائد اللواء البطل العقيد عادل سليمان يسرى ، لا يزال يتابع المعركة بساق واحدة .. رمال سيناء لم تقو على اندفاع الدم . كان دمه متعطشا الى مزيد من الرمال .. لواءه يسجل الانتصار . والعدو يتقهقر . وامتزجت دموع الالم من عيون رجاله بدموع الانتصار ..

لحظات عجيبة . النقيض يمتزج بالنقيض .. الحياة والموت . الالم والفرحة .

ولكن الحرب يجب ان تستمر !

تم اخلاء العقيد البطل الى المستشفى حيث أسعف بالعلاج .

العميدعبد رب النبى يتلقى النبأ القاسى باصابة البطل .

ما أقسى مهمة القائد

لا وقت حتى للألم .

لابد من الاعداد السريع لاستكمال المهمة ..

ولكن القائد انسان . جاء اليه من روى قصة الجريح البطل . ابلغ قيادة الجيش الثانى باشارة عاجلة . فى نفس اللحظات يتلقى اشارة مفرحة . قائد اللواء المكلف بمهاجمة نقطتى الدفرسوار انجز مهمته . أتم هجومه من اجناب الموقعين الحصينين .. ومن الخلف . الاشارة تقول « تم الاستيلاء على النقطتين القويتين بالدفرسوار . تم أسر ٣٧ من قوات العدو »

***

الرد العاجل : (الف مبروك . أرجو أن يتم التمسك بهذه النقط والا يسمح للعدو باستردادها مهما كانت الاسباب . رحلوا الاسرى الى الخلف) ..

يتبين بعد ذلك أن اثنين من الاسرى من قوات البوليس الدولى. قصف المدفعية حول كشك البوليس الدولى الى قطعة من النار كما قالا بعد ذلك . أضطرا الى الاحتماء داخل ملاجىء الحصن . شاهدا قتالا مرعبا . الفاصل بين القوتين لم يزد عن ٦٠٠ متر فقط ! ..

كان العميد عبد رب النبى يتمنى أن يرى هذا الطابور الطويل من الاسرى . ولكن لا وقت أيضا ، حتى للاستمتاع برؤية أسرى الجيش الذى كان يتصور انه لا يقهر ..

انها الحرب التى تؤجل كل العواطف ..

كل ما يمضى يدخل التاريخ ..

واللحظة الجديدة استعداد لكتابة تاريخ جديد .

وطوى سجل الحرب صفحات هذا اليوم ..

واشرق فجر جديد ..

٩ أكتـــوبر :

القائد يقول ان العدو حتى الان لم يقم بالهجمات الحاســـمة النهائية .. أن محاولته منع الالتحام مع الفرقة الثانية كانت أول مؤشر لضرباته القوية المقبلة . طوال ليلة الامس ، الاستعداد لهذه الضربة . المعلومات انه حشد اللواء ٦٠٠ مدرع بالاضافة الى القوا تالموجودة أصلا لديه .

فى التاسعة صباحا بدأ الهجوم بحوالى ١٥٠ دبابة ..

الاستطلاع يقول ان هجوم العدو على مدى المواجهة كلها .. صفوف من المدرعات تظهر على شكل نصف دائرة .

القائد يقدر الموقف سريعا ..

ليس هدف العدو هذا الهجوم المواجه . ليست هـــذه كل قواته . الهدف هو أن يشغل قوات المواجهة ، حتى يختار نقطة ضعف يخترق منها بقوة وسرعة وبأعـــداد ضخمة لا تزال فى الخلف وبذلك يشطر قطاع الفرقة الى شطرين .. ومن ثم يستطيع النفاذ والوصول الى شاطىء القناة ..

ولهذا احتفظ القائد بجميع الاحتياطيات فى الخلف وعلىالاجناب حتى يتبين اتجاه الضربة الرئيسية للعدو ..

فى التاسعة والنصف .. اندفع العدو الى منتصف التشكيل بقوة اللواء المدرع ٦٠٠ بالكامل .

احتياطينا المدرع والمضاد للدبابات يدخل بهجمة مضادة عنيفة.

القتال لا يتوقف .

العدو يحاول شغل الاجناب .. ويعود الى الاقتحام .. من الوسط . قواتنا تتصدى ببسالة خارقة .. المواجهة بين الدبابات لا تزيد على مائة متر !

قناصة الدبابات يقومون بأعمال خرافية ! ..

الاقتراب الى بضعة امتار من الدبابة المهاجمة لا يخيفهم ..

مجموعة منهم دمرت ٢٤ دبابة ، على التوالى .

العدو يرتد .. ولكنه يعاود التقدم ..

محاولات مستميتة من الاسرائيليين لنقل جرحاهم . .

الدبابات تحترف كأنها من خشب .. بل من ورق ..

المشهد مريع .. المواجهة واسعة .. موقع الطالية مرتفع تستطيع أن ترى منه الدبابات المنتشرة تواجه بعضها .. وكأنها علب كبريت صغيرة سوداء .. النار تشتعل كأنها عود كبريت. التلسكوب يقرب المشهد .. أبشع مجازر الحرب . لا رحمة .. لا هوادة . كر وفر والتفاف . كل فنون قتال المدرعات على مسرح العملية الرهيبة . المدفعية تزمجر من الجانبين . اشتباك الطيران لا يتوقف . الصواريخ تملأ الفضاء . دخان ووهج وأتربة ودماء ..

مشهد التاريخ يستمر سبع ساعات كاملة حتى الرابعة والنصف !..

لقد زرت هذه المنطقة بعد المعركة .

كنت أتمنى أن تبقى كل آثار المعركة فى موضعها .. لتزورها الاجيال . بقيت بعض الآثار . ولكن كثيرا من الدبابات المحترقة قد رفعت بالاوناش ونقلت لتستخدم كحديد خردة ! ..

قائد الجيش الثانى اللواء سعد مأمون يتابع المعركة دقيقة بدقيقة ويعاون الفرقة بامكانيات عديدة .

الساعة السابعة مساء .. القائد العام الفريق أول احمد اسماعيل يرسل برقية مكتوبة الى العميد عبد رب النبى حافظ

يشيد فيها بموقف الفرقة البطولى فى صد وتدمـــير اللواء المدرع الاسرائيلى ٦٠٠ ويتمنى للقوات استمرار النصر .

العميد عبد رب النبى .. يأمر بابلاغ تهنئة القائد العام الى قادة اللواءات ومنهم الى الجنود ..

الروح المعنوية فى قمة ازدهارها .. فى الصباح التالى وصلت ١٠ نسخ من جريدة القوات المسلحة وفيها نص التهنئة . الجنود يتخاطفون هذه الاعداد القليلة . الاعداد العشرة تنتقل من يد الى يد ليقراها الالاف !

القائد يتابع اشاراته لقيادة الجيش الثانى بنتائج المعركة .. الارباح والخسائر . فقدنا اليوم بطلا كبيرا .

الشهيد العميد شفيق مترى سدراك قائد اللواء الاوسط .

كان فى سيارته المدرعة ، يدير المعركة الدفاعية ضـــد أقوى هجوم على رأس شاطىء الفرقة فى كثيب أبو طربوش .

كان فى الخط الامامى يواجه خطر الموت كل لحظة .

ارتد الهجوم .. ولكن طلقة دبابة أصابت سيارته .. فتحولت بمن فيها الى رماد فى لحظات !

١٠ أكتـــوبر :

يوم آخر مشهود .هجمات العدو لم تتوقف .

بدأت فى الخامسة صباحا . نفس الهدف . اختراق التشكيل من الوسط للوصول الى القناة .

الهجوم هـــذه المرة بأعـــداد أقل : سبعين دبابة بعد تمهيد المدفعية والطيران .

ولكن العدو لم ييأس ! ..

بدأ هجوما ثالثا على يمين التشكيل فى الخامسة من المساء .. وانتهى أيضا الى انسحابه .

الخسائر كبيرة من الجانبين فى العتاد والارواح .

كل هذه المعارك فى قمة الشراسة والضراوة . ان العدو الاسرائيلي عندما يقاتل باعداد كبيرة ، وبعد أن يؤمن نفسه بضرب، المدفعية وحماية الطيران ، فانه يقتحم المعركة بكل قواه .. ويستخدم كل فنون التكتيك .. ولا يهرب من المواجهة . هذه حقيقة يجب أن نسجلها .

العدو دائما يتجنب الخسائر الكبيرة .. هذه فلسفته القتالية .

وهو يحاول بالحيل العسكرية ، أن يختار منافذ الضعف ، ويجيد استغلالها . وهو يستخدم اسلوب الارباكفى اكثر من جهة باعداد قليلة ، ثم يقتحم بكل قواه .. وهو يقاتل الى آخر المدى ..

وهو فى اليومين الاخرين ، كان قد تمالك نفسه ، وتخلص من ارتباك مفاجأة العبور .. ونظم قياداته ..

وكان يريد أن يحقق هدفا واحدا .. الاختراق بأى ثمن للوصول الى شاطىء القناة .. ثم العبور الى الغرب ..

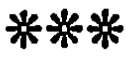
وحتى الان فشل فى تحقيق هذا الهدف .. وبخسائر ضخمة .

وسألت قائد الفرقة ١٦ :

ـ يقول ان العدو يقاتل بالاسلوب الغربى .. أى انه لا يعتمد على الكثافة .. ونحن نقاتل بالاسلوب الشرقى (السوفيتى) وهو الاعتماد على الكثافة العددية .. ومن هنا كانت خسائرنا فى معارك هذين اليومين كبيرة رغم اننا احتفظنا بمواقعنا ..

وأجاب :

ـ فى رأيى ان كلا الاسلوبين الغربى والشرقى .. هو قتال بأحدث الفنون العسكرية . ولكن المهم هو التصرف أثناء المعركة. ولا توجد قواعد جامدة نظرية تطبق على أرض المعركة . الموقف وتطوراته ومفاجآته .. كلها تتحكم فى الاسلوب سواء كان غربيا أو شرقيا . .



١١ أكتـــوبر :

هجمات العدو المضادة مستمرة .

التركيز على الجانب الايسر .

الهجمات لا تزال قوية .

١٢ أكتـــوبر :

ضعفت هجمات العدو .. وضح الارهاق .. كان ينتظر تجمع الاحتياطيات .. استولينا على النقطة القوية من خط بارليف في تل سلام .. رفع عليها العلم المصرى .

نجا العميد عبد رب النبى من الموت بأعجوبة ! .. كان يمر فى جولة تنظيمية على قواته ، فى سيارة جيب يقودها مساعده والى جواره ضابط العمليات وهو فى الخلف . كان على الخط الامامى فى كثيب أبو طربوش ، وهو فى طريق العودة الى الطالية .ضرب الطيران من العدو كان مركزا . رأوا فجأة غمامة سوداء متســعة نتيجة انفجار أمامهم . اضطر قائد الســـيارة (مساعده) أن ينحرف بها ، وبسرعة جدا ، ٩٠ درجة . أى أنه دار بسرعة على شكل زاوية قائمة . وانطلق بالســـيارة وزجاجها قد تهشم ، وضغط الانفجار كاد أن يقذف بالسيارة فى الهواء . توقفوا بعد أن انقشعت الغمامة . هى نتيجة انفجار دانة ألف رطل ! . . تضخم اطار العجلات من شدة الحرارة ، وتحول الى بالون !.. عادوا الى موقع الانفجار . تبين أن حفرة الانفجار كانت تبعد عن موقع انحراف سيارتهم بثمانية عشر مترا فقط ! .. لو كانوا قد تقدموا ثانية واحدة .. لتحولوا جميعا الى رماد ..

***

هذه هى المرة الثانية التى ينجو فيها من الموت بأعجوبة . . المرة الاولى كانت يوم العبور .. وبعد أن استقر فى موقع قيادته على الضفة الشرقية . انفجر صاروخ من العدو بالقرب من موقع القيادة وهو واقف على بعد ٦ امتار فقط ! ..



ومن قبل أستشهد قائد لواء وجرح قائد لواء آخر من الفرقة .. وما أروع تقديرنا لبطولة القادة عندما نعرف أن الفرقة مكونة من ثلاثة ألوية !

١٣ أكتوبر :

بدأ العدو يسحب قواته من الجانب الايسر . سحب النيران لاتزال تملأ الفضاء . استعدنا كفاءة التجهيز . المهندسون يبذلون جهدا رائعا فوق طاقة البشر . السيطرة من جديد على كافة المواصلات . استمر الحفاظ على رؤوس الشواطىء . تطوير الهجوم بالمدرعات . عناصر مدرعة جديدة تنضم الى التشكيل . احتياطيات جديدة للعدو تصل من جبهة سوريا . معارك تصادمية بالدبابات بدأت من السادسة والنصف صباحا .. لم يحقق العدو أهدافه .

اشارات عديدة متبادلة بين قيادة الجيش الثانى .. وقيادة الفرقه .

الدروس المستفادة من معارك الايام السابقة .

فى ٨ و ٩ و ١٠ أكتوبر خسائر العدو فادحة جدا فى المدرعات والارواح . بدأت بعد ذلك تظهر أسلحة جديدة . فى القطاع الشمالى استولينا على دبابتين دائرتين هرب منهما الافراد ، دون اصابة الدبابة .. عداد الدبابة كان متوقفا عند الكيلو ١٧٠ ! .. عرف أن الامدادات الامريكية تصل الى العريش .

١٤ أكتوبر :

صدرت أوامر القيادة العامة بتطوير الهجوم واكتساب مواقع جديدة .

العدو يتصدى بعنف . ظهرت أسلحة جديدة . الصاروخ الامريكى (تاو) ميزته أن ارضه الميتة قصيرة المدى . كل صاروخ عندما ينطلق ، لا يبدأ توجيهه بالسيطرة الا بعد مسافة .. هذه المسافة تسمى الارض الميتة . هذا الصاروخ يمتاز بأن السيطرة عليه وتوجيهه تبدأ بعد انطلاقه بمسافة قصيرة جدا . وهذا يضعف فرصة اصابته فى هذه المرحلة . كما أنه قادر على اصابة الهدف ليلا وبدقة .

ليس هذا هو السلاح الامريكى الجديد الوحيد الذى ظهـــر فى المعـــارك . .

لقد ظهرت فى المعارك التالية صواريخ (سمارت) . . و (مافريك) . . والنوع الثانى لم تستخدمه القوات المسلحة الامريكية الا فى سيناء ! . . وهو صاروخ جو ـ أرض وقد اعترف بذلك تقرير لجنة الكونجرس الامريكيـــة العسكرية ، التى زارت اسرائيل بعد الحرب . .

يقول التقرير الامريكى بما نصه : ((لقد تم ارسال صواريخ Tow بحرا الى اسرائيل قرب نهاية النزاع (هذا غير صحيح ، لان هذه الصواريخ استخدمت فى اليوم الخامس للقتال . وارسالها بالبحر يعنى أن تصل متأخرة جدا))) . .

ثم قال التقرير الامريكى ::: ((كان للصاروخ مافريك Mavrick . . وهو صاروخ جو ـ أرض زودنا به اسرائيل ، انطباع جيـــد للغاية خلال الحرب . (معنى هذا انه أرسل مبكرا) . فقـــد استخدمه الاسرائيليون بكفاية أثناء الحرب واعطى أحسن النتائج. وكانت أهدافه الدبابات ومخازن الوقود . ان المافريك يمكنـــه اختراق أكثر الدبابات المدرعة السوفيتية ثقلا وسمكا . وجدير بالذكر أن المصريين على علم تام بكفاءة وقدرات هذا الصاروخ ، وقد أشار الرئيس أنور السادات الى المافريك فى عدة مناسبات)) .

ثم يقول التقرير الامريكى : ((وقد أفرط الاسرائيليون فى الثناء على سرعة وكفاءة الامداد الجوى ، خاصة بالطائرات نوع C.S.A.

وقال الاسرائيليون ان الجسر الجوى الامريكى لاسرائيـــل ، ومجهودات الاحلال العسكرى ، كانت أكثر كفـــاءة من الجانب الآخـــر)) .

ويقول التقرير الامريكى : ((ان الدبابة السوفيتية ت ـ ٦٢ لفتت الانظار أثناء الحرب . وتعتبر واحدة من أحدث الاسلحة التى أعطيت للحرب . وعلى الرغم من انها ظهرت لاول مرة فى هذه الحرب الا ان انتاجها يرجع الى سنة ١٩٦١ ، وهى بلا شك اقل كفاءة من مثيلتها الامريكية)) .



هذا بعض ما جاء فى التقرير العسكرى الامريكى .. أشير اليه هنا فقط ، بمناسبة ظهور الاسلحة الامريكية الجديدة فى المعركة .. بعد أن واجه الجيش الاسرائيلى هزيمة كاملة ..

١٥ أكتوبر :

ليس أمام العدو الا ضربة انتقام كبرى مهما كانت النتائج .. لقد فشل العدو فى تدمير القوات المصرية بضربة احباط قبل العبور . وفشل فى تدميرها أثناء العبور . وفشل فى تدميرها فى المراحل الاولى للقتال قبل وصول الدبابات الى الضفة الشرقية . وفشل فى تدميرها بضربات مضادة قوية بعد نجاحنا فى تكوين رؤوس الشواطىء وتعزيزها .

فكر العدو فى حشد ضخم بعد وصول الاسلحة الامريكية . يحاول به العبور الى الضفة الشرقية مهما كانت الخسائر .

الجهود الدولية مكثفة لمحاولات وقف النار . أمريكا تطالب موسكو بالحاح عنيف أن تتوسط لدى مصر . الاتحاد السوفيتى يبذل ضغطا كبيرا متصلا لوقف النار . تل أبيب على علم بكل هذه الجهود . أنها تريد أى كسب قبل وقف النار حتى تكون فى موقف يسمح لها بأن ترفع رأسها قليلا . بدأ الشعب الاسرائيلى فى الداخل يدرك فداحة الخسائر . الموقف السياسى يتطلب تقدما عسكريا بأى ثمن .

بدأ ضغط عنيف من قوات العدو بعد آخر ضوء . الضغط مركز على الجانب الايمن للفرقة فى الدفرسوار عند التقاء القناة بالبحيرات المرة . هاجم العدو بمائة دبابة . لم يتمكن من الاختراق .. خسائر كبيرة .. خسائر العدو بالغة الضخامة . القتال وصل الى اقصى درجات العنف والضراوة .

١٦ أكتوبر :

التقطنا برقية أرسلها قائد اللواء المدرع الإسرائيلى الى القيادة .. أنه يطلب الغاء العملية أو على الاقل تأجيلها .. الخسائر فادحة جدا .. الرد يقول من القيادة .. تمسك بمواقعك .. سيصلك امداد كبير .. احتياطيات ضخمة للعدو تتقدم .

التركيز فى نفس الاتجاه الجانب الايمن عند التقاء القناة بالبحيرات المرة .. الهجوم هـــذه المرة بثـــلاثة ألوية مدرعة .. حـــوالى ٣٥٠ دبابة ..

استمرت المعركة الرهيبة طوال الليل (١) .

قاتلت قواتنا أمام الاسلحة الامريكية الجديدة قتالا أسطوريا .. القتالَ لم يهدأ دقيقة واحدة . المواجهة دموية .. دمرنا للعدو ١٠٠ دبابة . خسائرنا كبـــيرة ولكن المقـــاومة مستمرة وبحماسة بالغـــة (٢) .

---

(١) أعلن جيمس شليزنجر وزير الدفاع الامريكى أمام احدى لجان مجلس الشيوخ الامريكى أن الولايات المتحدة ارسلت ٧٠٠ دبابة لاسرائيل لتعويضها عما فقدته فى حـــرب اكتوبر وخاصة فى ســـيناء .

(برقية رويتر ــ من واشنطن ــ ٢١ يونيو ١٩٧٤)

(٢) فى ٨ اكتوبر صرح الرئيس السادات بما يلى :

لقد خسرنا فىمعارك اكتوبر اسلحة بما قيمتها ٤٠٠ مليونجنيه استرلينى . اما خسائرنا فى الارواح خلال المعركة فيتعدى الرقم الستة آلاف بقليل . لقد خرجت بقواتى الرئيسية سليمة تماما . اسرائيل فى المقابل خسرت أكثر من الف مليون جنيه . ولقد تمكنت من المحافظة على قوتى سليمة للتنبؤ الذى حصل بالنسبة لوقف اطلاق النار . لانه كان من الممكن جدا أن نخرج مهشمين وبنفس النتيجة لو تأخرنا اكثر على قبولنا لوقف اطلاق النار .

الفصل التاسع

حبوب الشجاعة!

●●● ((أذهلتهم شجاعة المقاتل المصرى ، فتصوروا أن القيادة تقدم للجنـــود المصريين حبـــوبا تخلق فيهم الشجاعة ! .. هـــذا الفصل يروى قصة الاعمال المجيـــدة التى حققها سلاح الطيران المصرى .. وسلاح الدفاع الجوى .. الاعمـــال المجيـــدة التى قضت على أســـطورة طـــيران اسرائيل)) ●●●

سأل رجل المخابرات الاسرائيليـــة ، الضابط الطبيب المصرى بعد أن وقع فى الاسر :

ــ ما هى الحبوب التى تصرفونها للجنـــود المصريين أثنـــاء القتـــال ؟ ..

واندهش الاســير المصرى من السؤال ، وتصــوره عبثا من المخابرات الاسرائيلية ، وسأله بدوره :

ــ ماذا تقصد بكلمة حبوب ؟ ..

الاسرائيلى : سؤال واضح .. الحبوب الطبية التى تصرفونها للجنود أثناء القتال .. وانت ضابط طبيب . فلا تحاول أن تتظاهر بعـــدم علمك .

المصرى : ولماذا نصرف حبوبا للجنود ؟ .
الاسرائيلى : لاتحاول المراوغة .. ان لصبرى حدودا .. وتذكر اننى لا أزال أعاملك برفق .

المصرى : أنت تسأل عن شىء لم اسمع به فى حياتى ..

الاسرائيلى : اذن .. أنا مضطر أن استخدم القوة ..

المصرى : انا متأكد انك تهـــزل ..

الاسرائيلى : ان معلوماتنا موثوق بها .. انتم تعطون للجنود حبوبا ، تلهب شعورهم ، وتنسيهم خطر الموت ، وتجعلهم يقتحمون المعارك بروح انتحارية ..

المصرى (ضاحكا) : من قال لكم هذه التخاريف ..

الاسرائيلى : انت تحاول المراوغة مرة اخرى ..

وبدأ ضـــابط المخابرات الاسرائيلية الشجاع ، فى تعـــذيب الاسير الاعزل .. وانتهت الجولة الاولى من التعذيب ، وعاد يكرر سؤاله :

ـ اننا نعرف أنكم تطلقون على هذه الحبوب اسم حبوب الشجاعة . لا تحاول أن تنكر مرة أخرى .. والا فسأعيد جولة التعذيب .. أريد أن أعرف منك كطبيب مم تتكون هذه الحبوب ؟ ..

ولما تأكد الاسير المصرى ، أنه امام حيوان لا يريد أن يفهم بأن شجاعة المقاتل المصرى ، هى من أعماق ايمانه الخالد بأرضه ووطنه .. قال له :

ـ فعلا كان جنودنا يتناولون حبوب الشجاعة قبل القتال !..

واستراح رجل المخابرات الاسرائيلى .. وتصور أنه توصل الى سر شجاعة المقاتل المصرى ، وتحديه الموت بلا مبالاة !

روى لنا هذه القصة الواقعية المثيرة ، اللواء محمد على فهمى قائد الدفاع الجوى ، وهو يقول : هكذا أفزعتهم بسالة المقاتل المصرى ، وأخذوا يبحثون عن سرها ، بخيال مريض ..

والحق أن فدائية المقاتل المصرى ، فى ملحمة أكتوبر الخالدة ، كما يسميها قادة الاسلحة فى جيشنا ، فاقت تصور كل خيال انسانى ..

الايمان .. هو السر أولا وأخيرا ..

ولم يكن الايمان ، نتيجة شحنات كلامية لا يلبث أثرها أن يزول .. فهناك فرق بين بناء الايمان .. وبين الشحن بالايمان .

بناء الايمان ، هو ترسيخ صادق لكل معانى الرجولة والشرف والدفاع عن العرض وحماية التراب المقدس ..

بناء الايمان ، ينمو صحيحا سليما ، فى الوجدان الصادق ..

ومن دعائم الايمان ، أن الكل سواء فى ميدان الفداء . الجندى والضابط الكبير . كان القادة فى الصفوف الامامية دائما مع الجنود . عبر الجندى وعبر قائد السرية . وقائد الكتيبة .. وقائد اللواء . وقائد الفرقة . وقائد الجيش . الكل صدورهم مفتوحة للاستشهاد ، ووجبة طعام واحدة فى أقسى ظروف القتال وزمزمية ماء واحدة ، للضابط وللجندى .

والدليل ان خسائرنا فى القادة على كافة المستويات رغم أنها قليلة جدا ، هى أعلى نسبة فى الخسائر فى اى حرب حتى الان .

ان البناء المعنوى هو الذى حمى المقاتل المصرى من (مرض الخنادق) كما يسميه العسكريون .

ان البناء المعنوى ـ لا الشحن ـ هو الذى جعل من صرخة الله اكبر .. متفجرة من القلوب ، حافزة لا لعبور على الماء .. بل للسير على الماء ! .. نعم لقد كانوا يعبرون بطاقة روحية أسطورية ..

الله أكبر .. لم تكن فقط صرخة العبور ..

واستمعوا معنا هذه الاسطورة من اللواء حسنى مبارك قائد القوات الجوية :

ـ كانت الطائرة المصرية تغير على مطار للعدو فى سيناء . . والقت قذائفها ودمرت عددا من الطائرات . وبقى عدد آخر من الفانتوم لم يدمر . خلال ذلك أبلغت القاعدة المصرية ، الطيار المقاتل ، باللاسلكى ان طائرته أصيبت ، وطلبت اليه العودة .. واذا بصوته يسمع باللاسلكى وهو يصرخ (الله أكبر) .. واندفع بطائرته الى أرض مطار العدو ، ودمر الطائرات الباقية .. وهو يستشهد ! ..

كان السباق رهيبا بين طيارينا الى الفداء ..

يقول قائد القوات الجوية :

ـ لقد قاتلنا ١٨ معركة عند ثغرة الدفرسوار غرب القناة، الفان وخمسمائة طلعة فى سبعة أيام ! ..

الطيار المصرى كان يقوم بست طلعات قتال فى اليوم الواحد !!

ـ الطيار المصرى كان يعود الى القاعدة ، ولا يخرج من طائرته حتى تمون بالوقود ، ثم يقلع بها ثانية الى نفس المعركة التى عاد منها !

ـ تلقت احدى قواعدنا أمرا باقلاع ٤ طائرات .. فأقلعت الطائرات الاربع فى وقت واحد خلال دقيقة ونصف دقيقة !

ـ أصيبت الطائرة ، واضطر الطيار أن يقفز قرب أنشاص ، فربط نفسه بالشاش ، وقفز الى طائرة أخـــرى .. وعاد الى معركة الجو . وهذه ظاهرة نادرة ، لان القفز يسبب للطيـــار رضوضا عضوية ، وخاصة فى العظام ، تستدعى الراحة والعلاج لبضعة أيام تصل الى اسبوع أو اسبوعين !

ـ احدى غارات العـدو ضربت ممرا للطـائرات .. وتقـــدم الفنيون الى اصلاح الممر واستمر فى اصلاحه رغم انفجار القنابل حولهم .. واستشهد أحدهم .. ولكن الممر أصلح ، واقلعت طائراتنا تضرب العدو !

ـ سقطت قنبلة على ممر فى مطار آخر ، ولم تنفجر ، واذا بالمهندس الفنى يمسك بالقنبلة ويقذف بها بعيدا .. والمعروف أنها تنفجر بعد ١٥ ثانية .. ومن الممكن أن تصيبه شظاياها .. ولكنه فعلها .. وانفجـرت القنبلة ولم يأبه .. وأقلعت المقـــاتلة المصرية لتؤدى دورها فى مطاردة طائرات العدو !

أما أطرف القصص التى تثبت ارتباك طيران العـدو الذى كان يزهو بنفسه ، فقد وقعت فى بورسعيد :

ـ هاجمت طائرات الميراج بورسعيد ، وتدخلت طائراتنـــا واضطرت تشكيل العدو أن ينقسم ، واختفت طائراتنا .. واذا بطائرات العدو تضرب بعضها البعض ! لقد تصوروا أن مصر هاجمت بطائرات ميراج ، وأدى الارتباك الى ان اشتبكوا معا فى معركة .. وسقطت بعض طائراتهم !

ولكن ماذا حدث ساعة الصفر .. بالنسبة لقوات الطيران ؟ ..

قال اللواء حسنى مبارك قائد القوات الجوية :

ـ ان قواتنا الجوية قامت بضربة قوية فى تمام الساعة الثانية مساء يوم ٦ اكتوبر على مطارات العدو ومواقع صواريخه ومواقع الشوشرة .. كما ضربنا مركز سيطرة ضخما فى سيناء ، واضطروا الى نقله لمكان آخر فى ارتباك ملحوظ ، سمع من التصنت اللاسلكى .. أما مركز الشوشرة فقد دمر تماما ، ولم يستخدم حتى وقف النار .. أما مطارهم الرئيسى فى سيناء فقد عطل ٤ أيام .

ثم تكررت الهجمات بأحجام أقل .. ثم بدأت قواتنا الجوية تنفذ مهامها مع باقى القوات .

وماذا عن هجمات العدو ؟ ..

ـ قامت ٧ معارك عنيفة فى شمال الدلتا فى الايام الستة الاولى، استمرت معركة منها ٥٠ دقيقة .. وهذا وقت قياسي فى استمرار معارك الطيران واشتركت فى هذه المعارك ٦٠ طائرة مصرية ،

اشتبكت مع الفانتوم ، وسقطت قنابل العدو فى المزارع .

ـ معركتان جويتان كبيرتان فى يومى ١٩) و ٢٠ أكتوبر ، فقد فيهما العدو ١٨ طائرة .. وكان قد فقد فى معركة سابقة ١٧ طائرة .

***

ويكمل اللواء محمد عى فهمى قائد الدفاع الجوى الصورة :

ـ أن سلاح الدفاع الجوى ، هو الذى يتولى الانذار بغارة العدو ويحددها مسارها .. وهو الذى يوجه المقاتلات بمعلومات الانذار .. وهو الذى يسيطر علىغابة الصواريخ أرض ـ جو .. الصواريخ قصيرة المدى .. والبعيدة .. والمتحركة . ثم المدفعية المضادة للطائرات . ثم وسائل الدفاع الجوى الالكترونية التى لم يفصح عنها ..

ويكفى لكى نقدر قيمة الدفاع الجوى ، أن نعرف أن العدو هاجمنا فى الايام الثلاثة الاولى مستخدما ٥٠٠ طائرة ، القت من القنابل ما يوازى فى أثره ، قوة أول قنبلة ذرية القيت فى هيروشيما .

وقد بدأنا استخدام الصواريخ فى مصر فى عام ١٩٦٣ فقط . وكنا نستخدم قبلها المدافع المضادة للطائرات . والمدفعية المصرية لها شهرة دولية اكتسبتها فى الحرب العالمية الثانية وسجلتها المؤلفات العسكرية . ولم ينشأ سلاح لقوات الدفاع الجوى الا فى يونيو ١٩٦٨ .

واستطعنا أن نبنى قواعد الصورايخ . أو ما يسمى حائط الصواريخ فى يونيو ١٩٧٠ .. ودفعنا بغابة الصواريخ الى الجبهة فى عام ١٩٧٢ . ولم يكن ذلك بالامـــر السهل .. فان غارات العدو كانت تلاحق مواقع الصواريخ ساعة بعد ساعة .. باعداد رهيبة من القاذفات .. واستشهد ابطال مدنيون فى بناء القواعد .. وتم دفع حائط الصـــواريخ الى الجبهة بخـطط تمويه . لم يكشف عنهـــا حتى الان .. حتى ان جوالدا مائير صرحت بأن غابة الصواريخ المصرية كأنها عش الغراب .. كلمـــا دمـــروا قاعدة .. زرعت على الفور قاعدة جديدة !

ولغابة الصواريخ جولات مع العدو منذ تقدمت الى الجبهة .. ولعل أهمها اسقاط طائرة الاستطلاع والتجسس (الاستراتوكوزر) .. وهى من أكبر وأغلى طائرات التجسس ، فيها ٧ ملاحين ، وثمنها ملايين من الدولارات ! ..

وفى هذه الجولات ، يذكر قائد الدفاع الجـــوى بالفخار .. الجندى المدفعجى خيرى زكى الذى بقى وحده جريحا فى موقع منعزل بالجزيرة الخضراء ، بعد ان استشهد كل زملائه . . واسقط طائرتين .. ورقى الى عريف .. ثم رقيب .. واستشهد أخيرا فى عملية أنزال بحرى ..

ويذكر بالفخار أيضا الرائد شطا قائد الكتيبة ، الذى استشهد فى موقع ميدانى غير محصن بعد ان دمر ٤ طائرات للعدو ..

وهكذا سارت الامور .. حتى فتح التـــاريخ صفحة الملحمة الخالدة فى أكتوبر ..

يقول اللواء محمد على فهمى :

ــ سيطرنا منذ اللحظات الاولى على نطاق أمن شرق القناة ..

وجاء أول فعل للعدو بعد ٤٠ دقيقة من بدء الهجوم .ويعنى هذا أن العدو كان على درجة من الاستعداد .. ولكنه كان يهاجم بغير خطة منظمة وبعد ٣ ساعات كان قد خسر ١٥ طائرة !

عم الارتبـــاك السـلاح الجوى للعـــدو ، بعـــد ان تبين له ان صـــواريخه الموجهـــة لم تحقق نتيجـــة .. الاعاقة الـــرادارية لم تحقق نتيجة . الخداع الالكترونى لم يجذب صواريخنا ..

وكنا ننتظر ضربة جوية ضخمة من العدو فى صباح ٧ أكتوبر . لقد خطط لضرب مطاراتنا الامامية . وهاجم بسبعين طائرة .. واقترب من أهدافه على ارتفاعات منخفضة ، وكانت النتيجة أنه خسر ١٨ طائرة ، ولم ينجح فى تحقيق مهمته . ولكنه عدو عنيد . كرر العملية . واجه مزيداً من الفشل ، حتى قال بارليف يوم ١٠ أكتوبر ان اسرائيل ستحاول معالجة الموقف .

وكان العلاج ، هو اختيار هدف منعزل .. بورسعيد .. وذلك لرفع المعنويات . وركز الضرب على بورسعيد بشراسة . وكانت ملحمة رائعة كبدته فيها عناصر الدفاع الجوى خسائر فادحة .. وفى التاسع من اكتوبر أصيبت بعض صواريخنا باعطال .وتصور العدو أن المجال الجوى لبور سعيد أصبح نزهة بالنسبة له ، عندما لاحظ أن قواعدنا لا تضرب . ولم يكن يعـــرف أنها خطة للتمويه . أنها فترة تسكين للاصلاح ثم تأتى بعدها المفاجأة .. وفى ١٢ أكتوبر جاءت طائراته للفسحة فوق بورسعيد .. وفوجىء بانها تتساقط . لقد سقطت له ٢٢ طائرة دفعة واحدة ، وكان يتصور أن بورسعيد قد خلت من الصـــواريخ . وقل نشاط العدو .. ولكنه زاد النشاط فجأة بعد أن وجد الدعم الامريكى .. ان تقديرات خسائره فى الشرق ٢٥٨ طائرة .. وفى الغـــرب ٢٠٠ طائرة .

ويقول قائد الدفاع الجوى :

ـ هناك أسرار فى الخـــداع الالكترونى لم يحن الوقت للكشف عنها . ودلائلها ماشهد به الطيارون الاسرى . ان طائرة الفانتوم، بها لمبة حمراء تضاء اذا ما أقترب منها الصاروخ . ولكن الطيار يقول أن الصاروخ أصاب طائرته دون أن تضاء هذه اللمبة . لماذا؟ .. هذا هو السر المصرى . وطيار آخر يقول .. أضاءت اللمبة ، واستطعت ان أتفادى الصاروخ .. ولكننى فوجئت بصاروخين واحد من اليسار والثانى من اليمين .. كيف ؟ .. هذا هو السر المصرى .. ان تفادى الصاروخ معناه نجاح الطائرة فى الافلات من دائرة الضرب .. ولكنه ضرب .. وبصاروخين !

الاستماع ممتع حقا الى ملحمة البطولات ..

وقصص قوات الصاعقة يمكن أن تملأ مجلدات فى الفـــداء الانسانى . قوات الصاعقة هى التى قاتلت معركة رأس العش بعد الهزيمة . هى التى حمت البلاد فى حرب الاستنزاف .. أول أسير وقع فى قبضتها .. وآخر أسير قبل وقف النار حينئذ ..

ان قائد قوات الصاعقة العميد نبيل شكرى ، يتحدث الينا عن التدريب الشاق أولا .. ((العرق فى التدريب يعوض الدم)) .. هذا هو الشعار ..

قوات الصاعقة لها أمجادها منذ الطلقة الاولى فى ٦ أكتـــوبر الخالد . كانت منتشرة فى كل الاعماق . لها دورها الخالد فى الممرات .. كانت حمايتها رائعة فى حرب المدرعات . القنطرة شرق سوف تروى كيف طهرتها قوات الصاعقة من كل أثر للعدو لم يهرب موقع للعدو من آثار هجماتها المرعبة فى كل أعماق سيناء ٠ ولم يؤسر منها مقاتل واحد الا بعد أن نفدت ذخيرته ٠

وكان العدو يتصور أنهم يتعاطون حبوب الشجاعة !

هكذا قدرت حساباته بعد أن روعه القتال الجبار ٠

لم يكن البطل الوحيد الذى أقدم على هذا الفداء ٠

ان بطولات الصاعقة ولدت مع تكوينهـا ٠٠ منذ عام ١٩٥٩ ٠ ان العميد نبيل شكرى لا ينسى « الدورية » التى ضلت طريقها فى جبل عتاقة ، فى يوم ملتهب ارتفعت حرارته الى ٤٥ درجة ٠٠ وكان أفرادها الستون معرضين للموت عطشا بعد أن فقدوا مياه الشرب وتدهورت أحوالهم ٠٠ ولكن بطلا منهم ، أخذ يعدو ويعدو حتى وصل الى الطريق، واستغاث لانقاذ زملائه ٠٠ وسقط البطل ٠٠

ملحمة السويس

« كل بطل ٠٠ له قصة ٠٠ وكل قصة لها بطل »

يوم ٢٢ أكتوبر بعد وقف النار ٠٠ منطقة الدفرسوار التي عبر منها العدو ، والمساحة التى أمنها فى الغرب ٠٠ قطعة مشتعلة من نيران الصواريخ ، بأضوائها التى تمرق فى الظلام ٠

الظلام دامس ٠ لم تتوقف حركة العدو لحظة بعد وقف النار ٠ تقدم من جنيفة الى الجنوب على الساحل الغربى ٠ له هدفان ٠ الوصول الى السويس ٠ وفى الوقت نفسه حصار قوات الجيش الثالث شرق القناة الممتدة من فنارة الى السخنة جنوبا على خليج السويس ٠ قوات التأمين التى تركها الجيش الثالث على الضفة الغربية من الفرقة السابعة والفرقة ١٩ ، لم توقف تقدم العدو الذى بدأ تحركه فى الثامنة من المساء ٠ استطاع العدو أن يغطى جزءا كبيرا من قطاع الفرقة السابعة بقيادة العميد أحمد بدوى ٠ تم ابلاغ العميد بدوى بالموقف ٠ دفع بمجموعة اقتناص دبابات عبرت المجموعة الى الغرب على المواسير الممتدة لنقل الوقود ٠ انتشروا فى الغرب فى المناطق الزراعية ٠ كان التحرك ليلا سهلا بالنسبة لمجموعة اقتناص الدبابات ٠ لقد عاش فى هذه المنطقة ست سنوات بكتيبته ولذلك فهو يعرفها شبرا شبرا ٠ العدو تمكن من أسر بعض أفراد كتائب نقل البترول والماء ٠ انها ليست كتائب قتال ٠ استطاعت قوة اقتناص الدبابات أن تدمر ١١ دبابة للعدو ومركبة قيادة فى المناطق الزراعية ٠ ولكن ذلك لم يمنع تقدم العدو ٠ قوات أخرى من الفرقة السابعة والفرقة ١٩ بقيادة العميد يوسف عفيفى عبرت الى الغرب وتمركزت فى الاماكن التى لم يصل اليها العدو بعد لتعوق تقدمه ٠ مجوعة اقتناص دبابات أخرى بقيادة المقاتل حسان هاجمت العدو على طريق المعاهدة ـ الشلوفة ٠٠ وجنوب طريق ١٢ ٠ طيران العدو فى طلعات لا تتوقف بغير خوف من غابة الصواريخ التى كانوا دمروا قواعدها فى هذه المنطقة منذ يوم ١٦ أكتوبر ٠ الضرب مركز وعنيف بصواريخ جو ـ أرض الامريكية الحديثة ٠ صواريخ تاو (أرض ـ أرض) التى تجيد الاصابة ليلا ، استخدمت على نطاق واسع ٠ تجاوز العدو كل مقاومة واستطاع أن يصل الى نقطة العوايد وهى أحد مداخل السويس ، تصل الى الزيتية ومنها الى العين السخنة ٠٠

كانت الساعة قد وصلت الى الخامسة والربع من مســاء يوم ٢٣ أكتوبر وضحت نية العدو فى حصار السويس ·

تركيز الطيران بعنف على منطقة مصنع السماد·· وعلى طريق عتاقة ـ الأدبية ·

تعليمات القيادة المصرية تصل تباعا ··

ـ « نظموا سريعا الدفاع عن مدينة السويس » ··

كانت قيادة الجيش الثالث قد خصصت قوات للدفاع عن المدينة، تدفقت من المحور الذى يصل الى معابر الجيش · محور بورسعيد ·

الخطة ·· اغلاق مداخل المدينة الرئيسية ·· أى « محاور » المدينة بالتعبير العسكرى :

١ ـ محور المثلث ·· مدخل المدينة من الطريق الرئيسى · القاهرة السويس ·

٢ ـ المحور الزراعى .. المدخل من ناحية الاسماعيلية ..وهو مساحات واسعة من الحدائق ·

٣ ـ محور بور توفيق ·· وهو المحور الذى يصل الى معابر الجيش الثالث ·

المحوران الأولان محاصران تماما من العدو ·

المحور الثالث هو الباقى ··

أغلق العدو طريق السويس ·· فلا امداد من القاهرة ·

كما أغلق أيضا طريق الادبية ·· بعد أن هاجم ميناء الادبية جنوب السويس مباشرة فى العاشرة من المســاء واستولى عليــه عند صباح الرابع والعشرين من أكتوبر · أمن الميناء بعد الاستيلاء عليه · وتقدم حوالى نصف كيلو متر جنوبه ·

العدو يستعد طوال الليل بعد أن هاجم الادبيــة ·· للاستيلاء على السويس · وكان هذا هو خطأه الاول ·
لقد أفقد نفسه عنصر المفاجأة ·· عندما لم يستمر فى هجومه ليلا ·

· · · · · · · ·

قوة مصرية برياسة العميد فتحى عباس .. كانت متمركزة فى مبنى احدى الشركات ترقب تحركات العدو ، مرت أمامها دبابات العدو المتجهة الى الزيتية. أسرع العميد فتحى عباس بدخول السويس، لابلاغ قيادة المدينة بالموقف . كان المتوقع أن يتم الهجوم ليلا . الموقف غامض بالنسبة لأهالى السويس . كانوا يسمعون القصف على الأدبية . لم يكن أحد يتوقع أن العدو متقدم . وأنه يحاصر مداخل السويس فى هذه اللحظات . قيادات المدينة بدأت تستعد. المحافظ. المستشار العسكرى . مدير الامن العام . الحكمدار . قياذات المقاومة والدفاع الشعبى ومعها القيادة العسكرية .

تم الاتصال بالقاهرة ، صورة كاملة أمام القيادة العامة لكل التطورات دقيقة بدقيقة . أصدر القائد العام أمرا بتعيين المستشار العسكرى للمدينة قائدا عسكريا لها . بدأ على الفور تنظيم وتحديد القوات المخصصة للدفاع عن المدينة .

كان الاجتماع الخطير فى غرفة العمليات : عرض شامل للموقف . الدفاع العسكرى . حاجات هذا الدفاع . تموين المدينة من المخزون. الماء . الوقود . حماية مخزن الدقيق . حماية المواقع الاستراتيجية . الاحتفاظ بالروح المعنوية .. وسائل تنظيم الجنود غير المقاتلين من الجيش الثالث (الفرق الادارية التى لجأت الى السويس من الدفرسوار وجنوبها) تقرر أن تقسم المدينة الى عدد من قطاعات دفاعية . تم تعيين قائد لكل قطاع .

ثم قطاعات فرعية فى الزراعية واليهودية وغيرها . انها أقل أهمية، لأنها مكتظة بالمبانى أو فى المناطق الزراعية .

القوة الرئيسية للدفاع تتكون من وحدة فى المدينة، من الفرقة ١٩ كانت مهمتها الدفاع عن المدينة قبل العبور .

بدأ تركيب أجهزة تليفزيون .. وأجهزة لاسلكية فى قطاعات الدفاع الرئيسنية تربطها بقيادة الدفاع عن المدينة .

وزعت قوات اقتناص الدبابات . ركبت المدافع المضادة للدبابات (م.د) ومدافع ١٣٠ ملليمتر بعيدة المدى فى المواقع الدفاعية الاساسية .

تم انتشار قوات الدفاع الشعبى وعناصر المقاومة الشعبية بجوار أفراد القوات المسلحة ·

استمر العمل الشاق طوال الليل. الاتصالات بالقاهرة لا تتوقف. الاتصالات بقيادة الجيش الثالث فى الشرق مستمرة · بدأت فرق الاستطلاع ، تخرج الى مشارف المدينة ، لتتبين تشكيلات العدو · انتشرت الاخبار فى المدينة · استيقظت السويس كلها بنسائها وأطفالها · حركة غير عادية فى كل أرجاء المدينة ·

جاءت صلاة الفجر · فاكتظت المساجد بالناس · مشاعر غامضة من التساؤل والقلق والثقة ومحاولات استطلاع الحقائق ·

أعلن بدوى الخولى المحافظ فى مسجد الشهداء الحقائق لشعب السويس :

ـ المدينة محاصرة · العدو يستعد لدخول السويس بين لحظة وأخرى نظم الدفاع عن المدينة تماما · المطلوب هو الهدوء وضبط الاعصاب · كل مواطن عليه أن يساهم بكل ما يستطيع · سننتصر · لن تسقط السويس · الله أكبر ·

وارتفع الدعاء الى السماء من أعماق القلوب ··

وخرج الناس من الجوامع ، وانتشروا فى المساكن · كل يأخذ له موقعا · كل مواطن جند نفسه للمعركة ، وتسلح بما استطاع أن يصل اليه · زجاجات مولوتوف · شكائر طوب · سكاكين · قطع حديد · صفائح غاز تبلل فيها كور من القماش ·

المشهد لن ينساه التاريخ ·

الانسان المصرى بكل طوائفه ·· وطبقاته ·· وأعماره ·· يستعد لقتال الحياة والموت ·

الاطباء والممرضات فى المستشفيات مستعدون ·

قوات الشرطة تأخذ مواقعها مع قوات الجيش ·

التحذير المستمر للمواطنين · لا تعرض نفسك لمنطقة مكشوفة · تحصن وراء ستر · الجأ الى أماكن الوقاية عند قصف الطائرات ·

الطرق الرئيسية سدت بالسيارات والاحجار .

عادت فرق الاستطلاع عن طريق الاسماعيلية عند منتصف الليل ، لتقول أن العدو وصل الى بعد ١٢ كيلو مترا . تأخر وصوله نتيجة مقاومة الفرقة ١٩ . لم يصل العدو الى مدخل السويس من هذه الناحية الا في الصباح .

الساعة السادسة صباحا . العميد عادل اسلام القائد العسكرى يعطى تمام الاستعداد .

الاشارة الى القاهرة .. سننتصر . الاشارة باللاسلكى الى قائد الجيش الثالث فى الشرق . وتبلغ تليفونيا الى القائد العام . الرد . تمسكوا بمواقعكم . سننتصر .

. . . . .

العسكريون يعرفون أنها معركة صعبة . المدينة صغيرة . قوات العدو تحاصرها من كل الاتجاهات بالمدفعية والمدرعات . فى الزيتية احتل العدو العمارات وتحصنوا بمدافع الرشاشات. مقاومتنا للطيران بالاسلحة الصغيرة فقط ، وهى لاتقاوم الطيران السريع .

ولكن العسكريين يعرفون أن العدو سيلقى ردعا عظيما . ان قتال المدن ليس بالامر السهل على المهاجم مهما كان عتاده . والروح المعنوية فى قمة الالتهاب . وكل مواطن ينتظر فى لهفة قوية ..

الساعة السادسة والنصف .

العدو يمهد لمعركة الاقتحام . غارات طيران مكثفة وسريعة ، بطلقات لا تتوقف . ضرب مدفعية من جميع الجهات . قذائف ثقيلة. كل بيت فى السويس أصابته قذيفة . حديد شريط السكة الحديد فى الشارع الرئيسى انصهر من حرارة القذائف ، والتوى الى ارتفاع ٣٠ مترا ! .

فرق الانقاذ تعمل بكل نشاط وشجاعة .

المستشفى يستقبل الجرحى .

آذان أبطال السويس ، بدأت تستمتع بدوى القذائف ٠ وانفجارات الصواريخ ٠ وصوت النفاثات الرهيب ٠٠ أثناء هذا القصف الوحشى الدامى ، كان أحد البسطاء « يقلى » الطعمية فى محله المتواضع ، ليرسلها « سخنة » فى أرغفة العيش الى المقاتلين !

استمر الضرب المتواصل العنيف ثلاث ساعات كاملة ٠٠

تصور العدو أن المدينة أخذت درسا قاسيا ٠٠

تصور أن الكل أصبح مستعدا للاستسلام ٠

تصور أن مدرعاته سوف تدخل المدينة لترى الرايات البيضاء تطلب الأمان ٠

ان خسائر المبانى رهيبة ٠٠

ان رعب القصف يكفى لأن تتجمد الدماء فى العروق ٠٠

وتوقف القصف ٠٠

وبدأ الهجوم على المدينة من كل مداخلها ٠٠

كانت الساعة التاسعة والنصف من الصباح ٠٠

مدرعات العدو تتحرك من اتجاه (المثلث) ٠٠ المدخل الرئيسى للمدينة ٠

ـ من اتجاه القطاع الزراعى (الهويس) ٠٠ المدخل من الاسماعيلية٠

ـ ثم من اتجاه الزيتية ٠٠ وكانوا قد احتلوها ٠

الهجوم لم ينجح من اتجاه الهويس ٠ كان على العدو أن يجتاز كوبريا صغيرا ٠ الكوبرى محتل بالمدافع (م ٠ د) المضادة للدبابات٠ الدفاع عنه أسهل كثيرا من الهجوم ٠

القوات العسكرية تتصدى للهجوم من ناحية المثلث .. المقاومة تضرب من المساكن الشعبية .. المقاومة تستمر ساعة واحدة . استطاع العدو ان يحدث ثغره . وصلت مدرعاته مشارف الشارع الرئيسى

نجح العدو أيضا فى اختراق تحصيناتنا من ناحية مدخل الزيتية .

آمن العدو قواته عند مدخل الثلث . اندفع بعشر دبابات وعشرين عربة مجنزرة . كل دبابة وراءها عربتان . هيأ له غباؤه أن وضع أعلام دول عربية على المدرعات يمكن أن يخدع أحدا بعد كل هذه المعارك !

مرق العدو بدباباته ومجنزراته بسرعة ، ليتلافى أى مقاومة جانبية من الاسلحة الخفيفة .. استطاع أن يصل الى بورتوفيق . اصطدم هناك بحقل ألغام . انفجرت الالغام فى الدبابة الاولى . انهالت عليها قذائف الـ (م . د) .. أصابت الدبابة الثانية . ارتبكت صفوفه . كانت مدفعية الدبابات التى دخلت من الزيتية تحميه بستر من نيرانها تقدمت الدبابات الثمانى الباقية والعربات المدرعة الى الزيتية ، هاربة من استمرار المقاومة .

بعد نصف ساعة .. « قول » آخر من دبابات العدو يقتحم مدخل المثلث ..

مجموعة منظمة سيناء ، أطلقت أول صاروخ على أول دبابة عند جامع الاربعين . الطلقة لم تصب الدبابة . انفجرت فى سور السكة الحديد الممتدة فى الشارع . خرج بطل من حصنه فى دار السينما الى الشارع . انتظر الدبابة . أصبح بينه وبينها ١٢ مترا فقط . طلقة (م . د) من مدفعه أطارب رأس سائق الدبابة فى الهواء . وقفت الدبابة . جنود الدبابة قذفوا حولهم قنابل يدوية للوقاية . اقتحم البطل المصرى نيران القنابل . قفز على الدبابة . رمى بداخلها قنبلة يدوية . انفجرت . اشتعلت فيها النار . كان وراء الدبابة ٣ عربات مدرعة . رجالها يطلقون النيران ويملأون المكان حولهم بسياج من القنابل اليدوية . البطل يقتحم النار مرة أخرى . يقذف أول عربة مدرعة . تشتعل العربة . باقى الدبابات تتوقف . العربات المجنزرة أيضا تتوقف . يقفز منها الجنود الاسرائيليون محاطين بسياج من

النار • المنطقة تتحول الى جهنم • كل مواطن فى المساكن والطريق الرئيسى والشوارع الفرعية الضيقة بدأ يضرب• بالبنادق • بزجاجات مولوتوف • بكور النيران • بالطوب • محافظ السويس بدوى الخولى فى قلب المعركة • يشجع المقاتلين • اضرب • تقدم • احترس من هذه القذيفة ، روح معنوية طاغية • صبى فى السابعة من عمره يضع على رأسه خوذة • ويجرى فى وسط الشوارع يخترق النيران الرهيبة • الصبى يصل الى مبنى الدفاع الشعبى الذى أصبح مقرا للمحافظ ، ومقرا لتشوين الذخيرة • الصبى يملأ الخوذة بالذخيرة •• يعود حاملا الخوذة فى يده ورأسه عار !•• يجرى وسط النيران •• يسلم أبطالنا الذخيرة •• يوزعها عليهم • يعود ثانيا تحمى رأسه الخوذة •• ويرجع : رأسه عار والخوذة ملأى بالذخيرة • أسطورة شجاعة لطفل فى السابعة من عمره !••

حماك الله أيها الشعب !

الاسرائيليون أصبحوا فى مصيدة هذا الشارع بين دار السينما والجامع • النار والاحجار والقذائف تحيط بهم من جميع الجهات •• يجرى بعضهم الى حارة مفتوحة أمامه ، يرى أن الحارة امتلأت فجأة بالعشرات •• تهدده القنابل • يعود • يحاول البعض الآخر الاحتماء فى مسكن • ينهال عليه الطوب: رؤوس الاسرائيليين مبعثرة • المقاومة تقفز على الدبابة • شهداء أبطال يسقطون • استطاع ٢٥ اسرائيليا أن يمرقوا الى مبنى قسم الشرطة فى الوسط بين السينما والجامع • أرادوا أن يؤمنوا أنفسهم داخل القسم ، بعد أن تمزقت أجساد الباقين استطاعوا أن يشقوا طريقهم بحماية المدافع الرشاشة • رجال القسم يقاومون • استشهد ٢١ جنديا • سيطروا على القسم • المبانى حول القسم تحميه • دباباتهم وعرباتهم المدرعة احترقت• ثلاث دبابات، ١٢ عربة مدرعة ، عربات ذخيرة • أصبحت قطعا من الفحم • شعب السويس لم يكتف بذلك • حتى بعد احتراق الدبابات • أعادوا حرقها من جديد• بالجاز وزجاجات مولوتوف . اجساد الاسرائيليين تحولت الى لحم محترق ودماء وقطع مبعثرة من الارجل والايدى والرؤوس

• • • • • • • •

استمرت الملحمة الخالدة حتى الساعة الرابعة بعد الظهر . كانت قد بدات فى الحادية عشرة من الصباح . الاهالى ينقلون

الجرحى الى المستشفى . قصص فداء من الاطباء والممرضات . الاطباء متطوعون بدمائهم . بعضهم أعطى دمه أكثر من مرة . جراحات خطيرة وجراحات صغيرة . الشهداء تحملهم الايدى الى مثواهم الاخير . المقاتلون يعيدون تنظيم صفوفهم . الدبابات المحترقة تبهر الانظار .

أما الاسرائيليون داخل قسم البوليس .. فهم فى المصيدة ..

كان أحدهم يحمل جهاز لاسلكى ، اتصل بقيادته . نصحوهم بالتسليم أخرجوا جنديا مصريا بالقسم برسالة الى قيادة المدينة .. اننا مستعدون للتسليم . أمنوا حياتنا . سنخرج ومعنا قطعة قماش بيضاء . الجندى لا يعرف أين القيادة . اصطحبه أحد أبطال منظمة سيناء الى العميد فتحى فى غرفة العمليات . كان الجواب أننا قبلنا استسلامهم . وسنحمى حياتهم . ولكن الجندى لم يستطع الوصول مرة ثانية الى القسم . عرف الاسرائيليون أن مصيرهم الاخير داخل القسم عندما لم يتلقوا ردا .

. . . .

انتشرت الانباء فى المدينة الصغيرة أن الاسرائيليين داخل قسم الشرطة الجماهير احاطت من بعيد بالقسم من كل مكان . الاعداء يحتفظون بجنود الشرطة كرهائن داخل القسم ومع ذلك أصابهم الرعب من التجمع حول القسم . طلبوا باللاسلكى من قيادتهم . بعد أن فشلت محاولة التسليم ، الضغط بالنيران . بدأت المدفعية الاسرائيلية تقصف غارات طيران أخرى . محاولات هجوم أخرى بالمدرعات من مداخل المدينة . فشلت المحاولات . الروح المعنوية مرتفعة جدا . تضاعف تمسك الجماهير الباسلة بالمدينة الباسلة . الدبابات المحترقة أذكت روح القتل والمقاومة .

الساعة الخامسة :

مجموعة من أبطال منظمة سيناء مع عدد من العسكريين وعدد من المقاومة الشعبية قرروا اقتحام قسم الشرطة . كانوا ٢٥ بطلا . القسم وسط منطقة مكشوفة ، ومحصن بالمبانى بعد هذه المنطقة . وصلوا الى سور القسم . تسلقوا السور . شعر الاسرائيليون . سلطوا عليهم النيران . لم يتوقف الهجوم .

استشهد ثلاثة أبطال وهم يقفزون السور . نزل الباقون الى الفناء . أحد الشهداء هو البطل ابراهيم سليمان أحد رجال منظمة سيناء . انه الشجاع الذى ضرب أول دبابة وأطار رأس قائدها واحرقها . انه مقاتل رهيب . له سجل حافل فى العبور الى الضفة الشرقية منذ ٦٨ .. هو الذى عاد الينا بأول أسير فى منطقة الشط فى ذلك الوقت . انه موظف كتابى بشركة السويس للتصنيع البترولى . ولكنه وهب نفسه للفداء وتطوع فى منطقة سيناء . ووصل الى رتبة نقيب . وهو متزوج وله أطفال . ولكنه كان يقدم نفسه للموت كل يوم ! .. مع القوة المهاجمة عدد من ضباط الشرطة . أستشهد منهم ضابطان .

لم ينجح الاقتحام .

سقط عدد من الاسرائيليين داخل القسم .

• • • • • • • •

خلال هذه المعركة .. اصابت قذيفة مخزن الدقيق بالمدينة . احترق المخزن . الخسارة كبيرة . انه تموين المدينة استعدادا لايام القتال . فرقة المطافىء . المواطنون . جهود جباره لانقاذ الدقيق . احترق ١٢٠٠ جوال وبقى فقط ٨٠٠

• • • • • • • •

المقاومة الشعبية عنيفة فى الزرايرة واليهودية والمغربية والهويس .. محاولات مستمرة للعدو للاقتحام . كلها دمرت .

• • • • • • • •

محاولة اخرى للعدو لاقتحام المدينة من مدخل المثلث بثلاث دبابات وعربتين مدرعتين . الهدف هو الوصول الى مبنى قسم الشرطة ، لانقاذ الاسرائيليين . تقدمت الدبابات عربة مدرعة . سائق المدرعة أصيب بالذهول من مشاهد النيران والدبابات المحترقة وعنف المقاومة . دار بالعربة المدرعة حول نفسه مرتين ، وعاد بأقصى سرعة .. هرب بجلده . هربت الدبابات وراءه . لم يكن الاسرائيليون يتخيلون أن شعبا سيقاوم بهذه الشجاعة الخارقة . بقى ١٢ اسرائيليا أحياء داخل القسم . محاولة تخليصهم هى كل أمل العدو .

جاء الظلام . صمتت مدفعية العدو . عرف ان القصف بالنيران والصواريخ لن يهز هذه المدينة أبدا . عرف ان الاستيلاء على المدينة كان مغامرة خاسرة .

ان عنف المقاومة . والشوارع الضيقة . واكتظاظ المدينة بالمبانى . يمثل عقبة كبيرة أمام العدو .

استطاع الاسرائيليون التسلل من قسم الشرطة أثناء الظلام كان الاجهاد قد حل بالجميع بعد المعركة الرهيبة . انشغل الكثيرون بنقل الجرحى ، واعادة تجهيز المواقع، وتشوين الدخيرة

تنبه بعض رجال المقاومة الى الهاربين فى طريق اليهودية والزرايره . أصابوا ثلاثة .

أمكن اكتشاف ستين جثة للعدو . بعد وقف النار تسلموا ٢٧ جثة . عرفوا أن قواتهم ــ بعد ذلك تنفص ٣٣ . قلنا لا نعرف . كنا نعرف أنهم قتلى . ولكننا أردنا أن نساوم بهم . حتى يتصوروا أنهم لا يزالون أحياء . قلنا سنبحث . كان ذلك بعد قطع الماء عن المدينة .

. . . .

٢٤ أكتوبر :

مر اليوم هادئا . العدو لم يهاجم . القوات المسلحة وقوات المقاومة والدفاع المدنى . يستعدون لمعركة جديدة . جمع الاحجار حفر خنادق جديدة . اتصالات لاسلكية بقيادة الجيش الثالث . وصول أسلحة . القائد العام يصدر تعليماته من القاهرة ويتلقى تقارير تفصيلية . المستشفى الاميرى لم يعد يتسع للجرحى . فريق من الجرحى فى فرقة الدفاع المدنى ومعهم أطباء متطوعون . المخابز تعمل .. بدأ التفكير فى تحديد توزيع المؤن .

جاء الليل ..

بدأ العدو يتابع القصف بالمدفعية من جميع الجهات خارج المدينة .

الانباء تصل الى قائد مدينة السويس . الاسرائيليون يريدون البحث عن الـ ٣٣ الذين لم يعودوا . انهم لايعرفون عنهم شيئا .

هل قتلوا ؟.. هل وقعوا فى الاسر ؟ انهم لا يزالون يحتلون جزءا من الزيتية : قيادتهم فى أحد مكاتب شركة تصنيع البترول ، يوجد معهم حوالى ١٥٠ موظفا وعاملا مصريا . اخبارهم على ألسنة المصريين فى الزيتية تصل الى قيادة السويس . ان الاسرائيليين يتصورون أن المدينة مسلحة تسليحا خارقا . انهم مترددون فى القيام بهجمات جديدة . لقد أيقنوا أن التضحيات كبيرة . بدأ الاسرائيليون يستخدمون أساليب التهديد . الضباط الاسرائيليون يتصورون أنهم أكثر ذكاء . يحاولون التحدث عن المصريين فى الزيتية ، واستدراجهم الى الكلام والحصول منهم على معلومات . انهم يسألون .. بلدكم فيها ايه .. تقريبا ؟ .. حوالى ٨٠ ألف ؟ .. طبعا كلهم عسكريين .

المصريون اكثر ذكاء . انهم يضاعفون لهم الارقام .

طلب القائد الاسرائيلى من سعد الهاكع الموظف بالشركة ، أن يتصل تليفونيا بالمحافظ قال له انه لايعرف رقم المحافظ . استخرجوا أرقاما من دفاتر التليفون .

اتصل سعد الهاكع بفرقة الدفاع المدنى . رد عليه المحافظ . قال ان القائد الاسرائيلى يريد أن يتصل بالمحافظ . الاسرائيلى بتكلم بلهجة عربية شامية . ليبلغه بالتهديد بهدم السويس اذا لم تسلم .

رد المحافظ

الاسرائيلى : أنت المحافظ

المحافظ : لا ..

الاسرائيلى : لا .. انت المحافظ .

المحافظ : أنا لست المحافظ .. عاوز ايه علشان نبلغ المحافظ

الاسرائيلى شوف .. احنا هندمر البلد بالطيران والمدفعية . مش حنخلى فيها طوبة واحدة .. فى خلال نص ساعة . اذا لم تعلنوا تسليم السويس .

المحافظ : لا .. نص ساعة ده وقت قليل لغاية ما اتصل بالمحافظ وأرد عليك ..

الاسرائيلى : نص ساعة بس .. بعد كده البند حتتحول طوب وجثث .

المحافظ : ده وقت قليل .

الاسرائيلى : ما عنديش كلام ثانى . تيجى أنت والقائد العسكرى ومدير الامن ومعاكم كل الاهالى . رافعين أعلام بيضاء .. وأنا منتظر فى الاستاد .

انتهى الحديث .

كان تقدير البعض أن هذه عملية تهويشيه ، وان الاسرائيليين لن يهاجموا ، بعد ما تكبدوا من خسائر بالامس .. هجومهم مستحيل . لو كانوا قادرين لما لجأوا الى هذا الاسلوب . وآراء أخرى تطالب بدراسة الموقف من جميع نواحيه ..

والكل كان مخلصا فى ابداء رأيه ..

المحافظ يتصل تليفونيا بالقائد العسكرى . روى له الحديث .. شرح تفصيلات تقييم الموقف من وجهة نظره .. التموين . الماء . الادوية . الخبز . القتلى والجرحى . طلب من القائد تقدير موقف . هل قواتك كافية للدفاع عن المدينة ؟ .. القائد العسكرى يقول اننا قادرون على الدفاع عن السويس وسأقوم بالرد بعد أن أدرس الموقف مرة ثانية .

المحافظ يتصل بممدوح سالم نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية .

جاء رد القاهرة بعد لحظات . انه رد الرئيس أنور السادات . لا تسليم . قاتلوا حتى آخر رجل وامرأة وطفل .

صفق الجرحى وأبطال المقاومة ومن يقاومون الموت .

رد أنور السادات ضاعف من الروح المعنوية . نصف المقاتل اصبح مقاتلا .. المقاتل أصبح فى قوة عشرة مقاتلين . الجريح نسى آلامه . من يعانى حشرجة الموت دبت فيه الحياة .

فليذهب تهديد القائد الاسرائيلى الى الجحيم .

المحافظ يتصل بالقائد العسكرى : قرار القاهرة هو استمرار القتـــال .

القائد العسكرى : هذا هو قرارى ايضا . اننا قادرون عـلى معركة ومعارك أخرى .

القائد الاسرائيلي يتحدث فى التليفون بعد مرور نصف ساعة . السماعة تقفل فى وجهه بمجرد سماع صوته .

القائد الاسرائيلي يتصل بكل المكاتب التى يجد أرقامهـــا فى دفتر التليفون .

اتصل بالحكمدار .. يا أخى ما تهد البلد اذا كنت فادر .
اتصل برئيس مباحث الامن العام . ومين قالك اننا حنسلم .

فقد القائد الاسرائيلي أعصابه . كان لا يسمع الا سخريات !

المحافظ يكلف مندوب الاتحاد الاشتراكى ورجال الشرطة وعددا من رجال المقاومة ، أن يمروا بعربات فى جميع شـوارع المدينـة وبميكروفونات . انطلقت أصواتهم عالية من الميكروفونات . العدو يطلب أن نسلم . لن نسلم . سنقاوم . سنقاوم . سنحارب . سننتصر .

المحافظ يطلب من الشيخ حافظ ســـلامة أن يعلن من جامع الشهداء . فى الاذان .. وأثناء الصلاة .. شعار المقاومة حتى آخر رجل . الجامع الآن أصبح مقر القائد العسكرى . تحول الجامع الى ثكنة عسكرية . تشوين ذخيرة . تنظيم خطط الدفاع . رجال من المقاومة يدخلون ويخرجون . أخبار عن العدو تحملهـا فرق الاستطلاع .

يوم ٢٥ أكتوبر :

تصف بالمدفعية من خارج المدينة . أصوات القذائف لم تعد ترهب أحـدا .

.

العدو يذيع كذبا أن المدينة استسلمت . تخرج برقية كاذبة ارسلها مراسل الاوشيتدبرس (دافيد لانكشير) : هذا نص البرقية :

السويس المحتلة ـ من دافيد لانكشير :

((احتلت القوات الاسرائيلية كل مدينة السويس تقريبا ، وهى البداية الاستراتيجية ، الى الطرف الجنوبى من قناة السويس . صرح بذلك اليوم (الخميس ٢٥ الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل) الضباط الاسرائيليون فى الوقت الذى كانت فيه طلقات المدافع تتفجر على طول القناة على الرغم من وقف اطلاق النار)) .

ثم أطلق هذا المراسل لخياله العنان وقال ما نصه :

((كان الدخان الرمادى يسبح بين المبانى ، وكان يبدو أن القوات المصرية المعزولة على الجانب الآخر من القناة فى الشرق ، تقصف المدينة فى محاولة يائسة لطرد القوات الاسرائيلية التى احتلت المدينة .

وصرح لى ضابط اسرائيلى برتبة كولونيل ، وعرف نفسه بأنه قائد قطاع مدينة السويس قائلا أن قواتنا داخل مدينة السويس منذ ماقبل وقف اطلاق النار الاول. وقال هذا الضابط أنالمدينة محتلة بالكامل تقريبا ، باستثناء جيوب قليلة المقاومة . ربما مئات قليلة من الجنود المصريين فى وحدات متناثرة ، لم يعد من الممكن وصفهم بأنهم يشكلون قوة .

ووصف دافيد لانكشير المراسل الامين جدا الكولونيل قائد قطاع مدينة السويس بقوله :

((ان قائد السويس الاسرائيلى كان يحمل مسدسا وخنجرا فى حزامه ، وكان يتحدث علىالطريق الواقع عند الطرف الجنوبى من السويس ، بالقرب من منازل المدينة التى بدت مهجورة . ومن نقطة تقاطع طرق على مسافة ميل الى الشمال كانت القوات الاسرائيلية ، والسيارات نصف جنزير والمدرعات تتحرك داخلة وخارجة من المدينة من الغرب دون أية علامات مقاومة . وقد رفض القائد الاسرائيلى أن يحدد كم عدد قواته داخل المدينة . وصرح القائد الاسرائيلى بأنهكانت هناك مقاومة عندما تحركنا الى المدينة ، أما الآن فلا يوجد سوى جيوب قليلة لا تزال صامدة . ربما بقايا الجيش الثالث . ولكن لم يعد من الممكن وصفهم بأنهم

جيش وقال القائد الاسرائيلى ايضا أن الاسرى يتوافدون الان وان لدينا حوالى ٤٠٠ استسلموا حتى الان ومازالوا يتوافدون حاملين أعلاما بيضا)) .

هذه هى الاكذوبة التى نشرها الاسرائيليون .

ولكن قيادتهم وجدت أنها كبيرة .. وبعدها وفى يوم التالى (٢٦ أكتوبر) فى الساعة السابعة و ٤٥ دقيقة مساء أذيع البيان الرسمى التالى الاسرائيلى من جميع وكالات الانباء . وأنا انقل نص ما أذاعته وكالة يونيتدبرس :

« نفت القيادة العسكرية الاسرائيلية اليوم أن قواتها موجودة داخل مدينة السويس وهى المدينة المصرية الواقعة عند الطرف الجنوبى من قناة السويس . وكان أحد الضباط الاسرائيليين قد قال للصحفيين الذين زاروا المنطقة يوم الجمعة أن القوات الاسرائيلية موجودة بالمدينة التى تم اخلاؤها من السكان المدنيين وكان معهم ١٥ ألفا من الجنود المصريين . وقد صرح الكولونيل مهمان كارمن المتحدث الرسمى بلسان القيادة الاسرائيلية بقوله اننا عند ضواحى مدينة السويس ، وبالتالى فنحن لا نسيطر على المدينة . اننا نحاصرها ولكننا لسنا بالداخل . ووجه حديثه الى الصحفيين قائلا : انكم تستطيعون القول بأن مدينة السويس مستقلة عن القوات الاسرائيلية »

• • • • • • • •

حاول العدو دخول المدينة مرة اخرى . اندفع من احد المداخل مدبابة ومدرعة وسيارة جيب ، حمى نفسه بنيران مستمرة . كان يسعى الى استكشاف .. أين يوجد الاسرائيليون الثلاثة والثلاثون .. أنه يتصور انهم احياء . استطاع أن يختطف أحد المواطنين .

قوات المقاومة تهاجم العدو عند مدخل السويس ناحية المثلث . استطاعوا أن يختطفوا احد ضباطهم . الضابط يصيح بلغة عربية ركيكة . أنا عندى معلومات . أنا حفيدكم . ولكن الاهالى أعطوه علقة ساخنة . أصيب ونقلوه الى المستشفى الاميرى .

انتشرت اشاعة فى المدينة أن المدرعات الاسرائيلية ستهاجم المدينة ، ولكنهم سيضعون فى مقدمة المدرعات المصريين الذين

يعملون فى الزيتيـــة . سيصدرونهم أمام الدبابات حتى لا يستطيع أى مدافع عن المدينة أن يضرب المدرعات . الاشــــاعة تقول انهم اختاروا ١٥٠ من مهندسى وعمال المصانع .

كان لا بد أن نناقش هذه الاشاعة . هكذا قال لى محدثى من أبطال السويس .

ماذا نفعل لو كان هـــذا صحيحا .. فهل نضرب ونضحى باخواننا دفاعا عن المدينة . أو أن نمسك عن الضرب . حرصا على حياة اخواننا .. ثم تسقط المدينة ..

واستمرت المناقشات .. ثم استقر الرأى على قرار واحد . سنضرب مهما كان الثمن . كرامة الوطن تطالبنا بالاستشهاد. هذا قدرهم . وقدرنا شهداء .

٢٦ أكتوبر .. أول أيام العيد :

أراد العدو أن ينتقم من ضربة العبور فى عيد الغفران .. غارات طيران مكثفة على الجيش الثالث وعلى أطراف السويس . ضرب متواصل بالمدفعية . الضرب وطلعات الطيران وقذائف الصواريخ لم تتوقف دقيقة واحـــدة من الحادية عشر، فى الصباح حتى الخامسة مساء .

هذا الضرب المتواصل بكل الخسائر التى سببها ، لم يؤثر على استمرار الاستعداد العسكرى . اعادة الاوضاع الدفاعية داخـــل المدينة .. الكتائب الادارية التى كانت فى الغرب ، وهددها عبور الاسرائيليين . وصلت امدادات أسلحة الى المدينـــــة من الجيش الثالث فى الشرق . ذخيرة . أسلحة (م.د) .. الصاروخ فهد .

مجموعات بوحداتها من الفرقة ١٩ انضمت للدفاع عن المدينة. الوصول الى الســـويس عن طـــريق المزارع كان ميسرا . استمر التجهيز الهندسى . خسائر ضرب الطـــيران محدودة . تأثيرها النفسى الان مفقود ، من كثرة اعتياد النـــاس على دوى القنـــابل والصواريخ والقذائف .

بدات تظهر مشاكل التموين والسيطرة على النظام . لقد أخذنا درسا من ٦٧ ، وأعدت أماكن لتخزين المعلبات والمـــاء . خزانات

مياه تحت الارض متصلة بمواسير الى داخل المدينة ١٢ الف متر مكعب من المياه فى الخزانات . الخزان الرئيسى فى الزيتية وبه ٩٠ الف متر مكعب . المعلبات جزء منها فى السويس .. وجزء فى الحدائق .. فى مدخل السويس .

كان لا بد أولا من الاطمئنان على السيطرة على مصادر الماء وتأمين نقلها فى المواسير .

تقرر وقف بيع الخبز من الافران .. لم يبق فى المدينة بعد حريق مخزن الدقيق الا ٨٠٠ شوال . تقرر لكل فرد رغيفان من الخبز يوميا . وزع على كل فرد ثلاث معلبات (فول ــ بامية ــ لانشون) . الخبز يوزع . كل مصلحة تقدم قائمة . القطاع الزراعى يتسلم خبزه من مراكز الشرطة .

تنظيم هذا العمل يبدو هكذا سهلا . ولكن التنفيذ صعب والمدينة تعيش جو الحرب والتهديد والموت ، وتواجه قصف المدفعية والطيران ليل نهار ، ولكن المعنويات مرتفعة .. الكل راض .. الكل يريد أن يشارك بأى تضحية . يكفى أن العدو لم يستطع اقتحام المدينة بعد اندحاره فى معارك ٢٥ أكتوبر .

التنسيق كامل بين المدينة وقوات الجيش الثالث . تقرر لكل جندى ربع رغيف كل يومين . تعيين اليوم الواحد لكل جندى يقسم على أربعة أيام .

الاتصال مستمر بين القيادة العامة فى القاهرة .. وقيادة السويس .. وقيادة الجيش الثالث .

٢٧ أكتوبر :

تراشق بالنيران على مشارف المدينة .

مدفعية العدو تضرب فى العمق .

٢٨ أكتوبر :

وصلت أول مجموعة من قوات الامم المتحدة . كان كل جهدها السيطرة على وقف النار . أمكن السيطرة على الاسرائيليين .

المدافعون عن المدينة ، من غير العسكريين ، من الصعب السيطرة عليهم . انهم منتشرون فى كل مكان . الاسرائيليون فى مبانى شركة النصر فى الزيتية عند مشارف المدينة . رجال المقاومة فى العمارات التى تواجهها . وبينهما فضاء .

استخدم رجال الامم المتحدة كل الوسائل لمنع اطلاق النار . اذا ساروا فرادى كانوا يحملون علم الامم المتحدة . فى السيارات يرفعون (البيارق) بأعلام الامم المتحدة . الضرب مستمر ، وكانوا يخشون أن يصابوا .

استمرت محاولات السيطرة اربعة أيام متصلة .

كان يتم الاتفاق بين قوات الامم المتحدة ، على أن الضرب سيتوقف بعد ١٥ دقيقة . الاتفاق ارتضاه الاسرائيليون والمصريون .. فى الدقيقة الاخيرة يصب المصريون ضربات نار قوية ومتسعة . يرد الاسرائيليون . يبطل الاتفاق . وهكذا ..

٣٠ أكتوبر :

بدأت تظهر مشاكل داخلية فى المدينة ، الدفاع عن المدينة فى الساعات الحرجة اقتضى أن ينتشروا فى كل مكان ، وأن يضربوا بأى شيء .. مواد التموين غير كافية . الاعصاب مرهقة . وقعت مشكلات بسبب الطعام . أمكن السيطرة عليها .

صدر قرار القائد بتعيين قائد عسكرى جديد للمدينة من قوات الجيش الثالث فى الشرق هو العميد الكنزى .

بدأ سريعا عمليات اعادة تنظيم الدفاع عن المدينة . تنظيمات جديدة للدفاع . مكعبات خرسانية . الاستفادة من قضبان السكك الحديدية . أسلاك شائكة . الغام . مدافع جديدة وصلت من الجيش الثالث من الشرق . خنادق فى أماكن دفاعية جديدة .

كان عملا عسكريا رائعا ..

كل العناصر غير المحاربة ، بين هؤلاء الجنود بدأوا تدريبا عسكريا شاقا ، رغم أن أعمارهم متقدمة .

الاتصالات بقوات بدر (٢ فرقة من الجيش الثالث شرق القناة) مستمرة عن طريق معبر لم يستطع الاسرائيليون الاستيلاء عليه

أو تدميره . ضرب هذا المعبر بالطيران والمدفعية والدبابات. ضرب العدو من الزيتية يمكن أن يصل مداه الى بور توفيق . من القطاع الزراعى يستطيع أن يضرب الى موقع الكيلو ١٦٠ ، من الموقع الذى وصل اليه وهو الكيلو ٥٢ ، من بور توفيق يمكننا الوصول الى حوض الدرس حيث يوجد المعبر . هناك طريق آخر الى منية الغلة . ضرب المعبر استمر ليلة بطولها ، حتى تحول الى شعلة من النور . ومع ذلك .. فلم يتحطم .. وأمكن اصلاحه .. وكان العبور الى الشرق يتم عليه !.

المخابرات الاسرائيلية تحاول الحصول على معلومات عن الحالة داخل المدينة . تصوروا أن المصرى يمكن أن يكون جاسوسا . اتصلوا ببعض المصريين فى مواقع خارج المدينة . ودفعوهم الى داخل المدينة باغراءات مالية . كان المصرى يدخل الى المدينة ويتجه على الفور الى قيادة مدينة السويس . كان يروى كل شىء . وكان يحمل معه الاجابة التى ترهق أعصاب الاسرائيليين .

كانت أسئلة المخابرات الاسرائيلية . ما هو اثر وقف مباحثات الكيلو ١٠١ على المواطنين ؟.. هل لديهم ماء كاف !.. كيف يأكلون ؟.. ألم تقم مظاهرات ضد الحكومة ؟..

كانوا يتصورون أن هذا الشعب يمكن أن يضعف او يخضع.

وكانت الاجابات تصلهم . شعب السويس واثق من الانتصار . هذا التسلل الاسرائيلى مهما اتسع مداه ، واقع فى المصيدة . سيباد . الاكل عادى جدا . الماء متوافر . كل الناس سعداء . سنقضى على هذا الحصار . قواتنا ستفتح الطريق .

فى الايام الاولى رموا المنشورات التى تطالب بالاستسلام . فأشعل الناس النار فى هذه المنشورات .

لجأوا الى مكبرات الصوت عند أطراف المدينة . سلموا . سنحطم المدينة حجرا حجرا . سننهى حياتكم .

وكان الرد .. اشتعال المقاومة .

أوقفوا المنشورات . وأوقفوا الصراخ فى مكبرات الصوت .

انهم يواجهون الارادة المصرية لاول مرة .

بعد اعادة التجهيز العسكرى زادت خسائر العدو فى التراشق بالنيران . كانت نيرانه بلا هدف . كانت نيراننا تعرف هدفها. كانوا يضربون ضرب عشواء ، وكنا نصيب أهدافنا .

وكانت الجماهير تستطيع أن ترى على البعد سيارات الإسعاف تنقل قتلاهم وجرحاهم بعد كل تراشق نيرانى .

وكانت الروح المعنوية تزداد ارتفاعا .. رغم معاناة النقص فى الماء والطعام .

بل حدث فى الايام الاخيرة .. ان الجنود اليهود كانوا يصرخون .. يا مصريين .. احنا تلامذه . عاوزين نذاكر . عندنا امتحانات . احنا ما ضربناش .. الموقع التانى هو اللى ضرب . اضربوه ..

وتتجه نيران المصريين الي الموقع الثانى .. فيصيحون .. ما تصدقوش احنا ما ضربناش .. ومش حنضرب أبدا .

وهكذا شعر أبنا ءالسويس .. بقوتهم .. رغم الحصار !

القائد الاسرائيلى يطلب مقابلة محافظ السويس تحت علم الامم المتحدة .

ألقائد الاسرائيلى يريد أن يعرف مصير الثلاثة والثلاثين اسرائيليا المفقودين . طلب معلومات

ولم تصلهم المعلومات .

واستمر الحصار مائة يوم .

وتأجج نضال شعب السويس مائة يوم .

بل انهم احتفلوا بالعيد الكبير . برنامج ضخم فى جميع شوارع المدينة . المدنيون يزورون القطاعات العسكرية . الجميع يزور المرضى . حفلة خاصة للاطفال فى حديقة المستشفى . ما أروع أطباء المستشفى . كل طبيب كان هرما.كل ممرضة كانت مصر . مدير المستشفى الشهيد الدكتور أيوب . بذل فى صمت .. عمل باضعاف جهد سنه .تحدي كل شيء .أعطى دمه وعلمه وفنه وراحته وفى يوم فك الحصار .. كأنه شعر أن رسالته قد انتهت . مات

فجأة فى صمت ، كما كافح فى صمت . كانت السويس تحتفل بانتهاء الحصار .. وكان جثمانه يخرج من المدينة الى القاهرة! .. عندما بدأت الافراح . لم يكن يعد له مكان !

يا لمفارقات القـــدر !

٢ ينـــاير :

العيد الكبير . الآلاف فى الجوامع يؤدون صـــلاة الفجر . الله أكبر .. همسة الايمان تخرج من قلوبهم . العدو يضرب بالمدفعية المدينة تهتز . همسة الله أكبر .. ترتفع مع ارتفاع دوى المدفعية دعاء الايمان يتحول الى صرخة اصرار .. الله أكبر.مدفعية العدو تستمر فى الضرب . الله أكبر تدوى بأقوى من المدفعية . دموع الايمان فى كل العيون.نبض الايمان فى كل القلوب وخرج المصلون من الجوامع .. أكثر اصرارا . واحتـــل كل واحـــد موقعـــه . واستعد لمعركة جديدة .

الله أكبر !

١٦ ينـــاير :

تم توقيع اتفاقيـــة الانسحاب .

الاسرائيليون عند مشارف المدينة يرقصون ويغنون ويسكرون. اسعد يوم فى حياتهم . العودة الى اسرائيل بعد المعارك الفاشلة. الانتصار الوحيد هو أن يعودوا سالمين . كانوا يهتفون بالعربية .

السادات راجل تمام . السادات رجل جـــدع . جولدا مائير بنت كلب .. مائير بنت .... (ويعف القلم عن ذكر الصـــفات الشائنة التى الحقوها بشرف رئيسة وزرائهم) .

برقية من الفريق أول أحمد اسماعيل القـــائد العـــام الى قيادة السويس يوم ٢٨ يناير الساعة ٨ر٣٠ مساء :

((من وزير الحربية الى قائد مدينة السويس :

((الى قائد مدينة السويس . بمناسبة توقيع اتفاق الفصل بين القوات وانسحاب القوات الاسرائيلية شرق قواتنا فى سيناء ،

أبعث اليكم والى جميع قواتكم ضباطا وجنودا ، أبعث اليكم بتحياتى القلبية وتقديرى العميق . وأؤكد أن جهودكم وتضحيتكم كانت عاملا رئيسيا فى توقيع اسرائيل اتفاق انسحابها شرق مواقع قواتنا فى سيناء . وأؤكد ضرورة استمرار اليقظة والاستعداد وعدم التهاون اطلاقا لحين اتمام الانسحاب كاملا .. والى اللقاء قريبا .. باذن الله والله يوفقكم)) .

هذه ليست أول برقية من القائد العام . كان الاتصال كما قلت يوميا . ومن سجلات الحرب أقدم بعض البرقيات السرية التى أرسلت من السويس الى القائد العام فى القاهرة .

*** اشارة الى القائد العام فى ١٩٧٣/١١/١٣ الساعة ٣ صباحا :**

((عن القوات شرق القناة ، المعنويات ممتازة . الجميع فخورون بما حققوه من نصر .. توجد بطولات مشرفة كثيرة .. درجة الايمان عالية جدا . القادة والقوات يبذلون جهدا مشرفا لتدعيم الدفاع ورفع كفاءة التجهيز الهندسى ، علاوة على التدريب . الاتصال اليومى من الوزير يرفع المعنويات . القائد العسكرى فى السويس يبذل جهدا مشرفا لتنظيم الدفاع عن المدينة . المعنويات ممتازة للعسكريون والمدنيين . المدنيون يقدمون كل معاونة ممكنة للعسكريين . الاطباء وهيئة التمريض بمستشفى السويس الاميرى قاموا بعمل بطولى رائع)) .

*** اشارة الى القائد العام فى ١٩٧٣/١٢/٥ الساعة ١١ مساء :**

((المخابرات الاسرائيلية تسعى الى معرفة معلومات عن معنويات العسكريين فى رأس الشاطىء فى السويس .. وعن موقف الذخيرة والوقود فى رأس الشاطىء ، وعن صدى بيان القاهرة بايقاف المباحثات العسكرية عند الكيلو ١٠١)) ..

*** اشارة الى القائد العام فى ١٩٧٤/١/٣ الساعة ١٠ مساء :**

((بدأ العدو الاشتباك الساعة (٥٥٥) ــ أى السادسة الا خمس دقائق الاشتباك من كفر جودة والمثلث وكازينو روكسى فى كفر أحمد عبده والمثلث وحوض الدرس . تم الرد على العدو

بنيران مؤثرة . استمر الاشـــتباك حتى الساعة (٧٥٥) ــ أى الثامنة الا خمس دقائق . . استمرت احتفالات العيد بالمدينة دون تغيير الروح المعنوية أكثر من ممتازة .

خسائر العدو ٣ قتلى ، ٣ جرحى . تدمير عربة جيب على طريق العوايد . اصابة دبابة خلف مدرسة فى قطاع المثلث . اشـــتعال النيران بها . اصابة لورى . خسائر قواتنا طوال اليوم ٢ فـــرد شـــهيد)) .

***

وبعد .. هذه بعض سطور من ملحمة السويس . الملحمـــة تحتاج الى مؤلفات . كل معركة تحتاج الى أقلام . كل نقطة دم تلهب الهام الشعراء والكتاب . كل بطل له قصة . وكل قصة لها أبطال . والقصة الكبرى . هى آلاف من أمجاد الرجال . ولم يكن ميسرا لى فى هذا الكتاب ، أن أروى حـــكاية كل بطل . جرحه . قتاله . الاحياء والشهداء . ولكننى قصدت أن أقدم شريطا قصيرا لرواية طويلة . العنوان قصير . ملحمة السويس . ولكن صفحات التاريخ أطول واكبر وأروع من أن يسطرها قلم واحد .. بل مئات الاقـــلام .

قال لهم السادات : قاتلوا حتى آخر رجل وامرأة . وطفل . وقاتل الرجال . وانتصر الرجال .



حقـــائق الثغـــرة

●●● ((لاول مرة ، يذيع قائد مصرى ، هو الفريق محمد عبد الغنى الجمسى رئيس أركان حرب القوات المسلحة ، حقائق معارك الثغرة منـــذ وقوعها ، حتى وضـــع الخطة العسكرية ـ شامل ـ لحصارها وابادتها .. ثم انسحاب الاسرائيليين .

لقد وقفت بعض أخطاء منا .. ولا يعيبنا هذا .. والحرب معارك متصلة . والفـــريق الجمسى يتحدث فى هذا الفصل لاول مـــرة عن كل الاسرار)) ●●●

الرئيس السادات : هل قرات عن غزو نورماندى فى الحـــرب العالميـــه ؟

اللواء الجمسى : نعم .. يا سيادة الرئيس ..

الرئيس السادات : خذ هذا الكتاب ، واقراه جيدا .. أعتقد أنه سيفيدك . وكان الكتاب الصغير ، باللغة الانجليزية ، على منضدة بجوار الرئيس ، فأعطاه للواء الجمسى ، الذى قراه عـدة مرات .. ولاحظ أن الرئيس قد وضـــع خطوطا وملاحظات على بعض سطور وفقرات من الكتاب . ان هناك أوجه شبه فى بعض النواحى العسكرية بين انزال قوات الحلفاء .. فى نورماندى .. وبين عبور قواتنا الى شرق القناة . تلك عملية انزال قوات فى أرض يحتلها عدو على نطاق واسع .. والعبور .. هو أيضا الوصـــول بقوات ضخمة الى أرض يحتلها عدو ويفصـــلها عائق مائى .. والكتاب يتناول عمليات الطيران .. وعمليات تنظيم القوات ذات الاعداد الضخمة بعد انزالها .. كما يتنـــاول دور القـــادة المحليين فى العملية الكبرى ..

عرف الجمسى من ملاحظات الرئيس المكتوبة ، على صـــفحات الكتاب ماذا يدور فى ذهن القائد الاعلى عن المعركة وامكانيات العبور

كان ذلك ذات يوم فى اغسطس من عام ١٩٧١ .

وكان الرئيس قد دعا وزير الحربيـــة ورئيس الاركان وبعض القادة الى اجتماع خاص فى القناطر الخيرية ..

وفى هذا الاجتماع قدم اللواء محمد عبد الغنى الجمسى بوصفه رئيسا للعمليات تقريرا شاملا عن أوضاع القوات المسلحة المصرية وتناول فى تقريره ، وجود المستشارين والخبراء السوفيت ، وعدم تبعيتهم للقيادة المصرية ، والنتائج التى يمكن أن تحدث من جراء ذلك اذا وقعت الحرب ..

ومن هنا كما قال الرئيس أنور السادات فى اجتمـــاع المجلس الاعلى للقوات المسلحة فى اكتوبر ١٩٧٢ ، بدأت تدور فى ذهن

الرئيس فكرة انهاء خدمات الخبراء السوفيت ، حتى يمكن أن ندخل المعركة بدون وجود قوات سوفيتية على أرضنا .. ثم أخذت الفكرة تتبلور شيئا فشيئا ، وهى تنمو فى العقل الباطن للرئيس ، حتى اتخذ قراره التاريخى المشهور فى الوقت المناسب .. وغادرنا الخبراء السوفيت فى مايو ١٩٧٢ .

وفى أجتماع القناطر (أغسطس ١٩٧١) .. نبه الرئيس أنور السادات وزير الحربية والقادة على عدة نقاط هامة منها ..

* قال لهم الرئيس ، أنه يحذرهم من التفكير النمطى المعروف فى وضع الخطة العسكرية .. التفكير النمطى يمكن أن يتوقعه العدو ، ويتيسر له أن يقاومه .. وطالبهم الرئيس بالابتكار والخلق من واقع ظروفنا الموضوعية المحلية ..

* طلب اليهم الرئيس ، ان تكون مفاجأة العدو ، هى الاساس الهام فى الخطة العسكرية .. قال : توفير المفاجأة والمباغتة يعتمد عليه نجاحنا فى تلافى خسائر كبيرة فى العبور ..

ومن هنا فعلا ، بدأ التفكير العملى فى الخطة الخداع .. التى نفذت على أحسن وجه ، ووضع الجمسى اساسها فى الكشكول الصغير الذى كتبه بخط اليد من نسخة واحدة ، وقدمه الى الرئيس (كما أشار الرئيس فى حديثه الى المؤلف فى الجزء الاول من هذا الكتاب) .

* وكان الرئيس مهتما بالغ الاهتمام بوضع الطيران ، بضرورة مواجهة تفوق العدو فى الطيران .. فى هذا الاجتماع ، أصبح واضحا انه من الممكن الاعتماد على القوات الجوية المصرية ، ابتداء من اكتوبر ١٩٧٢ ، بعد تنفيذ اقتراحات معينة طرحت فى هذا الاجتماع ..

خرج اللواء الجمسى من اجتماع اغسطس .. وهو على يقين كامل ، أن الرئيس أنور السادات ، جاد كل الجد ، فى أن يصدر قرار الحرب .. فى فترة قريبة .. وقريبة جدا .. وبدأ على الفور تنفيذ تكليفات القائد الاعلى .. ولكنه كان يشعر مما يراه حوله ، من تصرفات بعض القادة ، ومن أقوالهم ، أنهم لا يعيشون

جدية الموقف الخطير ، كما يجب ، وبما يتجاوب مع فكر القائد الاعـــلى ..

ولذلك .. لم يفاجأ بقرارات أعفاء وزير الحربيـــة وبعض القادة .. وكان فى دمشق مكلفا بمهمة عسكرية ، عندما قرأ هذه الانباء ، وملأه التفاؤل بتعيين الفـــريق أحمـــد اسماعيل وزيرا للحربية .. لقد عمل معه سنوات طويلة ، ويعرف مدى كفاءاته القيادية ، وقدراته العسكرية ..

وبدأ الوضع فى القوات المسلحة ، يتطور الى الاعـداد الشامل الجدى للقتال ، عبورا ، وهجوما ، وتطويرا للقتال .. وانتقلت الخطة العسكرية الى مناقشة كل الجزئيات .. وبدأ ٦ أكتـوبر العظيم ..

***

وكان تخطيطى وأنا أكتب فصول هذا الكتاب ، ان يكون الفريق الجمسى رئيس أركان حرب القوات المسلحة ، فى مقدمة من التقى بهم من القيادات العسكرية ، لمعرفتى بالدور الذى اداه .. ولكنه استطاع أن يتهرب من مطاردتى له طوال أشهر اعداد الكتـاب ، وفهمت أنه يريد أن يقفل فمه من أى حديث عسكرى .. وانه يرى أن من واجبه تسجيل الحقائق العسكرية لحرب اكتوبر فى مؤلف علمى ، يصدره بعد أن يترك الخدمة فى القوات المسلحة ، ليكون دليل تاريخ .. ولكننى لم أتوقف عن مطاردته .. وحصلت على اذن خاص ، أن يتحدث الفريق الجمسى عن حقائق الثغرة .

لقد أمـــر الرئيس بعد وقف اطلاق النار ، أن يجرى حوار عسكرى فى أكاديمية ناصر ، عن الدروس المستفادة من حـــرب اكتوبر ، يشترك فيه كل من أسهم فى المعارك ، وقد كان موضــوع الثغرة ، من أهم الموضوعات التى رئى أن تسجل حقائقها يوما بيوم من واقع سجل الحرب .

قلت للفريق الجمسى : هل تريدون اخفاء حقائق الثغرة عن الجماهير .. وعن التاريخ ؟ ..

قال : اطلاقا .. ان كل شىء سجل . وكل مايحيط بحـــرب أكتوبر ، يناقش فى دراسة عسكرية علمية .

قلت : اذن .. لماذا تهربت من مطاردتى أكثر من أربعة اشهر ؟ ..

قال : ها أنذا أمامك الان ..

قلت : اذن .. نضيع الوقت ، ماهى حكاية الثغرة ؟ .. وكيف فات على قيادة القوات المسلحة التى وضعت الخطة ، أن العدو يمكن أن ينفذ من نقطة الضعف بين الجيشين الثانى والثالث ! ..

قال : ان التنبه لنقاط الضعف بين جيشين أو لواءين او كتيبتين .. مسألة محسوبة . وليست مفاجئة لاحد . وأساليب تأمين الحدود بين الجيشين فى الخطة العسكرية موجودة منذ أن وضعت . لم يكن الموضوع اذن خافيا ، كما نشر أحد الكتاب .. وقد كنت أعتزم توضيح الموقف للرأى العام حين نشر ذلك التحليل للثغرة .. ولكن القائد العام رأى ألا نتكلم حتى تنتهى المعركة . ان المنطقة الفاصلة بين الجيشين الثانى والثالث ، هى منطقة البحيرات . وقد درسنا هذه المنطقة جيدا . واتساع البحيرات. وطبيعة الارض فى الشاطئين الغربى والشرقى ، ووضع الالغام فى الاتجاهين يجعل من الصعب عبورها ، من العدو أو منا .. هى منطقة مؤمنة جغرافيا الى حد ما ..

ـ ولكن هل كان هذا يكفى ؟ ..

ـ بالطبع لا . لذلك خصصنا قوات لتأمين الجنب الايسر للجيش الثالث ، والجنب الايمن للجيش الثانى .. بحيث تستطيع النيران أن تصل فى الوقت المناسب اذا حدث اختراق .. وكان من المستحيل طبعا أن نغطى كل شبر من الارض على امتداد المواجهة ، وهى ١٧٠ كيلومترا ، ونؤمنها بقوات عسكرية .. هذا ليس بالعمل العسكرى . ولكننا أمنا جنبى الجيشين الثالث والثانى للحماية من الاختراق . وكان هذا مخططا ومعلوما للجيش على مستوى القيادة ؟ ..

فقلت : اذن .. كيف تم اختراق العدو ؟

قال : ان العدو كان يقوم بهجمات مضادة عنيفة حتى يوم ١٣ اكتوبر ، على قوات الجيشين الثانى والثالث .. ولعلك سجلت

فى كتابك تفصيلات هـــذه الهجمات ، وأنا اعلم أنك التقيت بكل القـــادة ..

قلت : نعم .. ولولا صد هذه الهجمات ، لحدث اختراق من العدو الى الغرب فى أكثر من وضع ..

قال : وفى يوم ١٤ اكتوبر قررنا تطوير الهجوم شرقا لنحقق هدفين : نقل ثقل العـــدو من الجبهة السورية الى ســـيناء .. والحصول على مزيد من الارض .

قلت : يقال عسكريا ، انه لم تكن هناك ضرورة لهذا التطوير ، فقد تكبدنا فيه خسائر كبيرة ، ولم نتقدم الا لمساحات قليلة من الارض لم تكن تساوى هذه الخسائر .. كما أن التطوير هو الذى أتاح للعدو فرصة الثغرة ..

قال : كلام غير سليم عسكريا . فقـــد كان من المستحيل أن نتوقف ، وكان لابد من تنفيذ الخطة ، ولا يمكن أن تبقى قواتنـــا فى مواقعها ، وتتحول من موقف الهجوم الى موقف الدفاع .. ان بقاء قواتنا مدافعة فقط ، كان سيتيح للعدو أن يخترقها من اماكن عديدة ، لان هجماته كانت مستمرة .. وهدفه الاختراق . ان العدو كان يحتفظ بشريط قتالى من الشمالى الى الجنوب ، يبتعد من قواتنا ١٥ كيلو مترا ، ومن مواقعـــه فى خط الشريط الممتد ، كان يستطيع تركيز هجماته من أكثر من موضع .. لذلك كان لابد أن نتقدم ، لكى نصل الى هـــذا الشريط ، ويكون هو الخط الحدى الجديد لقواتنا .. عندئذ كان العدو مضطرا للتقهقر الى شرق المضايق . وتكون قواتنا مؤمنة من هجماته المستمرة ..

قلت : ولكن قيل أن امكانية التغطية بالصـــواريخ المضـــادة للطيران كانت أقل من حماية تطوير الهجوم .

قال : هذا ايضا تقـــدير غير عسكرى ، لان لنـــا فى الشرق منذ البداية ، قواعد صاروخية .. كما كانت لدينا الصـــواريخ المحمولة .. وليس من الضرورى أن يكون الهجوم بتأمين كامل ضد طيران العدو .. علاوة على أن قوة طيراننا كانت كافية .. وعندما تمكن العدو من احداث الثغرة ، كان سلاح الطيران هو الذى يطالبنا بأن يؤدى أى تكليف .. وكان دائمـــا لديه فائض

للاستخدام .. أى ان الطيران المصرى كان قادرا على حماية تطوير الهجوم .. مع قوة الصواريخ وان كانت محدودة نسبيا ..

بدأ تطوير الهجوم فى ١٤ أكتوبر . ودفعنا بفرقة مدرعة هى الفرقة ٢١ من الغرب الى الشرق ، وعبرت فى منطقة الجيش الثانى ، من اتجاه الدفرسوار بالذات .. قواتنا اذن لم تكن قليلة شرق القناة فى منطقة الدفرسوار .. وكان العدو مركزا فى هجماته على الفرقة ١٦ بقيادة اللواء عبد رب النبى حافظ .. وقد قاتلت هذه الفرقة قتالا مجيدا ، وصدت هجمات ضارية ..

قلت : ولكننا خسرنا يوم التطوير حوالى ٢٠٠ دبابة ..

قال : نعم خسرنا ولكن ليس كل هذا العدد .. وكان العدو يستخدم الاسلحة الامريكية الحديثة التى وصلته ، ومن أهمها الاسلحة المضادة للدبابات بالذات .. ولكن العدو تكبد خسائر أفدح .. هذه المعارك التى سميت بمعارك الدبابات الكبرى .. كانت المواجهة بين الدبابات لا يفصلها أكثر من كيلومتر واحد ، وهذا لم يحدث فى أية حرب سابقة فى العالم .. كانت معارك دامية وشرسة .. وفى رأيى أن تطوير الهجوم نجح فى هدفه ، وهو أن شريحة الارض الجديدة التى استولينا عليها ، لم تكن كبيرة .. وكانت خسائر العدو فادحة جدا ، واكبر من خسائرنا. وهذه حقيقة معترف بها .

قلت : ولكن الثغرة بدأت يوم تطوير الهجوم ..

قال : هذا غير صحيح .. فى حوالى الساعة العاشرة من مساء ١٥ أكتوبر (ليلة ١٥/١٦) ، تمكنت قوة صغيرة للعدو تتكون من ٧ دبابات أن تصل الى غرب القناة . باستغلال ملتقى القناة بالبحيرات المرة .. فى هذا الوقت بالذات كان اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى ، قد فاجأه المرض منذ صباح يوم ١٤ حيث اصيب بنوبة قلبية ، ونقل من مقر قيادته الى المستشفى .وتولى رئيس أركانه مسئولية القيادة .. الى أن عين اللواء عبد المنعم خليل قائد للجيش الثانى ، وكان من قبل قائدا لهذا الجيش ..

قلت : ماذا كان تصرف القيادة العامة ، عندما أبلغت مساء ١٥ أكتوبر بهذا التسلل ..

قال : الذى حدث أن القيادة العامة لم تبلغ . . وهـــذه أول الاخطاء .. لقد اكتشف رئيس اركان الجيش الثانى هذا التسلل. وصباح يوم ١٦ اكتوبر ابلغ به القيادة العامة ، وكان تقديره أنه تسلل بسيط ، وانه قادر على التعامل معه .. وكان صـــباح ١٦ أكتوبر ، هو يوم اجتماع مجلس الشعب ، حيث تحـدث الرئيس أنور السادات الى الشعب .. وكان الفريق أحمد اسماعيل القائد العام موجودا بالمجلس . وعندما عاد من المجلس ، أقر كل التصرفات التى اتخـــذناها ، والحقيقة أن التبليغ لم يكن مستقرا . كان متضاربا . الدبابات اتجهت الى الشـــمال . بعضها اتجـــه الى الغرب . بعضها اتجه الى الجنوب . عادت الى الشمال .. وزادت عدد الدبابات المتسللة من ٧ دبابات الى ٣٠ دبابة . لقد كانت الثغرة أكبر مما تصورها القائد المحلى . ورات القيادة العامة أن الموضوع لا يمكن تركه للقائد المحلى وانه يجب أن يعالج على مستوى القيادة العامة .. ان الهجوم على دبابات العدو المتسللة بقوات احتياطينا فى الغرب لم يفلح .. الهجمات كانت ضعيفة . وقررت القيـــادة العامة ، فى أوامرها عدم العمل بقوات صغيرة . وصـــدر الامـــر باستخدام لواء بالكامل للتدمير .. من احتياطيات القوات بالغرب، وتم حشد نيران المدفعية ضد العـــدو فى منطقة التسلل . وهاجم الطيران ابتداء من صباح ١٦ أكتوبر . ولكن مقاومتنا لم تنجح ، لان دبابات العدو الثلاثين التى تسربت ، تفرقت فى المنطقة الجبلية فى عدة اتجاهات .. وكانت لها حمـــاية طبيعية .. ولم يكن من السهل تدميرها فى هذه الظروف .. وقد قاتلت القـــوات المصرية المهاجمة قتالا باسلا .. واستشهد قائد كتيبة .. وقائد لواء .. وقائد فرقة .. فى الهجوم الذى تقرر يوم ١٧ ..

قلت : كانت القـــوات الاسرائيلية المتسللة قد دمـــرت مواقع الصواريخ ؟

قال : لا . . حتى يوم ١٦ أكتـــوبر ، كانوا قد ضربوا موقعين صواريخ فقط حتى المساء .. ولم يكن هـــذا الامر ليشكل خطورة كبـــيرة ..

قلت : وماذا كانت خطة الهجوم الكبير يوم ١٧ أكتوبر ؟ ..

قال : كانت خطة القيادة العامة .. هى حصار الثغرة فى أضيق مساحة من الارض فى الغرب وسرعة تدميرها .. وفى نفس الوقت

قفلها من الشرق حتى لاتتدفق قوات العدو .. وتقـــرر أن يهاجم الجيش الثانى جنوبا ، وان يهاجم الجيش الثالث شمالا ، لسد الثغرة من الشرف وقطع خطوطها وبذلك يقع العدو فى المصيدة .. وقد كان هذا الموقف الصعب ، هو موضع المناقشة الحاميـــة فى القيادة الاسرائيلية .. وكان سؤال بعض قادتهم .. وما العمل ، اذا نجح الجيشان الثانى والثالث فى سد الثغرة من الشرق ؟ . . واختلفت آراؤهم .. وكان المثير للفزع لديهم أن خسائرهم ستكون فادحة جـــدا ..

***

قلت : وهل نفـــذ الهجوم ؟

قال : نعم .. تقدمت قوات الجيش الثانى جنوبا .. وتقـدمت قوات الجيش الثالث شمالا .. ووصلت المســـافة بينهما الى ٤ كيلومترات فقط ، ولكنهما لم يتمكنا من الالتقاء .. لقد اســـتعد العدو لتأمين مرور قواته شمالا وجنوبا ، وكان القتال رهيبا . . استخدمت فيه كل الاسلحة . وهكذا استطاعت قـــواته يوم ١٧ أكتوبر أن تنفذ باعداد اكثر الى الغرب .. ولكن القتـــال الرهيب استمر أيام ١٧و١٨و١٩و٢٠ اكتوبر . وقد تكبد العدو فى هـــذه الايام الاربعة اكبر خسائر فى الحرب كلها ، سواء فى العتـــاد أو الارواح . وقلت لك أن القتـــال تم بجميـــع أنواع الاسلحة . . المدفعية . المدرعات . الصواريخ . الطيران . الهيلوكبتر . وزاد تسلل العدو الى المنطقة الجبلية متجها الى الجنوب ، مستخدما أسلوب حرب العصابات التى يجيدها ، بأن تندفع اعداد قليلة من مدرعاته (من ٤ ـ ٧) فى كل اتجاه ..

***

قلت : وماذا كان توقع القيادة العامة بعد نجاح التسلل ..

قال : توقعنا ان يتجه العدو الى الشمال صـــوب الاسماعيلية والى الجنوب صوب السويس .. ونجحنا فى تأمين الاسماعيلية ،

فلم يستطع الاتجـــاه الى الشمال .. ولكنـــه تمكن من الانتشار جنـــوبا ..

قلت : ولكنى أذكر ان الرئيس القـــائد الاعلى ، كلف الفـــريق سعد الشاذلى يوم ١٨ بالسفر الى الجبهة وحمله مسئولية تصفية الثغـــرة ..

قال : نعم .. وكانت خطة القيادة العامة احاطة قوات العـــدو بستارة من الدبابات والاسلحة المضادة ، لتثبيتها فى أقل مساحة من الارض فى الغرب حتى لاتنتشر وبذلك يمكن تدميرها بالهجمات المضادة المخططة .. واتخذت بعض الاجراءات لتنفيذ ذلك .. الا أن هذه الاجراءات لم تؤدى الى النتائج المطلوبة تماما ..

ولا يزال هذا الموضوع موضع الدراسة الدقيقة حتى الان ..

والدراسة تجرى على أساس ما هو مثبت فى ســجلات الحرب دقيقة بدقيقة ..

قلت : وهل تكتب سجلات الحرب ؟..

قال : نعم .. لان كل أمر يصدر ، يسجل كتـــابة . وكل من اشترك فى معركة الثغرة ، يستدعى ، ويشرح موقفـــه العسكرى كاملا ، ويدافع عن وجهة نظره من الناحية العسكرية . ولا يمكن طبعا ، رغم كل هذا ، الا أن نقبل اختلاف التقدير العسكرى الذى لا يعنى أن قائدا مسئولا وان قائدا آخر غير مسئول .

قلت : ولكن قيل ، انه لو تم من اللحظات الاولى ، مقاومة الثغرة بهجوم كبير .. كان أمكن القضاء عليها ، وان الخطأ الاســاسى هو فى معالجتها فى اليوم الاول بهجمات صغيرة ..

قال : على كل هذا رأى عسكرى .. ولكننى قلت لك ان التقدير المحلى لاول تسلل لم يكن سليما .. كما ان القيادة العامة لم تبلغ بالموقف الا يوم ١٦ اكتوبر .. وكان العدو قد تمكن من الوصـــول الى المنطقة الجبلية بما فيها من حماية طبيعية مع استخدام حرب العصابات ..

وقد واجه العدو بعد ذلك أرهب قتـــال دموى شرس فى الايام التالية ، وتكبد أفدح خسائره فى الحرب كلها . كان قتال القوات المصرية ، معبرا عن أقوى مثل الشجاعة والفداء . واستشهد كما قلت لك . قائد كتيبة وقائد لواء وقائد فرقة .. وكان القـــائد قبل الجندى .. مندفعا الى جسارة الاستشهاد فى سبيل تطهير الارض . وسجل البطولات المصرية ، حافل بأروع القصص ..

قلت : كان هذا هو الموقف حتى يوم ٢٠ اكتوبر ..

قال : نعم .. وتطور الموقف بعد ذلك الى أن العـــدو وصـــل بقواته جنوبا الى أن قطع طريق القاهرة السويس ، وبذلك هـدد طريق الامداد والتموين عن فرقتى الجيش الثالث فى الشرق ..

قلت : هل كان يمكن للعدو أن يصل الى القاهرة ؟ ..

قال : هذا هو المستحيل ، واكررها .. هذا هو المستحيل . لقد كانت المنطقة مؤمنة بقوات مدرعة لاتسمح لاى قوة مهما بلغت أن تنفذ الى اتجاه القاهرة . ولم تكن هـذه الفكرة ، تزعجنـا على الاطـــلاق ..

قلت : لقد عاد الفريق الشاذلى من الجبهة يوم ١٩ مساء ..

قال : نعم .. وعبر عن وجهة نظره فى تقدير الموقف العسكرى القائد العام .. ورئى أن يحضر القائد الاعلى الرئيس السادات الى مقر هيئة العمليات .. واستمع القائد الاعلى الى وجهة نظر الفريق الشاذلى .. واستمع الى وجهات النظر الاخرى ..

***

قلت : انا اذكر ان الرئيس السادات قد صرح من قبل فى حديث صحفى أنه لم يوافق على فكرة سحب قواتنا من الشرق اطلاقا .

ثم تطورت الامور كما يعرفها القارىء ، وكما جاءت فى فصـــل آخر من هذا الكتاب ..

أعلن الرئيس السادات يوم ٢٠ اكتوبر قبول وقف اطلاق النار،

بضمان من أمريكا والاتحاد السوفيتي بالتنفيذ الفوري لقرار مجلس الامن .. (١)

---

(١) صرح الرئيس أنور السادات

● فى يوم ١٩ اكتوبر دعيت الى غرفة العمليات فى القيادة العامة .. وعرفت أن الامدادات الامريكية لاسرائيل بدات تأخذ صورة خطيرة اذ ان الامريكيين راحوا ينزلون معداتهم فى العريش التى تقع خلف الخطوط مباشرة .. ومن هناك تخرج الاسلحة والمعدات كلها على الجبهة .. يعنى مسافة الطريق فقط وانى اعترف بأن الاسرائيليين اكفأ عسكريا سواء من ناحية التخطيط أم من ناحية التنفيذ . ولكن ابتداء من يوم ١٥ و ١٦ بات واضحا تماما أن هذا الذى نشاهده ليس تخطيطا اسرائيليا . ففى الايام الاربعة الاولى ضربنا القوة الرئيسية لاسرائيل . أكثر من ٤٠٠ دبابة ضربناها فى جبهتنا باعتراف اسرائيل نفسها ، فكيف يمكن بعدئذ أن أجد امامى فجأة اللواءات المدرعة تنزل كالمطر .. كل هذا واجهناه .. لقد دخلنا معارك المدرعات الشهيرة التى هى اكبر معارك فى تاريخ العالم العسكرى . ذلك أن خسائر الدبابات خلال ١٧ يوما بلغت ٣ آلاف دبابة على الجبهات الثلاث .. فاذا كانت الخسائر ثلاثة آلاف فكم هو عدد الدبابات التى دخلت المعركة)) ؟

((لقد وضحت قوة اسرائيل فى الدبابات فى الايام الاربعةالاولى. وفى الطيران كما اعلنوها مؤخرا . أعطت اسرائيل أوامرها الى طياريها بعدم الاقتراب من منطقة القناة . كانت العملية منتهية . وفى هذا اليوم بالذات جمع ديان الصحفيين واعطاهم معلومات اذيعت بعد الحرب ، قال فيها أن اسرائيل لن تستطيع أن تزحزح المصريين سنتيمترا واحدا من الشرق . كان الموقف واضحا تماما . ولكن الذى جرى بعد يوم ١١و١٢و١٣و١٤ و ١٥ ؟ الذى جرى تخطيط جديد . قدم دم جديد . فقد أعلنت أمريكا رسميا الجسر الجوى . وفى الواقع لم يكن جسرا جويا ، بل كان تدخلا أمريكيا فعليا . لدرجة أن بعض الدبابات الامريكية الحديثة لم يتعد الكيلو مترا ، فيها الرقم ١٠٤ كيلو أى المسافة التى تؤكد أن أمريكا قد انزلتها بطاقمها فى العريش ودخلت الجبهة على طول .. =

أمكن تقدم العدو بعد وقف النار فى ٢٢ اكتوبر ..

وضعت الخطة العسكرية (شامل) لمقاومة الثغـــرة غربا .. ولتطوير الهجوم شرق القناة . (وسيجد القارى تفصيلها فىالفصل المقبـــل) ..

ثم انسحبت قوات اسرائيل ، تنفيذا لاتفاق فصل القوات .

***

وسألت الفريق الجمسى :

الم يكن ميسرا أمام القوات الاسرائيلية أن تدمر قوات الجيش الثـــالث ! ..

= ثم ان الاخطر من ذلك الذى ظهر بعد ١٦ اكتوبر تلك الاسلحة الجديدة التى لم تستخدم حتى من قبل الجيش الامريكى نفسه .. نحن نعلم انها موجودة عند امريكا . ولكن لم يكن قد اســتخدمها الجيش الامريكى حتى ذلك التاريخ مثل القنبلة التليفزيونية وبعض الصواريخ المضادة للدبابات التى تطلق من مسافات بعيدة ..وهذا كله ، حتى لو أراد الاسرائيليون أن يستعملوه فسوف يحتــاجون الى سنين عديدة للتدريب عليه .

هكذا لم تكن الثغرة هى التى دفعتنا الى اعلان وقف النـــار وانما التطور الاخر الذى تحدثت عنه بالنسبة الى التدخل الامريكى فى المعركة . ولقد كان سبب موافقتى على هذا القرار هو ما ورد فى برقيتى للرئيس الاسد تماما . أى أنا مستعد ان احارب اسرائيل، وقد حاربناها وكشفناها للعالم كله ، وظهرت فى الاربعة ايام الاولى ما هى اسرائيل .

أما التدخل الامريكى بهذا الثقل ، فأنا غير مستعد لمحاربتــــه وخاصــــة انه لم يكن لدى ما أواجه به هـــذا الثقل فى معـــركة طويلة الامد)) .

واجاب : بالقطع لا .. لقـــد كان رأيى الذى أعلنته فى اجماع الساعة الواحدة ـ صباح ٢٠ أكتوبر مع الرئيس القائد الاعلى ، أن قوات الجيش الثالث فى الضفة الشرقية تكون صخرة صلبة ، من فرقتين مشاة مدعمتين بمدفعية . ذخـــيرتها متوافرة . كانت تستطيع أن تقاتل بالتموين الذى لديها أياما عـــديدة . ولم يكن العدو ليقدم على هذه المقامرة أبدا ..

قلت : وما هو تقديرك لدور امريكا فى موضوع الثغرة ؟ ..

قال : ان الاستطلاع الامريكى يوم ١٣ اكتوبر ، هو الذى حدد لاسرائيل نقطة الضعف التى أمكنهم التسلل منها . كما ان السلاح الامريكى الحديث ، ساعد فعلا ، على صمود القوات الاسرائيلية رغم ما تكبدته من أفدح الخسائر . والاستطلاع الامريكى بعد ذلك هو الذى عرف مدى الاستعداد المصرى الكامل ، لابادة الثغرة ابادة كاملة .. ومن أجل ذلك ، فضلت اسرائيل الانسحاب الى الشرق. بدلا من العودة الى خطوط وقف النار فى ٢٢ أكتوبر .

***

ولعل هذا الحديث ، وهذه الاجابات من الفريق الجمسى ، هى أول تصريح رسمى ، يقدم الحقائق كاملة عن قصة الثغرة .

نعم .. حدثت أخطاء فى التقدير ، ولكنها لا تقلل أبدا من جلال الانتصار المصرى ، الذى كان قادرا فعلا على تطهير الارض المصرية من كل جندى اسرائيلى أن يعبر الى الغرب .

وهنا يقول الفريق الجمسى :

ـ وعلى الرغم من ان هذه الثغرة تعتبر نجاحا تكتيكيا للجانب الاسرائيلى ، الا أن الموقف الاستراتيجى العام للقوات الاسرائيليـة كان يواجه الفشل الكامل . اى أن هذا النجاح التكتيكى لم ينقذ الفشل الاستراتيجى للعدو . يقابل هذا .. النجاح الاستراتيجى المصرى الكامل .. الذى لم يؤثر فيه الخطأ التكتيكى من جانبنا فى مقـــاومة الثغرة .

وتاريخ الحرب العالمية الثانية ، والحروب المحلية منذ عام ١٩٤٤ حتى الان ، تقدم لنا امثلة عديدة ، على أن الخطأ التكتيكى لا يؤثر على النجاح الاستراتيجى .

ان الحروب لا تقيم بمعارك محدودة .. ان التقييم السليم هو فى النتائج الاستراتيجية العسكرية للحرب بكل معاركها .. التى تحقق الاهداف العسكرية والسياسية ..

ولا أعتقد ان خبيرا عسكريا عالميا .. تناول موضوع الثغرة ، الا وكان هذا رأيه .

الفصل الثاني عشر

من الدفرسوار .. إلى جنيف

●●● ((تم وقف اطلاق النار .. وبدأت حرب الجنرالات فى اسرائيــــل فى صحافتهم وصحافة العـــالم .. الشعب الاسرائيلى لم يقتنع بأن الجيب الاسرائيلى يعد انتصارا .. الحالة الداخلية فى اسرائيـــل يسودها الالم والمرارة ، وتعبر عنها الدمــوع . الرئيس السادات يروى قصة الثغرة . وقرار ضرب الثغرة . كيف أمكن تفادى قتال دموى جديد والوصول بفصل القوات الى مؤتمر جنيف .. ثم تنفيذ فصل القوات .. ماذا قال الرئيس لرؤساء تحرير الصحف فى منتصف الليل فى أسوان يوم الخميس ١٧ يناير ٧٤ قبيل اعلان الاتفـــاق ؟)) ●●●

نعم .. استطاع الاسرائيليون أن يعبروا الى الضفة الغربية ، من الدفرسوار .. وامتدوا جنــوبا الى مشارف السويس .. وأخذوا المدنيين أسرى ، وصوروا الامر فى صحافة العالم ، على أن قوات الجيش المصرى تستسلم بالالاف . وهذا غير صحيح طبعا ولو كان فى مكنتهم أن يبيدوا الجزء المحاصر من الجيش الثالث لما ترددوا . ولكنهم أرادوا أن يكسبوا الدعاية النفسية ، لتغطية هزائمهم الساحقة فى الشرق . وصوروا جولدا مائير فى الزيتية . وكانت أيضا فرصــــة أمام موشى ديان لكى يظهر فى الصورة ، بعد انتهاء اسطورته كقائد عسكرى .

كان من المستحيل ابادة الجزء المحاصر من الجيش الثالث .. لعدة أســـباب :

١ ــ كان هذا الجزء (فرقتان مشاة مدعمتان) يملك ذخيرة كافية وقادر على القتال .

٢ ــ لم يكن الجيش الاسرائيلى ليحتمل مزيدا من الخسائر، بعد ان تكبد أفدحها فى الارواح والعتاد ، باعتراف الاسرائيليين فى مؤلفاتهم ، لكى يحقق العبور الى الغرب بأى ثمن .

ولذلك لجأوا الى العمل المسرحى ..

من ذلك مثلا : اذاعة فى التليفزيون الاسرائيلى .. طرفا الحوار فيها الجنرال حاييم بارليف رئيس الاركان الاسبق .. ومقاتل مصرى أسير .. بارليف :

ــ أطلب منك أن تكون مبعوث اسرائيل لدى الجيش الثالث.

المقـــاتل المصرى :

ــ لمـــاذا ؟

بارليف :

ــ هذا عمـــل انسانى لصالح مصر . اذهب الى رفاقك فى الجيش الثالث على الضفة الشرقية ، وأبلغهم بعرضنا أن ينتقلوا

الى الضفة الغربية ويعودوا الى الخطوط المصرية ، أننا قادرون على ابادتهم ، ولكننا نفضـل الاسـلوب الانسانى . قل لرفاقك اننا مستعدون لان نتركهم يرحلون لا بوصفهم أسرى حرب ، وانما ليلحقوا بقوات الجيش المصرى .

المقـاتل المصرى :

ــ لا .. لن أفعل ..

بارليف :

ــ انك تستطيع أن تنقذ الاف الارواح اذا قمت بهذه المهمة .

المقـاتل المصرى :

ــ لا .. لن أفعل ..

وانصرف المقاتل المصرى مرفوع الرأس .

هذا الحوار نقل الى جميع انحاء العالم ، لتحقيق الهـدف الدعائى . كيف يمكن أن نتصور أن اسرائيل تأبى أن تبيد جيشا مصريا اذا كان هذا فى مكنتها !

ان بارليف هذا ، صاحب خط بارليف .. كان فى قمة من تلقوا الصفعة بعد انهيار خطـه . هو بعينه الذى قال لوكالة الانباء الفرنسية فى ٥ فبراير ١٩٧١ ما نصه :

((ليست لدى المصريين أدنى فرصـة للنجاح اذا هم حاولوا عبور القناة . من المؤكد أن لديهم الوسائل اللازمة لمثل هـذه المهمة ، ولديهم خطط العمل . ولكن ما ينقص مصر هو الجيش الذى يستطيع أن يخطط وينفذ ويقاتل)) ..

وهو الذى قال أيضا فى ٨ مارس ١٩٧٢ : ((أقول باختصار .. اذا استأنفت مصر القتـال ، فان اسرائيل لن تخسر موقعا واحـدا)) .

كل واحد من قادة اسرائيل ، بهذه الاساليب الدعائية بعـد حرب أكتوبر كان يحاول الدفاع عن نفسه . كان يحاول أن يغطى على تصريحاته المغرورة السابقة .

موشى ديان كان يقول : ان مصر لن تحارب قبل عشر سنوات، اذا هى فكرت فى الحرب فعلا .. وكان يشفع هذا القول بنكته ((واذا حاربت فأننى أعدكم بأننى ساقول لكم لماذا حاربت)) ! .. ويضحك المستمعون ..

وهو الذى قال : ان الجبهة المصرية لا تستحق من جهد جيش اسرائيل أكثر من ٦٠ دقيقة ! ..

وكان اليعازر رئيس اركان ديان يباهى باليد الطويلة التى تستطيع أن تمتد فى لحظات الى أى موقع فى الارض العربية ، ثم تتحول الى قبضة قوية تضرب بلا رحمة !

أما جولدا مائير فقد كانت تتحدث فى (تواضع شديد) .. وتتساءل فى دهشة : اذا كان انور السادات عاجزا عن الحرب واذا كان يعلم تماما أن الهزيمة الساحقة المنكرة هى النتيجة المحتومة .. فلماذا لا يقبل المفاوضة مع اسرائيل ؟ وهى تقصد طبعا .. لماذا لا يرفع يديه ويستسلم ؟ ..

أما فصيحهم أبا ايبان فقد كان يعطى محاضرات التاريخ والحكمة والفلسفة .. وينتهى بالتساؤل الساخر : هذه هى أول مرة يسمع فيها أن المنهزم يريد أن يملى شروطه على المنتصر !

وقد روى كيسنجر بعد ذلك وهو فى القاهرة ، أن ابا ايبان كان يزوره يوم ٤ اكتوبر .. أى قبل الحرب بيومين .. وفى أثناء الحوار بينهما ، قال كيسنجر لابا ايبان .. أنتم فى وضع قوى ومحصن ١٠٠٪ . الم يئن الاوان لكى تتقدموا بشىء لحل المشكلة . ان مصر يحكمها رجل معقول ؟ .. ويمكن الوصول الى حل . .وكان رد ايبان : ولماذا نقدم حلولا ؟ .. سنبقى على ضفة القناة للخمسين سنة القادمة . ومصر لا قيمة لها . ولن تستطيع مواجهتنا فى يوم من الايام .

وبعد أقل من ٤٨ ساعة صحا كيسنجر من نومه ، على صوت ابا ايبان يستنجد : لقد هجمت مصر وسوريا .. أرجوك الاتصال بالرئيس نيكسون .

ويمضى كيسنجر فى روايته الى الرئيس السادات :

ـ وقتها حزنت عليك . وقلت . بعد ساعتين .. ثلاثة . . سيدمرون الجيش المصرى فى القتال . واسرائيل اذا انتصرت لثانى مرة ، فلن يستطيع أحد أن يتحدث معها .

وفى مساء ٦ اكتوبر ، اتصلت جولدا مائير وقالت : ان الحرب ستنتهى بعد يومين .

وفى اليوم الثالث اتصل ديان وقال : أعطونا يومين اخرين .. ولكن كونوا جاهزين لتعويض المعدات .

ويقول كيسنجر :

ـ وانتظرنا .. وقلقنا عليهم . وصور البنتاجون العمليـة . وقدموا تقريرا بأن اسرائيل خسرت حتى تلك اللحظة ٣٥٠ دبابة والمعركة ليست فى صالحها . وبعد ساعتين اتصـل ديان يطلب ٤٠٠ دبابة فورا ، بدلا من التى خسرها على الجبهة المصرية .

ويعلق الرئيس السادات على ذلك :

ـ وهنا بدأ التغيير الامريكى . طلب كيسنجر جولدا مائير وقال لها انها خسرت المعركة استراتيجيا ، ولابد من البحث عن حـل سـلمى ..

هذا هو مبرر تحول الموقف الامريكى . وجاء كيسنجر الى مصر لجس النبض . ووجد أن النصر لم يلهب رأسى . ولكننى قلت له : لن اتنازل عن بوصه واحدة من الارض .

***

وأتيحت لى الفرصة أن التقى بالدكتـور كيسنجر فى منزل اسماعيل فهمى وزير الخارجية فى اليوم العاشر من اكتوبر ١٩٧٤ فى احدى زياراته للقاهرة . وكنا حلقة حول الدكتور كيسنجر من الدكتور عبد العزيز حجازى وممدوح سالم والفريق الجمسى .. ولعل الوزير الامريكى تصور أنى أحد الوزراء ولذلك تحدث بلا تحفـظ ..

قال كيسنجر :

((صباح يوم الاحد السابق على ٦ اكتوبر توجهت الى مكتبى،

فوجدت أمامى تقارير عن الشرق الاوسط وصفتها الجهات التى قدمتها بالاهمية البالغة . لم أكن معتادا ان أقرأ بصفة مستمرة تقارير الشرق الاوسط . ولكن تقارير ذلك اليوم لفتت نظرى .. انها تتحدث من تحركات ضخمة للقوات السورية .

وبعد أن قراتها قلت : اننى أفهم من هذا ان سوريا تستعد لحرب قريبـــة ..

وبكل أسف ، كان صوتى هو الصوت الوحيد الذى قال أن سوريا تستعد للحرب !!

ثم قال كيسنجر :

((لم تكن لدينا معلومات عن الجنرال الجمسى .. لقد استطاع ان يخدعنا تماما .. عندما قرات التقرير عن التحركات السورية .. وقلت أن سوريا تستعد للحرب .. كانت معلوماتنـــا عن الجبهة المصرية ان احتمال الحرب مستحيل تماما .. صحيح أن الاقمار الصناعيـــة والاجهزة الاخرى قدمت لنـــا معلومات .. ولكن تحليل هذه المعلومات كانبالنسبة لنا انه لا حرب مطلقا .. اكثر من هذا فى ليلة ٦ اكتوبر .. كان هنـــاك اجتماع لدراسة الموقف .. وكان رأى الحاضرين بالاجماع دون شذوذ رأى واحد .. انه لاحرب على الجبهة المصرية ..

***

وكان الفريق الجمسى يتابع اعترافات كيسنجر بسعادة بالغة ظهرت على قسمات وجهه الصامت ..

ثم قال كيسنجر :

((وعرفنا فى الصباح عن القتال وطلبنا وقف النار ، على أن تعود القوات المحاربة الى أوضاعها السابقة قبل القتال .. لان تقديرنا كان ان القـــوات المصرية ســـتدمر تدمـــيرا كاملا فى ٤٨ ساعة فقط ..

وسألت الدكتور كيسنجر :

((ولكن على اى أساس بنيت هذا التقدير)) ؟..

قال : تسألنى عن أسس **تقديرى** فأقول لك انها ثلاثة . . أولا بسبب تجربة الهزيمة فى ١٩٦٧ .. وثانيا لتأكدنا من التفوق الاسرائيلى الجوى وسلاح طيرانه القوى .. وثالثا لان الفكرة العامة السائدة كانت ان الجيش المصرى عاجز عن قتال جيش اسرائيل .. والحق اننى لم أكن معطيا وقتا كبيرا لمشكلة الشرق الاوسط .. ولم أكن متابعا لها بدقة ..

ترحيل الرعايا السوفييت

وقال كيسنجر :

((كانت تحليلاتنا للمعلومات ، خاطئة تماما ، مثلا وصلت انباء ترحيل الرعايا السوفيت فى ساعة متأخرة من الليل فى ٤ أكتوبر .. وعلى طائرات خاصة وصلت مطار القاهرة من موسكو .. ان هذا يعنى أن هناك حدثا خطيرا .. ومع ذلك فان تفسيرنا لهذه الانبـــاء كان مضحكا .. كان التفسير انه حدثت ازمة بين مصر وسوريا وبين الاتحاد السوفيتى .. وان السوفيت قرروا ترحيل رعاياهم بسبب هذه الازمة ! .. طبعا عندما ننظر لهذا التحليل الان ، نراه غير منطقى تماما .. ولكننا فى وقتها وبسبب تقديرنا أن مصر غير قادرة على الحرب .. وصلنا الى هذا الفهم)) !

***

وفى عرض بقلم محسن محمد لكتاب (كيسنجر) تأليف الاخوين مارفيه وبرنارد كالب الصحفيين الامريكيين اليهوديين الذى ظهر بعد حرب أكتوبر ، تنكشف صورة أخرى للموقف يقول الكاتب :

ورغم انتصارات العرب فى اليومين الاوليين للحرب فقد بقى كيسنجر على اعتقاده بأن اسرائيل قادرة على رد اعدائها وتوقـع انتصارا اسرائيليا سريعا خلال ٣ أيام على الاكثر .

وفى السادسة من مساء ٧ اكتوبر عاد السفير الاسرائيلى دينتيز الى واشنطن بطلبات متواضعة من الاسلحة للتعجيل بتسليم الـ ٤٨ طائرة فانتوم ودبابات وأجهزة اليكترونية فوعد كيسنجر بالمساعدة ..

ولم يكن كيسنجر يرغب فى اثارة السوفيت أو عداء مجموعات فى الكونجرس تهتم بشئون البترول وتريد اعطاء العرب فرصة لاسترداد اراضيهم أو فرض حظر البترول على الولايات المتحدة فى وقت تعانى فيه أزمة طاقة ، كما انه خشى اذا منع الاسلحة عن اسرائيل ان يتجه السفير الى مجموعة ضخمة من اعضاء الكونجرس والكتاب غير اليهود الذين يؤيدون اسرائيل .

وفى يوم ٨ اكتوبر اجتمع شليزنجر وزير الدفاع وقرر رفض طلب اسرائيل هبوط طائراتها فى الولايات المتحدة لنقل الذخيرة وقطع الغيار .

وعندما علم دينيتز بقرار شليزنجر اتصل بكيسنجر الذى وعده بدراسة الموقف ثم عاد ليقول انه حصل على اذن بهبوط عدد محدود من طائرات أسرائيل فى القواعد الامريكية لنقل الذخيرة بشرط تغطية النجمة الاسرائيلية على الطائرات .. فان الحكومة الامريكية لا تريد عداء العرب وبالذات بالنسبة للبترول .

وفى الواحدة والربع بعد الظهر اتصل كيسنجر بدينيتز وأبلغه بأنه حصل على موافقة الرئيس الامريكى من حيث المبدأ على تعويض اسرائيل عن خسائرها من الطائرات التى تتزايد بسرعة ..

وفى الثالثة والربع بعد الظهر اتصل دينيتز بكيسنجر يسأل عن موعد شحن الطائرات الفانتوم لان خسائر اسرائيل من الطائرات اكثر كثيرا مما كان متوقعا .

اجاب كيسنجر بأن هذه مسألة حساسة وانه يتفاوض فيها مع البنتاجون ..

وفى الخامسة مساء اتصل دينيتز مرة أخرى وقال انه تحدث مع جولدا مائير بالتليفون التى طلبت أعطاء أولوية ضخمة لتسليم الطائرات والدبابات المطلوبة من قبل مع قائمة جديدة من الاسلحة بسبب خسائر اسرائيل الضخمة .

رد كيسنجر بأنه حصل من وزارة الدفاع على اذن بطائرتى فانتوم لاسرائيل .. أما الدبابات فهى مشكلة معقدة لانها تحتاج الى اسابيع .

اقترح دينيتز الحصــــول على الدبابات من القواعد الامريكية فى أوروبا ..

اجاب كيسنجر بأنه يعانى متاعب القواعد الامريكية فى أوربا .
اجاب كيسنجر بأنه يعـــانى متاعب بيروقراطيـــة مع وزارة الدفـــاع .

طلب دينيتز الاجتماع بكيسنجر والتقى به فى البيت الابيض ليقول له ان عددا من الشيوخ مستعدون لمساعدة اسرائيل على الحصول على الاسلحة ، فان اسرائيل تريد الطائرات والدبابات بسرعة ..

وبدأ كيسنجر يراجع موقفه .. ان اسرائيل ستحتاج الى أكثر من الـ ٣ أيام لالحاق الهزيمة بالعرب ..

قال كيسنجر لدينيتز ان اسرائيل ستحصل على طائرتين خلال ٢٤ ساعة . رد دينيتز ..

ـ طائرتان .. اننا فى حاجة الى عشرات وفى نفس الوقت كان كيسنجر يتصل بدوبرينين ليقول له انه فى حاجـــة الى تعاون السوفيت لوقف تقدم الجيوش العربية وفرض هدنة فى الشرق الاوســـط .

***

فى الثامنة والربع من صـــباح يوم ٩ اكتوبر جاء دينيتز الى مكتب كيسنجر فى البيت الابيض ليجدد طلبـات الاسلحة وقال ان اسرائيل خسرت على الاقل ١٥ طائرة فانتوم و ٤٥ سكاى هوك وان الخسائر بلغت ٢٠٪ من كل الطائرات التى تسلمتها اسرائيل من الولايات المتحدة ان صاروخ سام ٦ سلاح قاتل ودقيق ..

وفى الحادية عشرة والربع ومن أجـــل تعجيل الاتصـــال بين كيسنجر ودينيتز اقيم خط تليفونى مباشر بينهما فى دار السفارة الاسرائيلية . وقال كيسنجر انه لايزال يعانى متاعب البيروقراطية فى وزارة الدفاع .

وفى المساء قال كيسنجر لدينيتز ان الرئيس الامريكى وافق

على كل طلبات اسرائيل وتعويض خسائرها من الدبابات والطائرات ومدها بالاجهزة الاليكترونية واجهزة التشويش وان طائرات النقل الاسرائيلية ستهبط فى فيرجينيا لنقل صواريخ جو - جو والاجهزة الحديثة .

وفى الساعة ٨٫٤٥ قال كيسنجر لدينيتز انه يستطيع لقاء شليزنجر يوم الاربعاء أى فى اليوم التالى ..

***

واختلفت الجنرالات فى إسرائيل بعد الهزيمة .. ولم يستطيعوا اقناع أحد داخل اسرائيل ، أن العبور الى الغرب ، يعنى أى انتصار . وكانت التصريحات الصهيونية الواقعية تؤكد أن هذا العبور ، هو عملية مسرحية ، دفع فيها دم كثير ، بلا مبرر . . وقال النائب البريطانى الصهيونى (كروسمان) فى نداء وجهه الى زعماء اسرائيل (أن القتال فى غرب القناة طنطنة لن تفيد . الاولى بكم أن تواجهوا الواقع) ..

وبدأت فى اسرائيل حرب الجنرالات على صفحات الصحف الاسرائيلية والعالمية ..

وجاء التقرير المبدئى (للجنة اجرانات) للتحقيق فى مسئوليات الهزيمة فاضحا لغرور الجنرالات : وكانت اللجنة مشكلة من : رئيس المحكمة العليا ، والجنرال يادين ، والجنرال حاييم لاسكوف رئيس الاركان الاسبق ، وموشى لاندوا قاضى المحكمة العليا ، واسحق فنتراحى رئيس لجنة رقابة الدولة .

وتضمن مانشر من هذا التقرير المبدئى ادانة كاملة للجنرال دافيد اليعازر رئيس أركان الجيش الاسرائيلى . اتهمته اللجنة بأنه تقاعس عن أى جهد حقيقى لكى يستخلص استنتاجا سليما للموقف كقائد عسكرى ، حتى أنه لم يقم بزيارة الخطوط الامامية خلال فترة زيادة التوتر فى الاسبوع السابق على بدء القتال . . وكانت الدلائل كلها تشير الى أن مصر وسوريا كانتا تستعدان للحرب . وقال التقرير ان المخابرات العسكرية الاسرائيلية طبقت نظريات عفا عليها الزمن ، جعلتها تتجاهل المعلومات الواضحة

التى قدمها قادة الميـــدان وآخــرون فى الايام السابقة لنشوب الحرب .. وقالت ان هذه النظريات البالية هي أن مصر لايمكن أن تدخل الحرب ، ما لم تقم أولا ، بتجنب نسبة مئوية معينة من قوة سلاح الطيران الاسرائيلى عن طريق ضربها ، وتجاهلوا الحقيقة بأن مصر مزودة بصواريخ سوفيتية حديثة ، تمكنت الى حد كبير من تحييد قوة سلاح الطيران الاسرائيلى ..

وقال التقرير : عنـــدما اتفق قادة المخـــابرات على أن مصر وسوريا سوف تهاجمان يوم ٦ أكتوبر ، فانهم اخطأوا فى حســاب الساعة التى سيبدأ فيها الهجوم . لقد حددوا السادسة مساء . وبدأ الهجوم قبل ذلك بأربع ساعات ، مما كلف اسرائيل خسائر فادحـــة ..

ولكن لاسباب سياسية دافعت اللجنة عن موشى ديان ،وقالت انه زار جبهة الجولان قبل نشوب القتـــال بأسبوع ، ودعا الى ارسال تعزيزات للمواقع اضافه للاوامر التى يصـــدرها رئيس الاركان ..

وطردت اسرائيل رئيس الاركان ، ورئيس المخابرات العسكرية، وقائد الجبهة الجنوبية .

وتعالت الاصوات : ليس هؤلاء وحدهم هم المسئولين .

وطالب الشعب الاسرائيلى بمزيد من الادانات .

وقال اليعازر : ان تقرير اللجنـــة ظالم ، لانه لا يحكم بميزان واحـــد ..

وطالب آلون باستقالة ديان ..

وهاجم اســـحق رابين القـــادة العســكريين .. وقال فى اجتماع حزب العمـــل وأنا أنقل هنــــا عن مؤلف الاسرائيليين) عيد الغفران) .. قال رابين (أن موسى ديان ، ورئيس هيئـــة الاركان ، ومدير المخـــابرات العسكرية ، كانوا جميعـــا واقعين تحت نوع من الحصـــار كانوا أسرى لاقتنـــاعهم العميـــق ولتصريحاتهم الخاصة . كان المصريون بالنسبة لهم لا يستطيعون شيئا . وكانوا عاجزين عن اى حرب . وانهم حتى اذا دخـــلوا

مثل هذه الحرب ، فانهم سوف يستحقون فيها بصورة لا قيام لهم بعدها) ..

وهاجم ديان الجنرال اسحق رابين . وقال انه كان مصابا بانهيار قبيل حرب الايام الستة ،عندما كان رئيسا للاركان .ودفع موشى ديان الجنرال عزرا وايزمان رئيس العمليات فى حرب ٦٧ ،أن ينشر وثيقة تدين رابين بأنه لا يصلح لشغل أى منصب قيادى . قالت الوثيقة ان رابين أصيب بانهيار عصبى حاد قبل وخلال حرب يونيو ، وظل عاجزا عن العمل تماما أكثر من ٣٦ ساعة قبل بدء الحرب مباشرة . وأنه لم يتخذ أى قرار أثناء الحرب . وكان يبدو عليه التوتر والتشاؤم . ولكن الجماهير خدعت فى رابين واعتبرته بطلا قوميا ، بسبب انتصار اسرائيل السريع فى حرب يونيو وهو أمر لا دخل لرابين فيه . وقال وايزمان ان الجنرال رابين استدعاه فى الساعة الثانية من صباح ٢٣ مايو ١٩٦٧ ورجاه أن يتولى عنه منصب رياسة الاركان ، وكان يبدو رجلا محطما تماما . وقال الدكتور جبلوت الطبيب العسكرى الذى كان يتولى علاجه : ان رابين يعانى من انهيار عصبى حاد .

ورد رابين ، بان هذه الوثيقة نشرت بايعاز من ديان . وأنه عرض فعلا على وايزمان رياسة الاركان ، بسبب الاجهاد الشديد الذى أصيب به أثناء الاعداد لحرب يونيو ، ولكنه لم يصب بانهيار عصبى

ولا اريد أن أفيض فى حرب الجنرالات لانها يمكن ان تستغرق مؤلفا خاصا . ولكننى أقول أن كل الحركات الدعائية التى قصدتها اسرائيل ، من العبور الى الغرب بتضحيات غالية جدا ، لم تحقق أهدافها فى تغطية الهزيمة . وانتهى الامر بانسحابهم . ومنع ديان تصوير الانسحاب ، وقال انه انسحاب من جانب واحد ،وانسحاب كهذا سيكون له أسوأ الاثر على الروح المعنوية للشعب الاسرائيلى(١)

---

(١) أصدرت مؤسسة الدراسات الفلسطينية ملحقا خاصا تضمن كل ما نشر من موضوعات وأبحاث وندوات عسكرية وسياسية داخل اسرائيل بمناسبة مرور عام على حرب اكتوبر .

ويتحدث هذا الملحق عن انهيار ديان فى ٩ اكتوبر واقتراحه الانسحاب الفورى من سيناء والجولان ، وكيف منعته جولدا مائير من التوجه الى التليفزيون الاسرائيلى لاعلان ذلك .. =

. . . .

= وهذا موجز لما سجلته مؤسسة الدراسات الفلسطينية :

●● تناولت لجنة اجرانات ، التي عينت للتحقيق فى اسباب التقصير فى حرب تشرين ، الناحيـــة العسكرية منه ، ونشرت تقريرها الاولى ، الذى استقالت الحكومة على أثره ، الا أن التقرير لم يتعد القيادة العسكرية الى الزعامة السياسية ، التى كانت فى النهاية مسئولة عن القرار (انظـــر نص التقرير ، ملحق نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٤ ، ص ٢٤٠) . ولكن شلوموا اهرونسون (هآرتس ١٦ و ٧٤/٩/٢٠) ، عـــاد وطرح السؤال : ((ماذا كان أصل (التقصير) ، أى غياب الاستعدادات والاحباطات العسكرية الاولى ، والتطورات السياسية غير المتوقعة .. وهل وقعت هنـــا مفاجأة وخطأ استخبارى ، أم كمنت فى الاساس نظـــرية سياسية ــ استراتيجية ــ تكتيكية كاملة ، لم تصمد فى الامتحان ؟)) . واستطرد اهرونسون متسائلا : (كيف نفسر كلام رئيسة الحكومة ، يومها ، ان اسرائيل (لم تؤخذ على حين غــرة) ، وكلام وزير الدفاع انه يجب الاســتعداد للحرب (فى النصف الثانى من هذا الصيف) ، والكلام الذى نسب الى وزير الدفاع فى جلسة ((للمطبخ) ، عقدت قبل الحرب ــ (اذا نشبت هناك ــ فى سيناء ــ حـــرب فلتنشب) . وكيف نفسر اجلاء العائلات عن ابو رديس قبل الحرب بيومين ، مقابل اهمال جنود التحصينات المأساوى ؟ وكيف رسمت لجنة اجرانات خطا عريضا الى ذلك الحد ، وفصلت بشكل لا يقبـــل التأويل بين الجنرال ديان واللواء العازر ؟ ولماذا نحى اللواء جونين ، واعفى اللواء العازر بقـــرار لا رجعة عنه ، فى حين ظل موضـــوع ديان (مفتوحا) ومعرضا للتفسيرات المختلفة)) ؟ .

وفى اجابته عن تلك الاسئلة ، استعان اهرونسون فى مقالته ، بدراسة قام بها أحد الطلاب فى الجامعـــة العبرية اسمه (تسفى كلاين) . وحاول اهرونسون ان يبرز دور دايان فى (التقصير) ، مما أثار بعض ردود الفعل فى الصحف الاسرائيلية .. =

• • • • • • • • •

= ● **ويقول اهرونسون :**

((ان كلا من الحكومات العربية وموشي دايان قد تأهب للحرب لاحراز مزايا عسكرية ، تمهيدا للمفاوضات السياسية التى كانت متوقعة بعد الانتخابات) .. واستنادا الى دراســـة كلاين ، فان ديان (قد تنبأ بالحرب ، ولكنه لم يرغب فى حرب وقائية) وكان يرى كمــا دارج فى الجيش الاسرائيلى ، ان الفجــوة بين الجيوش العربية والجيش الاسرائيلى كبيرة ، ولذلك فمن الممكن ((المخاطرة بحرب عربية)) . وكان الامل ان تهزم الجيوش العربيــة بشــكل لا يقبل التأويل ، وبالتالى التقدم نحو المفاوضات من واقع اقوى . وبعد الهجوم العربى ، ((ستقوى دعوى اسرائيل بشأن أهميــة المناطق ، من اجل الحفــاظ على توازن القوى)) . وكذلك ، فان فشل الهجوم العربى سيعلمهم ((بانه لا يمكن الحصــول على شيء بالقوة .. ومن هنا عليهم البحث عن سبيل آخــر ((والانتصــار الاسرائيلى الكاسح سيفهم واشنطن ((انه ليس امام العرب خيار عسكرى ، فتضغط عليهم لسلوك الطريق الاسهل لنا)) .

واضاف اهرونسون ان قرار الحكومة بالامتناع عن شن حــرب وقائية، اتخذ اساسا علىخلفية الادعاءات الاسرائيلية تجاه حكومة الولايات المتحدة ، بشأن الحـــدود الآمنة ، ((بما فى ذلك قعود اسرائيل على طول قناة السويس ، اذ كانت تقول ان هذه الحدود تعفينا من ضرورة اللجوء الى حرب وقائية)) . ومن هنا ، ((ومن اجل تبديد اى ظل للشكفى مسألة (من الذى بدأ) ،و(من المذنب) أخر وزير الدفاع ، قدر استطاعته ، تجنيد الاحتياط)) واشــار اهرونسون الى ان الجيش تعهد لديان ((بأن التحصينات ستصمد وبأن السلاح الجوى ، وباقى القوات النظامية ، ستكفى الى حين تجنيد قوات الاحتياط)) . وان دايان لم يرد التحرش بالعــرب هذه المرة ، و ((رفض تجنيد قوات كبيرة)) . وهذا ، كمــا يراه أهرونسون ، يفسر الخلاف المعروف بين ديان والعـــازر بشأن حجم التجنيـــــد .

وعزا اهرونسون (هارتس ٢٠/٩/٧٤) ، الى كلاين قوله : ((ان الحكومة الاسرائيلية لم تتحول اكثر فأكثرالى نغمة (المفاجأة) ، =

. . . .

= التى ، بطبيعة الحال ، بدأ ((تقصير الاستخبارات)) يأخذ فيهـا دورا متزايدا ، الا بعد ان اتضح الخطأ الاستراتيجى التكتيكى (العظيم) ، سواء فيما يتعلق بنسبة القوات ، ام بابعاد التمزق وفداحة الخسائر)) ومضى اهرونسون يقول : ((كانت هنا حقا مفاجأة على المستوى العسكرى ، سواء الاستخبارى ام التنفيذى وعلى وجه الخصوص فى القيادة الجنوبية على اختلاف رتبها . ولكن لم تكن مفاجأة على مستوى وزير الدفاع . الا ان السيد دايان اضطر الى خلق انطباع (وجود مفاجأة) مع مرور الوقت ، لان الشعب فى اسرائيل لم يكن ليصفح عنه ، اذا قدم تفسيرا سياسيا فى اساسه ، يتعلق بجولة اخرى طفيفة ، قبل تجديد المبادرة الاميريكية . او اعترف بانه من خلال هذا الاعتبار ، فضل الامتناع عن تجنيد الاحتياط عن قصد ، حتى اللحظة الاخيرة)) .

● **وتناول مارك جيفن (عال همشمار ٧٤/٩/٢٥) سلوك دايان خلال الحرب ، فقال : ((من الواضح لى ، دون اى جدل ،** ان الحرب التى ادت الى انهيار فلسفة ديان ، ادت فى لحظات معينة الى انهياره هو شخصيا . وصحيح أن بموشيه ديان قدرة، لا بأس بها ، على التكيف مع كل وضع تقريبا ، ولكن ديان اليوم ليس ديان ما قبل حرب يوم الغفران .. وخلال الحرب ، شاهدنا وسمعنا كيف تتحطم خرافة ديان ، القادر على كل شىء ..)) .

وتطرق جيفن الى لقاء ديان برؤساء تحرير الصحف الاسرائيلية يوم الثلاثاء ١٩٧٣/١٠/٩ ، فقال : ((كان الذى اذهلنا جميعا ، هو تقديره باننا سنضطر الى الانسحاب فى سيناء الى خطوط جديدة ، اذ ليس فى استطاعتنا صد المصريين وارجاعهم الى ضفة القناة الغربية)) . ونقل جيفن عن ديان قوله : ((ربما كان باستطاعتنا محاولة ذلك ، ولكننا سندفع ثمن هذه المحاولة غاليا ، فى ميزان القوى الحالى ، لان قوة الجيش الاسرائيلى الاساسية يجب ان تدافع عن دولة اسرائيل ، وليس عن الصحراء)) .

وقال جيفن ان ديان كان ينوى الظهور فى برنامج تليفزيونى ، يقول فيه ((هذه الحقيقة)) الى الشعب الاسرائيلى. واعترف جيفن =

. . . .

= بأن قرار ديان ((اثارذهولا لدى الجميع)) ،لان الجمهور الاسرائيلى لم يكن معدا لتقبل هذه الاخبار ، خصوصا ((وان التقارير الصحافية كانت تنطوى على مبالغة للافضل ، سواء بسبب نقص المعلومات الوثيقة ، ثم بسبب الرغبة فى تشجيع السكان)) .واكد جيفن ان ظهور ديان ذلك ، كان سيؤثر كثيرا فى الروح المعنوية للاسرائيليين ولذلك ، حاول بعض محررى الصحف أقناعه بالعدول عن رأيه ، الا انه اصر على ذلك . وكشف جيفن أن جولدا مائير هى التى منعت ديان من تنفيذ خطته ، وقال : ((ومن جولدا نفسها حصلنا على اقرار بانها هى التى امرت ديان حقا بالامتناع من الظهور فى ذلك المساء على شاشة التليفزيون . وكانت لديها اسباب **وجيهة لالغاء ظهوره التلفزيونى . فقد كانت تعلم بالكآبة التى يعيشها وزير الدفاع ، منذ مساء يوم الاحد ، ففى ذلك اليوم ، اليوم الثانى من الحرب وعندما لم تتحقق توقعات ديان ، وكان الوضع على الجبهات حرجا جدا ، جاء وزير الدفاع الى رئيسة الحكومة ، وعلى شفتيه اقتراح بالانسحاب من مرتفعات الجولان وسيناء معا ، ووصف الوضع بصورة مكدرة جدا ، واعتبر الانسحاب الملاذ الاخير)) .**

ومضى جيفن يتحدث عن انهيار ديان ، فقال : ((وعندما رفض اقتراح ديان المذهول بالانسحاب من الجولان وسيناء ، توقف وزير الدفاع ، فى الواقع ، عن التدخل فى ادارة الحرب .

وأصيب ديان بالذعر خلال المراحل اللاحقة من الحرب ايضا ، عندما برز فى الواقع النصر العسكرى الاسرائيلى . وكان خوفه ناجما عن احتمال عدم انتهاء هذه الحرب ، لان العرب نفسا طويلا ، ولانه ، فى هذه المرة ، يقف ضدنا عالم عربى كبير وموحد)) **. واورد جيفن من اقوال ديان ما يلى : ((لا ارى دلائل على الاستسلام من جانبهم ، حتى لو دخلنا القاهرة ودمشق .العالم العربى باسره ضدنا . ١٠٠ ــ ٢٠٠ مليون عربى ، من الجزائر الى الكويت ، ولديهم الوقت والصبر .. يستطيعون أن يخسروا ، ويرفضوا الكلام عن وقف القتال .. لو عرضوا علينا العودة الى =**

. . . .

= **الخطوط السابقة في سوريا ومصر كشرط لوقف القتال ، لما رفضنا ذلك .. واذا بدت احتمالات لوقف عتال حقيقى ، فسأشعر بارتياح كبير ... » .**

(الانهيار العسكرى)

● كتب زئيف ، المراسل العسكرى لصحيفة ((هارتس)) مقالين عن يوم ٨ تشرين الاول (اليوم الثالث للحرب)) . وذكر ان ذلك اليوم كان اهم يوم فى الحرب على الجبهة المصرية ، وشبهه بالمعركة حول ستالينجراد ، ومعركة ميدواى Midway البحرية فى المحيط الهادى خلال الحرب العالمية الثانية .

وقال شيف ، فى مقاله الاول (هارتس ٧٤/٨/٢٥) : (فى ذلك اليوم قام الجيش الاسرائيلى ، بمساعدة قوات الاحتياط ، التى استطاعت التجمع فى الجبهة ، بأول هجوم مضاد على الجبهة المصرية . وقد صد هذا الهجوم الاسرائيلى ، وتكبدنا خسائر جسيمة . وبقى الكثير من رجالنا ، سواء المصابون ام الاصحاء فى الميدان ، دون امكان انقاذهم ، ووقع قائد كتيبة مدرعات اسرائيلى فى الاسر .

((كانت القيادة العليا للجيش الاسرائيلى مقتنعة باننا سنعبر القناة فى اليوم نفسه . وارسل تقرير الى الحكومة يفيد ان العبور قدا بدأ . وظهر ان التقارير الواردة من الميدان غير صحيحه . واحدث هذا الفشل هزة عنيفة . وكانت هذه هى المرة الثانية من الحرب بعد المفاجأة التى داهمتنا ظهر يوم الغفران . وفى الحقيقة هدد القتال ، فى ذلك اليوم ، مصير معظم تحصينات القناة التى لم تكن قد سقطت بعد . ففى مساء ذلك اليوم ، شعرنا لاول مرة وبصورة ملموسة ، باننا وقعنا فى خطأ بالنسبة الى تقدير ميزان القوى ، وتأثير انواع معينة من الاسلحة فى ميدان القتال . وادركنا اننا اخطأنا فى بناء قواتنا)) .

واضاف شيف ان تلك الهزة جعلت القيادات الاسرائيلية تتردد ((بالنسبة الى المراحل التالية)) ، حيث تقرر تأجيل العبور =

. . . .

= الاسرائيلى الى غربى القناة مدة اسبوع وتقرر ايضا نقل مركز الثقل الى الجبهة الشمالية ، السورية ، بينما اخذ الجيش المصرى ، فى تلك الاثناء ، يدعم ويحصن نفسه فى سيناء)) .

وتحدث شيف عن ((حرب الجنرالات)) فى الجبهة الجنوبية التى نتجت عن احداث يوم ٨ اكتوبر ، والفشل الذى منيت به القوات الاسرائيلية . وتحدث عن الخلافات بين جونين قائد جبهة سيناء ، وشارون قائد اوغدا (مجموعة الوية) فى تلك الجبهة . وكيف اثرت هذه الخلافات فى سير المعارك . وبالتالى ، لم تستطع قيادة الجيش الاسرائيلى تنفيذ الخطط التى اعدتها فى السابق ، لمواجهة احتمال عبور مصرى . وقال فى هذا الصدد : ((كان مفهوم الجيش الاسرائيلى هو نقل الحرب الى الجانب الثانى ، الى أراضى العدو . وكان من الواضح ، دائما وأبدا ، انه فى حال عبور مصرى للقناة ، سيشن الجيش الاسرائيلى هجمات مضادة فورية . وبعد ذلك ، يبدأ هجوما مضادا موازيا واسع النطاق ، ويعبر القناة . وكان الهدف هو العبور من خلال استغلال الهجوم المضاد . ولهذا الغرض اعدت فى القيادة ، خلال سنوات ، خطط مفصلة للعبور ، فى عهد شارون عندما كان قائد المنطقة ، حتى انه جرى تمرين عبور كبير فى سيناء)) .

وأشار شيف الى البيانات ((غير الصحيحة)) التى كانت تصل الى الجبهة ، فذكر ان ((الاحساس بان كل شىء يسير بموجب الخطة ، وان الجيش الاسرائيلى يصد المصريين ، استمر حتى ما بعد الساعة الخامسة صباحا . ففى الساعة ١٩ر٥ ، قال اللواء جونين لرجال القيادة ، ان الوضع فى الجبهة الجنوبية استقر ، لذلك فهو يزمع نقل قوة دان شومرون الى الشمال . وبعد ذلك بدقيقة ، انقلب كل شىء رأسا على عقب . ووصلت الاخبار المقيتة **التى غيرت الصورة)) . وهى انه لم يبق من ٢٤٦ دبابة التى يقودها اللواء البرت مندلر ، سوى ١٠٠ دبابة سليمة . ((واتضح فجأة انه لم يبق اتصال ، فى الجبهة الوسطى ، الا بجزء صغير من الدبابات .. واتضح ، ايضا ، انه خلال بضع ساعات ، فى الظلام الذى خيم بين منتصف الليل وبين الساعة الخامسة صباحا ، فقد الجيش الاسرائيلى عشرات الدبابات ..)) .** =

. . . .

= وعندما وصل التقرير حول وضع الدبابات ، بدأ الهجوم المصرى ولم يستطع سلاح الجو العمل فى الفجر بسبب الضباب . ((وفى الساعة ٦ر٤٥ فقط ، نفذت الطلعة الاولى ، ووجهت ضد بطاريات صواريخ مصرية . ولكن هذه الطائرات غادرت ولم تعد .

((وبعد وقت قصير ، اتصل رئيس هيئة الاركان بجوين قائلا ان هناك حاجة الى سلاح الجو فى الشمال ، حيث اخترق السوريون الخطوط . وقال رئيس الاركان لجونين ((اصمد دون سلاح جو)) وقد ادرك هذا ان الدفاع عن مستوطنات سهل الحوله اهم ،وتلقى قرار دادو بتفهم .

((والان بدأت اكثر الساعات رهبة فى الجبهة المصرية . وقال جونين لرجاله فى غرفة العمليات ، ان الصد سيكون صعبا ، وقد يخسرون اراضى . وفى ذلك الوقت تبلغت غرفة العمليات ان قوات كوماندوز مصرية توغلت فى العمق وتهاجم اهدافا فى المنطقة)) ، ولدى سماع القادة العسكريين فى غرفة العمليات هذا النبأ سارع كل منهم الى حمل سلاحه الشخصى فى غرفة العمليات ، كما اغمى على شخص آخر يعمل على اجهزة اللاسلكى .

● وكشف شيف عن المزيد من اعمال رجال الكوماندوز المصريين فقال ان ((رجال الكوماندوز المصريين هاجموا قوة الدبابات الاولى التابعة لبيرن بقيادة نتكا .. وكان الكمين المصرى يضم ١٥٠ رجلا ، واطلقوا صواريخ ساجر وبازوكا آر . بى . جى . ، وخلال الضربة النارية الاولى احرقت دبابتان وعربة مجنزرة ، وقتل سبعة اشخاص وجرح ٢١ . ونشبت معركة . ولم يستسلم احد من المصريين .. ((واشار شيف الى فشل مهمة خاصة قامت بها طائرة الميراج ضد احد الجسور المصرية . واضاف يقول ((ثمة شهادة اخرى على خطورة الوضع فى الجبهة . ظهرت لدى وصول وزير الدفاع الى غرفة العمليات . فقد وصلها (يوم ٧ تشرين الاول) فى الساعة ١١ر٤٠ . وقبل ذلك ، طلب قائد طوافته الهبوط هناك ، ولكن جونين اقترح ان يتخلى وزير الدفاع عن الفكرة خوفا من الكوماندوز المصريين)) . وقد تخلى ديان عن الهبوط بالقرب من غرفة العمليات =

ويكفى أن ننقل للقارى بعض الصور عن كثير جداً مما كتبته صحافة العالم عن اسرائيل من الداخل بعد الهزيمة ..

وهذا بعض قليل جداً مما كتب بعد وقف النار .. وأثناء وجود القوات الاسرائيلية فى غرب القناة :

*** دان جيير : مراسل الاسوشيتدبرس : «** كان الشعب الاسرائيلى ينصت الى الانباء فى الراديو وأجهزة الترانزستور ، فى هدوء يشوبه الغم . مواطن اسرائيلى يقول لى : ان ما تحقق لا يساوى حياة جندى اسرائيلى واحد . وشاب آخر . كنا نحلم بطردهم من سيناء .. وقال ثالث : جاء وقف النار فجأة كما جاءت الحرب فجأة » ..

*** مراسل نفس الوكالة فى القدس : «** اختفى الناس من الشوارع المظلمة ، رأيت حاخاما يصلى مع زوجته الامريكية عند حائط المبكى . وتناقض هذه الصورة تماما منظر الجموع المحتشدة التى تدفقت نحو الحائط فى ١٩٦٧ للصلاة فى أيام الانتصار » .

*** خبراء عسكريون بريطانيون فى تليفزيون لندن : «** أننا لا نشك مطلقا فى أن مصر بعبورها القناة ، وتحطيمها لخط بارليف ، برؤوس جسورها ، جاءت بعكس كل التقديرات والتوقعات . وأن تقدم

= وهبط فى مكان آخر ، ثم جاء الى الغرفة بمجنزرة . وعندما اطلع ديان على خطورة الوضع ، اتصل لاسلكيا برئيس الاركان طالبا مساعدة جوية للجنوب . ولم يسمع من المحادثة سوى صوت ديان ، وهو يقول . فعلا دا جانبا اهم)) . ثم خاطب ديان قادة **المنطقة الجنوبية قائلا : ((هذه حرب صعبة وليست اشتباكا . يجب الانسحاب الى خط ثان ، الى الجبال . والتحصن هناك . ستحصلون على المساعدة الجوية ، ولكن ليس قبل صباح الغد . يجب ترك خط المياه . لا ينبغى الاعتماد على التحصينات . لا ارى أن الوضع سيتغير . وليس من المنطق مهاجمتهم ، ولا ان يحاول الرجال فى التحصينات الهجوم ليلا)) . وعندما سئل دايان عن ((مصير الجرحى فى التحصينات)) ، أجاب : ((الاصحاء يحاولون عبور الخطوط ، والجرحى ؟ لا خيار الا ان يقعوا فى الاسر)) .**

القوات المصرية فى سيناء هو نصر عسكرى ضخم . وأننا نشك تماما فى جدوى وجود قوات اسرائيلية غرب القناة ، لان وجود هـــذه القوات ، يمكن أن يتحول الى كارثة بالنسبة لاسرائيل » ..

*** الجنرال الامريكى أيفيل بانجر ـ يوئيتدبرس ـ لوس‌انجلوس**
« أن اسرائيل بقيت قائمة كدولة لاننا لم نخنها . فبدون الاسلحة والنفاثات الامريكية كان محتوما أن تفنى اسرائيل .

* مجلة (لانوفيل أوبزرفاتير) الفرنسية : نشرت مقالا بعنوان **(نهاية دولة اسرائيل الكبرى) بقلم فيكتور سيجلمان** ، يتحدث فيه عن أغانى الانتصار التى كانت ترددها اذاعة اسرائيل بعـــد حرب ١٩٦٧ عن (شرم الشيخ) و (القدس الذهبية) .. لقد حلت محلها اليوم فى حرب اكتـــوبر أغنية تلاحق الاسرائيليين ليل نهار من الاذاعة والتليفزيون ، وتقول كلمات الاغنية (باسم الجنود الذين احترقوا احياء فى دباباتهم .. باسم الطيارين الذين هبطوا والنـــيران مشتعلة فى أجسادهم .. باسم .. باسم .. باسم .. أعدك يا صغيرتى العزيزة ، أن هـــذه الحرب ستكون الاخيرة .. نعم الاخيرة . الاخيرة . الاخيرة) .. ويعلق الكاتب على ذلك بقوله : (كانت أغانى ٦٧ تعبر عن فرحة الحيــــاة ، ولذة النصر .. أما اليوم فقد خارت قوى الابطال ، ولم يسبق فى تاريخ اسرائيل القصير أن شعر الاسرائيليون ، بمثل هـــذه الشدة والحدة ، وبالتعطش الى السلام والهدوء وزوال التوتر). ثم يتحدث كاتب المقال عن أثر تصريحات ديان وغيره‌من العسكريين الاسرائيليين حول الانتصار المزعوم فيقول .. (ان الاسرائيليين انفسهم لا يشعرون بانهم انتصروا على الاطـــلاق .. والظاهرة الغريبة بالفعل ، تتمثل فى أن رجـــل الشارع الاسرائيلى لا يعبأ بمثل هذه الامور ، ولا يهمه كثيرا تحـــديد من الذى انتصر ومن الذى انهزم ، فالشاغل الرئيسى لرجل الشارع الاسرائيلى يتركز الان فى الانتهاء من هذه الامور بسرعة ، وفى اعادة الجنود المرابطين على الجبهة ، ووضع حد لقائمة القتلى والمفقودين والجرحى ، لكى يتسنى له ان يلتقط أنفاسه التى كادت تتوقف .. وحينما يقول الجنرال ديان : لسوف نصبح عما قريب ، أقوى بكثير مما كنا قبل الحرب . حينما يقول هذا ، يغضب الاسرائيليون او يبتسمون باستخفاف .. لقـــد فقـــدوا الثقة فى وزرائهم ، وهم يشكون فى جنرالاتهم السياسيين ، الذين يتبادلون الاتهامات) .

*** ويكتب ميشـيل سولومون فى صحيفة تريبيون دى جنيف السويسرية تحت عنوان ((كلمة أخطأنا .. على السنة جميـع اليهود)) .. ويقول :**

((تردد هذه الايام ، فى عناوين الصحف وفى المحادثات التى تدور بين الناس فى اسرائيل كلمـة عبرية هى كلمة ماندال أى الخطأ . تلك الكلمة التى تحمل معنى دينيا الى حد ما والتى وقعت منذ بداية الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة سواء بالنسبة للتأخر فى ادراك خطر الهجوم العربى ، أو فيما يتعلق بالاوضاع السيئة فى الميدان ، ونفس الشىء ينسحب بلا شك على الخلافات التى ثارت بين الجنرالات والتى قامت الصحافة المحلية والعالمية بترديد صداها)) .

*** وتنشر التايمز البريطانية تحقيقا عن أزمات مباحثات وقف النار بقلم اريك مارسدن يتناول فى ختامه الوضـع العسكرى الاسرائيلى بقوله :**

((ان الادلة تتزايد على وجود حالة من القلق تؤثر على كل الشعب فى اسرائيل وعلى الجنود فى الجبهة ، وقد أظهر التعبير عن قدر من الشعور بخيبة الامل فى الرسائل التى تلقتها الصحف . ولخص هذا الشعور بخيبة الامل بصورة عنيفة مقال كتبه زيف شيف فى صحيفة ها آرتس المستقلة . وهو مراسـل يتمتـع باحترام كبير اسرائيل . قال شيف : (ان الجنود يشكون من نقص الذخيرة وعدم كفاية المعدات . ويقولون بانه ينتابهم شعور مثير للاحباط ، لانهم لايتلقون اجابات عن الاسئلة التى يوجهونها حول الحـرب . ثم كتب (شيف) انه توصل الى استنتاجات مريرة وغريبة من الاحاديث التى أجراها مع عشرات الضـباط والاشخاص الذين يشغلون مواقع المسئولية)) .

** ومقال آخـر فى جريدة (ناسيونال تسابتونج بازل) السويسرية تحت عنوان (مزيد من الضحايا بعد ضريبة الدم) .. يقول الكاتب : (لقد جندت اسرائيل ـ أكثر من مليون شخص ـ منذ اندلاع حرب يوم الغفران ، وسوف يبقى هذا العدد الكبير فى الجيش عدة أشهر على الاقل . ويتكون هذا العدد من الشباب ، والغالبية من القوى العاملة ذات القدرات العملية . . وترتب على هذا انخفاض فى الانتـاج تصل قيمته الى ٤٠٪ ومع ذلك

فليس هذا أسوأ تأثير اقتصادي نجم عن الحرب . اذ أن التسليح العسكرى الذى تدهور فى الثمانية عشر يوما أثناء الحرب ، تكلف كثيرا من مليارات الجنيهات الاسرائيلية (الجنيه الاسرائيلى يساوى فرنكا سويسريا) ، ويصل اجمالى مرتبات الاحتياطى المستدعى أكثر من ٣٠٠ مليون جنيه اسرائيلى فى الشهر وهناك صعوبات فى نقل التموين الى السكان المدنيين ، بسبب نقص وسائل النقل ، لان أغلبية عربات النقل ، وجزءا كبيرا من سيارات الاتوبيس انضمت للخدمة العسكرية . لذلك فقد قررت الحكومة طلب ٢٥٠٠ عربة نقل ثقيلة ، ذات حمولة عشرة أطنان من الخارج . ولكن الامر يحتاج الى سائقين ، وكانت النتيجة أن كثيرا من المؤسسات الصناعية قد توقفت عن العمل ، لان بعض العمال ذوى المراكز الكبيرة قد جندوا)) ..

** ولم يكن الاسرائيليون ليصدقوا أبدا متحدثهم العسكرى حاييم هيرتزوج مدير مخابرات اسرائيل السابق . انهم يستمعون اليه منذ سنوات . وهو الذى صرح فى اليوم الاول للقتال ، أن القوات المصرية ستعرف معنى الهلاك والتدمير الكامل .

وهو الذى قال للاسرائيليين وبالتحديد فى ٢٧ فبراير ١٩٧١ أن النظام المصرى سيسقط اذا حارب المصريون .. وقال ((اذا فتحت مصر النيران ، فاننى أحذر المصريين بأن الرد الاسرائيلى سيكون ثقيلا جدا ، وعنيفا جدا ، وليس هذا فقط .. بل ان الرد الاسرائيلى لن يكون مفاجأة للمصريين وحدهم ، ولكنه سيفاجىء العالم كله)) .

وفعلا تحققت المفاجأة للعالم كله .. ولكن بهزيمة اسرائيل !

* ثم قال بعد ذلك : ان أى هجوم مصرى ، مصيره الفشل ، هذه حقيقة . ولكن ليعلم المصريون ، أن أى هجوم اسرائيلى ، سيؤثر بغير أدنى شك ، على هيبة ومركز الرئيس السادات ، ويعرض النظام كله للخطر .

* ثم قال : ان القيادة الاسرائيلية تتوقع طبعا ، أن يحاول المصريون القيام بعملية عبور للقناة ، تحت ستار المدفعية وحماية الصواريخ أرض ــ جو . ولكننى أقول للمصريين أننا نعد لهم مفاجأة قاصمة .

* وتصريحات أخرى لموشى ديان بالمئات :

** فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٩ (مؤتمر صحفى) : ((أن خط بارليف خط منيع يستحيل اختراقه . اننا أقوياء لدرجة تكفى لان نحتفظ به الى الابد . ان عمليات العبور المصرية ـ اذا حدثت ـ ستلقى الرد الحاسم ، ولن تؤثر على قبضة اسرائيل الحازمة على خط بارليف)) .

** فى ١٨ نوفمبر ١٩٧٠ (فى الكنيست) : ((اذا فضل المصريون استخدام القوة وعبور قناة السويس ، فاننى أعلن أن قواتهم ستتحول الى رماد)) .

** فى ٢٦ مايو ١٩٧١ (وكالة أ.ب) : ((اذا حاول المصريون الاقدام على مخاطرة العبور ، فان هزيمة دموية فى انتظارهم .. وحتى أصدقاؤهم ، يعلمون انهم لم يصلوا الى مستوى القتال)) .

** فى ١٩ سبتمبر ١٩٧١ (الوكالة الفرنسية) : ((اذا حاولت مصر عبور القناة فسوف يتم ابادة قواتها .. سيواجه الجيش المصرى كارثة)) .

** فى ٢٨ فبراير ١٩٧٢ (تصريحات صحفية وهو فى واشنطون) : ((أننى أحذر المصريين من الهلاك اذا أطلقوا النار)) .

***

وديان بنفسه هو الذى كان قد تصور أنه سيسحق الهجوم المصرى فى ٦ أكتوبر خلال يومين فقط .

واننى أترك للاسرائيليين انفسهم وصف الموقف ، كما سجلوه فى كتاب (عيد الغفران) .. فقالوا :

* ((حتى مساء ٦ اكتوبر لم يكن أحد قد أدرك بعد مدى اتساع التغلغل المصرى وأهميته الاستراتيجية . كانت عمليات تخليص المحاصرين باستخدام المدرعات عسيرة .. وصل الجنرال جونين الى الموقع الحصين الذى كان معدا ليستخدم بمثابة قيادة عامة لسيناء فى زمن الحرب . استقر الجنرال مندلر بدوره فى موقع متقدم للقوات المدرعة . كان الموقف يشير الى أن ما يقرب من ٥٠٠ دبابة قد اشتبكت بالفعل فى معركة فى الخط الاول .. وهى تبذل جهودا يائسة . أدركت القيادة العامة أن الخسائر

ستكون فادحة . تمكن المصريون من ابادة ٤٠ دبابة اسرائيلية وعربة ومصفحة ، بينما كانت تحاول اخلاء موقع محاصر صغير ، كما أباد المصريون وحدة اسرائيلية كانت تحاول انقاذ ٣٠ رجلا)).

* ((بعد ظهر يوم الاحد حضر الجنرال شارون والجنرال أدان الى موقع القيادة المتقدم . اقترح شارون تخليص المواقع الحصينة بفتح ثغرة فى الخطوط المصرية يأخذها من قواته . اقترح موشى ديان حل الموقف هكذا ((ليس أمامنا الان أن نختار . ان الذين يستطيعون الفرار عليهم أن يفعلوا ذلك . أما الاخرون فعليهم البقاء داخل الدشم)) . انه قرار رهيب . ولكن ماذا يمكن عمله غير ذلك ؟)) .

ومن نفس المؤلف الاسرائيلي انقل هذه الفقرة . انها تعطى الصورة الكاملة على لسانهم :

* كانت مشكلة اخلاء جنود خط بارليف ، هي التى أرقت ضباط مواقع القيادة المختلفة ، طوال الايام الثلاثة الاولى من الحرب . وكانت الرسائل التى يتلقونها بليغة كل البلاغة :

((ان ٨٠٠ جندى مصرى يهاجمون)) .

وبعد بضع ثوان من الصمت ، يجىء نداء جديد باللاسلكى :

((انهم فى ساحة الموقع . اننى مضطر الى التراجع للداخل . وهم يطلقون النار علينا)) .

وبعد ذلك يجىء الاتصال الاخير :

((انهم قريبون جدا .. ها هم قد وصلوا . انهم يدخلون الحصن)) .

وفى المؤخرة ، وعلى خرائط القيادة ، تمتد ذراع لنضع خطا تشطب به الموقع الذى سقط . ويعلو البكاء والنحيب بين رجال الاستماع الذين يتلقون الرسائل .

قال عامل لاسلكى اسرائيلى :

((اننى كنت أسمع صوتا . انها رسالة . ثم يكون الصمت . وعندئذ كنت أقول لنفسى : هذا قتيل آخر . لا تتعب نفسك بالحديث . انه لن يجيب .

كان ذلك هو الموقف فى مواقع خط بارليف . وفى الوحدات التى كانت تحارب القوات المصرية على طول قناة السويس)) .

***

وانقل هنا وصفا لاحداث الثغرة ، وكيف واجهنا على لسان الرئيس أنور السادات ..

قال الرئيس أنور السادات :

حدث بعد أن القيت خطابى فى مجلس الشعب يوم ١٦ اكتوبر أن ذهبت مساء الى مكانى فى غرفة العمليات . وكان المشير احمد اسماعيل الى يمينى والفريق الشاذلى الى يسارى . وفى هذا الاجتماع ، قلت للشاذلى : عليك ان تكون بعد ساعة ونصف فى الاسماعيلية لتنفيذ المهمة التى اتفقنا عليها ، وهى فرض طوق حول بحيرة الدفرسوار ، بحيث نترك اليهود يدخلون الى هذه المنطقة ، ولكن ليس خارجها ، بعدها تصبح كل القوة الاسرائيلية فى يدى . كلهم أسرى .عملية الدفرسوار عملية مسرحية . وقد سبق لى أن عممت توجيها محددا وجهته للمجلس الاعلى للقوات المسلحة قبل المعركة بخمسة ايام ، ان يكون قادة الجيش فى منتهى البرود ، ان الاسرائيليين سيلجأون الى عمليات تليفزيونية، مسرحية . ينزلون فى نقطة منعزلة فى العمق من أجل الارباك ، فى نقطة على البحر الاحمر -مثلا- فيصطحبون معهم المصورين والتليفزيون ويذيعون على الهواء بأنهم نزلوا واستولوا واحتلوا . مثل هذه الاعمال المسرحية تتم بسرعة على طريقة الحرب الخاطفة، تهدف الى أحداث انهيار نفسى . فاليهود يعتبرون أن العرب ((بتوع فوره)) . انهم يعتمدون على نظريات (بلتزكريج) Blitz Krieg التى طبقت فى بداية الحرب العالمية الثانية . والرد على مثل هذه العمليات معروف . نحن نشبهها بماكينة مليئة بالتروس ، تدور بسرعة . فلو استطعت أن تضع بين هذه التروس حصاه صغيرة ، فستقف الماكينة وتتكسر . هذا تشبيه عسكرى معروف عندنا . وعندما وقعت عملية الدفرسوار ، ادركت منذ البداية انها من هذا النوع . وكان عندى فى القناطر الخيرية أخيرا الجنرال (بوفر) وقد أيد وجهة نظرنا تماما بأن عملية الدفرسوار هى عملية تليفزيونية ، لذلك قلت للشاذلى : خلال ساعة ونصف ، يجب أن تصل الى الاسماعيلية وتمنع أن يتجاوز الاسرائيليون النطاق الذى حددناه لهم . وأنا لا أريد التحدث فى تفاصيل ما وقع خلال الثلاثة أيام التى أعقبت ذلك .

والذى حدث أن المشير اسماعيل اتصل بى فى الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة ١٩ أكتوبر وذهبت وكان رأى الشاذلى أن علينا ننسحب من سيناء . ودرست العملية فوجدت أن التوسع الاسرائيلى ليس مخيفا . والدليل اننى استطعت أن أوقف القتال عند خط ٢٢ أكتوبر ، وهو الخط الذى كان يسميه ديان والعسكريون الاسرائيليون (المصيدة) .. لم يكن الشاذلى يعارض وقف اطلاق النار كما أشيع بعد ذلك . كان يطالب بانسحاب القوات كلها . وهذا هو هدف اسرائيل من عملية الدفرسوار ، أن انهار وأسحب قواتى الى الشرق . عندئذ ، وبعد أخذت قرار اعفاء الشاذلى من منصبه ، عينت مكانه الجمسى رئيسا للاركان، وأبقيت هذا القرار سرا طيلة شهرين . ليه ؟ لانه لم يكن جائزا أن أعلن شيئا لا أمام قواتى المسلحة ولا أمام البلد ولا أمام الاسرائيليين . هذه قصة الشاذلى .. وقد عينته سفيرا فى لندن، لان الرجل عبر واقتحم خط بارليف . وسوف اذكر دائما أن المراسلين الاجانب كتبوا أيام المعركة أن نظام المرور فى الجبهة كان أفضل من نظام المرور فى القاهرة . كان هذا جهده . ورأيه فى ضرورة الانسحاب من الشرق لايخرج عن أن يكون رأيا .

كان القرار المصرى اذن ، مقاومة الثغرة عسكريا ، بدون انسحاب أى جندى مصرى من الشرق الى الغرب .

وهذا هو القرار الذى اتخذ يوم ١٩ اكتوبر بعد عودة الشاذلى الى اجتماع القيادة العامة فى القاهرة ، من الجبهة .

وعاد الرئيس من القيادة الى مكتبه . وارسل للقوتين الكبيرتين، استعداده للاستجابة الى وقف النار ، بضمان القوتين ، أن يتم الانسحاب الكامل . وفى نفس الوقت ارسل الرئيس الى دمشق رسالة للرئيس الاسد بها كل تفصيلات الموقف .

وفى ١٢ ديسمبر ٧٣ عين الفريق الجمسى رئيسا للاركان .. وعين اللواء سعد مأمون قائدا لجبهة مقاومة الجيب الاسرائيلى.

وكنا جاهزين للقتال وطرد الاسرائيليين فى ٢٤ ديسمبر ،عندما درست الخطة فى اجتماع عسكرى بالقناطر برياسة السادات . وأقرها القائد الاعلى . ولم يبق الا التوقيت .. وكانت الدبابات التى كنا نحتاج اليها ، قد استكمل وصولها من الجزائر ..

ثم حدثت اتصالات السلام . وجاء كيسنجر الى القاهرة . وأعلن اتفاق وقف النار ..

خطة "شامل"
لتدمير الثغرة

قال لى الفريق الجمسى رئيس أركان حرب القوات المسلحة :

ـ اتخذ القائد الاعلى قرار مقاومة الثغرة الاسرائيلية عسكريا فى ١٩ أكتوبر ١٩٧٣ .

قلت :

ـ وأعلم انك عينت فى هذا اليوم رئيسا للاركان ..

قال :

ـ القرار اعلن بعد ذلك .. لقد ظل سرا حتى ١٢ ديسمبر ..

قلت :

ـ ماذا كانت خطة مقاومة الثغرة ..

قال :

ـ لقد تم ايقاف النار الفعلى ظهر يوم ٢٨ أكتوبر ، بعد وصول قوات الامم المتحدة .

واعتبارا من ٣١ أكتوبر بدأنا تنفيذ حرب استنزاف مخططة ضد العدو غرب وشرق القناة .

كانت أمامنا مهمة رئيسية وهى ألا نسمح للعدو أن يتمركز أو يخندق ويثبت اقدامه فى الغرب . كان هذا عملا يوميا للقوات المسلحة ، الى أن يبدأ الهجوم لتصفية هذا الجيب بعملية شاملة ..

وقد وضعت خطة الهجوم الشامل .. نوقشت .. صدق عليها القائد العام .. وتقرر ان يعين لقواتنا فى الغرب قيادة منفصلة تقود جميع القوات لتصفية الجيب . ونترك قوات بدر فى الشرق تقاتل معركتها . وقوات الجيش الثانى تقاتل معركتها ..

وقد سلمت الخطة الهجومية لجميع قيادات القوات المسلحة . الطيران الدفاع الجوى . البحرية . واختير اللواء سعد مأمون لقيادة قوات الهجوم وتنفيذ الخطة .

وعرضت على السيد الرئيس القائد الاعلى أنور السادات فى ٢٤ ديسمبر وصدق عليها .. ولم يبق الا تحديد الموعد .. بقرار من سيادته .

وكانت حرب الاستنزاف مستمرة .. طبقا للتخطيط الموضوع لها ، وهو ضرب قوات العدو غرب وشرق القناة ، وعلى طول المواجهة ، بهدف ايقاع أكبر خسائر فى أرواحه ومعداته ، ومنعه من تحسين مواقعه .

وطبقا لبيانات الامم المتحدة ، قامت قواتنا ب ٤٣٩ عملية ضد العدو ٣٩ عملية فى نوفمبر و ٢١٣ عملية فى ديسمبر .. ومن أول يناير الى ١٧ يناير ١٣٣ عملية .

وهذه هى الخسائر التى أعلنها العدو : ١١ طائرة ، ٤١ دبابة ومدرعة ، ١٠ رشاش ثقيل ، ٣٦ معدة هندسية ، ١٨٧ قتيلا .

لم يحدث اذن أى توقف فى عملياتنا .. حتى تم اتفاق فك الارتباط . استمر حرب استنزاف لم تترك للعدو هدوءا ليلا أو نهارا ..

***

اعود الى خطة تصفية الثغرة .. التى صدق عليها الرئيس فى ٢٤ ديسمبر وهنا يذيع الفريق الجمسى هذه الاسرار :

* لقد سلمت الخطة الى جميع قيادات القوات المسلحة فى ٧ ديسمبر .

* صدرت التعليمات لكل القوات للاستعداد لتنفيذها . تخطيط . اعداد . تدريب . استكمال .

* كانت ساعة الصفر المقررة أول ضوء يوم ١٨ ديسمبر .

* ولكن طبعا ترك تحـــديد ساعة الصفر للقائد الاعلى . . لاختيار الوقت المناسب سياسيا . وتم هذا فى اجتماع المجلس الاعلى للقوات المسلحة برياسة القائد الاعلى السيد الرئيس .. فى ٢٤ ديسمبر . اقر الرئيس الخطة .. وكان أمره .. ((كونوا جاهزين فى أية لحظة)) ..

وتم اختيار الاسم الكودى للخطة .. ((شامل)) ..

وسألت الفريق الجمسى :

ـ كيف يتم اختيار اسم الخطط العسكرية ..

قـــال :

ـ قد يكون الاسم رقمـا . وقد يكون تعبيرا عن أهـــداف الخطة .. كنا قد اخترنا اسم (واصل) لخطة تصفية الثغرة .. بما يعنى أننا سنصل الى قوات بدر فى الشرق . ثم رأينا ان اسم (شامل) هو الانسب .. لانها كانت هجوما شـــاملا ..

***

والتقيت بعد ذلك باللواء سعد مأمون الذى اختير لقيـــادة الهجوم .. وكشف لى بعض أسرار الخطة باذن خاص .

لقد بدأ تكليف اللواء سعد مأمون من المشير احمـــد اسماعيل بقيـــادة الهجوم على الثغـــرة فى الساعة الثالثـــة من مساء ١٢ ديسمبر .

استدعاه القائد العام وقال له :

ـ يبدو يا سعد انك ستغادرنا وتعود الى الميدان من جديد ، كمندوب للقائد العاملقيادة القوات الرئيسية غرب القناة لتصفية الثغرة . أنت من الان مسئول أمام وزير الحربية والقائد العـام عن تدمير الجيش الاسرائيلى . وثقتى فيك لا حدود لها . متى يمكن أن تسافر ؟ ..

سعد مأمون :

ـ لن أنسى ما حييت هذه الثقة . وسأحقق المهمة باذن الله.

وسافر الى الجبهة على الفور . وقام بجولة على الحدود الامامية للقوات من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب . قام بتعديل الخطة على الطبيعة وفقا لما رأى .

صدق وزير الحربية على التعديل الاخير . ناقش الرئيس الخطة فى ٢٤ ديسمبر كما ذكرنا . ركز الرئيس فى توجيهاته على أمرين :

* أهمية التعاون المشترك للقوات البرية مع القوات الجوية والبحرية والدفاع الجوى .

* أهمية العمل الحاسم السريع للمدرعات .

ثم يستطرد اللواء سعد مأمون :

كانت الخطة تعتمد على :

١ ــ تقدير سليم لقدرات العدو .

٢ ــ تحديد واضح لنقاط ضعفه .

٣ ــ تحديد سليم لنقاط قوته .

ان العدو فى مصيدة . وكان يجب أن أزيده احساسا بأنه فى مصيدة . كان العدو متخذا أوضاعا دفاعية لا هجومية . كان يدافع فى حالة نفسية سيئة . ويبدو قلقه فى جميع تصرفاته .. ان أوضاعه الدفاعية تدل على فزعه . مثلا رص العدو أمامه حوالى ٧٠٠ ألف لغم . حفر خنادق مضادة للدبابات على معظم المواجهة (عرض من ٦ الى ٧ أمتار ، وعمق ٥ أمتار) كان لديه من ٥٠٠ الى ٦٠٠ دبابة .

وكان شعارى أن نلقن العدو درسا .. أقسى من درس العبور وتحطيم حصون بارليف ..

وواقع الحال أن لجيب الاسرائيلى كان هشا ..

كل دبابة للعدو فى الغرب .. كان يقابلها حوالى دبابتين فى قواتنا ، وقطعتين مضادتين للدبابات .. علاوة على نيران المدفعية والطيران .. علاوة على احتياطى القيادة العامة للقوات المسلحة الموضوعة تحت سيطرة المشير .

وقد قدرت خطة (شامل) كافة الاحتمالات ، بطريقة لعلها أحسن من تحضيرات ٦ أكتوبر وكان تفكيري ان النصر فى هــذه العملية لا يحتمل الجدل ولا التجربة . وقمنا بمشروعات حقيقية للخطة على أرض مشابهة .

وكان التقــدير :

بالنسبة للوضع العسكرى العام .. انه تم احتواء العدو تماما فى الغـــرب .

لقد حاصرنا العدو من كل جانب وله منفذ واحد فى الدفرسوار لا يزيد عرضه على ٦ كيلو مترات . وكان مقررا اغلاق هذا المنفذ بالقوات فى ساعات قليلة .. وهـــذه الشريحة كان مخصصا لها اعداد هائلة من القـــوات .

وسألت اللواء سعد مأمون :

ـ أرجو أن تصرح أكثر ببعض أسرار خطة الهجوم .

قـــال :

ـ دون أن ادخل بك فى نواح عسكرية جافة ، أو أفشى خطة سرية .. كان المقرر أن نصفي الجيب الاسرائيلى على ٤ محاور بالتعاون مع كافة أفرع القوات المسلحة . أى اننا كنا سنهاجم من ٤ اتجاهات . وكانوا حقا فى مأزق .

قلت :

ـ لماذا فى مأزق وقد تمكنوا من توسيع رقعتهم ؟ ..

قـــال :

ـ هذا هو المأزق . ان قوات العدو فى ٢٢ أكتوبر تمكنت من عمل رأس شاطىء واحد غرب الدفرسوار بمساحة ٧٠ كيلومترا مربعـــا (٧×١٠) .. قواتنـــا فى الشرق كانت قد عملت رؤوس شواطىء فى الجيوش مساحتها ٧ آلاف كيلومتر مربع . أى مائة ضعف . كان موقف العـــدو العسكرى حرجا للغاية . لذلك حاول أن يحول هذا الوضع الحرج (لصغر حجم راس جسره فى الغرب) الى وضع محتمل بأن ينتشر جنوبا . ثم طور فكرته لانه

أحس أن هذا الانتشار ، فيه نوع من اضعاف قوته فى الكثافة أمام القوات المصرية . حاول دخول السويس . قطع خطوط المواصلات لعزل جزء من الجيش الثالث فى الشرق . والهدف هو أن يساوم بهذا الوضع الجديد على موقفه الحرج فى الغرب . ولكن وضعه عسكريا هش جداً .

قلت :

ـ لماذا ؟

قال :

ـ لا يوجد لدى العدو ما نعبر عنه بالاتزان الاستراتيجى .. قوات شبه محصورة فى الغرب . عجز عن زحزحة قواتنا فى الشرق بوصة واحدة على طول المواجهة من عيون موسى جنوبا الى بور فؤاد شمالا . وخلال حرب الاستنزاف اعتبارا من نوفمبر ٧٣ اكتسبنا نحن أرضا جديدة غربا وشرقا . ثم أنه مجبر على التعبئة الكاملة فى اسرائيل . كل لقمة . كل جرعة ماء . كل دانة مدفعية. كل نقطة بنزين . يجب أن تصل اليه من بعد ٣٠٠ كيلومتر فى الخلف .. من مخنق عرضه ٦ كيلومترات .

كان التخطيط أن نقفل هذا الممر ، ونشعله نارا . فى نفس الوقت الذى ندمر فيه قواته فى الغرب .. واستطيع أن أقول ان هذا كان سيتم فى (لا وقت) ! اى وقت قليل جدا !

قلت :

ـ ولماذا لا وقت ..

قال :

ـ نعلم من خط بارليف ان الدفاع مهما كان حصينا ، يمكن اختراقه . فما بالك بهذا الجيب . قواعد طيراننا قريبة جداً .. الدفاع الجوى استطاع أن ينشىء حائطا ثانيا للصواريخ أقوى مما كان . العدو .. ثقته فى نفسه وفى قياداته اهتزت ولا شك أن العدو بتصويره الجوى لقواتنا فى الغرب أدرك ما يمكن أن يحدث له ، ولذلك فضل الانسحاب فى سلام . وكان من المستحيل أن تنسحب اسرائيل لو كان لديها مجرد أمل فى امكانية البقاء

الرئيس يعلن الاتفاق

دعا الرئيس أنور السادات رؤساء تحرير الصحف الى اجتماع خاص فى أسوان تم فى الساعة ١١ من مساء يوم الخميس ١٧ يناير ١٩٧٤ قال الرئيس :

ــ أنا متأسف . أخرتكم . لقد وصلنى من كيسنجر الساعة ٨ مساء أن كل شيء حول اتفاق فصل القوات .. تمام . رايت قبلكم نواب رئيس الوزراء واريد الان أن أوضح لهم الصورة . ما تم أخيرا وخلفياته ..

فى نوفمبر جاء كيسنجر بعد وقف النار . انهينا الى النقاط الست . هرج علينا كثيرا بعض العرب وغيرهم على أنها تنازلات من جانب مصر . الان ممكن أن أتكلم فى الوقت المناسب . العملية مستمرة . وتجيء مراحل يمكن الافصاح عنها . المراحل المقبلة كثيرة . ومن الخطأ الحكم على جزئية بسيطة فى احدى المراحل .

جاء كيسنجر . انتهينا الى النقاط الست . قيل انها تنازل من جانب مصر . هى العقدة القديمة قبل ٦ اكتوبر اننا لن نستطيع عمل شيء . كيسنجر سيضحك عليكم . أنا ما حدش يجبرنى آكل لقمة توجع بطنى . آن الاوان أن نرمى هذه العقد . لقد واجهنا عسكريا ، وعلينا أن نواجه سياسيا ولا نخاف .. روجوا أن كيسنجر يضحك علينا . حاولوا الاصطياد . ومن بعض اخواننا العرب . بكل أسف مثل ما حدث من وزير خارجية سوريا أخيرا . أرسلت لاول مرة لحافظ الاسد ، رسالة بها كلمات لم أتعود على استخدامها عن تصرف وزير خارجيته .. رايح يقول ان مصر اتفقت على حل منفرد . فصل القوات تمهيدا للحل المنفرد . ولو كان فيه اتفاق مسبق كما يزعم ، ماكانش كيسنجر يقعد ٨ أيام فى مباحثات .

اتصل بى حافظ الاسد اليوم ، وطلب تأجيل توقيع الاتفاق . وان نوقع الاتفاق سويا بعد ان ينتهى اتفاق سوريا . كان رأيى أن أوقع اتفاقنا ، ما دمت قد انتهيت منه ، ثم أوجه كل جهدى مع الرئيس الاسد لانهاء اتفاق سوريا . أنا ملتزم . حقيقة يجب أن تعرفوها . أننى أعمل وفق مبادىء وقيم لن أتنازل عنها . الرئيس حافظ الاسد له دين فى عنقى الى يوم القيامة ، لن أفرط فيه . انه الرجل الوحيد الذى اتخذ معى قرار ٦ أكتوبر . ان له هذا الدين فى عنقكم جميعا . وفى عنق كل مصرى وكل عربى لسوء الحظ حصل خلاف حول البدء فى اتفاق فصل القوات . كان المفروض أن نبدأ معا . ولكن سوريا رأت الا تبـدأ معنا . ولكننى أكرر لكم ، أن هذا لا يعنى أى شىء . أكرر اننا يستحيل أن ننسى الاسد كفرد أو كشعب . لانفرط فيه . ولا نبيعه . ولا ندخل ضده فى أى شىء حتى او دخل ضدنا . الاسد له دين قومى علينا . وسوريا يعنى حافظ الاسد . بدون فتح الجبهتين فى وقت واحد ، كانت اسرائيل تنفرد بنا واحدا واحدا كما هى عادتها . وهناك أبعاد كثيرة لمعركة ٦ أكتوبر لم تتضح حتى الان. ابعاد عميقة ومؤثرة على العالم كله .

أقول لكم .. عملنا مع كيسنجر اتفاق النقط الست .. وقلنا الانسحاب الى خط ٢٢ أكتـوبر فى اطار فك الارتبـاط بين القـوتين .

هذه فكرتى .. لا فكرة كيسنجر .

كيسنجر قال : خط ٢٢ أكتوبر مأزق لاسرائيل . كان القتال يوم ٢٢ أكتوبر فى قمته . وضع الاسرائيليون كل ما عندهم . جاءهم دم جديد من أمريكا . ونحن أعددنا لتعزيز قواتنا بعـد وقف النـار .

قبل أن يجىء كيسنجر ، أرسلت اسماعيل فهمى الى أمريكا. قلت ان خط ٢٢ أكتوبر يشكل مصيدة لاسرائيل . ولذلك حاولوا أن يأخذوا السويس والاسماعيلية وفشلوا . نص تقرير لجنـة الاعتمادات العسكرية فى الكونجرس الامريكى على أن الدفرسوار هى محاولة لحفظ كرامة اسرائيل . سجلوا روعة قتال الجيش المصرى . هذا يكفينى .

اسرائيل كانت استراتيجيا بلا قدمين فى الدفرسوار .

كنت صاحب فكرة فصل القوات . فلن نضيع الوقت فى خط ٢٢ اكتــوبر ، لانه مصيدة بالنسبة لهم .

وجاء كيسنجر . وعملنا النقط الست ، وهذا سبب أننـا نصينا على الفصل بين القوات فى هذه النقط .

واقتنع كيسنجر بأنه بدل أن يضع كل ثقل أمريكا ، فى خط ٢٢ ، يضع كل ثقلها فى فك الارتباط .

وقد أول بعض العرب، أن مباحثاتى الطويلة مع كيسنجر لن تكون عن فك الارتباط بل كانت عن حل منفرد .. وبكل اسف بعضهم أفهم الرئيس الاسد هذا . فى معركتنا القوى هى : أمريكا ـ الاتحاد السوفيتى ـ اسرائيل .

أى اتفاق مع أمريكا ينعكس على اسرائيل ، لانها تمدها برغيف العيش والفانتوم . وهذا سبب ذهاب وعودة كيسنجر بين مصر واسرائيـــل ..

قال لى : أنت فى اسوان .. أجيلك ..

وحضر ..

الوقت الطويل الذى مضى ، هو فى تطويع اسرائيل التى تملك قوى تدافع عنها فى أمريكا . فى كل موقع مؤثر سياسى وعسكرى. السياسة الامريكية الموضوعة منذ عام ١٩٥٨ انه اذا تحركت مصر يجب أن تضرب . بدليل أن كيسنجر عندما حضر منذ شهر فى القناطر ، كان ملتزما بأن تحارب أمريكا مـــع اسرائيل اذا بدانا قتال تصفية الجيب الاسرائيلى .

قلت له : ولماذا ؟ ..

قـــال :

ـ أنا مقتنع بأن هـــذا خطأ . نيكسون ايضا مقتنع . ونريد تغيير السياسة الامريكية . ولكن هذا لن يتم بين يوم وليلة .. حتى يمكن أن نغير السياسة الامريكية أمامنا جهد كبير أمام القوى السياسية وامام الرأى العام الامريكى . اننا متعهدون لاسرائيل بنظرية التوازن التى ترفضونها . كان يجب أن نساعدها عسكريا، فلم نكن نسمح لان تهزم اسرائيل هزيمة كاملة بسلاح روسى .

ومضى الرئيس السادات قائلا :

ـ ومـــرت الثغرة . ومضت الايام العصيبة التى عشتها . الشعب عاش واستمتع بملحمة ٦ اكتوبر الا أنا . كيف أهرب من المسئوليات . أننى صادق مع نفسى . ومر الوقت ، الى أن جاء كيسنجر لفك الارتباط . وهذا موضـــوع معقد . وانتهينا الى اتفاقية من جملة أشياء . فيه بيان تمهيدى عن اتفاق عسكرى يوقع بين رؤساء الاركان ، لان ما نحن بصـــدده عملية عسكرية بحتـــة ..

قلت للامريكان : اختاروا : خط ٢٢ أكتوبر أو فك الارتباط . مش عاوزين فك ارتبـــاط . يرجعوا الى ٢٢ وأنتم وروســـيا ضامنين . طبعا اسرائيل رحبت بفك الارتبـــاط حتى تعود الى الشرق ، لانها تعرف انها فى مأزق عسكرى .

غـــدا .. سيوقع الاتفاق فى الساعة ١٢ ظهرا . وسيكون كيسنجر فى أسوان . الخطوط الرئيسية . اسرائيل ترحل من الغرب كاملا . وتدخل الى المضايق ، وتأخذ خط محـــدد على خريطة محدودة .

خطنا فى الشرق لن يتزحزح . كان فيه فجوات بنعدلها . . ويعود خطا مستقيما . بعض التواءات فى الشمال عدلناها .

الامم المتحدة فى المنتصف بيننا .

وأكرر أن هذا اتفاق عسكرى بحت ، وليس له أى دخل فى الحل السياسى . اتفاق يوضح .. احنا فين واليهود فين . .

وواضح أن اليهود لو راوا أنهم يستطيعون البقاء بدون خسائر .. كانوا قعدوا ورفضوا انهم يتزحزحوا ..

واضح اذن .. انه لا حل منفرد .. ولا حل جزئى .

اننى لا أشعر بأى عقـــد فى المواجهة السياسية . ويجب أن نعيش عصرنا . يحدث خلال العمليات العسكرية . ان يجتمـع القادة المتحاربون ، وبعد نصف ساعة تبدأ عمليات . وهكذا ..

العملية عادية . ولا أقبل أن يكون أحد أو دولة ولى أمرى .

ولا تهمنى مزايدات من يريدون المزايدة .

ثم قال الرئيس :

ـ النقطة الاولى التى أريد أن اوضحها لكم انه اتفاق عسكرى. لا دخل له بمؤتمر جنيف وعملية السلام . ولكن كيف نتكلم فى جنيف من غير وقف النار . حتى هذه اللحظة الضرب شغال . ونحن لا نهــــدأ .

الساعة ١٢ ظهرا غدا سنوقف اطلاق النار .

ونحن نريد السلام فعلا . ونحن واضحون مع أنفسنا . . وسياستى هى ألا معارك سياسية مع من يزايدون .. ومع من يتهمون بأن هذا حل منفرد . لن ادخل فى معارك جانبية مع أحد مهما تسفل .

.. قد يقال ما هو الوضع بالنسبة لسوريا .

اننى متعهد بفصل القوات فى سوريا مثلما تم فى مصر . وقد وصلتنى الساعة السابعة من مساء أمس برقيــة من الرئيس الاسد يفوضنى رسميا أن أتحدث مع كيسنجر فى فصل القوات.

احنا سلمنا الاسرى . وأنا عارف أنا بأعمل أيه .. أنا تفاديت معركة كانت ستكون مثل معركة ٦ أكتوبر . جهد عسكرى . تخطيط . قتال . خسائر . كنا سنجليهم بالقوة العسكرية . أنا تفاديت كل هذا . واجهنا قليلا من الخسائر فى الايام الاخيرة . ولكنها ربع خسائر اليهود . لم نتركهم لنوم ليـــلا أو نهارا . كانت ستكون معركة رهيبة ، أمام السلاح الامريكى الحديث الذى لم يستخدم من قبل . تفاديت كل هذا . وحققت هدفا بلا دم. العملية بنيت فوق بعضها طوبة طوبة .

وقد قلت للرئيس الاسد :

ـ أى شىء أحصل عليه كسبا لى . هو كسب لسوريا ايضا. لاننى ملتزم معك بفك الارتباط .

وشرح الرئيس السادات الاتفاق :

١ ـ اليهود يخرجون من الغرب بالكامل الى الشرق .

٢ ـ خطنا باقى كما هو وتعدل بأرض زيادة .

٣ ـ العمليات متساوية تماما . متوازية .

٤ ـ خطنا من القناة الى الشرق . خطهم من أمام المضايق الى الخلف .

كان هناك خلاف على تحــديد القوات . وهنا اقترحت على كيسنجر انه آن الاوان أن تدخل أمريكا باقتراح

انتم قاعدين تتفرجوا ، والثقة مفقوده مع اسرائيل .

قدم كيسنجر اقتراحا للطرفين . وتمت الموافقة . وهــذا ما حــدث ..

.. الانسحاب سيتم فى ٤٠ يوما . لجان العمل ستراقب .

والوثيقة التانية فى الاتفاق ، هي مشروع أمريكى قدم لمصر ولاسرائيل ، ووقع منى هذه الليلة فقط ، بعد أنوقع من مائير . الساعة التاسعة مساء . تخفيف القــوات على الخطين . الخط المصرى .. نهاية خطنا فى الشرق . التحديد من نهاية خطنا فى الشرق الى قناة السويس . حــددنا المدفعية بعبــدة المدى . والتخفيف على الخطين معقول .

أول تنفيذ للاتفاق سيكون فك حصار السويس ، وفرقتى الجيش الثالث . ويوم أن يتم هذا ، علينا أن نعامل أمريكا كما نعامل أوربا فى حظر البترول . أنا وعدت بهذا ، مادام أمريكا قد تغير موقفها ، وتبذل جهودا كبيرة من أجل السلام . ممكن ستحدث مزايدات فى هذا من بعض ، ولكن مواقفنا واضح اننا نسلك سلوك الاقوياء .

ـ المستقبل .. هل هو صلح ! .. هل هو معاهدة سلام ؟

لا .. لاصلح ولا معاهدة ، وانما اتفاق سلام .

فى المرحلة المقبلة ستدخل سوريا والفلسطينيون مباحثــات مؤتمر جنيف .

وفى النهاية لا يصح الا الصحيح . ليس عنــدى حل أخبئه تحت المنضدة .اننى أعمل فى وضوح كامل .

***

ودارت العجلة .

وتحقق اتفاق فصل القوات على الجبهة السورية .

والامة العربية تستعد لمؤتمــر جنيف .

الفصل الثالث عشر

حرب أم سلام ؟

●●● هذا فصل جديد على الطبعة الثالثة ، اكتبه بعد عودتى فى الاسبوع الاول من يونيو ١٩٧٥ من مؤتمر سالزبورج حيث التقى الرئيس السادات بالرئيس الامريكى فورد ، وبحثا قضية السلام .

ان هذا الفصل لاعلاقة له بالنتائج التى يسفر عنهاهذا الاجتماع .ولكنه تحليل للموقف الامريكى الذى يتساءل عنه الناس . هل هناك تغير فعلا فى الموقف الامريكى .. والى اى مدى ؟ ..

ولماذا ؟..

ويبقى بعد ذلك السؤال الكبير :
ماهو المستقبل ؟ ..

حرب أم سلام ؟.. ●●●

اللقاء فى منزل السفير الدكتور عصمت عبد المجيد رئيس الوفد المصرى لدى الامم المتحدة ، فى قلب نيويورك . كنا على مائدة غداء بدعوة من السفير . لبى دعوته عـــدد كبير من اشـــهر المعلقين السياسيين والصحفيين الامريكيين . كانت المناسبة ، هى مناقشتى كصحفى مصرى سافر الى أمريكا ، ليتحقق من الاتجاهات الامريكية على الطبيعة .. قبيل مغادرة الدكتور كيسنجر الى الشرق الاوسط لابرام اتفاق انسحاب اسرائيلى جديد من سيناء . وهو ما عبر عنه بسياسة ((الخطوة .. خطوة)) Step by Step كان المفروض أن تستمر المناقشة بعد الغداء طويلا .. ولكننى أضطررت للاعتذار لانه كان يجب أن الحق بطائرة الساعة الثالثة بعد الظهر الى واشنطن .. فقد كان موعدى مع الدكتور كيسنجر فى الخامسة من مساء ذلك اليوم . ولكن كان محور المناقشة .. اننى متفائل مائة فى المائة من ان الدكتور كيسنجر سوف يعود الى أمريكا والاتفاق فى جيبه . وكانت اسئلة الضـيوف الامريكيين على المائدة .. لماذا تقــول مائة فى المائة ؟ .. وكانت أجابتى أن لدى ما يقنعنى بهذا التفاؤل .

وتساءلوا عن الموقف السورى .. واندهشوا عنـدما أجبت أنه نفس الموقف المصرى ، بغض النظـر عن التصريحات الســياسية الخشنة أو الملتهبة . أن سوريا ستظفر بانسحاب اسرائيلى آخـر بعد أن يتحقق الانسحاب الثانى من الجولان .

***

وطرت الى واشــنطن . ولقيت الدكتور كيسنجر فى مناقشـة مفتوحة استمرت ساعة كاملة .. ولقيت بعده مساعده سيسكو فى مناقشة صريحة . وتأكدت بعد هذين اللقاءين ان تفـاؤلى الذى سافرت به من القاهرة ، بعد لقاء طويل مع اسماعيل فهمى وزير الخارجية فى موضعه . لقد عاد كيسنجر من جولته الاستطلاعية السابقة ، بركيزة قوية تمهد لاتفاق الانســحاب الجــديد . ان ما أثاروه بشــأن ضرورة أن تعلن مصر انهاء حالة الحـرب ، عادوا واقتنعوا بأنه الشرط المستحيل الذى لن تقبله مصر .. وكانت مهمته هى البحث عن صيغة تضمن للطرفين عدم تجدد القتال خلال فترة

معينة .. وبعد ذلك يمكن الاتفاق على خطوات انسحاب في الجهات الاخرى .. ثم يصبح الجو ممهدا لمؤتمر جنيف .

ويمكن أن أسجل هنا بعض الحوار الذى جرى فى لقـائى مع الدكتور كيسنجر .. وخلاصة هذه الحقائق :

● ان الدكتور كيسنجر لن يترك الشرق الاوسط هذه المرة قبل أن تنجح مهمته وتنتهى الى اتفاق فك ارتباط كان بين مصر واسرائيل يشمل انسحاب اسرائيل من الممرات وحقول البترول فى سيناء .

● يجرى توقيع الاتفـاق بالحـروف الاولى فى كل من القـاهرة والقدس ثم تجرى بعد ذلك المباحثات العسكرية لتنفيذ الانسحاب **وكل ما يرتبط باتمام التنفيذ فى جنيف . ولو ان الامـر فى جنيف** سوف يقتصر على المباحثات العسكرية الا انه ليس من المستبعد أن يتابع هذه المباحثات مراقبون دبلوماسيون .

● ان الدكتور كيسنجر يقلقه التفاؤل الزائد عن الحد فى مصر ، ولكنه لو لم يكن مرتكزا الى أسس واضحة لنجاح مهمته ، لما غامر بهذه الرحلة . كما أن التصريحات الاسرائيلية الرسـمية المتميزة **بالعناد . والمعلنة عن عدم الانسحاب الا مقابل شرط انهـاء حالة** الحرب .. تقلقه .. وقد أحتج لدى الاسرائيليين عليها اكثر من مرة

● **العقبات التى يتوقع مواجهتها فى اسرائيل تتلخص فيما يلى :**

١ ـ أن العقلية الاسرائيلية من طبيعتها العناد الشديد أمـام التنازلات التى يجب أن تتحقق لايجاد مخرج نحو السـلام . وهو **يعلق ضاحكا على العقبات الاسرائيلية بأنها تمثل ٣ ملايين عقبـه** أى بعدد سـكان اسرائيل .

٢ ـ ان القلق على مستقبل الوجود الاسرائيلى قد تزايد كثيرا بعد حرب أكتوبر .. وان مصر تتمتع بالثقة والصبر النابعين من الوجود التاريخى الراسخ عبر آلاف السنين . ولكن الوجود القصير لاسرائيل يعنى الخـوف من التراجع كيلو متر واحـد . ولكن التجـربة مع اسرائيل توضح ان اسرائيل تبدأ دائما بالرفض ولكن النتائج تأتى فى النهاية مختلفة عن المواقف الاولى .

٣ ـ الحكومة الاسرائيلية ليست على اتفاق بين اعضائها .

٤ ـ حكومة رابين تواجه موقفا صعبا ، لانها تعيش باغلبية صوت واحـــد .

٥ ـ الشكوك في الضمانات التى يمكن أن تقدم ، بحجة أن الضمانات يمكن أن تفسر في المستقبل تفسيرات مختلفة ، ولكن الاحتفاظ بالارض هو مايتصورونه الضمان الاكبر الذى يعطيهم الامان

● وكان الدكتور كيسنجر يقدر لمهمته أسبوعين .. وان كان سيسكو قال لى بعد ذلك أنها لن تكون أقل من ثلاثة أسابيع .. ولكن كيسنجر قال لى : هذه المرة سأبقى حتى أنهى مهمتى . كما قال ان أى مساعدة أو ضمانات يمكن ان تقدمها الولايات المتحدة .. نحن مقبلون على تقديمها بكل أسلوب .

● وامتدح الدكتور كيسنجر في الرئيس السادات كثيرا .. وقال **اكثر من مرة خلال اللقاء : ان الرئيس السادات زعيم وطنى عظيم** وواحد من أبرز رجال الدولة المتازين الذين قابلتهم .

ثم قال : وكلنا ندين له فى خطوات السلام .

أما سيسكو فقد كان أكثر حذرا في نقاشه معى . وقال لى أن المجال أمام رابين وألون فى التحرك ضيق ومحدود . وان على رابين عندما يواجه الكنيست ان يقول لهم ماذا أخذ مقابل الانسحاب **الجديد . وان حزب العمل ليس متكاملا ولا متحدا . وأن بيريز وزير الدفاع** يشكل قوة مناهضة لرابين . وأن ٣٩ صوتا هى أصوات حزب ليكود فى الكنيست ضد أى اتفاق من أى نوع . وقال لى ان المخرج هو البحث في الضمانات المقنعه لاسرائيل ، وان هذه الضمانات يجب أن تكون معلنة . واذا امكن اقناع اسرائيل ، فان المهمة تصبح سهلة فى داخل أمريكا . يقصد اقناع المجموعات الصهيونية الامريكية سواء فى الكونجرس أو خارجه .

***

ولكن سيسكو لم يكن متشائما .

كان متفائلا .. ولكن بحذر . وكان يدعم كلماته بأن رجال

الكونجرس الامريكى الآن . الذين كانوا منحازين لاسرائيل تماما ، يؤيدون خطوات السلام .

ولا أريد أن استطرد فى هذا المجال .. بعد ان فشلت مهمة كيسنجر . .

والسؤال الذى يفرض نفسه .. لماذا فشل كيسنجر ؟ ..

والجواب بكل بساطة أن اسرائيل أرادت أن تقتل كيسنجر .

ولا يعنى هذا ان كيسنجر أصبح عربيا ! .. أو انه أصبح منحازاً لحقوق العرب !

هذا طبعا ليس صحيحا على الاطلاق .

ان كيسنجر يؤيد تماما ، ويحمى تماما ، الالتزام الامريكى ببقاء اسرائيل وحمايتها ودعمها . ولكن هناك فرصة للسلام ، لا تتعارض مع بقاء اسرائيل ودعمها وحمايتها . ثم هناك المصالح الامريكية فى الشرق الاوسط ، بعد أن ثبت بهزيمة اسرائيل فى أكتوبر انها لا تصلح كلب حراسة للمصالح الامريكية . ثم خطر الحظر البترولى على الاقتصاد الامريكى والاقتصاد العالمى .. ثم خطر احتمال المواجهة مع الاتحاد السوفيتى ..

ولكن اسرائيل لا يهمها كل ذلك .. فى مقابل الاحتفاظ باطماعها .. وفى مقابل كسب الوقت ، وانتهاز فرصة .. تضرب فيها ضربة عسكرية تعيد بها فلسفة الامن الاسرائيلى المنهارة . وهى فى هذا معتمدة على المساعدات العسكرية التى حصلت عليها من أمريكا ، بعد حرب أكتوبر .

وأمامى تقرير اللجنة الخاصة (١٨ عضواً) لمجلس النواب الامريكى ، عن المساعدات العسكرية لدول الشرق الاوسط . وكانت **هذه اللجنة قد زارت المنطقة من ٦ الى ١٧ فبراير ١٩٧٥**

ان اللجنة تقرر ان اسرائيل حصلت على المساعدات العسكرية التالية :

٣٠ مليون دولار فى عام ١٩٧٠ .

٤٥٤ مليون دولار فى عام ١٩٧١ .

٣٠٠ مليون دولار فى عام ١٩٧٢ .

٣٠٠ مليون دولار فى عام ١٩٧٣ .

٢٥٠٠ مليون دولار فى عام ١٩٧٤ .

٣٠٠ مليون دولار فى عام ١٩٧٥ .

ويصل المجموع مع مبالغ أخرى الى ٣ آلاف مليون دولار و ٩٧٥ ألفا . أى الى حوالى ٤ آلاف مليون دولار . لم تدفع منها اسرائيل الا ٧٠ مليون دولار فقط ! .. هذا عدا مساعدات غير عسكرية وصلت الى اكثر من ٩٠٠ مليون دولار !.. هذا عدا التبرعات غير الحكومية ، المعفاة من الضرائب ، والتى يجمعها اليهود الامريكيون بلا انقطاع .

واسرائيل تطالب للسنة المالية الجديدة ١٩٧٦ بما قيمته ألف مليون دولار من الاسلحة الحديثة . وأوضحت اللجنة أن اسرائيل تريد **الاسلحةعونا بلا دفع. كما تطالب علىمدى السنوات المقبلة بماقيمته** ألف مليون دولار سنويا . وحجة اسرائيل التى قدمتها لاعضاء لجنة الكونجرس لتبرير هذه المطالب العسكريةالخرافية تتلخص فيما يلى :

١ - ان اسرائيل تواجه الآن انسحابا من بعض الاراضى المحتلة ، ولذلك فهى تريد زيادة فى التأمين .

٢ - ان اسرائيل القوية تحمى مصالح أمريكا القومية لانها تشكل قاعدة أمريكية للتصدى للنفوذ السوفيتى فى الشرق الاوسط .

٣ - ان اسرائيل ستتنازل فى مباحثات كيسنجر عن شىء مادى هو الارض ، مقابل شىء غير مادى .. ولذلك فهى فى حاجة الى ضمان مادى للدفاع عن نفسها ، وهذا الضمان يتحقق بالتسليح المتقدم .

وتقول اللجنة انها لم تسمعهذه الاعتبارات منحزب ليكود المعارض (٣٩ صوتا) ولكن من أعضاء الحكومة الحالية . وقد سمعت من رابين رئيس الوزراء قوله أن تقوية اسرائل بالسلاح ، سيقنع العرب ، أنهم لن يكسبوا شيئا بالحرب .. وبذلك يمكن أن يتساهلوا فى اقرار السلام !

خلاصة الكلام ، أنها عملية نصب وابتزاز ، كل هدفها ، أن تعود

اسرائيل الى احياء فلسفة الامن الاسرائيلى ، التى قضت عليها حرب أكتوبر ·· متصورة أن الفرصة ستسنح لها ، للانتصار فى حرب جديدة ·

وهذه الحجج لم تعد مقنعة عند عدد محدود من اعضاء الكونجرس الامريكى الذين كانوا متأثرين بمنطق اسرائيل بأن مصر والدول العربية تريد ابادة اسرائيل، والقاء سكانها فى البحر. لقد وضح لهم أن الاتحاد السوفيتى ملتزم بالمحافظة على بقاء اسرائيل · ووضح لهم أن السلام النهائى ، بعد عودة اسرائيل الى خطوط ٦٧ ، وبعد الحل العادل للمشكلة الفلسطينية ، يفرض أيضا على كل الاطراف وجود اسرائيل · ووضح لهم أيضا أن مصر وسوريا جادتان فعلا فى الوصول الى سلام · وكما ذكرت أكثر من مرة ، فان أمريكا تعرف أن الموقف الرسمى لسوريا ، هو نفس الموقف الرسمى لمصر ، وان الرئيس الاسد يمثل السياسى العربى المعتدل الواقعى فى كل اتصالاته بأمريكا ، بغض النظر عن التصريحات السياسية الساخنة التى يمكن أن تصدر لاسباب مفهومة ·

نعم ·· هذه الحجج لم تعد مقنعة عند عدد من أعضاء الكونجرس · ولكن النفوذ اليهودى الخطير فى الكونجرس ، وفى البيت الابيض ، والمتغلغل منذ أكثر من مائة عام فى كل نشاطات المجتمع الامريكى ، والذى تضاعف فى السنوات العشرين الماضية الى درجة اصبحت مهددة للاقتصاد الامريكى ولمصالح امريكا الخارجية .. هذا النفوذ يمكن ان يجمع الاصوات فى الكونجرس لصالح استمرار تسليح **اسرائيل بهذه المبالغ الخيالية . وليذهب السلام الى الجحيم .. وهذا ما حدث فعلا، قبل لقاء سالزبورج ـ بالخطاب الذى وقعه ٧٦ شيخا امريكيا (أعضاء مجلس الشيوخ ١٠٠) ووجهوه الى الرئيس فورد مطالبين استمرار المساعدات العسكرية لاسرائيل .**

من أجل هذا قتلت اسرائيل مهمة كيسنجر معتمدة على قدرتها ، على اخراجه من منصبه ، أو شل حركته ، بواسطة القوى اليهودية الامريكية المتغلغلة فى المواقع الرسمية والشعبية المؤثرة ·

ولو لم يكن كيسنجر يهوديا ·· لاستطاعوا توجيه الضربة القاضية ، باتهامه بالعداء للسامية ·· ولكن كيسنجر يقول فى أحاديثه الخاصة : ماذا يمكن أن يقولوا عنى ؟ ·· اننى يهودى أولا ·· كما أننى مهاجر من ألمانيا بعد القهر النازى لليهود الالمان ·· أنا عانيت مما عاناه كل يهودى ·

واسرائيل تعتمد فى تدخلها فى الادارة الامريكية وقدرتها على فرض ارادتها ٠٠ على أن ادارة الرئيس الامريكى فورد تواجه متاعب داخلية ، بسبب الغالبية الديمقراطية فى الكونجرس ٠٠ وبعد فشل السياسة الامريكية فى الشرق الاقصى المسئول عنها كيسنجر ٠ ان مجلس الشيوخ المكون من ١٠٠ عضو ، من بينهم ٦٠ ديموقراطيا و ٣٨ جمهوريا واثنان مستقلان ٠ وفى مجلس النواب ٤٣٥ عضوا من بينهم ٢٩٠ ديمقراطيا و ١٤٥ جمهوريا ٠

وقد استطاع السناتور الصهيونى جاكسون أن يفسد الاتفاق التجاري بين امريكا والاتحاد السوفيتى ، بما يمكن ان يهدد سياسة الوفاق ٠٠ لولا حرص القيادة السوفيتية والقيادة الامريكية على مواجهة كل العقبات التى تهدد الوفاق ٠

فتلت اسرائيل مهمة كيسنجر ٠٠

وشعر كيسنجر باللطمة ٠٠ والتمعت الدموع فى عينيه وهو يغادر اسرائيل ٠

وشعر فورد باللطمة ٠٠ فقرر اعادة تقييم السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط ، وهدد بأسلوب غير مباشر ، بعدم استمرار المعونات العسكرية الجديدة لاسرائيل ٠٠

ويحاول فورد الآن تجاوز الاهانة التى لحقته من اسرائيل ٠

وهو الذى دعا الى الاجتماع بالرئيس السادات فى سالزبورج ٠

ويصدر هذا الكتاب . وربما تكون أمريكا قد أعلنت عن مشروعها للسلام . وربما تحدث خطوة سلام جزئية . ولكن أزمة الشرق الأوسط ستبقى مستمرة . وأحداث المستقبل فى رأيى متوقفة أساسا ، على موقف الدولتين الكبيرتين الولايات المتحدة الامريكية، والاتحاد السوفيتى .. وموقفنا من هاتين الدولتين . ثم على مدى صمود التضامن العربى الذى خلقته حرب أكتوبر . وموقف المقاومة الفلسطينية .

وليس هذا الفصل بحثا فى كل هذه العناصر ، التى تحتاج الى مؤلف خاص ٠

ولكننى أريد أن احدد الاجابة على سؤال حائر ، بعد أن بدأت صفحة جديدة فى العلاقات بين مصر وأمريكا . هنا السؤال

هو .. هل هناك فعلا تحول داخل أمريكا ينادى بالالتزام بحماية بقاء اسرائيل .. دون الالتزام بحماية التوسع الاسرائيلى فى الارض العربية ؟..

ان اسرائيل فى رأيى ، ستساوم حتى آخر دقيقة ، لكى تكسب وقتا ، وتعيد مأساة الحرب من جديد ، على أمل الانتصار هذه المرة

ان خسارة اسرائيل فى حرب أكتوبر ، طبقا لتقرير لجنة الكونجرس وصلت الى ٨ آلاف مليون دولار تشمل الانتاج المدنى . وقبل حرب أكتوبر كانت اسرائيل تصرف ١٧ ٪ من انتاجها القومى فى الاعداد العسكرى . وخلال حرب اكتوبر صرفت اسرائيل ٤٧ ٪ من انتاجها القومى . وما تعتزم اسرائيل صرفه فى عام ١٩٧٥ يصل الى ٣٠ ٪ من مجموع الانتاج القومى .

وهى فى سبيل هذا الاعداد العسكرى لحرب مقبلة ، تعانى تضخما وصل الى نسبة ٥٦ ٪ فى عام ١٩٧٤ ، واضطرت اسرائيل الى تخفيض عملتها بنسبة ٤٣ ٪ . والمواطن الاسرائيلى يدفع أعلى ضرائب فى العالم . ان الضرائب تشكل ٦٢ ٪ من الدخل القومى . وديون اسرائيل الخارجية التى كانت ٤ آلاف مليون دولار فى ١٩٧٢ ، وصلت الى ٨ آلاف مليون دولار فى عام ١٩٧٥ . وهى من أكبر نسب الديون بين دول العالم كله . وهذه الديون لا تشمل طبعا ، ثمن الاسلحة الضخمة الذى تحصل عليه من أمريكا بالمجان .

والعجز فى ميزان المدفوعات الاسرائيلى يصل الى ألفى ونصف مليون دولار فى عام ١٩٧٦ ، مقارنا بألف وربع مليون دولار فى عام ٧٥ و ٤٠٠ مليون دولار فقط فى عام ١٩٧٤ .

واحتياطات العملة الصعبة لا تتجاوز ألف مليون دولار ، بينما الالتزامات الداخلية تصل الى ٣ آلاف ونصف مليون دولار .

.. ومع كل هذه الاوضاع الاقتصادية الطاحنة .. فان اسرائيل تفضل كسب الوقت ، لكى تستعيد كرامتها العسكرية المنهارة ، وتثبت أطماعها .

وأعيد السؤال ؟..

هل يمكن القول بوجود تحول حقيقى داخل أمريكا ، يكتفى بحماية بقاء اسرائيل ؟.

وللرد اقول ..

أنه يوجد فعلا تحول فى الرأى العام الامريكى ..

ولكنه تحول محدود .

ولا يمكن القول أنه نما الى الدرجة الكافية .

كل من قابلتهم في واشنطن ونيويورك ، وبغير استثناء ، ابتداء من الدكتور كيسنجر وأعضاء الكونجرس وألمع الكتاب .. يحملون احتراما عميقا « لانور السادات .. الرجل العظيم .. الزعيم القوى .. رجل الدولة الممتاز .. رجل السلام » ..

هذه العبارات سمعتها تتردد فى كل حوار ونقاش ، وفي خلال الجلسة الواحدة مرات ومرات .. وخاصة ممن التقوا بالرئيس السادات لقد بهرهم بطريقة خارقة .

وعندما كنت في ضيافة السناتور برسي (ممثل الينوى) في مكتبه بمجلس الشيوخ تصادف أن تلقى ـ وأنا معه ـ صورة للرئيس السادات هدية من الرئيس له .. فصاح الرجل فرحا .. هذا شرف كبير أعتز به . وموقف السناتور برسى يعتبر منعلامات هذا التغيير ..

انه يمثل ولاية تعتبر السادسة بين ولايات امريكا في عدد اليهود بها . وبينما أصواتهم تقرب من ربع المليون .. لا يوجد فى ولايته أكثر من ٣٥٠ أمريكيا من أصل عربى . اليهود الامريكيون اذن لهم تأثير ضخم في ولايته . وقد كان السناتور برسى مع عضويته في مجلس الشيوخ ، عضوا فى الوفد الامريكى لدى الامم المتحدة . ولم تخرج مواقفه أبدا عن التأييد الكامل لاسرائيل . بل هو واحد من ٧١ شيخا أمريكيا وقعوا عريضة احتجاج بعد سماح الامم المتحدة لياسر عرفات بالخطابة على المسرح الدولى .. وقبول منظمة التحرير كمراقب . ثم سافر السناتور برسى الى الشرق الاوسط ، وزار ١٢ دولة من بينها اسرائيل . والتقى بالرئيس السادات .. وعرف الحقائق ، وعاد الى أمريكا ليعلن : ((ضرورة انسحاب اسرائيل الى حدود ٦٧ ، وضرورة اعتراف اسرائيل بمنظمة التحرير وأن يكون للفلسطينيين دولة)) ، وقال أن اسرائيل يجب ألا تعتمد الى ما لا نهاية على أن أمريكا ملزمة

بالاستجابة لمطالبهـا العسـكرية من الاسـلحة التى تجـاوزت كل حدود ..

والسناتور برسى فى كل هذا ملتزم ببقاء اسرائيل واستمرارها

●● **قال لى :** لست ضد اسرائيل ، التزامى قائم . ولكنى مع السلام .. مع الحق . لقد حاولوا تحريف تصريحاتى .. ونشرت بعض الصحف كلماتى تحت عناوين مثيرة .. على من تعتمـد يا سناتور برسى ٣٥٠ صوتا عربيا فى الينوى أو ربع مليون صوت يهودى ! ..

●● **ثم قال :** ولكن هـذا لا يهمنى . اننى أعلن رأيا سـوف يعـرف الجميع أنه الرأى الصحيح ، ورأيى لمصلحة سـلامة اسرائيل ، لانه لا سبيل الآن الا السلام . وبالامس فقط كنت على مائدة عشاء مع هنرى (يقصـد الدكتور كيسـنجر) وقلت له : ستسافر غدا .. **لا سلام الا بالانسحاب الكامل والاعتراف بمنظمة** التحرير ، (ثم قال ضاحكا) واذا كان كيسنجر يقول ان احتمالات نجاحه ٥٠٪ فاننى أقول أنها ٥١٪ حتى تكون الغالبية مع النجاح .

●● **وقلت للسناتور برسى (وهو من أنجح رجال الاعمال) ..** المشكلة أن أمريكا تعطى أسلحة بكميات ضخمة لاسرائيل بحجة أن هذا يطمئنها .. والصحيح أنه يشجعها على العناد ..

●● **قال :** مسألة الاسلحة هذه .. مسألة هامة . ان المطلوب منا شىء كثير .. وأصبح يكلف ميزانيـة أمريكا عبئا ضخما ، لم نعـد نتحمله .. ولذلك فان السـلام اصبح ضرورة من جميـع النواحى . ان أنور السادات يؤدى الآن دورا تاريخيا سيذكره له العـالم كله . ولست من مؤيدى الذهاب الفورى الى جنيف قبل خطوات حلول عملية لمشكلات السـلام .. سوف يتحول المؤتمر الى مسرح لتبادل الاتهامات .. وانتهى الامر ..

●● **وقال السـناتور برسى (وهو يبدو شـابا رغم أنه جاوز الخمسـين)** .. فى زيارتى لدول الخليج سمعت من يقول لى .. اتركوا اسرائيل .. ان مصـلحة أمريكا مع البترول العـربى .. ولكنى لست من دعاة ذلك .. لقد خسرت أمريكا خسائر ضخمة

فى المال والعتاد والارواح دفاعا عن فيتنام .. وليس لنا مصالح اقتصاديه مع فيتنام .. اننى اتكلم من قاعدة المبدأ .. اسرائيل يجب أن تعيش .. ولكن يجب أن ينال العرب حقوقهم .. وهذه فرصة سلام من صالح اسرائيل أن تغتنمها .

وقال لى السناتور برسى : ولست من المتصورين أن الانسحاب من مرتفعات الجولان يشكل عقبة أمام السلام . ان الرئيس الاسد معتدل وسياسى معقول . ولم أجد فى كلامه معى أى تطرف . ربما بدت التصريحات الرسمية غير ذلك .. ولكن التفاهم مع الرئيس الاسد ممكن وطبيعى، وأنا أفهم بعض الاوضاع الحزبية التى تدفع الى تصريحات علنية تبدو غير معتدلة ..

لا أريد أن أستطرد فى حديث السناتور برسى .. ولكننى أكتفى بهذا القدر ، فهو يمثل طبيعة التطور فى الموقف الامريكى :

لن تتخلى أمريكا عن اسرائيل ..

ولكن من حق العرب أن يحصلوا على حقوقهم ..

ولكن هذا الموقف يلقى مقاومة من القوى الصهيونية داخل أمريكا . مثلا — سؤال يلاحقه — وكيف تدافع يا برسى عن عرفات الذى خطب فى الامم المتحدة وفى جيبه مسدس ؟ ويجيب برسى : لم يكن عرفات يحمل مسدسا . كان جيبه فارغا .. هذه هى الحقيقة .

والسؤال .. هل يمكن أن ينتشر موقف السناتور برسى بين أعضاء مجلس الشيوخ .. ومجلس النواب الامريكى ؟ ..

لا شك أن زيارات أعضاء الكونجرس لمصر ولمنطقة الشرق الاوسط ، قد أحدثت بعض التحول المتوازن فى تفكير عدد منهم . وبعد أن كانت التصريحات الامريكية لاعضاء الكونجرس قبل حرب أكتوبر هى كليشيه واحد لا يتغير ، يساند اسرائيل مساندة عمياء ، باستثناء مواقف السناتور فولبرايت (الذى ترك مجلس الشيوخ بعد سقوطه فى الانتخابات) .. وأتيحت لى الفرصة أن أقابله أيضا . أقول بعد أن كانت التصريحات الامريكية كلها داخل كليشيه واحد .. بدأت تظهر تصريحات معتدلة .. وبدأ

البعض يفضل الصمت !! فقد سمعت من سناتور رفض أن يعلن عن اسمه ، وقال أنه يؤيد آراء السناتور برسى ، ولكنه لن يعبر عنها .. حتى لا يتعرض لما تعرض له برسى من حملات وضغوط.

ولكن محك الموقف الحقيقى .. سيظهر بعد تحديد واضح للسياسة الامريكية فى استمرار المساعدات العسكرية لاسرائيل .. أو توقفها .. وأمر هذا فى يد أعضاء الكونجرس ، عند مناقشة هذه المساعدات .

● قال لى هاملتون عضو مجلس النواب الامريكى ، ورئيس لجنة الشرق الاوسط :

ـ ((ان المواقف العظيمة التى يتخذها الرئيس أنور السادات، تؤكد أنه رجل سياسة من الطراز الاول . لقد بهرتنا هذه المواقف من أجل السلام ، لاننا رجال سياسة . ولكنى أحب أن أكون واقعيا فى تقدير مدى التحول ، اذا رسمنا خطا بيانيا للموقف .. فان اسرائيل كانت فى قمة الصعود ، ومصر كانت فى قاع الهبوط بالنسبة لعلاقات الاثنتين مع أمريكا . فى رأيى أن الخط البيانى المرتفع لاسرائيل لا يزال كما هو . ولكن ارتفع الخط البيانى لمصر من الادنى الى المتوسط فقط .))

وللمستر هاملتون موقف متوازن ، عندما عرض موضوع المعونة الامريكية لمصر واسرائيل . لقد طلبت بعض الاصوات زيادة المعونة لاسرائيل ... وفى المقابل طلب هاملتون زيادة المعونة لمصر فأصبحت ٢٥٠ مليون دولار ..

وهو يقول لى : هناك شعور عام بين اعضاء الكونجرس ، بالامل **فى السلام فى الشرق الأوسط .**

ولا شك ان الاتصال المستمر بين مصر وامريكا على مختلف المستويات .. وخاصة الكونجرس .. ومخاطبة كل المتصلين بالسياسة الخارجية ، سيساعد على مزيد من التفهم . وخاصة انه اصبح الآن هناك اقتناع لدى الدوائر الامريكية المختلفة ، بأن مصر وسوريا والاردن ليست لديهما النوايا لتدمير اسرائيل ، كما بدأ التفكير فى امريكا بأن هناك مصالح امريكية يجب ان تسبق المصالح المشتركة مع اسرائيل ..

ولما سألته : كيف ترى مستقبل العلاقات بين مصر وامريكا ؟

قال هاميلتون : أكرر اننا نرى فى الرئيس السادات رجل دولة ممتازا ، ورجل سلام . وزعيما عظيما يريد أن يبنى بلده . ولا بد من مساعدة مصر ، والتعاون معها بكل الطرق والامكانيات ، فى عملية البناء الداخلى التى بدأت باعادة بناء مدن القناة ، وهذا عمل ايجابى ضخم ، اننا نؤيد اتساع مجال التعاون مع مصر .

وكنت قد رأيت قبل ذلك السناتور سباركمان الذى خلف السناتور فولبرايت فى رناسة لجنه الشئون الخارجية . لقد سبق أن زار مصر ، والتقى بجمال عبد الناصر ، وهو لا ينسى أن عبد الناصر استبقاه بعد العشاء حتى منتصف الليل . وقد قال لى أن لجنة الشئون الخارجية تؤيد الدكتور كيسنجر وتؤيد كل خطوة من أجل السلام .. أما فى موضوع تسليح اسرائيل فقد كان متحفظا ، وقال لى اننا نسعى لايجاد توازن القوى ..

قلت له : هذه هى المشكلة .. توازن القوى ..

قال : وعندما تعلن حالة انهاء الحرب فى الشرق الاوسط .. فان السلام سيزدهر ..

قلت : كيف يعلن ذلك قبل حل المشكلة اساسا .. وقبل الانسحاب الكامل ؟

قال : الحق اننى لست ملما بتفاصيل المشكلة .. ولكنى أقول لك اننا نؤيد السلام . ونؤيد جهود الدكتور كيسنجر ، وكل أملى أن أزور مصر لالتقى بالرجل العظيم الرئيس أنور السادات . وقد اشار على الدكتور كيسنجر بزيارة مصر ولقاء الرئيس السادات . وارجو أن أفعل . لقد كانت أمريكا أول دولة أعترفت باسرائيل ، ونحن ملتزمون ببقائها .. وعندنا أمريكيون يهود كثيرون .

***

هذه ثلاث صور أردت أن أقدمها للقارىء المصرى ، لتفكير بعض أعضاء البرلمان الامريكى .

● السناتور برسى .. كان منحازا لاسرائيل . أصبح مقتنعا بالحق العربى ، مع التزامه بحماية اسرائيل دون حماية توسعها .. وقد تعرض لحملة ضارية ولكنه لم يتراجع .. بل اننى عندما

استأذنته فى نشر نقاشنا ، رحب بذلك .. وقال لن يهمنى شىء . هذا رايى وسيجىء اليوم الذى يعرفون فيه أننى على حق .. لن تستعبدنى أصوات الانتخابات .

● هاملتون .. عضو مجلس النواب . وهو رجل عميق ، يمثل الاعتدال والتوازن ، ويؤيد السلام ، ويطالب بمساعدة مصر فى بنائها الداخلى .. ولم يكن كذلك من قبل .

● السناتور سباركمان .. وهو رجل ليس ملما بتفصيلات المشكلة ، ولكنه مقتنع بأن مصر أرض سلام .. وكان ضد الموقف العربى قبل حرب أكتوبر .

والجميع يؤيدون خطوات كيسنجر ..

***

هذه الصور الثلاث ، يمكن أن تصبح ثلاثمائة صورة . لو اننا خططنا فعلا ، لصلات مستمرة مع أعضاء الكونجرس الامريكى وأجهزة الاعلام . هناك فعلا أعضاء صهيونيون ، لن يتزحزحوا عن التأييد الاعمى لاسرائيل ، ولو على حساب المصالح الامريكية ، ولو على حساب السلام . ومثلهم الاول السيناتور جاكسون والسناتور جاتنز . ولكن هناك أعضاء عديدون ، يمكننا اقناعهم بالاتصال المستمر ، والحجة المتبادلة ، وهؤلاء اما أنهم يمثلون ولايات لا توجد فيها أصوات يهودية عديدة مؤثرة .. أو أنهم يؤمنون بالسلام مما يشجعهم على اتخاذ مواقف قادرة على التمرد على النفوذ الصهيونى

وكلنا فى الحق لا نزال نعتمد على شخص أنور السادات ..

لا شك أن كل من التقى بأنور السادات ، خرج مقتنعا بموقف مصر ، وبالحق العربى .

ولكن هذه ليست مهمة رئيس الدولة ، وهى مسئولية مرهقة فوق مسئولياته الهائلة .

لقد غيرت حرب أكتوبر ، من الموازين ، وجاءت المقاطعة البترولية ، لتقنع الرأى الامريكى بأهمية التفاهم مع العرب ، وعدم التضحية بمصالح أمريكا فى سبيل حماية الاستعمار الاسرائيلى لاراضى العرب بالقوة .. وانكار وجود الشعب الفلسطينى ، الذى هو قائم ولن يتلاشى كما صورت الدعاية الاسرائيلية .

والملاحظ الآن أن المناقشات التى تجرى فى الجامعات الامريكية وفى مختلف التجمعات ، تأخذ طابع الرغبة فى الفهم ، وقد تخلصت من ظاهرة التعصب الاعمى لاسرائيل ومعاداة العرب ..

ان جدول محاضرات الدكتـور أشرف غربال سفيرنا فى أمريكا .. محجوز دائما لاشـــهر مقبـــلة . وهو لا يكاد يمضى يومين دون القاء محاضرة عن الموقف المصرى العربى .. تعقبها منافسات .. ومرة ، وبعد ان القى محاضرته ، وقف أحد الحاضرين يقول: (انى لا اريد ان اناقش ولكن لى تعليقا واحدا .. بورك فى مصر التى اختارت شخصا ممتازا مثلك ، ليتكلم بصوتها .) ثم كان التصفيق المدوى من جميع الحاضرين وقد حققت الدكتـورة ليلى تكلا عضو مجلس الشعب فى جولتها الاخـــيرة فى أمريكا . نجاحا ضخما . والقت ١٥ محاضرة أعقبتها مناقشات مقنعة .

وللدكتور عصمت عبد المجيد رئيس وفدنا فى الامم المتحدة ، جهد ممتاز .. وسافر الى أمريكا فى ابريل من هذا العام ، وفـد برلمانى مصرى بدعوة من الحكومة الامريكية ، أمضى ثلاثة أسابيع فى اتصالات برلمانية .. وهذا أول نشاط برلمانى جماعى نقدم عليه .. ولكنه يعبر عن قطرة فى بحر ..

وقد عرض التليفزيون الامريكى فيلما عن الرئيس أنور السادات استغرق ساعة كاملة .. لقى نجاحا كبيرا .. واعيد عرضه مرة أخرى على نطاق أمريكا كلها .. وأعرف ان اعـــداد هذا الفيلم استغرق فى مصر أكثر من أربعة أشهر . وسئل الرئيس السادات فى هـــذا الفيلم : (ماذا تريد أن يكتب على قبرك) .. فقال : ((رجل عاش من أجل المبادىء ومات من أجل السلام)) .. وهذه العبارة يرددها كل من شاهد الفيلم اعجـــابا بشخص الســـادات ..

لقد عرفت أمريكا بعد حرب اكتوبر ان العرب لن يخضعوا . عرفت ان العرب لن يلقوا باسرائيل فى البحر .. عرفت أن مصر على استعداد لتعاون وثيق لحل القضية .

ولكن هذا لايعنى أن الطريق سهل .. أكرر انه لابد من جهود مضـــاعفة .

لقد تغلغل النفوذ الصهيونى ربع قرن من الزمان .. حتى أن القانون لم يعد له اقدام داخل الكونجـــرس كما قال السـناتور فولبرايت .. لقد حدث ان أدخل السناتور جاكســون (صهيونى متطرف) تعديلا فى الجلسة العلنية لمجلس الشيوخ على برنامج المساعدات طالب ب ٥٠٠ مليون دولار لاسرائيـــل وافق عليها المجلس) .. مع ان القانون يشترط عرض التعديل على لجنة العلاقات الخارجية ثم لجنـــة الميزانية ، ثم تتقدم اللجنتان بتقريرهما الى المجلس . كل هذا لم يراع ، ووافق المجلس على التعديل فى نفس الجلسة العلنية ..

يقابل هذا بعد حرب اكتوبر تأييد الكونجرس لبرنامج المعونة لمصر . تحت تشريع أستمرار العمل بالميزانية القديمة .. وهذا يعنى عدم اقرار أى معونة . لان التشريع يشترط ان يكون لنـــا معونة فى السنة السابقة . ولم يكن لنا معونة فى عام ١٩٧٣ .. ومع ذلك فقد وافق الكونجرس على ١٥٠ مليون جنيه كعنصر جـــديد فى استمرار الميزانية .. والبـــاقى ١٠٠ مليون جاء فى الميزانية الجـــديدة ..

هذه اذن تغييرات فى الموقف الامريكى . ولكنها طفيفة .. ورغم انها طفيفة فان القوى اليهودية الامريكية تقاومها فى منتهى العنف .. ان هذه القوى لا تريد أن تدع الفرصـــة للمواطن الامريكى أن يفكر .. انها تريد أن تملى عليه تفكيرها .. تريد ان تشـــل حرية تفكـــيره تماما . واكثر من ظاهرة تابعتها خـلال رحلتى الاخيرة الى امريكا ..

الظاهرة الاولى هى محاولة ايهام المواطن الامريكى ، ان التضخم الذى يعانيه ، وارتفاع الاسعار ، وزيادة البطالة التى قيـــل انها وصلت الى ٨ ملايين بلا عمل .. كل هذا سببه ارتفاع اســـعار البترول العربى !.. ومن ثم سوف يواجه الكارثة اذا ما قام العرب بحظر البترول عنه .

وهذه دعوة باطلة تماما ، لان ما تستورده أمريكا من البترول العربى يصل فقط الى ١٥ ٪ من استهلاكها الداخلى .. كما ان ارتفاع الاسعار فى كل المواد بدأ قبل ارتفاع الاسعار فى البترول الذى تحقق فقط بعد حرب اكتوبر .. واسعار المواد الاخرى فى ارتفاع تدريجى منذ سنوات . والنسبة التى أثر بهـــا البتـــرول فى موجـــة ارتفـــاع الاســـعار فى المجتمع الرأسمالى لم تزد على ٢٪ ..

ومع ذلك فالدعوة الصهيونية التى لا يكاد يخلو منها تصريح رسـمى من اسرائيل ، أو اشاراتمتكررة ومتعمدة فى وسائل الاعلامالامريكى .. هى أن أمريكا وأوربا لا يجب أن تركعا أمام شيوخ البترول .. وقد ظهر اعلان ـ لا يمكن وصفه الا بالوقاحة ـ فى صحيفـة النيويورك تايمز فى صفحة كاملة ملونة بها صورة مرسومة قريبة الشبه من الملك فيصل .. وقد كتب فوقها عبارة واحـدة (هل ستترك هذا الرجل الذى سيحول حياتك الى تعاسه ؟..)

وانا لا أشك لحظة فى أن تصريح الدكتور كيسنجر الذى هدد فيه باستخدام القوة والاستيلاء على منابع البترول اذا تعرض الاقتصاد الامريكى للاختناق ، كان مقصـودا به مجاراة المـد الصـهيونى .. رغم ان كيسنجر يتعـرض لحمـلة هجـوم صهيونية منظمة ، تستهدف عرقلة خطوات السلام ، وتستهدف تجريح كيسنجر فى الداخل . ولكن لعله أراد ، أن يثبت أنه ليس منجرفا مع العرب .. وان مصالح امريكا هى قبل كل شىء .. وان كان قد أصدر تبريرا لهذا التصريح انه كان مجرد رد على سؤال افتراضى .. عن حالة ليس من السهل أن تقع ..

وقد كانت جـولات وزير البترول السعودى فى أمريـكا ، وتصريحاته فى الصحافة والتليفزيون ، ناجحة تماما لانها اتخذت أسلوب مخاطبة رجل الشارع الامريكى بعقليته وبالحقائق البسيطة ان العرب لا يريدون للاقتصاد الغربى أن يتحطم . ونحن لن نلجأ الى قطع البترول . ولكن لنا قضية ، ولنا حق . لماذا لا تناصرون الحق . لماذا تضيعون مصالحكم من أجل اطماع اسرائيل . .

ولكن اللعب اليهودى على أوتار الضـيق الاقتصـادى الذى يعانيه المواطن الامريكى ، لا يمكن أن يتوقف . لقـد اضطرت الحكومة الفيدرالية لضغط النفقات الى الاستغناء عن عدد كبير من الموظفين ، ومن قبلهم رجال بوليس .. ورجال اطفاء حرائق .. وبعضهم يظهر فى التليفزيون الان ويطالب بعمل ولو بدولار واحد ! . وهذا طبعا مقصود به الاثارة . لان دولارا واحـدا لا يساوى شـيئا .

واستمر برنامج مواجهة التضخم وازمة الطاقة موضع أخذ ورد عنيفين بين الرئيس فورد وبين الكونجرس المسيطر الان على

قـــرارات الحكومة ، وحتى حق الفيتـــو الذى يملكه رئيس الجمهورية لايجاد التوازن بين البرلمان والحكومة أصبح غير ذى قيمة . لان أى قانون يعترض عليـــه رئيس الجمهورية ، يمكن للكونجرس ان يقره بعد ذلك بغالبية ثلثى الاعضـــاء التى يملكها الديموقراطيون . والبرنامج الأمريكى للتغلب على أزمة الطاقة ، والاستغناء عن البترول العربى ، مقدر له أن يحقق هذا الهدف فى عام ١٩٨٥ أى بعد عشر سنوات فقط . ولعل اسرائيل تتمنى أن تماطل فى الحل الشامل حتى تنتهى هذه السنوات (العجاف) كما عبر عنها رئيس وزرائها ، ويفقد العرب سلاح البترول .

وقد حرص روبرت السوارث نائب وزير الدفاع الامريكى ، عندما لقيته فى البنتاجون أن يؤكد لى أن تصريحات الدكتـــور كيسنجر عن استخدام القوة ، لم تكن الا اجابة على مجرد سؤال افتراضى . ولما سألته عن صور التدريبات العسكرية التى نشرتها احدى الصحف الفرنسية ، عن التدريبات العسكرية الامريكية للاستيلاء على منـــابع البترول العربيـــة .. وعن اسم الخطة (الصحراء) .. نفى هذا تماما وقال أن هذه تدريبات قديمة تجرى منذ سنوات ، وفى كل المجالات العسكرية . وطبعا هذا كلام سياسى مراوغ .

دعنا من هذا الاستطراد وأعود الى نشاط القوى الصهيونية التى تعمل لاجهاض أى تغيير فى الموقف الامريكى ..

هناك حملة مثارة تظهر يوما بعد يوم ، فى مختلف اجهزة الاعـــلام .. وهذه الحملة تحذر من سيطرة راس المال العربى على اتخاذ القرار السياسى أو الاقتصادى فى أمريكا . وتحذر من دخول رأس المال العربى ، شريكا فى الصناعات الاستراتيجية الاســـاسية .. لان هذا يعنى أن العرب سيحكمون امريكا ! .. وهم فى هذا ينسون النشاط الايرانى ولا يذكرون الا النشاط العربى . وعندما اشترى شاه ايران ١٥٪ من اسهم شركة طيران (بان اميركان) وكانت معرضة للافلاس . علق أحد نجوم التليفزيون على الخبر ، معلنا ان الملك فيصل هو الذى اشترى .. واقترح ساخرا أن نقدم زجاجة بترول هدية لركاب بان أميركان بدلا من زجاجات العطور ..

ومع ذلك ، فقد قال لى سعودى رسمى أن مئات الطلبات تتراكم على السفارة السعوديه كل يوم ، من مواطنين امريكيين يريدون العمل فى أى شيء داخل السعودية .. بل أن احدهم يملك منجم ذهب ، عرض بيعه للسعودية ! وطبعا هناك عروض كثيرة من أفاقين ونصابين .

ثم ظهرت حملة مسعورة ضد المقاطعة العربية للشركات اليهودية التى تتعامل مع اسرائيل . ظهرت الحملة بدون مناسبة بسبب اجتماعات لجنة المقاطعة العربية .. مع ملاحظة ان اللجنة عقدت مئات الاجتماعات قبل ذلك عبر السنوات الماضية .. ولكن توقيت الحملة الصهيونية ، جاء قبيل سفر كيسنجر الى الشرق الاوسط .. الحملة تقول ان هذه تفرقة عنصرية دينية تتحدى الدستور الامريكى الذى يكفل للمواطن الامريكى المساواة الكاملة فى المعاملة رغم الدين واللون . واضطر الرئيس الامريكى فورد أن يرد على بعض النواب الذين اثاروا الحملة ، بأنه أمر بالتحقيق فى كل شكوى يتلقاها بهذا الشأن ، وانه سيتصرف طبقا لنتائج التحقيق . وظهرت المناقشات على شاشات التليفزيون ، أما رئيس مكتب الجامعة العربية أمين حلمى ، فقد ارسل بيانا الى الصحف ، يفند فيه مزاعم العنصرية ، ولم تنشره الصحف .. كما سجل له حديث تليفزيونى لم يذع منه الا دقيقة واحدة !

والرد البسيط على كل هذه الزوبعة المفتعلة ، أن المقاطعة ليست لشركات يهودية ، بل للشركات التى تتعامل مع اسرائيل وتساهم فى تنميتها الاقتصادية والعسكرية .. سواء كانت رسمية أو يهودية أو اسلامية .. وهناك شركات يملكها مسلمون فى آسيا طبقت عليها قرارات المقاطعة لانها تتعامل مع اسرائيل .. ومبدأ المقاطعة ، معترف به دوليا ، وتطبقه الامم المتحدة على جنوب افريقيا .. وامريكا نفسها طبقت المقاطعة على كوبا ، ولا تزال تطبقها منذ سنوات !

***

ووصلت النزعة المتطرفة المعادية للعرب ، الى أن صاحب احدى الشركات ارسل الى الدكتور أشرف غربال سفيرنا فى واشنطن ، يقول ان شركته لا تتعامل الان مع اسرائيل .. ولكنه يطلب وضعها فى قائمة المقاطعة ، لانه ينوى ان يتعامل مع

اسرائيل فى المستقبل .. وقد أجابه السفير الى طلبه ، وارسل كتابه الى لجنة المقاطعة !

ثم تجىء بعد ذلك الحملة الضارية ضد الدكتور كيسنجر .. وأعود الى التأكيد هنا أن كيسنجر ليس منحازا للعرب .. ولكنه منحاز للمصالح الامريكية فى السلام أولا .. ولمصلحة اسرائيل فى السلام . ولكن حتى هذا لا تريده اسرائيل التى تحطمت كرامتها فى حرب أكتوبر .

انهم يطلقون عليه فى أمريكا هنرى (ك) .. رمزا لقوته . . أى يكفى حرف واحد من اسمه .. والبعض يطلق عليه (ك) فقط من غير هنرى ..

وقد كان يسمى الرجل الذى لا يمس Untouchable

وكان من قبل قد هدد بالاستقالة ، عندما كان يصحب نيكسون فى رحلة النمسا ، وقال انه لن يبقى فى منصبه اذا لم يكن موضع ثقة كاملة ، وذلك عندما حاولوا المساس به فى موضـوع ووتر جيت .. ولكنه الان يصمد للحملة المثارة ضده .. وقد أعلن انه لن يستقيل حتى نهاية ادارة فورد ..

الحملة المثـارة استندت الى تجدد القتـال فى فيتنـام .. والى سقوط كمبوديا فى يد الثوار .. وقد رفض الكونجرس زيادة المعونة العسكرية والمالية لفيتنام وكمبوديا التى طلبها فورد حتى لا تقع كمبوديا .. ولكنها وقعت .. وانتصر شعب فيتنام ..

والحمـلة على كيسنجر لم تتوقف . ولن تتوقف ، على أساس انه المسـئول . لانه ينفـرد بالقـرار . ولا يدع أحـدا يشاركه فى رسم سياسة الدولة .. ان اليـوت ريتشاردسـون الوزير السابق ، والذى عين سفيرا لامريكا فى لندن ، تنبأ بعد تعيينه أن كيسنجر سيترك وزارة الخارجية ، وانه هو الذى سيتولاها ! ثم عاد وصحح تصريحاته بأنه لا مانع لديه من قبول منصب وزير الخارجية اذا خرج كيسنجر !

وقالت لى شخصية وثيقة الصلة جدا ، بكيسنجر .. (ان هنرى هو الذى عين ريتشاردسون سفيرا فى لندن ، لكى يزيحه من طريقه . انه يعلم أن ريتشاردسون سياسى طموح .. ولذلك

دفع به بعيدا الى منصب بروتوكولى .. لان الصحيح ان سفير أمريكا فى لندن لا يصنع شيئا !) ..

واصوات اخرى لقبت كيسنجر بأنه يرتدى ٣ قبعات . قبعة مجلس الامن القومى . وقبعة وزير الخارجية . وقبعة مستشار الرئيس فى رسم سياسة أمريكا الخارجية . وقد آن الاوان لان يرتدى قبعة واحدة . .

وصوت آخـــر هو السناتور ادلاى ستيفنسون الذى يتهم كيسنجر بان سياسته جعلت من امريكا العملاق الذى لا حول له ولا قـــوة ..

***

هذه هى الاتجاهات التى تركتها القوى الصهيونية فى أمريكا، لتعويق خطوات التعاون الجديد بين أمريكا والعرب . ويجب أن أؤكد انها اتجاهات قوية متعمقة الجذور فى المجتمع الامريكى ولها نفوذها العنيف الذى اضطر كما نعلم الى أن يعتذر الجنرال براون رئيس أركان الحرب الامريكى ، عنـدما صرح الرجـــل بأن مطالب اسرائيــل من الاسـلحة تكاد تصفى مخـازن الجيش الامريكى .. بل اضطرت كاتبا كبيرا له وزنه الضخم مثل جيمس ريستون ان يعتذر كتابة أيضا ، لانه وصف حـرب ٦٧ بأنها عدوان اسرائيلى على مصر !

لعلنى أفضت فى سرد صـورة الموقف الامريكى من الداخـل .. واهمية ذلك ان امريكا لا تزال هى العنصر الاهم فى الضغط على اسرائيل ..

ولا يزال السؤال مطروحا .. هل تؤيد امريكا بقاء اسرائيـل .. ام اطماع اسرائيل ؟ ..

وهو السؤال الاول والاخير الذى يحدد مستقبل السـلام على المدى البعيد ..

⊙❖⊙

موقف الاتحاد السوفيتى

بقى أن نسأل .. وما هو موقف الاتحاد السوفيتى ، القوة العظمى الثانية ، التى لها وجود ؟ ومصالح فى الشرق الاوسط .. والتى حاربنا فى اكتوبر بأسلحتها ؟ ..

الموقف السوفيتى يمكن عرضه باختصار فى النقاط التالية :

● الاتحاد السوفيتى بدأ يتأزم ، منذ بدأت العلاقات المصرية الامريكية تأخذ طابعا جديدا . . والزعماء السوفيت يتصورون ان النفوذ الامريكى فى المنطقة سيطرد النفوذ السوفيتى ، وان الرئيس انور السادات يعمل على ذلك ..

● من هذا الاساس الجوهرى يمكن ان تتفرع كل مواقف الاتحاد السوفيتى ، الخاصة بعدم تعويض مصر عن الاسلحة التى فقدتها فى الحرب بالشراء ، على الرغم من تعويض سوريا ، وبيع كميات كبيرة من الاسلحة السوفيتية الى ليبيا التى كان رئيسها القذافى يصف الاتحاد السوفيتى بأنه دولة استعمارية ، ويصف الشيوعيين العرب بأنهم عملاء لهذه الدولة الاستعمارية .. ولكن مواقف القذافى تغيرت كالعادة من النقيض الى النقيض ..

● ويتفرع عن هذا موقف السوفيت فى رفض تأجيل دفع أقساط ديون السلاح ، على الرغم من انه وافق على ذلك بالنسبة لسوريا .. وعلى الرغم من علمه بقساوة الازمة الاقتصادية فى مصر بسبب اعباء القتال ..

● ومن أجل هذا عارض الاتحاد السوفيتى سياسة كيسنجر التى أقرتها مصر وهى سياسة ((الخطوة خطوة)) .. ونادى بالتعجيل بمؤتمر جنيف .. وعندما فشلت مباحثات كيسنجر ، عاد الاتحاد السوفيتى ليعلن أن نجاح مؤتمر جنيف يتوقف على وحدة كلمة العرب أولا .. وهكذا تسير هذه الحلقة المفرغة ..

● ولكن الاتحاد السوفيتى يترك دائما خيط اتصال مع مصر .. وكذلك تفعل مصر .. ومن هنا وافق الاتحاد السوفيتى فى الزيارة الثانية لاسماعيل فهمى وزير الخارجية ، على توريد كميات من الاسلحة المتعاقد عليها من قبل ، والتى كان مفروضا أن تصل فى عام ١٩٧٤ .. وكان الفريق أول الجمسى عضوا فى وفد مصر فى هذه الزيارة واحسن الاتحاد السوفيتى استقباله ، وقدم له المارشال جريتشكو له هدية شخصية هى (مسدس) مع ذخيرته وقال له أنه مقاتل عسكرى ممتاز .. ولذلك يقدم له هذا السلاح الممتاز ..

وعندما جاء الحديث في المفاوضات عن تعويض الخسائر .. اعتذر جريتشيكو من عدم الحديث في هذا الموضوع .. وقال مداعبا مداعبة لها معناها .. الامريكيون الان اصدقاؤكم . وهم القادرون على حل الازمة .. وهم أيضا قادرون على تقديم أسلحة لكم ..

وفي هذه المباحثات ، اعلن عن تأجيل زيارة الزعيم بريجنيف للقاهرة .. ولكن السوفيت أعلنوا التأجيل بأسلوب لايجرح كرامة مصر ..

ولايزال الموقف كما هو ..

● الاتحاد السوفيتي ملتزم بحماية وجود اسرائيل . ولا يؤيد منظمة التحرير الفلسطينية خارجا عن حدود هذا الالتزام ..

حرب ام سلام ؟

ثم يبقى السؤال الكبير .. ما هو المستقبل .. حرب ام سلام ؟

احتمال الحرب قائم في كل لحظة .. هذه حقيقة ..

ولكن الاستراتيجية العربية قائمة على اتاحة كل الفرص للسلام .. والمعيار الاول والاخير ، في تقدير الانتصار العربي سواء في معركة السلام أو معركة الحرب ، هو في مدى صلابة التماسك العربي ، وفي مدى قوة التضامن العربي ، بحيث يستحيل أن تكون أداة لاية قوة عظمى ، في الصراعات العالمية، التي لا يمكن ان تتوقف ..

أن المسرحين العربي والدولي عامران بظواهر عديدة ، يجب أن نتيقظ لها .. وهذه الظواهر التي تعبر عن تناقضات وصراعات ومناورات واسعة النطاق ، تطالبنا بأن نفكر مرات ومرات ، ونحن نتجمع لتحديد خطوات الاستراتيجية العربية ، وخطوات التكتيك السياسي .. التي يجب أن تكون قائمة على موقف عربي موحد متكامل ، يحسب احتمال الحرب في كل لحظة ..

وهذا يعود بنا الى الموقف المبدئى ، وهو أن القرار هو قرارنا. هو قرار الدم العربى الذى سجلنا به انتصار اكتوبر بتضامن عربى لم تشهده الامة العربية فى تاريخها المعاصر ..

لقد جرت محاولات ومحاولات بعد انتصار اكتوبر ، لتشويه هذا الانتصار ، وخاصة ممن كانوا يروجون للهزيمة ، وينشرون أن عبور القناة ، وتحطيم خط بارليف هو المستحيل .. وهو الانتحار ..

ثم تحقق الانتصار ..

وليس أمام هؤلاء اليوم الا قلب الحقائق ، وتزييف التاريخ.. ومن ذلك القول بأن المعركة كانت فى أيامها الخمسة الاخيرة لصالح اسرائيل .. وقد أعلن الرئيس السادات أنه يتحدى اسرائيل ان تعلن خسائرها .. فى ثغرة الدفرسوار فقط ..

ان أى تشويه لانتصار اكتوبر ، هو مؤامرة مكشوفة لن تجدى الا أن تكشف النوايا السوداء ، وهى موجودة فى كل مجتمع .. ولكن المجتمع المفتوح قادر دائما على أن يدوس المؤامرات الصغيرة بالاقدام ..

الموقف المبدئى اذن .. ان نتحدث الى العالم ، غربه وشرقه، من موقع انتصار ، يدعمه تضامن عربى ايجابى حقيقى ، هز العالم خلال الحرب وبعدها .. ولايزال قادرا على فرض حقه ، بقوة السياسة ، وقوة الاقتصاد ، وقوة القتال ..

وأى أصوات تخرج على هذا التضامن .. هى خربشة فيران .. انتصار اكتوبر لن يجهض .. هذه حقيقة تاريخية شامخة كالصخر .. الامة العربية ستحقق أهدافها .. هذه حقيقة أخرى سيعيشها جيلنا بكل أنوار الفجر الجديد ..

مصر لن تتراجع عن اداء دورها التاريخى ، والتزامها القومى .. لقد كانت مصر اغنى دولة عربية ، وأصبحت الان من أفقر الدول العربية .. ومع ذلك فاننا لم نئن ، ولم نتردد ، ولم نتراجع .. ولا أقل بعد ذلك من ان يستحى المنافقون ..

انها حقائق لكل ذى عينين .. ولكن عبيد الاطماع الصغيرة .. لا يعقلون .. على الرغم من أنهم يصرخون ! ..

.. ((فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)) ..

وبعد .. فاذا عدنا الى السؤال الاول الكبير .. حـــرب أم سلام ؟ .. فانني أسجل هنا أجابة الفريق أول الجمسى عن هذا السؤال فى حديث أجريته معه فى مايو ١٩٧٥

كان السؤال : حتى نتوقع الحرب ؟ ..

وكانت الاجابة :

● هذه السطور بعض من حوار جرى بين الفريق أول الجمسى وبيني فى مايو ١٩٧٥ ، وفى اجابات الجمسى ايضاح محدد لاسباب هزيمتنا فى ١٩٦٧

قلت : أين كنت فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ؟

قال : لا تذكرنى بهذا اليوم .. اننا كنا نسميه باليوم الحزين فى القوات المسلحة .. يوم السكون . اليوم الذى كانت تصـــدر فيه الاوامر للقوات المسلحة بعدم الحركة أو النزول الى شوارع المدن .

ثم استدرك قائلا :

وفى رأيى أن اليوم الحزين بدأ يوم ١٤ مايو ١٩٦٧

قلت : كيف ؟

قال : انه اليوم الذى فوجئت فيه القوات المسلحة بالامر برفع استعدادها الى الحالة الكاملة للقتال ، وتنفيذ التعبئة ، وبدء حشد القوات فى سيناء ، وتم كل هذا فجأة ودون سابق اخطار للقيادة العامة للقوات المسلحة . ولهذا وقعت الكارثة فى ٥ يونيو .

قلت : اعيد السؤال .. اين كنت فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ؟

قال : كنت فى سيناء . كانت قيادة الجبهة برياسة الفريق مرتجى وكان المرحوم المشير أحمد اسماعيل رئيسا للاركان . وكنت رئيس العمليات . كنا نمثل القيادة العامة فى سيناء .. ولم تكن قيادة !..

ان العملية كانت تدار مباشرة من القاهرة !

لقد فوجئت القوات المسلحة المصرية بأمر استعدادها للقتال ، كما قلت لك ، وهي لا تعلم شيئا عن اى شيء . لا تعرف شيئا عن تطورات العمل السياسي .

قلت : كيف يمكن أن نحدد علاقة العمل السياسي بالعمل العسكري في حرب يونيو ١٩٦٧ ؟

قال : الاستراتيجية العسكرية لاية دولة ترتبط بسياستها . وعلى ذلك فان الاستراتيجية العسكرية توضع لتحقيق الاهداف السياسية للدولة .

● وقد فوجئت القوات المسلحة يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ برفع استعدادها الكامل للقتال وتنفيذ التعبئة وبدء حشد القوات في سيناء اعتبارا من ١٥ مايو ١٩٦٧ — لوضع اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا — كما أعلن ذلك للرأى العام — موضع التنفيذ . ومعنى ذلك أنه كان على القوات المسلحة أن تقوم بعمليات تعرضية ضد اسرائيل في حالة قيامها بالاعتداء على سوريا . ولتنفيذ هذا القرار السياسي كان يجب اخطار القيادة العامة للقوات المسلحة — مسبقا — للتحضير سرا لتنفيذ هذه المهمة وبالتالي كان يمكن تخصيص المهام للقوات المسلحة وتنفيذ التعبئة والحشد بما يتناسب ويتمشى مع التخطيط الموضوع لها وهو ما لم يتم .

● في يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ فوجئت القوات المسلحة بقرارسياسي آخر وهو سحب قوات الطوارىء الدولية وجاء في هذا الامر أنه من الضروري سحب هذه القوات من بعض النقط في نفس الليلة ، كما يتضمن ذلك سحب قوة الطوارىء الدولية بشرم الشيخ وهذا كان يتطلب ارسال قوات لتأمين شرم الشيخ لمنع العدو من السيطرة عليه بدون قتال بصرف النظر عن موضوع اغلاق خليج العقبة من عدمه .

● ثم صدر قرار سياسي آخر وهو اغلاق مضيق تيران ، وكان تنفيذ هذا القرار يتطلب التجهيز له من الناحية العسكرية ووضع الخطة اللازمة لمواجهة الاحتمالات المختلفة التى قد يتبعها العدو ردا على ذلك . وترتب على ذلك ارسال قوات مظليين الى شرم الشيخ جوا يوم ٢٠ مايو ١٩٦٧ واستمرار تدعيمها بالقوات الى

يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ حتى تكون قادرة على تنفيذ مهمتها بالاضافة الى الالتزامات التي وضعت بسرعة على القوات الجوية نتيجة للوصول الى قرار تأمين شرم الشيخ ليلة ١٩ - ٢٠ مايو ١٩٦٧ الامر الذى يوضح أنه لم يكن هناك تخطيط سابق لتحقيق الهدف السياسى .

وعلى الرغم من استمرار الهدف السياسى للدولة دون تغيير . فان القرارات الاستراتيجية العسكرية بدأت تتحول اعتبارا من ٢٨ مايو ١٩٦٧ لتتخذ طابعا خاصا يجمع فى نفس الوقت بين تخطيط تعرضى هجومى وتخطيط دفاعى جزئى الامر الذى ترتب عليه غموض المهام المحددة للتشكيلات والوحدات وتسبب فى ضياع وقت ثمين فى تخطيط عمليات حربية غير مؤكدة العزم على تنفيذها وكذلك حشد قوات ضخمة لا تتمركز بما يخدم متطلبات خطة منسقة واحدة .

وزاد من عواقب غموض الهدف الاستراتيجى على نتائج المعركة ما ادى اليه هذا الغموض من عدم تحقيق اتزان الاوضاع الدفاعية فى مسرح العمليات لمقابلة صد وتدمير هجوم معاد رئيسى ولا تمركز التشكيلات فى أوضاع مناسبة تخدم خطة تعرضية وقد أدى كل ذلك الى عدم وضوح الرؤية لاجهزة القيادة العامة للقوات المسئولة عن التخطيط والاعداد والتنسيق للعمليات .

ثم قال الفريق أول الجمسى :

لقد كانت القوات المسلحة المصرية ضحية ٥ يونيو ولم تكن أحد أسبابها ، وهذه شهادة الرئيس أنور السادات القائد الاعلى للتاريخ فى خطابه أمام مجلس الشعب فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٣

ولكن ماذا حدث فى حرب أكتوبر ؟ ..

لقد كانت القوات المسلحة المصرية ضحية ٥ يونيو ولم تكن أحد والعالمى لتبدأ القوات المسلحة الحرب فى احسن ظروف مواتية لها، ووضعت مهامها فى حدود قدراتها ، وربطت كل هذا بالوضع الاقتصادى .. وكل ما يمكن أن يتصل بحالة الحرب ..

نجاح الحرب يعتمد أولا على التخطيط الاستراتيجى على مستوى الدولة ، وهذا ما يقوم به الرئيس القائد الاعلى .

الفهـــرس

صفحة

الفاصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الجــزء الثالث

الفصل الاول

الفصل الثانى

الفصل الثالث

الفصل الرابع

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ١٩٧٥/٣٩٠٢

مطابع الأخبار ــ ٤٢٢٣ ــ ٧٥/٢ ــ ٥٠٠٠)

طبعة عام ١٩٧٥

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل، وسيطرة العادة، والتبجيل المفرط
لمفكري الماضي
أن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

روجر باكون



التعليم ليس استعدادا للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي



هذا الكتاب

ليس هذا الكتاب الكبير عرضا صحفيا ، وليس هو مجموعة من المقالات والآراء ، ولكنه تسجيل تاريخى لكل أسرار حرب أكتوبر السياسية والعسكرية ، بالوثائق الرسمية التى تذاع لاول مرة فى العالم كله ..

لقد امضى موسى صبرى ٩ أشهر كاملة وهو يعد هذا المؤلف الضخم ، فى اتصالات مستمرة على أعلى المستويات السياسية والعسكرية ، وزار جبهة القتال عدة مرات ، واستقبله الرئيس أنور السادات ثلاث ساعات ، واختص سيادته الكتاب بأحاديث خاصة وحصل المؤلف على وثائق سرية ، كما اجتمع به المرحوم المشير احمد اسماعيل اكثر من ١٠ ساعات فى أكثر من لقاء .. وقابل جميع قادة المعارك .. الفريق الجمسى ، اللواء سعد مامون ، اللواء فؤاد عزيز غالى ، اللواء عبد رب النبى حافظ ، اللواء حسن سعده .. وغيرهم . وعاش ملحمة السويس دقيقة بدقيقة . وتابع المؤلف تطورات الموقف سياسيا وعسكريا منذ وفاة جمال عبد الناصر ، وتولى أنور السادات مسئولية القيادة .. حتى شنت الحرب .. ثم تابع المعركة السياسية بعد الحرب ..

ان هذا الكتاب ، يروى بأمانة وموضوعية كل أسرار اتخاذ القرار التاريخى .. قرار الحرب .. ثم القصص الكاملة لمعارك القتال . وهو يستعرض الخبايا الداخلية والعربية والدولية التى صاحبت هذه المرحلة ، وهى بلاشك أخطر المراحل فى تاريخ مصر الحديث . ويتضمن ذلك أسرار العلاقات العربية . وخفايا المواقف السوفيتية ، وكل ما دار فى اجتماعات القمة فى موسكو والقاهرة ، وتطورات الاتصالات الامريكية من مسرحية روجرز الى مباحثات نيكسون وكيسنجر . ثم يوميات الحرب ساعة بساعة .

وقد استخدم المؤلف ، اسلوب التحقيق الدقيق ، وابتعد تماما عن الاستنتاج والاثارة ، ودعم كل الوقائع بالادلة والوثائق ، ليكون كتاب ((وثائق حرب اكتوبر)) مرجعا علميا ووطنيا وتاريخيا ، لهذه الحرب التى غيرت بحق الاستراتيجيات العالية فى كل المعسكرات .

اننا نقدم الطبعة الثالثة من ((وثائق حرب اكتوبر)) الى قراء العالم العربى ، بعد ان اضاف المؤلف فصلا جديدا عن تطورات الموقف السياسى بعد لقاء سالزبورج التاريخى . كما قدم المؤلف اضافات أخرى فى الفصول العسكرية منها اسباب هزيمة ١٩٦٧ كما حللها الفريق أول الجمسى فى حديث خاص مع المؤلف ..

ان اقبال جماهير القراء فى الوطن العربى وفى كل دول العالم على ((وثائق حرب اكتوبر)) بحماسة لم يصادفها كتاب عربى من قبل يدعم يقيننا ان تسجيل صفحات تاريخنا الوطنى والقومى هى مسئولية نعتز بانجازاتها ..

الطبعة الثالثة : مع اضافات جديدة من واقع وثائق أعلنت بعد صدور الطبعة الثانية

الناشر

احمد يحيى

الثمن ٢٠٠ مـ

مطابع الأخبار


Exclusive
For
www.ibtesama.com